

أبو علي مسكويه الرازي

تجارب الأمم

محققه و قدّم له

الدكتور أبو القاسم

أخبر النخاس

دار نشر الطباعة والنشر
طهران ۱۳۷۷ ش ۱۳۷۸ م

کتابخانه

مرکز تحقیقات کتابداری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۳۵۷۳

تاریخ ثبت:

ابوعلی سکویه الرازی
(۳۲۰-۴۲۱)

تجارب الأمم

محققه و مقدمه
الدكتور ابوالقاسم امامی



مرکز تحقیقات کتابداری علوم اسلامی
بمهر و امضای

دار نشرش للطباعة والنشر

طهران ۱۳۷۷ ش ۱۹۹۸ م

این مسکویه، احمد بن علی، ۳۲۰ - ۳۷۱ ق.
تجارب الأمم / ابوعلی مسکویه الرازی، دلتی و
لدم به ابوالقاسم امامی. - طهران: دارمروغ
لنطباعه والنشر، ۱۹۸۷ م. = ۱۴۰۷ ق. = ۱۳۶۶ - ۵.

بها: ۱۸۰۰ ریال (ج. ۱)؛ بهای هر جلد متفاوت.
ISBN 964-435-321-5 (set) ;
ISBN 964-435-327-7 (V. 4)
فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا (فهرست نویسی
بهش از انتشار).

پشت جلد لاتین شده: Miskawayh, Tajarib
al-umam (experiences of nations).

کتابخانه،
جلد پنجم (چاپ اول: ۱۳۲۷)؛ بها: ۱۶۰۰۰ ریال
(جلد قمیز). ۱۹۲۰۰ ریال (جلد زربوب).

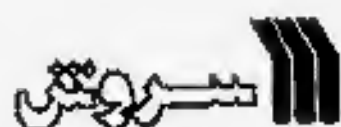
ISBN 964-435-328-5 (V. 3)
۱. اسلام -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۵.
۲. تاریخ جهان -- متون قدیمی تا قرن ۱۵. ۳. ایران
-- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۵. الد. امامی.
ابوالقاسم، ۱۴۱۳ - مصحح، پ. صدا و سیما
جمهوری اسلامی ایران، انتشارات مروج، ج. طهران.

۹۰۹/۰۱۶۶۷۱

DS۲۵/۶۳/د/۱۳۶۵۲

*۹۲۵-۹۲۵

کتابخانه ملی ایران



انتشارات مروغ، تهران، جمهوری اسلامی ایران

طهران، شارع الاستاذ مطهری، ملائق الدكتور مفتی بنایه جام جم، رقم ۲۲۸
مرکز التوزیع: مجتمع مروغ الثقافي، المعلقة التجارية، رقم التلیفون ۶۴۰۴۲۵۵

المنوان: تجارب الأمم (المجلد الخامس).

المؤلف: أبوعلی مسکویه الرازی.

تحقیق: الدكتور ابوالقاسم امامی.

تصنیف المروغ والاخراج: دارالبصائر للخدمات الثقافية.

الطبعة الأولى: ۱۳۷۷ ش / ۱۴۱۹ ق / ۱۹۹۸ م.

عدد النسخ: ۳۰۰۰ نسخة.

طبع هذا الكتاب بجميع مراحل الطبع في مطابع دار مروغ للنشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر.

شابک: ۵ - ۳۲۸ - ۴۲۵ - ۹۶۴ (جلد پنجم) ISBN: 964 - 435 - 328 - 5 (VOL. 5)

شابک: ۵ - ۳۳۱ - ۴۲۵ - ۹۶۴ (دوره ۲ جلدی) ISBN: 964 - 435 - 331 - 5 (7VOL SET)



تجارب الأمم



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد و اطلاع‌رسانی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَاهِبِ الْعَقْلِ

ودخلت سنة أربع وثمانين ومائتين^(١)
قدوم رسول عمرو بن الليث برأس ابن هرثمة
وفيهما قدم رسول عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة في المحرم. فأمر
المعتضد برفعه ونصبه في الجانب الشرقي، ثم تحويله إلى الجانب الغربي إلى
الليل، ثم رده إلى دار السلطان.^(٢)

أُمُور قَامَ بِهَا الْمَعْتَضِدُ
وفي هذه السنة عزم المعتضد على لن معاوية بن أبي سفيان على المنابر،
وأمر بإنشاء كتاب يُقرأ على الناس.
فخوّفه عبيد الله بن سليمان ذلك وقال :
« إِنَّ الْعَامَّةَ تَضْطَرُّبُ » .

١. أسقط إيدرووز من ابتداء هذا الجزء، أي من سنة ٢٨٤ إلى ابتداء خلافة المقتدر بالله في سنة ٢٩٥، ما يشغل ٥٦ صفحة من صفحات الجزء الخامس من مخطوطة أياصوفيا (الأصل)، وهو يريد أن يبدأ نشر تجارب الأمم من حيث ينتهي الطبري. فبدأ بآخر خليفة ذكر في تاريخ الطبري.

٢. انظر الطبري (١٣ : ٢١٦٠).

فلم يلتفت إليه.

فكان أول ما ابتدأ به من ذلك أن تقدّم^(١) إلى العامة بلزوم أعمالهم، وترك الاجتماع والمصيبة والشهادات عند السلطان، وأن لا يسألوا عن شهادة إن كانت عندهم، ومنع القصاص من الجلوس على الطرقات، وعملت بذلك نسخ قرئت^(٢) بالجانبين بمدينة السلام وفي الأرباع والساحل والأسواق.

ثم منع يوم الجمعة أهل الجانبين من أهل الحلق والفتيا وغيرهم من القعود في المسجد الجامع، ومنع الباعة [3] من القعود في رحابها، ونُودى في المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع على قاص وغيره. ثم نُودى في الجانبين والجامعين بأن الذمة بريئة^(٣) ممن اجتمع على مناظرة أو جدل، وأن من فعل ذلك أحلّ بنفسه^(٤).

وتقدّم إلى من يسقى الماء وأمثالهم في الجامعين ألا يترحموا على معاوية ولا يذكره.

إخراج كتاب اللعن

ثم تقدّم المعتضد بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه وفيه مثالب معاوية، ولعنه بعد ذلك فأخرج وهو كتاب طويل^(٥).

فحكى أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضي وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد خوفاً من فتنة تقع^(٦).

١. كذا في الأصل: تقدّم. في مط: يقدم. وهو خطأ.

٢. في مط: قرئت. وهو خطأ.

٣. ضبط الأصل: بريئة.

٤. في الطبري: بنفسه الضرب. (١٣: ٢١٦٠).

٥. انظر الطبري (١٣: ٣١٦٥).

٦. انظر الطبري (١٣: ٢١٧٧).

فمضى القاضي يوسف فكلم المعتضد وقال :
 - «إني أخاف أن تضطرب العامة عند سماع هذا الكتاب، وتكون لها
 حركة.»

فقال : «إن تحركت العامة أو نطقت، وضعت سيفي فيها.»
 فقال : «يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية
 يخرجون ويميل إليهم خلق كثير ومآثرهم^(١) في هذا الكتاب، وإذا سمع
 الناس هذا كانوا إليهم أميل أو كانوا هم أبسط السنة وأثبت حجة [4] منهم
 اليوم.»

فأمسك عنه المعتضد فلم يردّ عليه جواباً ولم يأمر بعد ذلك في الكتاب
 بشيء.

لحق بكر بمحمد بن زيد العلوي بطبرستان

وفيها لحق بكر بن عبد العزيز بمحمد بن زيد العلوي بطبرستان ويذكر مقيم
 بالجبل^(٢) ينتظر أمر بكر إلى ماذا يؤول، فورد الخبر بعد زمان أنه مات
 بطبرستان.

ووثوب أبي ليلى على شفيع الخادم وقتله

وورد الخبر من إصيهان بوثوب أبي ليلى الحارث بن عبد العزيز على
 شفيع الخادم الموكّل به وقتله.

١. في الأصل : وما آثرهم والتصحيح منّا بوجه من الطبري حيث قال : ويميل إليهم كثير من الناس
 لقرايتهم من الرسول ومآثرهم ولي هذا الكتاب إطرأهم. (الطبري ١٣ : ٢١٧٨).
 ٢. الجبل : في الأصل : بالجبل. وما أثبتناه عن الطبري (١٣ : ٢١٧٨).

ذكر الخبر عن ذلك

كان أخوه عمر أخذه فقيده وحمله إلى قلعة لأبي دلف بالزَّر^(١) وحبس به فيها وكل ما كان لأبي دلف من مال ومتاع نفيس وجوهر كان في هذه القلعة، وشفيع مولاهم يحفظ القلعة وكل ما فيها^(٢) ومعه جماعة من غلمان عمر وثقاته. فلمَّا استأمن عمر إلى السلطان وهرب بكر عاصياً للسلطان بقيت القلعة بما فيها في يد شفيع وأبو ليلي مقيد مسلم إليه.

فكلمه أبو ليلي في إطلاقه فأبى وقال :

« لا أخون صاحبي عمر. »

فحككت جارية لأبي ليلي في الحبس، أنه كان معه غلام صغير يستخدمه وآخر يخرج في حوائجه ولا يبيت عنده، فأما الصغير فبييت عنده. فقال أبو ليلي [5] للغلام الذي يدخل ويخرج في حوائجه :

« احتل لي في مبرد كيف شئت. »

ففعل الغلام وأدخله في شيء من طعامه. وكان شفيع يجيء في كل ليلة إذا أراد أن ينام إلى البيت الذي فيه أبو ليلي، حتى يراه، ثم يقفل عليه باب البيت هو بنفسه وينمى فينام وتحت فراشه سيف مسلول. وكان أبو ليلي قد سأل أن تدخل إليه جارية، فأدخلت إليه جارية صغيرة السن.

فذكر عن دلفاء^(٣) جارية أبي ليلي عن هذه الجارية الصغيرة أنها قالت :
يرد أبو ليلي مسمار قيده، حتى كان يخرج من رجله إذا شاء ويرده.

١. بالزَّر. كذا في الأصل. وما في الطبري : بالذَّر (الطبري ١٣ : ٢١٨٠). والزَّر ناحية بهمنان مشهورة (مراسد الإطلاع).

٢. فيها. في الأصل : فيه. والتصحيح مثا.

٣. في الأصل : دلفاء. بدون الهمزة. والضبط من (الطبري ١٣ : ٢١٨١).

قالت : وجاء شفيع عشية من العشايا إلى أبي ليلي فقعد معه يحدثه ، فسأله أبو ليلي أن يشرب معه أقداحاً ، ففعل . ثم قام الخادم لحاجته ، فأمرني أبو ليلي ففرشت فراشه فجعل عليه ثياباً في موضع الإنسان من الفراش ، وصيره كهينة الرجل النائم وغطاه ، وأمرني أن أقعد عند رجل ذلك الشيء المعمول من الثياب كأني أغمره^(١) . وقال :

« إذا جاء شفيع لينظر إليّ فقولني : هو نائم . ليقتل الباب على عادته ، ويظن أنني في الفراش . »

ثم خرج أبو ليلي واختفى في موضع فيه [6] متاع في صفة فيها باب هذا البيت ، وجاء شفيع فنظر إلى الفراش وسأل الجارية عن خبر أبي ليلي ، فأخبرته أنه نائم وأقفل الباب . فلما^(٢) نام الخادم ومن معه في الدار التي في القلعة خرج أبو ليلي ، فأخذ السيف من تحت فراش شفيع وضربه به حتى يرد . ووثب الغلمان الذين كانوا حوله نياماً فزعين ، فاعتزلهم أبو ليلي والسيف بيده ، وقال لهم :

« أنا أبو ليلي وقد قتلت شفيعاً ولئن تقدّم إليّ واحد منكم لأقتلته ، وأنتم آمنون ، فاخرجوا من هذه الدار حتى أكلمكم بما أريد . »

ففتحوا باب القلعة واجتمع كل من كان في القلعة فكلمهم ووعدهم بالإحسان وأخذ عليهم الأيمان . فلما أصبح نزل ووجه إلى الأكراد وأهل الرموم^(٣) فجمعهم وفرّق فيهم مالاً وخرج مخالفاً على السلطان .

ثم مضى إلى إصبهان ، فواقعه عيسى النوشري ، فأصاب أبا ليلي سهم في

١. أغمره : أجسه وأكبسه لأخبره .

٢. في مط : « فلما » بدل « فلما » . وهو خطأ .

٣. الرموم . كذا في الأصل . وفي مط : الزوم . وفي الطبري (١٣ : ٢١٨٢) : الزوم . وفي حواشي الطبري : الديمور .

حلقة قنصره، فسقط إلى الأرض، وانهزم أصحابه فحمل إلى إصبهان.

ودخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

خروج صالح بن مدرك على الحاج

وفيهما خرج صالح بن مدرك على الحاج في جماعة من طي بالأنجفر^(١) في المحرم. فحاربه الجنى^(٢) [٦] وكان أمير القافلة فهزمه الأعراب وظفروا بالقافلة فأخذوا جميع ما فيها وأخذوا جماعة من النساء الحرائر. وبلغ قيمة ما أخذوا من الناس ألف دينار.

حمل رأس أبي ليلى إلى بغداد

وحمل رأس أبي ليلى المقتول بإصبهان إلى بغداد، فاستوهبه أخوه عمر من المعتضد، فوهبه له، فدفنه، وخلع على عمر^(٣) في هذا اليوم.

ورود الخبر بوفاة ابن عيسى

وفيهما ورد الخبر بوفاة محمد بن عيسى بن شيخ، وقام ابنه أحمد^(٤) بن محمد بن عيسى بما كان في يد أبيه^(٥) بآمد على سبيل التغلب. فخرج إليه المعتضد قاضياً لحربه

مركز توثيق وپژوهش علوم اسلامی

١. الأنجفر. كذا في الأصل والطبري (١٣ : ٢١٨٣). ما في مط : بالأنجف.

٢. الجنى. كذا في الأصل ومط. في الطبري (١٣ : ٢١٨٣) : الجنى. وفي حواشيه : حبي، الحبي.

٣. على عمر. كذا في الأصل. ما في مط : ابن عمر.

٤. في مط : محمد بن محمد.

٥. في مط : ابنه.

هارون بن خُماروية يوجّه رسلاً إلى المعتضد
وفيها وجّه هارون بن خُماروية بن أحمد ومن معه رسلاً إلى المعتضد،
يلتمسون مقاطعتهم على ما في أيديهم من مصر والشام، ويسألونه إجراء
هارون على ما كان يجري عليه أمر أبيه ^(١) فردّ المعتضد رسله مع رسول له
بمشافهات وشروط.

ودخلت سنة ست وثمانين ومائتين
توجيه محمد بن أبي الساج ابنه إلى بغداد رهينة
وفيها وجّه محمد بن أبي الساج ابنه المعروف بأبي المسافر إلى بغداد
رهينة، بما ضمن له من الطاعة والمناصحة. فقدم في المحرّم منها ومعه هدايا
والمعتضد غائب. [8]
وكن المعتضد في السنة المتقدمة قد حمل إليه الخلع وكتب الولاية على
ما كان تغلب عليه من بلاد أذربيجان

وصول المعتضد إلى آمد
وفيها وصل المعتضد إلى آمد، فأناح بجنده عليها وأغلق محمد بن أحمد
بن شيخ أبواب مدينة آمد وعلى من فيها من أشياعه. ففرّق المعتضد جيوشه
حولها وحاصره وذلك لأتمام بقيت من شهر ربيع الأول.
ثمّ جرت بينهم حروب، ونصب أهل آمد على سورهم المجانيق، ونصب
المعتضد عليها المجانيق وتراموا بها.

١. في مط: يجري عليه مرأته في الطبري (٢١٨٥:١٣) يجري عليه أبوه

وفى يوم السبت لإحدى عشرة بقية من جمادى الأولى، توجه^(١) محمد بن أحمد بن شيخ فى هذا اليوم ومن معه من أصحابه وأولياته، فوصلوا إلى المعتضد فخلع عليه وعلى رؤساء أصحابه وانصرفوا إلى مضرب قد أعد^(٢) لهم، وتحول المعتضد من معسكره إلى منازل ابن عيسى بن شيخ ودوره، وكتب بذلك كتاباً إلى مدينة السلام.

ورود كتب هارون بن خماروية إلى المعتضد

ووردت كتب هارون بن خمارويه ببذل أعمال قسرين والعواصم ويحمل إلى بيت المال بمدينة السلام فى كل سنة أربعمئة وخمسين ألف دينار، ويسأل أن يحدد له ولاية مصر والشام، وأن يوجه المعتضد بخادم من خدمه إليه بذلك فأجابه إلى ما [9] سأل وتسلم المعتضد أعمال قسرين والعواصم من أصحاب هارون، وارتحل نحو الرقة، وخلف ابنه علياً بآمد مع جيوش ضمهم إليه، ليضبط الناحية وأعمال قسرين والعواصم وديار ربيعة ومضر. وكان كاتب علي بن المعتضد يومئذ الحسين بن عمرو النصراني، وأمر المعتضد بهدم سور آمد فهدم

موافاة هدية من عمرو بن الليث من نيسابور

وفىها وافت هدية عمرو بن الليث من نيسابور. فكان مبلغ ما أنفذه أربعة آلاف ألف درهم وعشرين من الدوات بالسروج والألجم المفرقة بالجلال المشهورة وكسوة وطيب وبزاة.

١ ما فى الأصل : وجه. والصحيح من مط.

٢ ما فى الأصل : أعد، ورجعنا ما فى مط : أعد.

ظهور أبي سعيد الجنبى بالبحرين على مذهب القرامطة

وفيهما ظهر أبو سعيد الجنبى بالبحرين على مذهب القرامطة فاجتمع إليه القرامطة والأعراب. فقوى أمره وكثر عيثه وأظهر أنه يريد البصرة. وكتب عامل البصرة إلى المعتضد بذلك، فكتب إليه يعمل سور على البصرة فقُذرت النفقة عليه أربعة عشر ألف دينار، فأمر ببائه^(١).

ودخلت سنة سبع وثمانين ومائتين غلظة أمر القرامطة

وفيهما غلظ أمر القرامطة بالبحرين وأغاروا على نواحي هجر وقرب بعضهم من نواحي البصرة. وولى المعتضد العباس بن عمرو الغنوى اليمامة والبحرين ومহারبة [10] أبي سعيد الجنبى والقرامطة وصم إليه زهاء ألفى رجل فشخص العباس إلى البصرة ومها إلى البحرين واليمامة^(٢).

أسر عمرو بن الليث الصفار

وفيهما ورد الخبر على المعتضد بأن إسماعيل بن أحمد أسر عمراً الصفار واستباح عسكره^(٣).

١. انظر الطبرى (١٣: ٢١٨٨).

٢. انظر الطبرى (١٣: ٢١٩٢).

٣. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٠٣).

ذكر الخبر عن ذلك

كان عمرو سأل المعتضد أن يوليّه ما وراء النهر، فولّاه ذلك، ووجه إليه وهو بنيسابور بالخلع واللواء، فخرج عمرو لمحاربة إسماعيل بن أحمد، فكتب إليه إسماعيل :

«إني قد وليت دنيا عريضة، وإنما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر، فاقع بما في يدك واتركني بهذا الثغر.»

فأبى إجابته، فذكر له أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال :

«لو شئت أن أسكره بيدر الأموال وأعبره لعلت.»

فلما يئس إسماعيل من انصرافه عنه جمع من معه من الجند والثناء^(١) والدهاقين وعبر النهر إلى الجانب الغربي. وجاء عمرو فتزل بلخ وأخذ إسماعيل عليه النواحي فصار كالمحاصر، وندم على ما فعل وطلب المحاجزة، فأبى إسماعيل عليه ذلك. فلم يكن بينهما كثير قتال حتى هُزم عمرو فولّى هارباً ومز بأجمة في طريقه [١١] قيل له : إنها أقرب. فقال لعامة من معه :

«امضوا في الطريق الواضح.»

ومضى في ثغر يسير فدخل الأجمة، فوكلت دابته ولم يكن له في نفسه حيلة. ومضى من معه ولم يلوا عليه، وجاءت أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيراً.

وبلغ المعتضد خبرهما فمدح إسماعيل وذمّ عمراً.

ورود الخبر بهرب وصيف

وفيها ورد الخبر على المعتضد بأن وصيفاً خادماً ابن أبي الساج هرب من بردعة^(١) ومضى إلى مطية مراضاً لمحمد بن أبي الساج في أصحابه. وكتب إلى المعتضد يسأله أن يوليّه الثغور ليقوم بها فكتب المعتضد إليه: بأمره أن يصير إليه، فنباطاً، وكان رسله بحضرة المعتضد.

فذكر أن المعتضد أمر بتقرير الرسل ليخبروه عن السبب الذي من أجله فارق وصيف صاحبه ابن أبي الساج وقصد الثغور فأقروا بالضرب. وذكروا أنه فارقه على مواطأة بينه وبين صاحبه على أنه إذا استقر في موضعه الذي هو به لحق به صاحبه فصارا جميعاً إلى مصر وتغلبا عليها، وشاع ذلك في الناس وتحذثوا به. وفيها ولى حامد بن العباس أعمال فارس الخراج والضياح، وكاست في يد العباس بن عمرو الغنوي.

خروج العباس بن عمرو الغنوي

وفيها خرج العباس بن عمرو الغنوي [12] عن البصرة بمن ضم إليه من الجند مع من خفف معه عن مطوعة البصرة نحو أبي سعيد الجبائي، فلقبتهم طلائع أبي سعيد، فخلف العباس سواده وسار نحوهم، فلم يأتها سعيد وأصحابه مساء، فتناوشوا ثم حجز الليل بينهم، فانصرف كل فريق منهم إلى موضعه.

فلما كان الليل انصرف من كان مع العباس من الأعراب والمطوعة وأصبح

١. في مط: بردعة (بإبدال المهملة)

العبّاس، فغادى القرامطة الحرب، فقتلوا قتالاً شديداً.

ثم إنَّ صاحب ميسره العبّاس حمل في زهاء مائة من أصحابه على مينة أبي سعيد، فوغلوا فيهم فقتل هو وجميع من معه، وحمل الجنّابي وأصحابه على العبّاس فانهمز أصحابه واستأسر العبّاس وأسر من أصحابه زهاء سبعمائة رجل، واحتوى الجنّابي على ما في عسكر العبّاس.

فلما كان الغد من يوم الوقعة أحضر الجنّابي من أسر من أصحاب العبّاس، فقتلهم جميعاً ثم أمر بحطب فطرح عليهم وأحرقهم.

وصار الجنّابي إلى هجر وأمن أهلها وانصرف فلّ العبّاس يريدون البصرة ولم يكن أفلت منهم إلا القليل بغير أزواد، فخرج إليهم جماعة من البصرة بنحو من أربعمائة راحلة عليها [13] الأظعمة والكُسي والماء فخرج عليهم بنو أسد فأخذوا تلك الرواحل بما عليها، وقتلوا جماعة ممن كان مع تلك الرواحل ممّن أفلت من أصحاب عمرو، فاضطربت البصرة لذلك اضطراباً شديداً وهمّوا بأن ينتقلوا عنها وخافوا هجوم القرامطة عليهم.

ثم وردت على السلطان خريطة من الأبلّة بموافاة العبّاس بن عمرو في مركب من مراكب البحر، وأنّ أبا سعيد أطلقه وحادماً له.^(١)

ثم ورد العبّاس بن عمرو مدينة السلام وصار إلى دار المعتضد بالثريا. فذكر أنّه بقي عند الجنّابي أياماً بعد الوقعة ثم دعا به فقال:

«أحبّ أن أطلقك»

قال: «نعم»

قال: «امض وعزّف الذي وجّه بك ما رأيت»

وحمله على راحل وضمّ إليه قوماً من أصحابه وحملهم ما يحتاجون إليه

من الراد والماء وأمر الرجال الذين وُجِّهوا معه أن يردّوه إلى مأمنه فساروا به إلى بعض سواحل^(١) البحر فصادف به مركباً فحمّله حتّى صار إلى الأبلّة فحلّج عليه المعتضد وصرفه إلى منزله.

فتمتدّث القاضي أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال^(٢): سمعت العباس بن عمرو الغنوي يقول: لما أسرنى أبو سعيد الجنابي القرمطي وكسر العسكر الذي كان أنفذه [14] المعتضد لقتاله وجعلت أسيراً في يده، يئست من الحياة، فإثني يوماً على ذلك إذ جاءني رسوله فأخذ قيودي وغير ثيابي وأدخلني إليه فسلمت وجلست فقال:

«أتدري لم استدعيتك؟»

قلت: «لا.»

قال: «أنت رجل عربي ومن المحال أن أستودعك أمانة فتخفّرها ولا سيما مع منى عليك بنفسك.»

فقلت: «هو كذلك.»

قال: «إثني فكرت في قتلك فلم أر فيه طائلاً وفي نفسي رسالة إلى المعتضد لا يحوز أن يؤذيها غيرك فرأيت إطلاقك وتحميلك إياها فإن حلفت لي إنك تؤذيها سترلك إلي»
فحلفت له فقال:

«تقول للمعتضد: يا هذا لم تحرق^(٣) هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك بإفناء الجيوش إليّ، وإنما أنا

١. في مط: رواحل وهو خطأ.

٢. لم نجد لهذا الخبر وللرسالة الآتية ذكراً في الطبري، في حوادث هذه السنة: ٢٨٧.

٣. في مط: تحرق (بالحاء المهملة).

رجل في فلاة لا زرع عندي ولا ضرع، ولا لى بلد وقد
رصيت بخشونة العيش والأمن على المهجة والعز بأطراف
الرماح.

- «وانظر قائى ما اغتصبتك بلداً كان فى يدك ولا أزلت
سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله لو أنفذ إلى جيشك
كله ما جاز أن تظفر بى ولا تنالنى. لأتى رجل نشأت
فى هذا القشف فتعودته أنا ورجالى، فلا مشقه عليها فيه
ونحن فى أوطاننا مستريحون [15] وأنت تنفذ جيشك من
الحموش^(١) والثلج والرياحين والند ثم يحيئون من مسافة بعيدة
وطريق شاق وقد قتلهم السفر قبل قتالنا، وإنما غرضهم
أن يبلوا عدراً فى قتالنا ومواقعنا ساعة ثم يهربون. فإن
حققوا مع ما قد يحققهم من وعاء السفر وشدة الجهد كان
أكبر أعوانى عليهم، فما هو إلا أن حققت عليهم حتى
ينهزموا،

- «وتقول وأكثر ما يقدرون عليه أن يجيئوا فيستريحوا ثم
تكون عدتهم كثيرة وبصيرتهم قوية، فحينئذ لا تكون لى بهم
قبل فأنهم، فلا يقدر جيشك أن يتبعونى إلا مسافة قريبة، فما
هو [إلا]^(٢) أن أبعد عشرين فرسحاً أو ثلاثين وأجول فى
الصحراء شهراً أو شهرين، ثم أكبسهم على غرة حتى أقتل
جميعهم. وإن لم يتم لى هذا وكانوا منحرزين فما يمكنهم أن

١ لم يتأكد من صحة قراءة الكلمة ما فى مط العوش، أو العيوش (باهمال الثانى)

٢ زيادة ما يوحى من السياق

يطوفوا حولي وحلفي في البراري ولا يتبعني الطلب في
الوادي،

- «ثم لا يحملهم البلد في المقام ولا انزاد إن كانوا كثيرين،
فلا بد أن يصرف الجمهور ويبقى الأقل فهم قتلى سيوفى أول
يوم يلقي فيه. هذا إن سلموا من ولاء هذه الناحية ورداءة
ماءها وهواءها الذي نشأوا في غيره وضده

- «ففكر في هذا ونحوه وانظر هل يصح [16] تعبك وتغريك
بعسكرك وجهشك وإنفاقك الأموال وتجهيزك الرجال ونكلافك
هذه الأخطار بطلبي وأنا مع هذا خالي الدرع منها سليم النفس
والأصحاب من جميعها. فأما هيبتك فتتحرق، وأما الأطراف
فتنتقض، وأما الملوك من الأعداء فتتجاسر. ثم لا تظفر من
بلدي بطائل ولا تصل إلى حال ولا مال. فإن خرت بعد هذا
محاربتى فأقدم على بصيرة وأنفذ من شئت واضطرب كيف
أحببت، وإن أمسكت فذاك إليك.»

قال: ثم جهّزني وأنفذ معي عشرة من أصحابه إلى الكوفة، فسرت منها
إلى الحصرة ودخلت على المعتضد^(١) فتعجب من سلامتي، وسألني عن
خبري سؤالاً حفيظاً فقلت:

- «أخبرك يا أمير المؤمنين سرّاً.»

فتشوّى إليه وخلا بي. فلم أزل أمض عيه الحبر وهو يسمّط^(٢) غيظاً

١. في مط: المعتصم وهو سهو من الكاتب

٢. في مط: يسمط (بالمين المعجمة).

حتی ظننت أنه سيسير إليه بنفسه وخرجت من بين يديه، فما رأيته بعد ذلك ذكره بحرف.

ورود الخبر بقتل محمد بن زيد العلوي

وفيها ورد الخبر على السلطان بأن محمد بن زيد العلوي قُتل. (١)

ذکر مقتله

ذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدِ الْعُلَوِي لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ أَسْرُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ عَمْرٍو
بِالنَّيْثِ، خَرَجَ فِي جَيْشٍ [17] كَثِيفٍ نَحْوَ خُرَاسَانَ طَامِعاً فِيهَا، فَلَمَّا مَنَّهُ أَنَّ
إِسْمَاعِيلَ لَا يَتَجَاوَزُ عَمَلَهُ الَّذِي كَانَ يَقُولُ: وَأَنَّهُ لَا دَافِعَ لَهُ عَنْ خُرَاسَانَ إِذْ
كَانَ عَمْرٍو قَدْ أُسِرَ وَلَا عَامِلَ لِلْمُلْطَانِ بِهَا

فلما صار إلى جرجان، واستقر بها كتب إليه يسأله الرجوع إلى طبرستان وترك جرجان فأبى ذلك محمد بن زيد غندب^(٢) إسماعيل له محمد بن هارون خليفة كان لرافع، وضم إليه جيشاً كثيفاً، فشنخص نحو ابن زيد فالتقيا على باب جرجان فافتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عسكر محمد بن هارون.

ثم رجع محمد بن بكر وقد انتفضت صفوف العلوي فانهزم عسكر محمد بن زيد وقتل منهم بشر كثير وأصاب محمد بن زيد ضربات وأسر ابنه زيد، وحوى محمد بن هارون عسكره. ثم مات محمد بن زيد من تلك الضربات وحمل ابنه إلى إسماعيل. ودخل محمد بن هارون جرجان ثم شحش إلى طبرستان.

۱. انظر الطبري (١٣، ٢٢٠).

٢. في مط. بدر.

ودخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

ذكر حوادث حدثت فيها

وفيها توفي محمد بن أبي الساج فاجتمع غلمانه وجماعة أصحابه فأمرُوا عليهم ديوداد بن محمد واعتزلهم يوسف بن أبي الساج مخالفاً لهم ولها جاء بسرو بن الثلث وذكر أن إسماعيل بن أحمد خيّره بين المقام عنده وبين توجيهه إلى باب أمير المؤمنين، فاختار توجيهه، فوجهه [18] وأرسل المعتضد برسول إسماعيل مع رسوله وحمل معه إليه بدنة^(١) وتاجاً وسيراً من ذهب مركّب على جميع ذلك الجواهر وهدايا وثلاثة آلاف ألف درهم يقرّتها في جيوش خراسان. وقيل كان المال عشرة آلاف ألف وجهه بعض ذلك من بغداد وكتب بياقيه على عقال الجبل وأمرُوا أن يدفعوا ذلك إلى الرسل.

وفيها أوقع يوسف بن أبي الساج وهو في نفر يسير باني أخيه ديوداد، فهزم عسكره وبقي ديوداد في جماعة قليلة عرض عليه يوسف بن أبي الساج المقام معه فأبى وقال:

«أمضى إلى باب السلطان».

فجعل يسأله مدة ويسأله المقام معه، فأبى وأخذ طريق الموصل حتى وافى بغداد.

ودخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

انتشار القرامطة بسواد الكوفة

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجه إليهم شبل غلام أحمد بن محمد

١. البدنة قميص لاكتين له

الطائي فشخص إليهم فظفر بجماعة منهم وظفر برئيس لهم يُعرف بابن أبي القوس^(١) فوجه به وبهم فدعا به المعتضد وساءله ثم أمر به فقلعت أضراره ثم حُلج مُدت إحدى يديه بيكرة وعُلّق في الأخرى صخرة وترك على حاله تلك ثلاثة ساعات ثم قُطعت يداه ورجلاه [١٩] من غد هذا اليوم وضربت عنقه وصلب.

سياسة المعتضد في الشيخ والمرأة المفصوبة والرجل الغاصب

ومن سياسة المعتضد التي تُستفاد منها تجربة ما حدث به أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي أنّ شيخاً من التجار كان له على بعض القواد مال جليل، فمأطله ثمّ جحده. قال: فعملت على التظلم إلى المعتضد لأنّي كنت تحمّلت عليه وتطلّمت إلى عبيد الله بن سليمان فلم ينفعني ذلك فقال لي بعض إخواني:

- «علّي أن آخذ المال لك ولا تحتاج إلى الظلامة إلى الحليفة، قم معي الساعة.»

قال: فقمعت معه وجاء بي إلى خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس يخط ويقرأ القرآن في مسجد فقصص عليه قصتي، فقام معنا. فلما مشيت تأخرت وقلت لصديقي:

- «إنك قد عرضت هذا الشيخ ونفسك وإيّاي لمكروه عظيم.»

قال: «كيف؟»

قلت: «لأنّه قد استخف بي مراراً وجماعة من شفعائي مراراً كثيرة ولم

١ في الطبري (١٢: ٢٢٠٦): أبي فوارس. وفي حواشيه: أبي الفوارس

يلتفت إلى مثل فلان وفلان ولا إلى الوزير، وأخاف أن يصفعنا صفعا^(١) وجيهاً ويطرشنا.

فصحك الرجل وقال :

« لا عليك، امشي واسكت. »

فجئنا إلى باب القائد فحين رآه علمانه أعظموه وأرادوا ثقيل يده فمنعهم، وقالوا :

« ما جاء بك أيها الشيخ فإن صاحبنا راكب؟ »

فقال : « أدخل وأجلس إلى أن [20] يحضر. »

فبادروا إلى الإذن به وأجلسوه في أرفع موضع. فسويت نفسي وجاء الرجل، فلما رأى الخياط أعظمه إعظاماً شديداً وقال :

« لا أترع ثيابي حتى تأمر بأمرك »

فخاطبه في أمرى فقال :

« والله ما عندي إلا خمسة آلاف درهم. »

فسأله أن يأخذها في الوقت ويأخذ رهنأ بياقي ماله إلى أن تجيئني غلتي فبادرت إلى الإجابة فأحضر الدرهم وخرجنا. فلما بلغنا موضع الخياط طرحنا المال بين يديه ^{وقلنا}

« يا شيخ إن الله قد رد هذا المال على لسعيك وبركتك، فأحب أن تأخذ

من المال نصفه أو ثلثه حتى تطيب نفسي. »

فقال : « ما أسرع ما كافأتني على الجميل بالقبيح. انصرف بمالك، بارك

الله لك فيه. »

فقلت : « قد بقيت لي حاجة. »

١. في نسخة أن يصفعنا ضحاً. وهو تصعيف

قال : « قل . »

قلت : « تخبرني عن سبب طاعته لك مع تهاونه بأكثر أهل هذه الدولة ؟ »
فقال : « يا هذا ، قد بلغت مرادك ، فلا تقطعني عن شغلي ومعاشي . »
فألححت عليه .

قال . « أنا رجل أؤمُّ وأقرأ^١ في هذا المسجد منذ أربعين سنة ، ومعاشي من هذه الحياطة ، وكنت منذ دهر قد صلّيت المغرب ، وخرجت أريد منزلي . فاجتزأت برجل تركي كان في هذه الدار وقد تعلّق بإمرأة محتارة وكانت جميلة ، وأدخلها إلى داره وهي تستنيت وليس أحد يفيثها . » [21]

قال : « فرقت بالتركي وسألته تركها ، فضرب رأسي بدبوس وشجّني وشتمني ، وينست من المرأة وخلاصها ، وصرت إلى المنزل وغسلت الدم وشددت الشبّة واستروحت ، وخرجت أصلي العشاء الآخرة . فلما فرغنا قلت لمن حضر : قوموا معي إلى عدوّ الله ، هذا التركي ، لتكر عليه ولا تبرح حتّى نخرج لمرأة . فقاموا معي وجئنا على باب فخرج إلينا هي عدّة من غلماننا ، وقصدني من بين الجماعة فضربني ضرباً مبرحاً كدت أتلّف منه . فحملني الجيران إلى منزلي وعالجني أهلي ونوّمت فلم أقم إلى نصف الليل . فقلت في نفسي هذا قد شرب إلى الآن ولا يعرف الأوقات ، فلو أذنت لوقع له أنّه المجرّ فلعله يطلو عن المرأة وكانت المرأة لما تعلّق بها قالت . إنّ زوجي قد حلف بطلاقي ألا أبيت عن منزلي وأعظم ما عليّ أن أطلق وأبين منه فطعنت أن تلحق المرأة بمنزلها قبل الفجر وتسلم من أحد المكروهين . فخرجت متعاملاً حتّى صعدت المنارة ، فأذنت وجلست أنطلع منها إلى الطريق أرقب خروج المرأة ، فإن خرجت وإلا أقمت الصلاة لئلا يشك في

الصبيح ويخرجها. لما مضت إلا ساعة فإذا الشارع قد امتلأ خيلاً ورجلاً ومشاعل وشموعاً وهم يصيحون .

- «من هذا [22] الذي أذن الساعة، أين هو.»

ففرغت وسكت ثم قلت أخاطبهم لمألى أستعين بهم على إخراج المرأة، فصحت من المنارة :

- «أنا أذنت.»

فقالوا: «أترى فأجب أمير المؤمنين.»

فقلت: قد دنا الفرج، ونزلت فإذا بدر مع الجماعة فحملنى وأدخلنى إلى المعتضد. فلما رأيته هبته وارتعدت فسكنى منى وقال :

- «ما حملك على أن تغرّ المسلمين بأذنك في غير وقته فيخرج ذوو الحاجة في غير حينها، ويمسك المرید للصوم في وقت قد أتيح^(١) له الإفطار، وينقطع العسس عن الطوف والحرس؟»

فقلت: «يؤمننى أمير المؤمنين لأصدق؟»

قال: «أنت آمن.»

فقصصت عليه قصة التركى والمرأة وأريته الشجرة وآثار الضرب بى. فقال:

- «يا بدر، على بالعلام والمرأة الساعة.»

فنزلت في موضع. ومضى بدر وأحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بعث ما قلته. فقال لبدر:

- «بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة من العدم يدخلها دارها ويشرح لزوجها خبرها وبأمره عنى بالتمسك بها والإحسان إليها.»

ثم استدعانى فوقفنى، فجعل يخاطب العلام وأنا قائم أسمع. وكان فيما

١. في مط: قد أبيع له.

خاطبه به أن قال :

- «كم جرايتك؟»

فقال : «كذا.»

قال : «وكم عطاؤك؟»

قال : «كذا.» [23]

قال : «أعما كان لك في جواريك وجاريك وفي هذه النعمة الواسعة كفاية عن معصية الله تعالى، وعن خرق هيئة السلطان، حتى استعملت القسحة وتجاوزت ذلك إلى الوثوب على من أمرك بالمعروف؟»

فأسقط العلام في يده ولم يُجر جواباً. فقال :

- «هاتوا جوالقاً وقيداً وغلاً ومداقّ الجصّ.»

فأتى بها كلها. فأدخله الجوالق وأمر الفُراشين بدقّه. وأنا أرى ذلك كله. وهو يصيح. ثم انقطع صوته ومات. وأمر به فمُرّق في دجلة وتهدّم إلى بدر بحمل ما في داره، ووصلني بألف درهم. ثم قال لي :

- «يا شيخ أيّ شيء رأيت من أحناس المنكر ولو على هذا وأشار يده إلى بدر - فإن لم يقبل منك، فالعلامة بيننا أن تؤذّن في هذا الوقت، فإني أسمع صوتك وأستدعيك وأفعل مثل هذا بمن لا يقبل منك أو يؤذيك.»

قال : قد دعوت له وانصرفت.

وانتشر الخبر في غلمان الدار والحاشية ثم الأولياء والجند والعامة. فما خاطبت أحداً منهم بعدها في إصاف لأحد أو كفت عن القبيح، إلا طاعني. كما رأيت - خوفاً من المعتضد وما احتجبت أن أؤذّن في غير وقت الأذان إلى الآن. (١)

١ هذه الحكاية لا توجد في الطبري في حوادث هذه السنة. انظر الطبري (١٣ ٢٢٠٦ ٢٢٥١)

خلافة المكتفى بالله

وفىها توفي المعتضد^(١) ليلة الإثنين من ربيع الآخر. وفى صبيحتها أحضر دار السلطان عبد الحميد بن عبد العزيز [24] أبو حازم ويوسف بن يعقوب وأبو عمر محمد بن يوسف، فتولى غسل المعتضد محمد بن يوسف، وتولى الصلاة عليه يوسف بن يعقوب، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله وأبو حازم وأبو عمر والخدم والخاصة.

وجلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان فى دار السلطان، وأذن للناس، فمزوه^(٢) بالمعتضد، وهأوه بالمكتفى، وتقدم فى تجديد البيعة للمكتفى بالله، ففعلوا.

وكتب بالخبر إلى المكتفى وكان بالرفقة فتقدم إلى كاتبه بأخذ البيعة على من فى عسكره، ووضع لعهاء لهم ففعل وشخص إلى بغداد فدخلها وكفى بلسانه القاسم بن عبيد الله وخلع عليه.

وفى اليوم الثانى من مقدمه هذا هلك عمرو بن الليث الصفار.

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٠٦).

٢. على مط - فمزروه، وهو خطأ.

هلاک عمرو بن الليث الصقار

ذكر الخبر عن هلاکة

وكان المعتضد لما امتنع من الكلام عند موته أمر صافياً الحُرْمِي بِمَقْتَلِ
عمرو بالإشارة والإيماء، ووضع يده على عييه وعلى رقبته، أي: اذبح
الأعور. فلم يفعل ذلك صافى لقرب وفاة المعتضد وكره قتله. فلما دخل
المكتفى سأل القاسم بن عبيد الله عن عمرو:

«أحيى هو؟»

قال: «نعم.»

فسر بحياته وقال:

«أريد أن أحسن إليه.»

وكان عمرو يهدي إلى المكتفى ربيزاً برأ [25] كثيراً فأراد مكافأته. فكره
القاسم ذلك، ودش إلى عمرو من قتله.^(١)
وفيها كان مقتل بدر غلام المعتضد.

مقتل بدر غلام المعتضد

ذكر السبب في ذلك

كان سبب ذلك^(٢) أن القاسم بن عبيد الله كان همّ بنقل الخلافة عن ولد
المعتضد - وناظر بدرأ في ذلك بعد أن استكتمه واستحلفه. فامتنع بدر وقال:
«ما كنت لأصرفها عن ولد مولاي وولّي نعمتي.»
فلما علم القاسم ألا سبيل له إلى مخالفة بدر - إذ كان بدر صاحب

١. انظر الطبري (١٣، ٢٢٠٨).

٢. انظر الطبري (١٣، ٢٢٠٩).

الجيش والمستولى على أمر المعتصد والمطاع في خدمه - اصطعنها على بدر. فلما حدث بالمعتصد حدث الموت، كان بدر بفارس لأنه أخرج إلى محاربة طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث، وكان طاهر قد تغلب على فارس فعقد القاسم للمكتفى عقد الخلافة وباع له وهو بالرقعة، لما كان بين المكتفى وبين بدر من التباعد والتباغض في حياة والده.

فقدم المكتفى، وبدر بعد بفارس. فلما قدم عمل القاسم في هلاك بدر حذراً على نفسه أن يطلع بدر المكتفى إذا قدم على ما كان هم به القاسم. فوجه المكتفى جماعة من القواد برسائل وكتب إلى القواد الذين مع بدر يأمرهم أن يفارقوا بدرأ ويصبروا إلى حضرتهم وذلك في السر من بدر. فأوصلت [26] الكتب إليهم. ثم وحه إليه بياسر خادم الموقى ومعه عشرة آلاف ألف ليمزقها في عطاء أصحابه للبيعة للمكتفى. فخرج بها ياسر فلما كان بالأهواز وجه إليه بدر من قبض المال منه، فرجع ياسر إلى بغداد.

ولما وصلت الكتب إلى القواد من المكتفى فارق بدرأ جماعة منهم وانصرفوا عنه إلى مدينة السلام. فلما دخلوا بغداد وصلوا^(١) إلى المكتفى وخلع على ثيف وثمانين رجلاً وأحاز جماعة من رؤساءهم كل واحد بمائة ألف، وأجاز قوماً يدون ذلك، وخلع على بعضهم ولم يجره شيء. وانصرف بدر قاصداً واسط، واتصل الخبر بالمكتفى بإقبال بدر. فوكل بدار بدر وقبض على جماعة من أصحابه وقواده فحبسوا مثل تحرير الكبير وعريب الجبلى وغيرهما، وأمر بمحو اسم بدر من الأعلام والبراس، وكان عليها أبو النجم مولى المعتصد بالله.

ودعا المكتفى القواد وقال لهم:

١. في الأصل، ووصلوا (بزيادة الواو)، ما في مط، وصلوا دون الواو.

«لست أؤمر عليكم أحداً، فمن كانت له حاجة فليلق الوزير، فقد تقدمت إليه في قضاء حوائجكم.»

وكتب بدر إلى المكتفى كتاباً عني يد الرنداق^(١) وحمله على الجمرات فلما وصل إلى المكتفى قبض عليه ووكل به وأشخص جيشاً إلى واسط وقبل: إنه قدمهم مقدمة له.

وكان المكتفى أرسل إلى بدر [27] حين فصل من أرض فارس فعرض عليه ولاية^(٢) أي النواحي شاء إن أحب إصبهان أو الري أو الجبل، وبأمره بالمصير إلى أي موضع أحب من هذه النواحي مع من أحب من الفرسان والرجالة، فيقيم بها والياً عليها معهم. فأبى بدر وقال:

«لا بد لي من المصير إلى باب مولاي.»

فوجد القاسم مساعداً للقول فيه وقال للمكتفى:

«قد عرضنا عليه الولايات، فأبى إلا المجيء.»

ثم خوفه غائلته وحرّض المكتفى على محاربتة وقال:

«قد أظهر العصيان واتصل ببدر أنه قد وُكِّل بداره وحبس غلمانه.»

«فأيقن بالشرّ فوجه من نحتال في تخليص ابنه هلال وحدره إليه.

فوقف القاسم على عبيد الله على ذلك، فأمر بالتحفظ به، ودعا أبا خازم القاسمي غلى الشرفيّة، وأمره بالمصير إلى بدر ولقائه وتطبيب نفسه وإعطائه الأمان من أمير المؤمنين على نفسه وماله وولده فقال أبو خازم:

«أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين حتى أؤديه عنه.»

فقال له: «أثصرف حتى أستاذن في ذلك أمير المؤمنين.»

١ كذا في الأصل: الرنداق. في مط: الريدان. في الظهري (٢٢١: ١٣) زيدان. وفي مسواشييه: رنداق، رنداق.

٢ في مط: عليهم واليه

ثم دعا بأبي عمر محمد بن يوسف وأمره بمثل الذي أمر به أبا خازم. فسارع إلى إجابته. ودفع القاسم إلى أبي عمر كتاب أمان عن المكفي، فمضى به نحو بدر. فلما فصل بدر عن واسط أرفض عنه أصحابه وأكثر غلمانه [28] وصاروا إلى المكفي في الأمان.

وخرج المكفي إلى مضربه بنهر دبالى ومعه جميع جيوشه فسكر هناك ولقى أبو عمر محمد بن يوسف بداراً بالقرب من واسط. فدفع إليه الأمان وخبره عن المكفي ثم ما قال^(١) له القاسم وصعد معه في حراسة بدر، واستقر الأمر بين بدر وبين أبي عمر على أن يدخل بغداد سامعاً مطيعاً. وعبر بدر دجلة وصار إلى النعمانية وأمر أصحابه وغلمانه الذين بقوا معه أن ينزعوا^(٢) سلاحهم ولا يحاربوا أحداً وأعلمهم ما ورد عليه به أبو عمر من الأمان. فبينما هو يسير إذ وافاه محمد بن إسحاق بن كنداجيق^(٣) في شذاعة ومعه جماعة من العلمان فتحوّل إلى الحراقة وسأله بدر عن الخبر فطيب بنفسه وقال قولاً جميلاً وهم في ذلك يؤثرونه وكان القاسم وصّاه وقال له :
- «إذا اجتمعت مع بدر^(٤) في موضع واحد فأعلمني.»

فوجه إلى القاسم فأعلمه. فدعا القاسم لولواً أحد غلمان السلطان السجاء، فقال له :

- «قد نديتكم^(٥) لا تروا»

فقال له :

- «سمعاً وطاعة.»

١ في مط. وخبره عن المكفي بما قال له القاسم، كما في الطبري (٢٢١٢: ١٣)

٢ في مط. أن ينزعوا.

٣ في الطبري (٢٢١٢: ٣) : إسحاق بن كنداج

٤. هنا بياض في الأصل. وما أثبتناه عن مط والطبري (٢٢١٣: ١٣).

قال له .

- «امض فتسلم بدرأ من ابن كنداجيق وجنتي برأسه.»

فمضى في طيَّار حتى استقبل بدرأ ومن معه بهاحية سيب بني كوما فتحوَّل من الطيَّار إلى الحرَّاقة وقال لبدر:

- «قم.»

قال: «وما الخبر؟»

قال: «إنه لا بأس عليك.» [29]

فحوَّله إلى طيَّاره ومضى به إلى جزيرة، ونحى الناس ودعا بسيف فاستلَّه. فلما أيقن بدر بالقتل سأله أن يمهلَه حتى يصلَّى ركعتين. فأمهله فصلاًهما، ثم قدَّمه فضرب عنقه، وذلك يوم الجمعة قبل الزوال لسِتَّ خلون من شهر رمضان. ثم أخذ رأسه ورجع إلى طيَّاره وترك جثته هاك فبقيت أياماً ثم وجَّه عياله من أخذ جثته سرّاً فحعلوها في تابوت وحملوها أيام الموسم إلى مكَّة فدفنوها بها. وكان أوصى بذلك. وأعتق قبل أن يُقتل مساليكه كلَّهم وتسلم السلطان ضياع بدر ودوره ومستغلَّاته.

وورد الخبر على المكتفي بقتل بدر لتسع خلون من شهر رمضان، فرحل مسرفاً إلى مدينة السلام، وحىء برأس بدر، فأمر به فنُطِف ووضِع في خزانة الرؤوس. ورجع أبو عمر القاضي إلى داره حزناً كثيراً. فكلَّم الناس فيه، وقالوا أشعاراً كثيرة. فمما قيل فيه:

قُلْ لِغَاضِي مَدِينَةِ الْمَسْجُورِ	يَمِ أَحَلَّلْتَ أَحَدَ رَأْسِي الْأَمِيرِ
بَعْدَ إعْطَاءِ الْمَوَاقِفِ وَالْعَهْدِ	وَعَهْدِ الْأَمَارِ فِي مَشْجُورِ
أَيْسَنَ أَيْمَانُكَ الَّتِي شَهِدَ اللَّهُ	عَلَى أَنَّهَا يَمِينُ قُجُورِ [30]
يَا قَلِيلَ الْحَيَاءِ يَا كَذَّابَ الْأُمِّ	حَيَّ يَا شَهِيداً شَهَادَةَ زُورِ

لَيْسَ هَذَا فِعْلُ الْقِسْمَةِ وَلَا يُحْسِنُ أَمثَالَهُ وَلَا يُؤَلِّقُ الْجُسُورَ

في أبيات كثيرة.^(١)

وفيها ظهر بالشام رجل جمع جموعاً كثيرة من الأعراب وغيرهم، فأتى بهم دمشق وبها طمع بن جفّ من قبل هارون بن خُمّارويه بن أحمد بن طولون فكانت بينه وبين طمع وقعتات وقتل بينهما خلق كثير.

ذكر خبر القرامطة ومبدأ

أمرهم ومآله^(٢)

كان زُكْرُوويه بن مَهْزُوويه داعية لقرمط، فلما تتابعت من المعتضد توجيه الجيوش إلى سواد الكوفة وألح في طلب القرامطة وأتبع فيهم القتل ورأى أنه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء^(٣) سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسد وطي وتميم وغيرهم ودعاهم إلى رأيه وزعم أن من بسواد الكوفة من القرامطة يطابقونهم على أمره إن استجابوا له، فلم يستجيبوا له.

وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق على البرّ بالسماوة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها، فأرسل زُكْرُوويه [31] أولاده إليهم فبايعوهم وحالطوهم وانتموا^(٤) إلى عليّ بن أبي طالب، وإلى معتد بن

١. انظر الطبري (٣٢١: ٣٢٣)

٢. في الأصل وما آله. في مط: وما له.

٣. في مط: عس.

٤. في مط: وانتموا.

إسماعيل بن جعفر، منهم^(١) وذكروا أنهم خائفون من السلطان وأنهم لجأوا إليهم، فقبلوهم على ذلك ثم ذهبوا فيهم بالدعاء إلى رأى الترامطة، فلم يقبل ذلك أحد منهم إلا القمخد المعروفة ببني الغليص ومواليهم خاصة، فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومائتين ناحية السماوة ابن زكرويه المسمى: يحيى والمكشي، أبا القاسم ولقبوه: الشيخ على مأمويه، ورغم لهم أنه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، وأن له بالسواد والشرق والمغرب مائة ألف تابع، وأن نافته التي يركبها مأمورة، وأنهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفروا، وتكهن لهم. وانما رت إليه جماعة من بني الإصبع، وأخلصوا له وتسقوا بالمطامير، ودانوا بدينهم.

فقصدتهم شريك الديلمي مولى المعتضد بناسية الرصافة في غربي الفرات وديار مصر. فاعتزوه وقتلوه وحرقوا مسجد الرصافة، واعترضوا كل قرية اجنازوا بها حتى سعدوا إلى أعمال الشام، فأناخ عليها وهرم كل عسكر لقيه ليلج حتى حصره في مدينة دمشق. فأنفذ المصريون إليه بدرأ الكبير وواقعوه قريبا من دمشق فقتل يحيى بن زكرويه.

ثم دارت الحرب [32] على مصر فاجازت واجتمعت موالى بني الغليص ومن معهم من الأصعيين على نصب الحسين بن زكرويه أخى المقتول. ورغم لهم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد، بن إسماعيل بن جعفر بن محمد وهو ابن ثيف وعشرين سنة فبايعوه بعد أخيه، وأظهر له شامة في وجهه ذكر أنها آيته، وطرأ إليه ابن عمه عيسى فلقبه بالمدثر، وعهد إليه، وذكر أنه

١ كذا في الأصل ومط، منهم ما في الطبرى (١٣-٢٢١٨) دون «منهم»

المعنى في السورة التي ذكر فيها المدثر، وقد غلاماً له قتل أسرى المسلمين،
ولقبه المطوق، وظهر على جند حمص وغيرها من أرض الشام وتسمى بأمر
المؤمنين على منابرها.

وفيها أوقع إسماعيل بن أحمد بمحمد بن هارون بالرئ فهزمه وكان في
ثمانية آلاف، فمضى نحو الديلم، ودخل إسماعيل الرئ وصار ألف رجل من
المتهزمة إلى باب السلطان.^(١)

ودخلت سنة تسعين ومائتين

ومنها ورد كتاب علي بن عيسى من الرقة يذكر فيها أن القرمطي ابن
ذكرويه والى في جمع كثير، فخرج إليه جماعة من أصحاب السلطان وبينهم
شيك علام المكتفي، فواقعوه فقتل شيك وانهزم أصحاب السلطان.^(٢)
ثم إن طنج بن جت أخرج من دمشق [33] جيشاً إلى القرمطي عليهم
غلام يقال له: بشير، فواقعوه القرمطي فهرم الجيش وقتل بشيراً.
ثم خلع السلطان على أبي الأغز وبعث به لحرب القرمطي بناحية الشام،
فمضى في عشرة آلاف إلى حلب. ووردت كتب التجار من دمشق إلى بغداد
أن القرمطي قد هزم من طنج غير مرة وقتل أصحابه إلا القليل وأنه بقي في
قلعة وامتنع من الخروج وإنما تجتمع العامة ثم تخرج للقتال وأنهم قد أشرفوا
على الهلكة فاجتمع التجار ومضوا إلى يوسف بن يعقوب فأقرأوه الكتاب
وسألوه أن يخبر الوزير ذلك.

١. انظر الطبري (١٣ - ٢٢٢).

٢. انظر الطبري (١٣، ٢٢٢).

وفيها قوطع صاحب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث على أموال فارس، ثم عقد المكتفى لطاهر على أعمال فارس وخلع على صاحبه وحمل إليه الخلع مع العقد.

وفيها ورد الخبر وكتاب قُرا في جوامع بغداد بأن يحيى بن زكرويه قتل المصطون على باب دمشق بعد أن اتصلت الحروب بينه وبين جند دمشق ومددهم من أهل مصر وكسر لهم جيوشاً وقتل منهم خلقاً. وكان يحيى هذا يدعى النبوة والكهانة.

خبر الحسين أخى يحيى بن زكرويه^(١)

فلما قُتل يحيى انحاز أصحابه إلى أخيه الحسين بن زكرويه فطلبوا أخاه في القتلى فلم يجدوه. وكان أخوه قد سبق إليه ودعا الحسين [34] إلى مثل ما دعا إليه أخوه، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم من سائر الناس واشتدت شوكته.

وظهر وصار إلى دمشق، فصالحه أهلها على خراج دفعوه إليه، فانصرف عنهم وثار إلى أطراف حمص فتعالب عليها وخطب له على منابرها، ثم سار إلى حمص فأطاعه أهلها وفتحوا له بابها خوفاً على أنفسهم فدخلها، ثم سار إلى حماة ومعزة النعمان وغيرهما فقتل أهلها وقتل النساء والأطفال، ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق منهم إلا اليسير. ثم سار إلى سلمية فحارب أهلها ومعهو الدخول. ثم أعطاهم الأمان ففتحوا له بابها. فدخلها وبدأ يمس فيها من الهاشميين فقتلهم أجمعين، وقتل بعدهم للرجال أجمعين. ثم قتل البهائم، وقتل صبيان الكنائس، ثم خرج منها وليس بها عين

١ انظر الطبري (١٣: ٢٢٢٥).

نظره^(١) وسار فيما حولها يقلل ريسى ويخفف السبل.
وحكى عنه حكايات في إباحة الفروج^(٢) لأصحابه، وأن جماعة منهم
كانوا يجتمعون على مرأى واحدة إذا استحسنوها لا يتماشون ذلك فيما بينهم.

المكتفي والتأهب لشخص إلى حرب القرمطى

وليلين حاتا من شهر رمضان من هذه السنة أمر المكتفي بالله بإعطاء
الجنود أوراقهم والتأهب [35] للشخص إلى حرب القرمطى بناحية الشام.
فأطلق للجنود في دفعة واحدة مائة ألف دينار، وذلك أن أمل مصر والشام
كتبوا يشكون ما لقوا من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة، وأنه قد
أخرب البلاد وقتل الناس، وحكوا أضياء عظيمة مما لقوه منه ومن أخيه قبله
وقتلهم الرجال، وأنه لم يبق منهم إلا عدد قليل.
فأخرجت مصارب المكتفي فضربت بباب الشامية ومعها قواده وعلمانه
ويعيشه.

ثم رحل وسلك طريق الموصل ومضى أبو الأغر، فنزل وادي طمان قريباً
من حلب، فلما استقر ونزل معه جميع من معه نزع أكثرهم ثيابهم ودخلوا
الوادي يتبرّدون بماءه وكان يوماً شديداً الحر، فبينما هم كذلك إذ وافاهم جيش
القرمطى لصاحب الشامة وقد تقدّمهم المطوق فكسبهم على تلك الحال، فقتل
مهم خلقاً كثيراً وانتهب المسكر، وأعدت أبو الأغر فتدخل حلب، وأفلت معه
ألف رجل وكانوا عشرة آلاف.

وصار القرمطى إلى باب حلب فحاربهم أبو الأغر فبقي معه من
أصحابه وأهل البلد، فذهبوا وانصرفوا عنه بما أخذوا من عسكره من الكراع

١ في مط تطوف

٢ في مط، الفراج

والسلاح والأموال والمتاع بعد حرب كانت بينهم [36] ومضى المكتفى بمن معه من الجيش حتى انتهوا إلى الرقة فنزلها وسرح الجيوش إلى القرمطى جيشاً بعد جيش.

ثم ورد كتاب من بدر الحسنى صاحب ابن طولون يخبر فيه، أنه واقع القرمطى صاحب الشامة فهزمه ووضع في أصحابه السيف ومضى من أفدت منهم نحو البادية، وأن أمير المؤمنين وبه في إثره الحسين بن حمدان بن حمدون.

وورد كتاب آخر من البحرين من ابن بانو يذكر فيه أنه واقع قرابة لأبي سعيد الجنابي وولى عهده من بعد، فهرمه وكان مقامه بالقطيف فوجد قتيلاً بين القتلى، فاحترأ رأسه، وأنه افتتح القطيف فدخلها.

وفيها وجه القاسم بن عبيد الله الجيوش إلى صاحب الشامة، وولى حربه محمد بن سليمان الكاتب وكان إليه ديوان الجيش، وضم إليه جميع القواد وكتب إلى من تقدمه من القواد بالإنضمام إليه وأن يسمع الجميع له ويطيعوه.

ودخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

ولما توجه محمد بن سليمان مع جيوش المكتفى وتولى حرب صاحب الشامة، والمكتفى بالركة، كتب إليه بمساعدة صاحب الشامة بمن معه فنهض إليه. [37]

ذكر مسيره وظفروه بالقرمطى (١)

فلما صار بينه وبين حماة ثلثا عشر ميلاً لقوا أصحاب القرمطى، وكان

١. انظر الطبري (٢٢٣٧: ١٣).

القرمطى قدّم أصحابه وتخلّف هو فى جماعة من أصحابه لأجل حفظ مال كان جمعه وجعل سواده ورعه، فالتحمت الحرب بين العسكرين واشتدّت، فهزم أصحاب القرمطى فقتلوا وأسر منهم خلق كثير وتفرّق الباقون فى البوادي، وتبعهم السلطان.

فلما رأى القرمطى هزيمة أصحابه حتل فيما قبل أحماً له يُكنّى أبا الفصل ملاً وتقدّم إليه أن يلحق بالبوادى إلى أن يظهر فى موضع فيصير. إليه وركب هو وابن عمّه المستى: المدثر والعلوى صاحبه وغلّام له رومى وأخذ دليلاً وسار يريد الكوفة عرضاً إلى البريّة حتّى انتهى إلى موضع يُعرف بالدالية من أعمال الفرات وقد نفذ ما كان معهم من الزاد، فوجّه بعض من كان معه ليأخذ لهم بعض ما يحتاجون إليه.

فدخل الدالية المعروفة بدالية ابن طوق ليشتري ما يحتاج إليه فأنكر زنه وسئل عن أمره فجمعهم^(١) فأعلم المتولّى مسلحة هذه الناحية خبره، وكان يُعرف بأبى خيرة خليفة ابن كُشمزد عامل [38] المكتفى بالرحبة وطريق الفرات. فركب فى جماعة وسأل هذا الرجل عن خبره وهنّده فأخبره أنّ صاحب الشامة خلف رأيه هالك فى ثلاثة نفر. فعضى إليهم فأخذهم وصار بهم إلى صاحبه. فوجّه بهم ابن كُشمزد إلى المكتفى بالرقّة.

ورجع الجيش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا أكثر أولياء القرمطى وأشياعه.

وكتب محمد بن سليمان بالفتح وكان المباشر للحرب وصاحب الظفر الحسين بن حمدان فقرطه^(٢) محمد بن سليمان فى كتاب الفتح وأثنى عليه وعلى أصحابه.

١ فى مط. مصمم (بإعمال العائى) والطبرى (٢٢٣٨: ١٣) كالأصل

٢ فى الأصل، قرطه (بإعمال الطاء) فى مط. وظفر

وأدخل صاحب الشامة إلى الرقّة ظاهراً للناس على فالج وعليه بُزّئوس
حرير ودزاعة ديهاج وبين يديه المدّثر والمطوّق على جميلين.

رجوع المكتفى إلى بغداد

بالقرمطي والمدّثر والمطوّق وعاقبة أمرهم

ثم إن المكتفى حلف عساكره مع محمد بن سليمان وشخص هو في
خاصّته وعلمانه وشخص معه القاسم بن عبيد الله من الرقّة إلى بغداد وحمل
معه القرمطي والمدّثر والمطوّق وحمل من أسر في الواقعة، وذلك في أوّل
صفر من هذه السنة.

وأراد المكتفى أن يدخل القرمطي إلى بغداد على دقل^(١) منصوب على
ظهر الفيل، فلم يمكن ذلك إلا بهدم طاقات للأبواب التي يجتاز بها الفيل
مثل باب الطاق [39] وباب الرصافة. ثم استسج^(٢) الهدم ففعل حيث كرسي
نُصب على ظهر الفيل وكان لارتفاع الكرسي ذراعين ونصفاً ودخل المكتفى
بغداد وقدم الأسرى بين يديه على جمال مقيدين عليهم دراريع حرير
وبرانس حرير والمطوّق وسطهم^(٣) ضلام ما خرجت لميته قد جُمِل في فيه
خشبة مخروطية وشُدّت إلى قفاه كهيئة اللجام، وذلك أنّه لما دخل الرقّة كان
يشتم الناس إذا دعوا عليهم ويبصق عليهم، ففعل ذلك به ببغداد. ثم أمر
المكتفى ببناء دكّة في المصلّى العتيق من الجانب الشرقي تكسيها عشرون
ذراعاً في عشرين ذراعاً، وارْتِلاّعها نحو من عشرة أذرع، وبُنِيَ لها دَرَج
يُصعدُ إليها.

١. الدقل، خشبة طويلة تُشدُّ في وسط السفينة ويُمَدُّ عليها الشراع، وأصله الفارسي دُكَل.

٢. في الظهري، استسج - وفي حواشيه: استجج (٢٢٤٣: ١٢٣).

٣. في الظهري (٢٢٤٣: ١٢٣): في وسطهم

وكان محمد بن سليمان لما خلفه المكتفى بالرقّة يلتقط من كان في تلك
الواحي من قوّاد القرمطي وقصّاته وأصحاب شرطه فأخذهم وقيدهم وانحدر
مع من معه من الجيش إلى بغداد على طريق الفرات، وأمر القوّاد الذين ببغداد
بتلقّي محمد بن سليمان والدخول معه. فدخل بغداد وبين يديه الأسراء حتّى
صار إلى الثريا فخلع عليه وطوّق بطوق من ذهب وسوّر بسوارين من ذهب
وحلّج على جميع القوّاد وسوّروا. [40]

ثم إن صاحب الشامة أخذ وهو في الحبس سكرجة عن المساندة التي
تدخل إليه فكسرها وأخذ شظيّة منها فقطع بها بعض عروقه من يد نفسه
فخرج منه دم كثير ثم شدّ يده فلما وقف المتولّى خدمته على ذلك منه
سأله :

« لم فعل ذلك ؟ »

فقال : « حاج بي الدم فأخرجته. »

فترك حتّى صلح ورجعت إليه قوّته.

ثم أمر المكتفى القوّاد والعلماء بحضور الدكّة التي أمر ببنائها، وخرج من
الناس خلق كثير لحضورها فحضرها. فحمل الأسرى وقوم كانوا ببغداد
على رأي القرامطة وقوم من الرّفوع^(١) من سائر البلدان من غير القرامطة،
فجىء بهم على جمال ووكل بهم على كلّ رجل إنسان، ويُقال إنهم كانوا
ثلاثمائة وستين.

وجيء بالقرمطي الحسين بن زكويه المعروف بصاحب الشامة وابن عمّه
المعروف بالمدثر على بغل عماريّة وقد أسبل عليهما الغشاء ومعهما جماعة
من الفرسان والرّجاله. فصعد بهما إلى الدكّة وأقعدا، ثم قدّم بين يديه جماعة

١. في الطبري (١٢: ٢٢٤٥): الرّفوع (بالعين المعجمة)



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

وأحلى مصر. فدخلها الحلبي فندب السلطان لمعاربة الغلبي. فانكأ
مولى المعتضد وضمَّ إليه بدرأ الحمَّامى وجعله مشيراً^(١) عليه فيما يعمل به
وضمَّ إليه قواداً وجنداً كثيراً وأمر بسرعة السير.

ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

وفيهما ورد الخبر بأن الحلبي المتعلِّب على مصر واقع كَيْفَلَخ وجماعة من
القواد بالقرب [44] من العريش فهرمهم أقبح هزيمة.

وفيهما ورد بغداد قائد من أصحاب طاهر بن محمَّد بن عمرو بن الليث
الصفار مستأماً يُعرف بأبى قابوس مفارقاً عسكر السجزيَّة مع جماعة كثيرة
من أصحابه.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنَّ طاهر بن محمَّد بن عمرو بن الليث تشاغل باللهو
والصيد ومضى إلى سيستان للصيد والنزهة فاستولى على فارس الليث بن
على بن الليث وشبكرى مولى عمرو بن الليث، فدبَّر الأمور والإسم لطاهر،
فوقع بينهما وبين أبى قابوس خلاف، فصار إلى باب السلطان فقبله وخلع
عليه وعلى جماعة معه وأكرمه. وكتب طاهر إلى السلطان يسأله ردَّ أبى
قابوس إليه ويذكر أنه كان استكفاه بعض أعمال فارس، وأنه جنى المال
فخرج به معه ويسأله، إن لم يُردَّ إليه، أن يحسب له بما ذهب به من مال
فارس مناصور عليه فلم يجبه السلطان إلى شيء من ذلك.

١. فى الأصل: مشيراً (بالهمزة المهملة) والتصحيح من مط

ظهور أخ للحسين بن زُكرويه صاحب الشامة

وفيها ظهر أخ للحسين بن زُكرويه صاحب الشامة في طريق الفرات، واجتمع إليه نفر من الأعراب فسار إلى ناحية دمشق [45] على طريق البر، فعاث وسلك سبل أخيه فندب للخروج إليه الحسين بن حمدان، فخرج في جماعة من الجند. ثم ورد الخبر بمصر هذا القرمطي إلى طبرية وأن أهلها امتنعوا عليه فحاربهم فقتل عاتة من بها من الرجال والنساء ونهبها.

وكان لهم داعية بنواحي اليمن فسار إلى مدينة صنعاء فحارب أهلها فظفر بهم وقتلهم ولم يفلت منهم إلا القليل وتغلب على سائر مدن اليمن.

ثم إن زُكرويه بن تهزويه^(١) بعد ما قُتل ابنه صاحب الشامة أنفذ صاحباً له معلماً كان يعلم الصبيان يسمى: عبد الله بن سعيد ويكنى: أبا غانم فتسمى: نصراً ليعتق أمره. فاستقوى طائفة من بطون كلب وقوم من بني القليب، فقصده دمشق وأحمد بن كَيْغَلغ يحارب ابن الخليجي الذي ذكرنا أمره.

فاغتنم ذلك عبد الله وسار إلى مدينتي بصرى وأذرعات من كور حوران والبيشة^(٢) فحارب أهلها ثم أمهم. فلما استسلموا له قتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم فقصدوا طبرية فواقعهم عامل أحمد بن كَيْغَلغ فكسروه، ثم بذلوا الأعمى فلما سكن إليهم [46] غدروا به وقتلوه وانتهبوا مدينة الأردن وسبوا النساء ولصبيان وقتلوا الرجال.

واتصل بهم مسير الحسين بن حمدان نحوهم فخرجوا نحو السماوة وثبهم الحسين في بزة السماوة وهم ينتقلون من ماء إلى ماء ويُمِدُّونَهُ حَتَّى انقطع الحسين عن اتباعه لعدم الماء فعاد إلى الرحبة وأسرى القرامطة إلى هيت.

١. انظر الطبري (٢٢٥٦:٩٢).

٢. في مط: والسنة.

فنهبت ريشها وقُتلت وأحرقت وانتهت السفن التي في المرات، فأوقرت ثلاثة ألف راحلة كانت معها زهاء مائتي كُرَّ حطة ومن البُرِّ والسطر والسَّقَط جميع ما احتاجوا إليه وأقاموا بها يومين. ثم رحلوا عنها ولمَّا أصابوا ما أصابوا من الرضى وتحصَّن منهم أهل المدينة بسورها وندب لهم محمد بن إسحاق بن كنداجيق ثم اتبع بمولس الخزان فهرب القراسطة وكُتِب إلى الحسين بن حمدان أن يقصدهم من ناحية للرحبة ليجمع هو وابن كنداجيق على الإيقاع بهم.

فغنا أحسَّ الكلبيون بالجند قد قصدوهم انتصروا بسهم، فوثبوا على المسقى؛ نصرًا وقتلوه ونقروا به إلى السلطان ورثسهم رجل يُعرف بالذئب فأسيت له الجائزة وكفَّ [47] عن طلب قومه فمكث أياماً ثم هرب.

فكتب السلطان إلى الحسين بن حمدان في معاودتهم واجتثاث أصولهم. فبعث إليهم زكرويه داعيةً له يُعلمهم أنَّ الذئب قد نقره عنهم وثقل قلبه عليهم وآتهم قد ارتدوا عن الدين، وأنَّ وقت ظهورهم قد حضر وقد بايع له بالكوفة أربعون ألفاً، وأنَّ يوم موعدهم اليوم الذي ذكره الله تعالى وهو يوم الزينة^(١) وأنَّ زكرويه يأمرهم أن يخفوا أمرهم ويظهروا الإنعلاج نحو الشام، ثم يسيروا إلى الكوفة حتَّى يصبحوها يوم السحر. فإنهم لا يسمعون منها وآته يظهر لهم وينجز وعده الذي كانت وسله تأسيهم به وأن يحملوا داعيتهم وهو الفاسم بن أحمد معهم. فامثلوا أمره ووافوا بباب الكوفة وقد انصرف الناس عن مصلاتهم.

وكان إسحاق بن عمران عامل السلطان بها فأوقعوا بمن لعقوه وسلبوهم وبادر الناس إلى الكوفة رتادوا بالسلاح ونهض إسحاق بن عمران في

أصحابه، فدخل مدينة الكوفة من القرامطة نحو مائة فارس من الباب المعروف بباب كندة، فاجتمعت العوام وأصحاب السلطان [48] غرموهم بالحجارة وألقوا عليهم الشتر فقتل منهم جماعة وأخرجوهم عن المدينة ثم صافهم إسحاق خارج المدينة وأمر أهل المدينة بالتعارس فلم تزل الحرب قائمة إلى العصر وانهمزت القرامطة وأصلح أهل الكوفة السور والحدائق.

وكتب إسحاق يستمد السلطان فأمدّه بجماعة من القواد فيهم وصيف بن صورانكين والفصل بن موسى بن بقا وجي الصفوانى وجماعة أمثالهم، فشحصوا إلى زكرويه وخلفوا إسحاق بن عمران بالكوفة لصبطها وصاروا إلى قريب من القادسيّة إلى موضع يُعرف بالصوان^(١) وهو فى العرض، فلقبهم زكرويه هناك فصافوهم واشتدّت الحرب فكانت الدبرة ففى أول الأمر على القرمطى. وكان زكرويه قد كمن لهم كميناً فخرج الكمين عليهم فانهزم أصحاب السلطان أقبح هزيمة ووضع القرمطى فيهم السيف فقتلوهم كيف شاءوا وصبر جماعة من غلمان الخجر، فقتلوا عن آخرهم بعد أن نكوا فى القرامطة نكابة عظيمة.

وأخذ للسلطان من الجمارات التى عليها السلاح والآلة ثلاثمائة جمّارة ومن البغال خمسمائة بعيل، فقتل من أصحاب السلطان نحو ألفى رجل. فقوى القرمطى ثم هطرق البيادر فأخذ من الغلات ما حملت البغال.

ورافى قوم [49] من العرب باب الكوفة فدخلوا ألباتها وكانوا ضربوا على الداعية الذى يقال له القاسم بن أحمد قنة ودعوا:

« يا ثارات الحسين. »

يعنون الحسين بن زكرويه المصلوب وشعارهم:

١ فى الطبرى (١٣ ٢٢٦٦)، بالصوار

« يا أحمد يا محمد ».

يعنون ابنى زكرويه المقتولين، وأطهروا أعلاماً بيضاً وقَدَرُوا أَنَّهُمْ يَسْتَغْوُونَ الرِّعَاجَ بِالكُوفَةِ لَمَّا أَظْهَرُوهُ فَأَسْرَعَ إِسْحَاقُ بْنُ عِمْرَانَ وَمَنْ مَعَهُ نَحْوَهُمْ فَدَفَعَهُمْ وَقَتْلَ مَنْ ثَبَتَ لَهُ مِنْهُمْ وَعَادُوهُ أَهْلَ الْبَلَدِ فَانصَرَفَ عَنْهُمْ الْقِرَاطَةُ وَمَا تَمَّتْ حِيلَتُهُمْ.

وكان زكرويه قد ظهر في أهل قرية الصوان يثقلونه على أيديهم ويستوثونه. ولَّى الله. فلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ فَقَالَ لَهُمْ :

« إِنَّ الْقَاسِمَ بْنِ أَحْمَدَ أَكْثَمَ النَّاسِ مَنَّةً عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ رَدَّكُمْ إِلَى الدِّينِ بَعْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْهُ. »

وتقدَّم إليهم بأن يمتثلوا أمره، فإنه حينئذٍ ينجز مواعيده^(١) ويمبأهم آمالهم. وثلاً عليهم آيات من القرآن رمرها لهم، فاعترزوا به وقويت قلوبهم وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل. وسار بهم وهو محبوب عنهم يدعونه: السيّد، ولا يبررونه لمن في عسكره والقاسم يتولّى الأمور دونه ويمصّبها على رأيه وكان عنده أن أهل الكوفة وسوادها يخرجون إليه، فأعزم أصحابه ذلك وأقام بيّناً وعشرين سنة بيّث رسله في السواد فلم يلحق به [50] إلا خمسمائة رجل ممن لحقته شهوة بنساءهم وأولادهم^(٢).

وسرّب إليه السلطان الجنود وتسرع إليه جماعة من القواد منهم جنى الصفوانى وبشر الأُفْشِيسَى ورائق فتى أمير المؤمنين والخُزَيْمَةُ مِنَ الْعِلْمَانِ، فَأَوْقَعُوا بِالْقِرَاطَةِ وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ فَرَسَاتِهِمْ وَرَجَسَاتِهِمْ فَاسْلَمُوا بِبُيُوتِهِمْ فَانْهَزَمُوا، وَدَحَلُوا بُيُوتَ وَتَشَاعَلُوا بِهَا. فعطفت القِرَاطَةُ عَلَيْهِمْ فَهَرَمُوهُمْ. وأعظم الناس ما جرى على أصحاب السلطان بالصوان وغمرها، وأهم

١ في نسخة: ينهزموا عنده بدل: ينجز مواعيده.

٢ انظر الطبري (١٢ ٢٢٦٥)

السلطان أمر مصر بسبب ابن الخليجي. فأمر المكتفي بإخراج مضاربه إلى باب الشماسية ثم وردت خريطة من قبل فاتك يذكر أنهم رجعوا إلى ابن الخليجي، فكاتب بهم وقعات وحروب. وفي آخرها هُرم ابن الخليجي وقُتل أصحابه وإته هرب إلى مصر ودخل المسطاط فاستتر بها عند رجل من أهل البلد، ودخل أصحاب السلطان المسطاط فاستثاروه^(١) وجمع من كان بالبلد. فكتب إلى فاتك بحمل ابن الخليجي ومن أسر معه إلى بغداد. ورُدت مضارب المكتفي بالله إلى بغداد فحمل ابن الخليجي إلى بغداد مع أحد وعشرين رجلاً على الجمال مشهرين بيرانس ودراربع حرير. وخلق المكتفي على وزيره العباس بن الحسن خلعة [51] لحسن تدبيره في هذا الفتح.^(٢) ثم حمل رأس القرمطي المستي نصراً الذي انتهب هيت منصوباً على قنطرة فطيف به في الجانبين

ودخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

وذكرهم وقصده قافلة الححيح

وفيها ورد الخبر بأن زكرويه بن مهرويه القرمطي ارتحل من موضعه يريد الحاج فذكر أنه لمضي في البر من جهة المشرق قريباً من الواقصة ووافقت القافلة واقصة لسبع نخلون من المحرم، فأبذروهم أهل المنزل وأخبروهم أن بينهم وبين القوم أربعة أميال فلم يقيموا وارتحلوا فنجوا. فأمنعت القافلة هي السير وصار القرمطي إلى واقصة فسألهم عن القافلة، فأخبروه أنها لم تقم بواقصة، فأنهمهم بإنذارهم فصل من العلافين بها جماعة وأحرق العلف وتحصن أهلها في حصصهم. ثم ارتحل نحو زبالة وسارت العساكر في طلب

١. في مط: فاستثاروه.

٢. انظر الطبري (٢٢٦٨، ١٣)

زُكرويه مدّة ثمّ انصرفت عنه.

ومرّ زُكرويه في طريقه بطوائف من بني أسد فأخذها معه وقصد الحاجّ المنصرمين عن مكّة وقصد الجادة، ثمّ اعترضهم يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من المحرم من هذه السنة بالعقبة [52] من طريق مكّة لمعاربوه حرباً شديدة فسابلهم وهار.

- «أفهيكم السلطان؟»

قالوا: «نعم معنا سلطان ونحن الحاجّ.»

فقال لهم:

- «فامضوا فلست أريدكم.»

فلما سارت القافلة تبعها فأرقع بهم وجعل أصحابه ينحسرون الجمال بالرماح ويبيعونها بالسيوف، فنفرت واحتلّطت القافلة وأكب أصحاب زُكرويه على الحاجّ يقتلونهم كيف شاءوا قتلوا الرجال والنساء وسبوا من النساء من أرادوا واحتوا على ما في القافلة. وقد كان لقي بعض من أدلت من هذه القافلة علان بن كُشمزد وكان في قطعة من فرسان جيش السلطان أعدّ لقصد القرامطة، فسأله عن الخبر فأعلمه ما نزل بقافلة الخراسانية وقال:

- «ما بينك وبين القوم إلا قليل، والليلة أو في غد توافي القافلة الثانية،

فإن رأو علماً للسلطان قوت نفوسهم والله الله فيهم.»

فرجع علان من ساعته وأمر من معه بالرجوع وقال:

- «لا أعرض أصحاب السلطان للقتل.»

ثمّ أصد زُكرويه ووافته القافلة الثانية والثالثة ومن كان فيها من الفؤاد والكتاب مع جماعة من الرسل تنكبوا طريق الجادة وكتبوا بحبر الفاسق وفعله بالحاجّ ويُعلمهم بالتحرز منه والعدول عن الجادة نحو واسط [53]

والبصرة أو الرجوع إلى قيد^(١) أو المدينة^(٢) إلى أن تلحق بهم الحيوش. ووصلت الكتب إليهم فلم يسمعوا ولم يتلبثوا، وتقدم أهل القافلة الثانية وفيها المبارك القمي وأحمد بن نصر العنيلي فوافوا الفجرة وقد رحلوا عن الواقعة وعثروا مياها وملاؤا بركها وأبارها بجيف الإبل والدواب التي كانت معهم مشقة بطونها، ووردوا منزل العبة لائسى عشرة خلت من المحرم فحاربهم أهل القافلة الثانية.

وكان أبو العشائر مع أصحابه في أول القامة ومبارك القمي فيمن معه في ساقها. فجرت بينهم حرب شديدة حتى كشفوهم وأشرفوا على الطفر بهم، فوجد الفجرة من ساقهم غرة فركبهم من جهتها ووضعوا رساحهم في جنوب إبلهم وطلونها فطحنتهم الإبل فتمكثوا منهم فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم إلا من استبدوه.

ثم أنفذوا إلى ما دون العبة فوارس لحقوا من كان أقبلت من السيف، فأعطوهم الأمان، فرجعوا فقتلوهم عن آخرهم وسبوا من اختاروا من النساء وحملوا الأموال والأمتعة، وقتلوا مباركاً القمي والمظفر ابنه وأسر أبو العشائر وجمع القتلى فوضع بعضهم على بعض [54] حتى صاروا كائلاً العظيم ثم قطعت بدا أبي العشائر ورجلاه وضربت عنقه وأطلقوا من النساء ما لم يرغبوا فيه وأقبلت من الحرحى قوم، ووقعوا بين القتلى، فتحاملوا في الليل ومضوا. فمنهم من مات في الطريق ومنهم من نجا وهم قليل. وكانت نساء القرامطة مع صبياتهم يظفن في القتلى يعرضون عليهم الماء، فمنهم من كلمهم فأحزوا عليه.

وكان في القافلة رهاء عشرين ألف رجل قتل جميعهم غير نفر يسير متن

١. م: قيد، والضبط من الطبرى (٢٢٧: ٣).

٢. الكلمة مضمومة في الأصل.

قوى على العدو بغير راد ومن وقع في القتلى وهو مجروح فأُفِت يمدو أو من استعبده لخدمتهم.

وكانت كتب الضرابين بمصر إلى الضرايين بالعراق في هذه السنة ترد أنهم يستغنون وذلك أن آل طولون والقواد المصريين الذين شخصوا إلى مدينة السلام ومن كان في مثل حالهم، قد وجهوا في حمل مالهم من مصر إلى مدينة السلام وقد سبكوا أواني المضة والذهب والفضة نهاراً^(١) وحمل إلى مكة ليوافو مدينة السلام مع الحاج فحمل في القوافل الشاخصة إلى بغداد فذهب ذلك كله.

ولما فرغ القرمطي من الحاج وأخذ الأموال واستباح الحرم، رحل من وقته من العتبة بعد أن ملأ البرك والآبار بالجيف من الناس والدواب. [٥٥]

ورود خبر القافلة على السلطان

وورد الخبر بذلك على السلطان فاستعظم الناس جميعاً ذلك.

ونذرت السلطان أيوب بن محمد بن داود صاحب الخراج والضياح بالمشرق وديور الجيش لدخول إلى الكوفة والمقام بها لإفاد الجيوش إلى القرمطي. فخرج وحمل أموالاً كثيرة لإعطاء الجند.

ثم سار زكرويه إلى زبالة^(٢) فمر بها وبث الطلائع أمامه ووراءه خوفاً من أصحاب السلطان المقيمين بأفادسيه أن يلحقوه ومتوقعاً ورود القافلة الثالثة التي فيها الأموال والتجار.

ثم ساروا إلى النعلبية ثم إلى الشفوق وأقام هناك ينتظر القافلة وفيها جماعة من القواد: نفيس وصالح ومعه الشمسية. وكان المعتصم جعل في

١ انظر الطبري (١٣: ٢٢٧٣).

٢ في مط. زبالة

الشمسة جوهرًا نفيساً. وكان في القافلة جماعة من وجوه الكتاب وغيرهم. فلما صار أهل هذه القافلة إلى قَيْد بلغهم خبر زُكرويه وأصحابه، فأقاموا بِقَيْد أَيْاماً ينتظرون تقوية لهم من قبل السلطان.

وحصار زُكرويه إلى قَيْد وبها عامل السلطان. فلجأ منه إلى أحد حصنها مع مائة رجل وشحن الحصن الآخر بالرجال فجعل زُكرويه يرسل أهل قَيْد في أن يسلّموا عاملهم ومن فيهم من الجند وأنهم إن فعلوا ذلك آمنهم [56] فلم يجيبوه إلى ما سأل، فحاربهم فلم يظفر منهم بشيء. فتنحى إلى التُّباع ثم إلى حفر أبي موسى.

ثم أهبض المكتفي وصيف بن صورانكين ومعه من القوّاد جماعة إليه، فلقية يوم السبت ثمان بقين من شهر ربيع الأوّل. فاقتلوا يومهم ثم حجز بينهم الليل، فباؤا ليلتهم يتحارسون. ثم عاودهم القتال فظفر بهم جيش السلطان فقتل منهم مقتلة عظيمة وخلصوا إلى زُكرويه فضره بعض الجند بالسيف، وهو موث على قفاه، ضربة اتصلت بدماغه. فأخذ أسيراً وخليفته وجماعة من أقربائه وخاصته فيهم ابنه وكاتبه وزوجته، وعاش زُكرويه خمسة أيام ثم مات، فشق^(١) ثم جُمِلَ بهيئته. وانصرف وصيف بمن كان حياً في يده من الأسرى ثم التقطت القرمطة واستأمن قوم منهم.^(٢)

ودخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

وفيها خرج عبد الله بن إبراهيم العسيمي عن إصيهان في نحو عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم مظهراً الحلاف على السلطان.

وعنها بوقي أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد عامل حراسان وما وراء النهر

١. في الطبري (٢٢٧٥: ١٣): شقّ جلده.

٢. انظر الطبري (٢٢٧٥: ١٣)

وقام أحمد بن إسماعيل ابنه مقامه، [57]

وفيها عقد المكتفى بيده لواء لأحمد بن إسماعيل وجمعه إليه
وفيها روى المسمي وخوف عاقبة الخلاف وأرعب فصار إلى باب
السلطان. فرضى عبد المكتفى ووصله وحلج عليه.

وفاة المكتفى

وفيها توفي المكتفى. فكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر
يوماً وله إثنان وثلاثون سنة، ويكنى أبا محمد، وكان ربه جميلاً رقيق
اللون حسن الشعر وافر اللحية، وامتدت^(١) علته شهراً ودفن في دار ابن
ظاهر.

١ وامتدب رياده في تجارب الأمم، ليست في الطبري (١٣-٢٢٨٠).

خلافة المقتدر بالله

وبويع^(١) جعفر بن المعتض بالله
وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكنيته أبو الفضل

ذكر ما جرى في ذلك

لما ثقل المكفي في عنته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير في من
يفلده الخلافة وترجع رأيه، وكان يركب من داره إلى دار السلطان ويسايره
واحد من الأربعة الذين يتولون الدواوين، وهم: أبو عبد الله محمد بن داود
بن الجراح، وأبو الحسن محمد بن عبدون، وأبو الحسن بن الفرات، وأبو
الحسن علي بن الحسين
فركب مع محمد بن داود فشاورة العباس، فأشار بأبي العباس عبد الله بن
المعتز بالله^(٢) فقرضه^(٣) ووصفه.
ثم ركب معه في اليوم الثاني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات

١. ابتداء بشرة إيمدروز (Amedroz) من تجارب الأمم، مع العلم بأن المقتدر آخر خليفة جاء ذكره

في تاريخ الطبري (١٣ - ٢٢٨٠)

٢. في مد: المعتز، دون «الله».

٣. وفي مط - فرضيه، بدل «فقرضه»

فشاوره.

فقال له :

« هذا شيء ما جرت به عادتي. » [58]

واستغفاه وقال :

« إنما أشاور في العمال »

فأظهر العباس غضباً وقال :

« هذه معاجزة وليس يخفى عليك ^(١). »

وألح عليه فقال له :

« إن كان رأى الوزير قد تقرّر على إنسان بعينه فليستخر الله ويُمضى

عزمه. »

قال ابن الفرات : فعلم أنّي قد عنيت ابن المعتزّ لاشتهار الخبر به فقال لي :

« ليس أريد منك إلا أن تمحصني النصيحة. »

فقلت له .

« إذا أراد الوزير ذلك فإني أقول ، اتق الله ولا تنصب على هذا الأمر من

قد عرف دار هذا وبعمة هذا وبستان هذا وجارية هذا وضيعة هذا وفرس

هذا ، ومن لقي الناس ولقوه وعرف ^(٢) الأمور وتحكك وحسب حساب نعم

الناس. »

قال : فاستعاد ذلك منّي الوزير دفعات ، ثم قال :

« في من تشير ؟ »

فقلت : « بجعفر بن المعتصد. »

فقال : « ويحك جعفر صبي. »

١. وزاد في مد: الصحيح.

٢. في مط. تعرف

قلت: «إلا أنه ابن المعتضد ولم تجيء برجل يأمر وينهى ويعرف ما لنا،
وبمن يباشر المدير بنفسه ويرى أنه مستقل ولم لا تسلم هذا الأمر إلى من
يدعك^(١) تدبره أنت.»

ثم شاور أبا الحسن علي بن عيسى في اليوم الثالث واجهد به أن يسمى
له أحداً، فامتنع وقال:

«أنا لا أشير بأحد، ولكن ينبغي أن يتقى الله ويظهر للدين.»

فمالت نفس العباس بن الحسن إلى رأى أبي الحسن ابن الفرات [59]
ووافق ذلك ما كان المكفي عهد به من تقليد أخيه جعفر الخلافة
فلما مات المكفي آخر نهار يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة،
نصب الوزير العباس جعفر^(٢) في الخلافة على كراهية منه لصغر سنه.
ومضى صافي الحرمي فحدره من دار ابن طاهر فلما اجتازت الحراقة التي
حدر فيها وانتهت إلى [دار]^(٣) العباس بن الحسن صاح غلمان العباس
بالملاح أن: ادخل.^(٤)

فوقع لصافي الحرمي أن العباس إنما يريد أن يدخله إلى داره لتغير^(٥) رأيه
فيه وأشفق أن يعدل عنه إلى غيره فمنع الملاح من الدخول وجرد سيفه
وقال للملاح:

«إن دخلت رميت برأسك.»

فانحدر وجهاً واحداً إلى دار السلطان.

١. في مط. توغل.

٢. في مط. العباس بن جعفر

٣. زيادة من مد

٤. سقط من مط. من «ادخل» إلى «وقال الملاح»

٥. في مد لتغير

وثم أمر جعفر ولقب: المقتدر بالله. وأطلق السلطان يد العباس فأخرج المال للبيعة.

وحكى القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي أن القاضي أبا عمر محمد بن يوسف حدثه أن العباس بعد إتمامه أمر المقتدر إستصياه، وكثر كلام الناس. فعمل على أن يحل أمره ويقلد أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله وكان أبو عبد الله بن المعتمد حسن الفعل جميل المذهب، فوسط الوزير أمره بينه وبينه^(١) القاضي أبو عمر وسامه اليمين، فقال [60] ابن المعتمد:

«إن لم تصح نيته لم تغن فيه اليمين وإن صحت استغنى عنها وله الله^(٢) راع وكفيل، على أنى لا أغدر به ولا أنكبه.»

وكان العباس ينتظر بأمره قدوم يارس الحاجب علام إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان، فإنه كان ورد كتابه وقدر أنه يستظهر به ويمن معه على غلمان المعتصد، فتبادت الأيام بقدوم يارس ووقع بين ابن عمرويه صاحب الشرطة ببغداد وبين أبي عبد الله محمد بن المعتمد مارة فاجتمعا يوماً^(٣) في مجلس الوزير العباس بن الحسن وجرى بينهما خطاب فأربى عليه ابن عمرويه في الكلام، ولم يكن علم بما رُشح له، ولم يمكن أبا عبد الله أن ينتصف منه لمجده، فاعتاط غيظاً شديداً كظمه ففُشى عليه وقُدح في المجلس. فاستدعى العباس عمارية^(٤) وأمر بحمله فيها إلى داره، فحُمِل ولم يلبث أن مات. فعزل العباس على تقليد أبي الحسين من ولد المنوكل على

١. في مط: بين. وما في الأصل هو الصحيح.

٢. في مط: وه. دون «الله»

٣. في مد: يومئذ. بدل «يوماً»

٤. في مط: عماريه.

الله مكانه. فمات أيضاً وتم أمر المقتدر.

ودخلت سنة ست وتسعين ومائتين
وفيهما كانت فتنة عبد الله بن المعتز
ذكر الخبر عن ذلك

كان التدبير وقع^(١) بين محمد بن داود بن الحراح مع الحسين بن حمدان على إزالة أمر المقتدر [61] بالله ونصب عبد الله بن المعتز مكانه،^(٢) وواطأ على ذلك جماعة من القواد والكتاب والقضاة^(٣) فركب يوماً العباس بن الحسين يريد بستانه المعروف ببستان الورد، فاعترضه الحسين بن حمدان وعلاه بالسيف وقتله. وكان إلى جانبيه فائق المعتضدي يسايره فصاح بالحسين منكراً عليه، فعطف عليه الحسين وقتله.

واضطرب الناس، وركض الحسين بن حمدان قاصداً إلى الحلبة مقدراً أن المقتدر هناك يضرب بالصواعجة فيقتله فلما سمع المقتدر الضجة بادر بالدخول إلى داره وعُلقت لأبواب دون الحسين، فانصرف إلى الدار المعروفة بسليمان بن وهب بالمخزم، وبعث إلى عبد الله بن المعتز يعرفه تمام التدبير فنزل عبد الله من داره التي على لصراة وعبر إلى المخزم، وحضر القواد والهند وأصحاب الدواوين وفيهم علي بن عيسى ومحمد بن عبدون، وحضر القضاة ووجوه الناس سوى أبي الحسن ابن الفرات وخواص المقتدر فبايع من حضر عبد الله بن المعتز وخطب بالخلافة وانعقد له الأمر ولُقب: المرتضى بالله.

١ في مد: وقع خلافاً للأصل.

٢ سقط من مط: مكانه.

٣ سقط من مط: القضاة

واستوزر أبا عبد الله محمد بن داود بن الجراح وقلد علي بن عيسى الدواوين والأصول ومحمد بن عبدون دواوين [62] ^(١) الأزمّة، ونقذت الكتب إلى الأمصار كلها عن عبد الله بن المعتز، ووجه إلى المقتدر بالله يأمره بالإنصراف إلى دار ابن طاهر مع والدته ليستقل هو إلى دار الخلافة، فأحيب بالسمع والطاعة

وعاد الحسين بن حمدان من غدير إلى دار الخلافة لفقائه من فيها من الخدم والعلماء والحشم ومن كان هناك من الرجال من وراء السور، ودفعوه عن الدار. فأنصرف في آخر النهار وحمل ما قدر عليه من ماله وحُرّمه وولده، وسار بالليل إلى الموصل، ولم يكن بقي مع المقتدر من رؤساء القواد غير مونس الخادم ومونس الخازن وغريب الخال ^(٢) والحاشية.

فلما راسل ابن المعتز المقتدر بالإنصراف إلى دار ابن طاهر، قالت هذه الجماعة بعضها لبعض:

- «يا قوم، نسلم الأمر هكذا، لم لا تجرد أنفسنا في دفع ما قد أظننا؟ فلعل الله أن يكشفه ^(٣)»

فأجمع رأيهم على أن يصعدوا في شذات ومعهم جماعة، ففعلوا ذلك وألبسوا الجماعة الجواشن والحدود والسلاح وصاروا إلى دار المخرم. فلما قربوا منها ورأهم من كان فيها على شاطئ دجلة قالوا - «شذات مصعدة من دار السلطان».

ووقع الرعب في قلوبهم ^(٣) فتطايروا [63] على وجوههم قبل أن تجري بينهم حرب وقبل وصول الشذات إلى الدار. وخرج عبد الله بن المعتز ومعه

١. تأخر الترقيم في مد بقدر خمس كلمات، أي جاء بعد كلمة «الأصول»

٢. في مط، ومن غريب الجمال. هو غريب الحال، أي خال المقتدر انظر، صفة قريب ص ٤٢.

٣. في مط، في صدورهم

وزيره محمد بن داود وحاجبه يُمن وقد شهر يُمن سيفه وهو ينادى :
- «معشر العامة ادعوا الله لحليفكم».

وأخذوا طريق الصحراء تقديراً منهم أن يتبعهم الجيش ويصيروا إلى مسو
من رأى فثبت أمرهم فلم يتبعهم أحد، فلما رأى محمد بن داود نزل عن
دابته لما حاذي داره ودخلها واستتر ونزل عبد الله بن المعتز في موضع آخر
ومشى إلى دجلة وانحدر إلى دار أبي عبد الله بن الجصاص ودخلها واستجار
به، ففرّ الناس على وحوهم ووقعت الفتنة والنهب والعاراة والقتل ببغداد،
وكان محمد بن عمرو به صاحب الشرطة فركب وقاده العامة لأنه كان
من أكبر أعوان عبد الله بن المعتز فهزموه، ولقد المقتدر مكانه من يومه
مونساً الخازن.

وكان حرج في الوقت الذي حرج فيه ابن المعتز من داره أبو الحسن على
بن عيسى ومحمد بن عبدون مع من خرج من دار عبد الله بن المعتز،
واستتروا في منزل رجل يبيع البغل، ونذر بهما العامة، فكبسوهما
وأخرجوهما وسلموهما إلى بعض خدام المقتدر [64] المحتازين في الطرق،
فأركبهما جميعاً على بغل أكاب^(١) كان معه، ولحقهما في الطريق من العامة
أذى شديد حتى لحصلا في الدار ووكل بهما.

وقُبض في ذلك اليوم على وصيف بن صوراتكين وخرطامش ويمن
وفانك وجماعه ممن كان حاضراً دار ابن المعتز ومنهم القاضي أبو عمر
محمد بن يوسف والقاضي أبو المشي أحمد بن يعقوب والقاضي محمد بن
خلف بن وكيع واعتقل الكل في دار الخلافة وسلموا إلى مونس الخازن، ثم
أمر بغلهم أجمعين. فقتلهم تلك الليلة سوى علي بن عيسى ومحمد بن

١ الأكاب - البردعة (البردعة) وهي كساء يلقى على ظهر الدابة.

عبدون والقاضي أبو عمر والقاضي محمد بن خلف فإن هؤلاء سلموا.

وزارة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات

وأفند المقتدر مونساً الحازن إلى دار أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات الذي كان يرلها بسوق العطش بعد أن أعطاه خاتمه وأعلمه أنه يريد أن يستوزره. وكان ابن الفرات مستتراً بالمرب من داره. فلم يظهر له فأعيد إليه مرة أخرى، فرفق بالجيران وأعلمهم أنه يُستوزر فظهر له وقت العصر من ذلك اليوم وصار به إلى دار السلطان ووصل إلى المقتدر وقتلته وزارته ودواويه وعاد إلى داره بسوق العطش. وبكر يوم الإثنين وهو غد ذلك اليوم، فخلع عليه خلع الوزارة وسار بين يديه [65] الفؤاد بأسرهم، وخلع في ذلك اليوم على مونس الحازن بسبب قتلته الشرطة، وأطلق ابن الفرات للجنود مالا لصلته ثانية وجدد البيعة للمقتدر.

ذكر الخبر عن الظفر بعبد الله بن المعتز

صار خادم لأبي عبد الله بن الجصاص يُعرف بسوسن إلى صافي الحرمي يسعى بأن عبد الله بن المعتز مستتر في دار مولاه فأفند المقتدر بالله صافياً الحرمي في جماعة حتى كبس منزل ابن الجصاص واستخرج منه عبد الله بن المعتز، فحميه وحمل معه أبا عبد الله بن الجصاص^(١) إلى دار السلطان. ثم صودر ابن الجصاص على مال بذله وأطلقه إلى منزله بعد أن تكفل به الوزير أبو الحسن ابن الفرات.

وسلم علي بن عيسى ومحمد بن عبدود إلى أبي الحسن ابن الفرات

١. في مط: الحصاص (بالحاء المهملة).

وناطرهما بمراسلة وصادرها، وخفف عن عليّ بن عيسى ونقلها عليّ محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما وقال للمعتذر :
 - «لم يكن لهذين في أمر ابن المعتزّ صنع وتكفل بهما وبالقاضي محمد بن خلف بن وكيع وخلصهم».

ثمّ نفى محمد بن عبدون إلى الأهواز وأمر تسليمه إلى محمد بن جعفر لعبرتاي ونفى عليّ بن عيسى إلى واسط بعد أن افتداه من ماله بخمسة آلاف دينار دفعها [66] إلى سوسن الحاجب واستكفّ بها عنه فإنّه كان يغري به ويقول : كان مطابقاً لعمّه

موت عبد الله بن المعتزّ وثبات أمر المعتذر
 وظهر موت عبد الله بن المعتزّ في دار السلطان ودُفع إلى أهله ملفوفاً في زليّ برذون^(١) وتمّ ما كان في سابق علم الله عزّ وجلّ وحكم به من ثبات أمر المعتذر وعطل اجتهاد العلوقين وحيثهم في إزالته.

قتل محمد بن داود

فأما محمد بن داود فحكى أبو عليّ محمد بن عليّ بن مطة قال : كنت بعصرة الوزير أبي الحسن في يوم هو فيه مُسَخَّلٌ^(٢) ودخل إليه بعض علمائه فسأره فظهر منه عَمٌّ شديد وإذا هو قد أبلغ قتل محمد بن داود وقال :
 - «كان مع عداوته لي رجلاً عاقلاً كثير المحاسن يجمع إلى صناعته كتابة الخراج والجيش والبلاغة والبقه والأدب والشعر، وكان كريماً سخياً وقد جرى عليه من القتل أمر عظيم»

١. في مط برمون.

٢. في مط: مشجل.

ثم لعن عليّ بن الحسين لقنّاي النصراني وقال -
«هو غرّ هذا الرجل، فإنّ ما كان بينه وبينه من المودة مشهور، فحلّص
نفسه وقتل صديقه.»

ذكر ما عمله القنّاي في أمر

محمد بن داود

كان سوسن عدوّاً لمحمد بن داود وكذلك صافى الحرمي، فأعربا المفتدر
بالله وقالاه : [67]

«إنّ عليّ بن الحسين القنّاي يعرف موضعه»

فقُبض عليه وهُدّد بالقتل فحلف أنّه لا يعرف الموضع الذي استتر فيه
محمد بن داود وإنما تأتيه رقاعه بد^(١) امرأة تحيى إلى امرأة نصرانية تحييه
بها، وضمن أنّه يحتال في إثارتها فأطلق.

وكانت محمد بن داود وأعمه أنّه قد سهر له مع سوسن في أمر يكون به
مُخلصه، وأنّ ما جرى في ذلك لا تحمله المكاتبه، وأنّ الوجه أن يأذن له
في المصير إليه في الموضع الذي هو فيه مستتر فإن لم يأذن في ذلك
صاحب داره حرج مسكراً وحصار إليه

فكتب إليه محمد بن داود أنّه يصير إليه في ليلة ذكرها فمضى عليّ بن
الحسين برفقته إلى سوسن وصافى، فأمرأهما بيّها، فترصّدا تلك الليلة وأمرأ
صاحب الشرطة أن يتفدّم إلى أصحاب الأرباع وأصحاب المسالغ بترصّده
فلما خرج تلك الليلة طُفر به وسُلّم إلى موسى الحارثي، فقصه ثم طرحه على
الطريق. حتّى أحده أهله فدفنوه.

١. كذا في الأصل. يد في مد بيد (بزيادة الياء) في مط على يد

وحكى أبو عليّ ابن مقلّة وأبو عبد الله زنجي^(١) الكاتب: أنّ محمّد بن داود^(٢) كتب إلى ابن الفرات رقعة وصلب إليه، فلم يقدر أن يكتب الجواب بخطه وقال لثوصلها وكان ثقة عنده:

«تقرأ عليه السلام وتقول له: ليس جرمك يسيراً [68] والعهد به قريب، والاستتار صناعة، فينبغي أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتّى تُنسى قصّتك، ثمّ دعنى والتدبير فى أمرك، فإنّى بإذن الله أسفر بعد هذه المدة فى صلاحك وأخذ لك أمان الخليفة بخطه وأقول: إله دخل فيما دخل فيه القواد وكناهم، وقد دعت الضرورة إلى التصفح عنهم، ولهذا بهم أسوة، وأشير عليه بما يصلح أمرك.»

فلم يصبر محمّد بن داود فجرى ما حكىته.

وحكى أيضاً ابن زنجي: أنّه كان بحضرة أبي الحسن ابن الفرات إذ كتب إليه صاحب الخبر، بأنّ متصّحاً حضر وذكر أنّ عنده نصيحة لا يذكرها إلّا للوزير، فتقدّم الوزير إلى حاجبه أن^(٣) يخرج إليه ويسأله عنها، فخرج وسأله فأبى أن يخبره بها وقال

«أريد أن أضافه بها الوزير»

قال: وكنا بين يديه جماعة فأومأ إلينا، فقمنا وخلا به. ثمّ دعا بحاجبه المتأسّس الفرغانى وقال له:

«اجمع الرجال الذين يرسم الدار.»

ثمّ دعا أبا بشر ابن فرخويه^(٤) وقال له سرّاً:

١. فى مط: ونحى.

٢. وزاد فى مط عبد الله بن داود بدل «أنّ محمّد بن داود».

٣. فى الأصل: لمن والتصحيح من مط، كما يؤكده مد، وسياق العبارة.

٤. كذا فى الأصل ومط، فرخويه (بإعمال التثنية) فى مد، فرخويه.

«إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ تَنَصَّحَ إِلَيَّ فِي أَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَعْرِفُ مَوْضِعَهُ وَأَنَّهُ بَاتَ الْبَارِحَةَ عِنْدَهُ وَالتَّمَسَّ أَنْ أَتْفِذَ مَعَهُ مِنْ يَسْلَمَهُ إِلَيْهِ، وَقَدْ بَدَلْتُ عَلَى ذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ إِنْ كَانَ صَحِيحاً، أَوْ نِصْلَهُ^(١) بِالْعَقُوبَةِ إِنْ كَانَ بَاطِلاً. فَصَرَ عَلَى ذَلِكَ فَاصْتُبِ [69] إِلَيْهِ السَّاعَةَ أَنْ يَنْتَقِلَ عَنْ مَوْضِعِهِ، فَإِنِّي أَهْثُ إِلَى مَكَانِهِ مِنْ يَكْبَسُهُ وَيَلْتَمِسُهُ.»

ولم يزل يستعجل الحاجب في جمع الرجال فيقول :
« قَدْ فُرِّقَتِ النِّبْيَاءُ فِي مَطْلِبِهِمْ فَأَتَيْتُهُمْ فِي أَطْرَافِ الْبَلَدِ مِنْهُمْ مَنْ يَنْزِلُ فِي قَصْرِ عِيسَى وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْزِلُ بِيَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ. »
ولم يزل يدافع بالأمر إلى أن غاد الجواب إلى أبي بشر بشكره، وأنه قد انتقل من موضعه إلى غيره. فتقدم حينئذ إلى المتنصح أن يعضي إلى الموضع مع القوم، وتقدم بالإحتياط عليه وعلى ما يليه، وكيسه بعد ذلك وحمله، فإن لم تجده فتنش الدور التي تلي الموضع، وأن يستظهر بحفظ أفواه الدروب حتى لا تفوته الحُرْمُ^(٢) ويأخذ معه السلاطيم.

فعضي العباس الحاجب والمتنصح والرجال ووكل بأفواه الدروب والدور المجاورة للموضع، وأدخل الدار التي ذكرها المتنصح فلم يسجدده. فقال المتنصح :

« فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ خَلَقْتَهُ وَهَذَا هُنَا كَانَ بَائِثاً. »
وأقبل يسير إلى موضع موضِعٍ إِمَّا عَمِلَهُ فِيهِ. ثُمَّ التَّمَسَّهُ فِي الدَّارِ الْمَجَاوِرَةِ فَلَمْ يَجِدْهُ رَوَّعَادَ بِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْوَزِيرِ فَأَنْكَرَ عَلَى الْمَتْنَصِّحِ سَمَاعَتَهُ بِالْبَاطِلِ. وَأَمَرَ بِحِمْلِهِ إِلَى بَابِ الْعَائِمَةِ وَضَرِبَهُ مَائَتِي مَرَّةً وَأَنْ يُشْهَرَ عَلَى جَمَلٍ وَيُنَادَى عَلَيْهِ :

١. في مط: أرسله.

٢. كذا في الأصل بالخط في مط: حتى لا يفوته الحُرْم.

« هذا جزاء من يسعى بالباطل. » [70]

وكتب إلى المعتذر وعرفه الصورة. وأنه كبس على محمد بن داود حدة دور فلم يجد. فأوقع العقوبة بالساعي حتى لا يُقدم نظراؤه على السعاية بالباطل.

فلما عاد الساعي إلى داره، تقدّم بأن يحمل إليه مائتي دينار وأن يُحدر^(١) إلى البصرة، وقال لنا :

« قد صدق الرجل فيما حكاه وقد عاقبناه ولو لم أفص ما فعلته، لم آمن أن يمضي إلى دار السلطان. »

وكان أبو بشر يعرف موضع محمد بن داود بن الحزاح وعرف الوزير موضعه فكتبه الوزير ولم يُظهره. وهذا مما لا يُنكر من أسي الحسن ابن الفرات مع كرمه وجلالة قدره ونبل أفعاله.

وفيها قبض على محمد بن عبدون

وسوسن الحاجب وقتلا

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن سوسن الحاجب كان مع ابن المعتز في تدبيره، وظن أنه يقرره على الحجابة، فلما عدل عنه إلى يمن^(٢) استوحش وصار إلى دار السلطان وكان سوسن يدخل مع العباس بن الحسن في التدبير بحضرة المعتذر بالله فلما تقلد أبو الحسين أبي الفرات الوزارة تفرد بالتدبير دون^(٣) سوسن فظهرت الوحشة بين سوسن وبين أبي الحسين [71] ابن الفرات لأجل

١. كذا في الأصل ومط أن يُحدر. في مد، أن يحدر

٢. في مط: يمن

٣. تفرد بالتدبير دون: كذا في مط ومد. وفي الأصل غموس

ذلك وذاع الخبر بصحة عزم سوسن على الملك باين الفرات بمواطاة عتة من
الغلمان الحجريّة على ذلك، وذير أن يكون الوزير محمد بن عبدون، وأشار
بذلك على المقتدر بالله، وبذل على ذلك مائلاً عظيماً، وأنفذ يني بن نفيس^(١)
إلى الأهوار لإحضار محمد بن عبدون بغير موافقة ابن الفرات وأظهر يني أنه
إنما أتى لأخذ أموال كانت مودعة للعباس بن الحسن بالبصرة.

ولم يصل محمد بن عبدون إلى واسط حتى ظهر للحبر لابن الفرات، فقرر
ابن الفرات في نفس المقتدر أن سوسناً عمل على الإيقاع به أولاً ثم به، وأنه
كان من أكبر أعضاده عبد الله بن المعتز، وإنما خالفه أخيراً لما علم أنه قد
استحجب غيره. وراقف^(٢) المقتدر على القبض عليه فقبض عليه وقتله من
يومه، وكان المتوكل لذلك تكين الحاضنة وكان تكين هذا مرشحاً للحجبة
ومدبراً لها.

ثم أنفذ الوزير إلى محمد بن عبدون من أزعجه في الطريق واعتقله في
دار السلطان وصادته مصادرة مجددة، ثم سُم إلى مونس الحارث فقله.
وقلق أبو الحسن علي بن عيسى لذلك وهو بواسط، فكتب إلى الوزير
كتاباً يحلف فيه أنه على قديم عداوته لمحمد بن عبدون، إلا أنه لا يدع
الصدق من فعله، وأن محمد بن عبدون لم يكن ليسى [72] على دم نفسه
بتضمّنه الوزارة، بل كان راضياً بالسلامة بعد فتنة عبد الله بن المعتز، وأن
سوسناً عمل ذلك بغير رأيه أولاً موافقته، وسأل في أمر نفسه أن يبعده إلى
مكة ليسلم من الظنة وليسى السلطان ذكره.

فأجابه ابن الفرات إلى ذلك وأخرجه من واسط إلى مكة على حال
جميلة، فشخص إليها على طريق البصرة

١. كما في الأصل، في مط: وأنفذ يني إلى نفيس.

٢. في الأصل واقف والواو الزائدة هي من مط.

وكتب علي بن عيسى هذا الكتاب مقصراً أن يتخلص به محمد بن عبدون من القتل، ويسلم هو. فوفاه^(١) الله في نفسه بجميل نيته، وحصر أجل محمد بن عبدون، فلم ينفعه اجتهاد علي بن عيسى في خلاصه.

استقرار أمر المقتدر

وتفويضه الأمور إلى أبي الحسن بن الفرات

ولما استقر أمر المقتدر بالله في الخلافة فوض الأمور إلى أبي الحسن بن الفرات فديرها أبو الحسن كما يديرها الخلفاء. وتفرّد المقتدر على لذاته متوقفاً واحتشم الرجال وأطرح المجلساء والمغنين وعاشر النساء فغضب على الدولة الحرم والخدم فما زال أبو الحسن يُنفق الأموال من بيت مال الخاصة ويبدّر تبديراً مفرطاً إلى أن أنلفها.

ومن محاسن ابن الفرات أنه اختلج أمره بإخراج أمر المقتدر بمكانة العمال في جميع النواحي بإفاحه العدل في الرعيّة وإزالة الرسوم الجائرة عنهم وإخراج أمره لجماعة [73] بني هاشم بجار^(٢) ثم أخرج أمره بزيادة جميعهم ثم أخرج أمره بالصفح عن جميع من كان خرج عن طاعته ووالى ابن المعتز وإلحاقهم في الصلة بمن لم تكن له جناية وتلطّف في أمر الحسين بن حمدان وإبراهيم بن كيغلع حتى رضى المقتدر عنهما وقلدهما الأعمال وفعل ذلك بأمر عمرو بن

ذكر التدبير الصواب في ذلك

إنه عزّف المقتدر بالله أنه متى عاقب جميع من دخل في أمر ابن المعتز

١. كذا في الأصل - موفاه في مط وهد: فوفاه

٢. في الأصل بجار. ما في مط مهمل تماماً. في مد. بجار.

فسدت الثمات وكثر الحوارج ومن يخشى على نفسه فيطلبون الحصول
للمخلص بإفساد المملكة، وأشار بإحراق جميع الجرائد التي وجد فيها أسماء
المتابعين^(١) لابن المعتز فاستجاب إلى ذلك، وأمر ابن الفرات بتفريق الجرائد
في دجلة ففعل ذلك وسكن الناس وكثر الشاكرون.

ذكر ما جرى في أمر القاضي أبي عمر

كان القاضي يوسف بن يثوب شيعياً كبير السن يلزم ابن الفرات ويهيكى
بحضرته ويسأله تخلص ابنه أبي عمر من القتل، فيذكر له أبو الحسن أنه لا
يتمكن من ذلك إلا بإطعام المقتدر بالله في مال جليل من جهته. فبذل أبوه
أن يفقر نفسه وابنه طلباً للحياة. فسأل [٦٤] ابن الفرات المقتدر بالله الصفع
عنه وأطعمه في ماله ومال ولده. فسلمه المقتدر إليه فصادره على مائة ألف
دينار، واعتقله في ديوان بيت المال ليؤدى المال، فأدى أكثره ودخل فيما
أداه وديعة، قيل إنها كانت عده للعباس بن الحسن، ميلها خمسة وأربعون
ألف دينار فلما أدى تسعين ألف دينار أمر ابن الفرات بإطلاقه إلى منزله وترك
له العشرة الآلاف الدينار وأمره بملازمة منزله وأن لا يخرج منه.

ذكر خيانة / اتفق سمين اتفق فيه

كان سليمان بن الحسن بن محمد متحققاً بأبي الحسن ابن الفرات ومدلاً^(٢)
بأحوال كانت بين أبيه وبين والد الوزير أبي جعفر محمد بن موسى بن
الفرات. وكان سليمان يختص لذلك بأبي الحسن ابن الفرات. ووجد أبو
الحسن كثيراً في البيعة بعد الله بن المعتز يخطئ سليمان لتحقيقه كان بمحمد بن

١ في مط: المتابعين.

٢ في مط: وملا بأحوال.

فارد بن الحوَّاح وللقراءة بينهما فلم يظهر أبو الحسن ذلك للمقتدر ولا ذكره،
ونوه باسم سليمان وولَّده مجلس العامة رئاسة.

ثم إن سليمان جنى على نفسه بالسمي لأبي الحسن أحمد بن محمد بن
عبد الحميد في الوزارة، وعمل في ذلك نسخة بخطه عن نفسه إلى المقتدر
بالله [75] يسمى فيها بأبي الحسن وبأمواله وضياعه وكتابه وأسبابه وكانت
الرقعة في كتبه ودخل دار ابن الفرات وهي معه وقام ليصلي صلاة المغرب
مع جماعة من الكتاب في دار ابن الفرات، فسقطت الرقعة من كتبه وظفر بها
الصقر بن محمد الكاتب لأنَّه كان يصلي إلى جنبه. فأقبل بها مبادراً إلى
الوزير من وقته، فقبض عليه وأحدره في زورق مطبق إلى واسط، ووكل به
وصور وجرى على طبعه وشاكلته، فأحسن إليه وقلَّده.

وفيها كرتب أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان في قصد أخيه الحسين
ومحاربته وأمد بالقاسم بن سيماء في أربعة آلاف، فاجتمعا ولقيا الحسين
فانهزما وانحدر إبراهيم بن حمدان لإصلاح أمر أخيه الحسين، فأجيب إلى ما
التمس، وكتب للحسين أمان وصار إلى الحضرة ونزل في الصحراء من
الحائب الغربي ولم يدخل دار السلطان، وقلَّد أعمال الحرب بقم وحملت إليه
الحلج، فلبسها ونفذ إلى قم وانصرف عنها العباس بن عمرو.

وفيها قدم بارس غلام إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان في أربعة
آلاف غلام إتراك وغيرهم وصار إلى بغداد مستأماً وكان مولاه اتبعه إلى
الرى مطهراً الاستيعاش من قبول السلطان غلامه. فكان به [76] ابن الفرات
بما سكن منه حتى عاد إلى خراسان وقلَّد بارس دار ربيعة فأمدّه إليها وقلَّد
يوسف بن أبي الساج أعمال أرمينية وأذربيجان وعقد له عليها وضمتها إليها
بمائة ألف وعشرين ألف دينار في كل سنة محمولة إلى بيت مال العامة
بالحضرة، فسار من الدينور إليها.

ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

وفيها أدخل طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث بغداد أسيرين
أفي قبة على بعل وقد كشف جلالها وهما بين يدي أبي الفصل عبد الرحمان
بن جعفر الشيرازي كاتب شُكْرِي المتقلد فارس ووصل إلى حضرة المقدر
ووصلا معه بعد أن خُلت قيودهما وخلع على عبد الرحمن بن جعفر ورُتّب
في الموج الأول وركب عبد الرحمان في الخلع وأنزل في دار في مربعة
الحُرْسِي^(١) وحبس طاهر ويعقوب في دار السلطان.

وكان شُكْرِي متغلبا على فارس. فلما قدم عبد الرحمن كاتبه قرّر أمر
شُكْرِي مع السلطان على شيء يحصله عن فارس، ثمّ عباد إلى صاحبه.
فورد الخبر بعد ذلك بأنّ الليث بن عليّ خرج من سجستان وقصد فارس.
فدخلها وخرج شُكْرِي، فندب مونس الحادم للشخص [77] إلى فارس
وخلع عليه، وسار فوجد شُكْرِي براهيمز واجتمع مع مونس وسار بمسيره
وسار الليث إلى أرجان ليلقي مونساً.

ذكر عجلة واتفاق سيّ

ثمّ إنّه بلغ لينا أنّ الحسين بن حمدان قد سار من قم إلى البيضاء فخاف
أنّ تؤخذ منه شيراز فوجّه أخاه نوح قطعة من جهته إلى شيراز ليحفظها
وأخذ هو ذليلاً يده على طريق مختص قريب إلى البيضاء ليوقع بالحسين بن
حمدان. فأخذ به الدليل في طريق الرجالة وهو طريق صعب صيق لا يحل
الجيوش، فلقى في طريقه مشقة عظيمة حتّى تلفت دوابه وتلف رجاله فقتل

١. في مطب: الحُرْسِي وجلس طاهر بدل «الحُرْسِي» وحبس طاهر

الدليل وعدل عن الطريق فخرج إلى خوايذان^(١) وقد وصل إليها مونس. فلما أشرف الليلت على عسكر مونس قدّر أنه عسكر أخيه الذي أنقذه إلى شيراز. فكثر أصحابه فخرج إليه مونس فأوقع به وأحذه أسيراً فلما حصل في يده أشار عليه قواده بالقبض على شبكري. فلم يفعل وألح عليه أصحابه فأظهروا القبول منهم وقال:

«إذا صار إلينا في غد قبضنا عليه.»

وكان شبكري كل يوم يركب من مضربه إلى مونس. فبسلم [78] عليه. فوجد إليه مونس سراً وعرفه ما أشار عليه قواده وأشار عليه بالمسير إلى شيراز والإسراع. ففعل شبكري بما أشار به فلما أصبح وتعالى النهار قال:

«يا قوم ما جاءنا شبكري اليوم فوختها إليه وتعرفوا خبره.»

وعاد الرسول وعرفه أن شبكري قد سار إلى شيراز من أول الليل. فعاد باللوم على قواده وقال لهم:

«من جهنكم شاع الخبر وبلغه فاسترحش.»

وسار مونس ومعه الليلت راجعاً إلى مدينة السلام. وانصرف الحسين إلى قم.

ذكر تلبير فاسد وما آل إليه

لما حصل شبكري بشيراز كان معه قائد يقال له القتال. فضربه على كاتبه عبد الرحمن بن جعفر وأعلمه أنه في جنية^(٢) السلطان وأنه قد أحلف قواده كلهم للسلطان وأخذ له البيعة عليهم. وليس يتعنتر عليه متى شاء أن يُورد كتاباً من السلطان بالقبض عليه. ففزع شبكري من هذه الحال وقبض على

١. ما في مط مهمل تماماً.

٢. في مط: بي حقة السلطان

عبد الرحمن بن جعفر وأستكتب مكانه رجلاً يعرف بإسماعيل بن إبراهيم
اليماني،^(١) فحملة إسماعيل هذا على الحلاف وقال له :
« قد أنصرف عنك عسكر السلطان وليس يمكنه أن يعود إليك سريراً،
فأريح ما كنت تحمله إلى السلطان وأصلح أمورك [79] وأرض جندك، ثم
تنظر. »

واحتال عبد الرحمن بن جعفر من محبسه حتى كتب إلى ابن الفرات
بغيره وما جرى عليه وبخلاف شُكْرَى على السلطان، فكتب ابن الفرات إلى
مونس وقد صار إلى واسط كتاباً يقول فيه :
« إن كنت فتحت فقد أعلقت، وإن كنت قد أسرت فقد أطلقت، ولا بد
من أن تعود فتحارب شُكْرَى. »

فعاد مونس إلى الأهواز وأخذ شُكْرَى في ملاطمة مونس ومهاداته
ومسانته أن يبذل للسلطان عن أعمال فارس وكرمان زيادة على ما كان
مقاطعاً عليه القاسم بن عبيد الله في أيام المكتفى بالله، فإنه كان مقاطعاً على
أربعة آلاف ألف. ففعل مونس ذلك وبذل عنه سبعة آلاف ألف، فلم يرض
بذلك ابن الفرات، فلم يرل يزيد ألف ألف حتى بلغ تسعة آلاف ألف خالصة
للحمل، وذكر أن باقي الإرتفاع يحتاج إليه شُكْرَى لإعطاء الجند بفارس
وكرمان وأعلمه كثرة المؤن هناك فأقام ابن الفرات على أنه لا يسقح إلا
بثلاثة عشر ألف ألف فأشار مونس على شُكْرَى بأن يقارب السلطان
والوزير، فأبى شُكْرَى أن يريد على عشرة آلاف ألف شيئاً، فاغتاض الوزير
من تساتن شُكْرَى، وأتهم مونساً بالميل إليه. [80]

١. في مط: قتيبي.

ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين
ذكر ما جرى على سُبُكْرِى من الأسر

ثم إنه عدل إلى إنفاذ وصيف كائمه^(١) مع عدة قواد من مدينة السلام،
وإنفاذ محمد بن جعفر العبترى معهم وعول عليه في فتح فارس
وكتب إلى موسى: أنه لا يثق بأحد سواه في حفظ الليث، وأن سيبله أن
يوالحى به إلى مدينة السلام ويدع أكثر قواده وأصحابه مع محمد بن جعفر
بالقرب من نواحي فارس، لئلا ينجذبوا بأسرهم إلى بغداد قبل أن يتقرر الأمر
مع سُبُكْرِى في مال المغارقة، فيطمع سُبُكْرِى في السلطان.
فخرج موسى عن الأهواز وكتب الوزير حبيش إلى محمد بن جعفر
العبترى والقواد بالمبادرة إلى شيراز مع جماعة من بالأهواز من القواد،
وانضم إليه وصيف كائمه^(٢) ثم أمده بسيماء الخزرى وفاتك المعتصدي وُمن
الطولوني.

فلما تكامل الجيش لمحمد بن جعفر سار إلى سُبُكْرِى وواقعه على باب
شيراز فانهزم سُبُكْرِى إلى بته وتحصن بها. وتبعه إلى هناك فهزمه أيضاً.
ودخل مظارة خراسان وأسر القتلى.

وورد الكتاب بالفتح، فخلع السلطان على الوزير عند ذلك، وقلد محمد
بن جعفر العبترى قتيحاً حادماً الأفشين أعمال الحرب والمعاون بفارس
وكرمان وكان يميل إلى قتيح [81] لحسن وجهه.

وفيها ورد كتاب أحمد بن إسماعيل صاحب خراسان بفتححه مسجستان
وأسره محمد بن علي بن الليث.

١ كائمه. كذا في الأصل ومط وم.

٢ في يد: كائمه.

ثم ورد كتابه بأسره سُبُكْرَى، فكتب إلى أحمد بن إسماعيل بحمل
سُبُكْرَى ومحمد بن عليّ بن الليث إلى الحضرة.

فلما كان في شوال من هذه السنة أدخل سُبُكْرَى ومحمد بن عليّ بن
الليث مشهريّين على فيلين. فخلع على الوزير ابن الفرات، ثم على المرزباني
خليقة صاحب خراسان، وحمل مع الرسل الذين حملوا سُبُكْرَى ومحمد بن
عليّ بن الليث هدايا وخلع وطيب وجواهر إلى صاحب خراسان.

وفيها ورد الخبر بوفاة العيّزناي ثم بوفاة قُستنج،^(١) وقُتل عبد الله ابن
إبراهيم المسنسي أعمال المعاون بفارس.

وفيها غرقت فاطمة النهرمانة في طيارها تحت الجسر في يوم ربيع
عاصف وكانت زوجت ابنتها من بُنَى بن نفيس وقيصرا،^(٢) فحصرها جنارها
وحضرها خلق من القوّاد والقضاة، وجعلت السيّدّة مكانها أمّ موسى الهاشميّة
قهريّة، فكانت تؤدّي رسائلها ورسائل المقتدر إلى ابن الفرات.

ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

القبض على الوزير ابن الفرات

وفيها قبض على الوزير ابن الفرات، ووُكِّل بداره. وهُتِك حُرْمه أضح هتك.
ونُهب داره [82] ودور كتابه وأُسيابه. واعتنّت بغداد ونُهب الناس.
وكان مونس الخارن يلى شرطة بغداد وتحت يده برسمها تسعة آلاف
فارس وراجل. فكان يركب إذا اشتدّت الفتنة وزاد النهب فيسكن الناس
ويكفّ النهب هيبة له. فإذا نزل من ركوبه عادت الحال إلى ما كانت عليه.
فلقى الناس من ذلك شدّة شديدة ثلاثة أيام بالمالها ثم سكنت القسّة.

١. في مط: قبيح.

٢. في مط: منصر.

فكانت مدة وزارة أبي الحسن ابن الفرات هذه الأولى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً.

وزارة أبي علي محمد بن عبيد الله

بن يحيى بن خاقان

وقد أبو علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزارة، وذلك في ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين.

فقد أصحاب الدواوين ورتبهم في مجالسهم ورد مناظرة أبي الحسن ابن الفرات وأسبابه وكتابه إلى أبي الحسن أحمد بن يحيى بن أبي البعل، وقد أعد ديوان المصادرين وديوان الصياع العيانية وديوان زمام الفرائض.

استمر أصحاب ابن الفرات

واستمر من أصحاب ابن الفرات أبو علي محمد بن علي بن مقلة وأبو الطيب الكلوازي وأبو القاسم هشام وأبو بشر ابن فرجويه^(١) وقبض على الباقيين ونهت دورهم وهدم، واعتقل هؤلاء الباقيون وناظرهم أحمد بن أبي البعل وعدبهم وناظر ابن الفرات، فخرج أنه [83] لم يمكن من إيقاع مكروه به ومكن من جميع الأسباب وكتابه.

ذكر ما دبره ابن أبي البعل وانعكاسه عليه

كان أبو الحسن بن أبي البعل مبعداً في أيام ابن الفرات بإصبهان، فلما افتتحت بغداد وقد أخوه مناظرة ابن الفرات وأسبابه سفر أخوه لئلا تمكن من

١. كذا في الأصل ومد، فرجويه، في مط فرجويه (بالحاء المهملة).

ملاقاة أم موسى في الوزارة وبذل فيها مالاً جليلاً يثمه ويوفره. فإطمع
المقتدر في ذلك فأرجف له بها وكاتبه أخوه بالإسراع إلى الحضرة ونفذ إليه
أبو بكر أخو أم موسى، فخطابه قوم بالوزارة في طريقه، وتلقاه القواد
وعيرهم عند ورود بغداد.

فركب أبو علي الخاقاني في عشية من العشايا إلى دار السلطان والنمس
الإمن في الوصول فآذن له وأوصل إلى المقتدر بالله فوصف له:
أن الأمور قد اضطربت، والأموال قد تأخرت، والدنيا قد خربت بكثرة
الأراجيف به، لأن ابن أبي البعل يذكر أنه قد استحضر للوزارة.

فخطبه المقتدر بجميل، وأذن له في إبعاد ابن أبي البغل وأخيه عن
الحضرة. فقبض عليهما وأبعدهما وتكررت أم موسى النهرمانة للوزير أبي
علي الخاقاني، مخافها وأشفق أن تفسد عليه أمره، فأرضاهما بأن قلند أبا
الحسين منها^(١) [84] أعمال الخراج والضياغ بإصيهان، وفقد أبا الحسن أحماء
أعمال الصلح والمبارك^(٢).

الخابسي يناظر ابن الفرات

١ وكتب الوزير بإطلاق أبي الهيثم المياني بن ثوابة وكان معتقلاً بالموصل
وكان ابن الفرات تقيه إليها في نكبة محمد بن عبيدون لقراءة بينهما، وكان ابن
ثوابة هذا يكتب لمحمد بن ديوداذ وكان من الموصوفين بالشرف، فورد بغداد
في سنة ثلاثمائة وقلده الوزير أبو علي الخاقاني ديوان المصادرين والضياغ
الميانية والمراتية، ورد إليه مآطره أبي الحسن ابن الفرات وأسبابه وكتبه
فأسرف ابن ثوابة في إيقاع المكروه بهم وعذبهم بأنواع العذاب، فنجرت بيده

١ في مط: أبا الحسن منهما، في مد: في مد: أبا الحسن منهما، وفي الأصل: منها.

٢ في الأصل: أعمال وعموض، في مط: المبارك.

وبين أبي الحسن ابن الفرات مناظرات هاتر في بعضها ابن الفرات وشتمه بحضرة أم موسى، فرد عليه ابن الفرات أقبح رد، وشتمه أغلظ شتيمة، ونسبه في نفسه إلى كل حال قبيحة.

فراسل ابن ثوابة المعتذر بأن ابن الفرات لم يقدم على هذا إلا لشدة بطره وكثرة أمواله واستأذن في معاقبته، فبسط يده عليه فقيده وغله وألبسه جبة صرف، وأقامه في الشمس مدة أربع ساعات فكاد يتلف. فأنهى بدر الحرمي في حاله إلى المعتذر، فأنكرها وأمر بنقله إلى بعض الحجر التي في يد زيدان [85] المهرمانه للحرم الخواص، وأحسن إليه ورغفه. وذلك بعد أن حلف له ابن الفرات بأغلظ يمين بأنه لم يبق له مال ولا ذخيرة ولا متاع فباخر إلا وقد أقر به وقت مناظرة ابن أبي البمل، فقبل المعتذر بالله قوله ومنع ابن ثوابة من مناظرته.

ابن الفرات مشاوراً

ثم صار المعتذر بعد ذلك يشاور ابن الفرات في الأمور ويقرأه رقاع الوزراء إليه ويحييهم عنها برأيه ثم كثرت السعيات به أبي علي الخاقاني ويمكن أبو القاسم ابن الجوالي.

ذكر قساة تدبير الخاقاني لأمر الوزارة

كان أبو علي الخاقاني متشاعلاً بخدمة السلطان ومراعياً أعداءه، لا يقرأ الكتب الواردة عليه ولا النافذة، واعتمد على ابنه أبي القاسم عبد الله، وقلده مع العرض على الخليفة خلافته على الأعمال والتفويض للأمور. وكان ابنه هذا متشاعلاً بالشراب، إنما يراعى أمر الفوائد والجيوش والولايات للعتال ويدع ما سوى ذلك. وكان قد نصب لقراءة الكتب الواردة بها نصر مالك بن الوليد،

ولقراءة الكتب النافذة أبا عيسى يحيى بن إبراهيم المالكي.

وكانت لأبي علي الخاقاني وابنه الجوامع بما يرد وينفذ، فلا يقرأها أحد منهم [86] إلا بعد فوت الأمر الذي وردت فيه الكتب، وتبقى الكتب بالحمول والسفاتيح في خزانتهما، لا تفض ولا يُعرف حال ما فيها، ففسدت الأمور بولاية أبي علي الخاقاني وضاعت.

وكان يقلد في أسبوع واحد الكوفة عدة من العمال، حتى قيل: إنه قد قلد أعمال ماء الكوفة في مدة عشرين يوماً سبعة من العمال، واجتمعوا في خان بحلولان وقلد أعمال قردي وبريدي^(١) خمسة من العمال اجتمعوا في خان يُعكِّبُرا في يوم واحد وسبب ذلك ارتفاع أولاده وكتابه من العمال الذين يؤلونهم. فشطرت الأحاديث وحفظت له النوادر،

وأطلق يده بالتوقعات وفي الزيادات والنفل والإتيات^(٢) يوقع بذلك هو وأبناءه وبنان ويحيى بن إبراهيم المالكي وأحمد ومحمد ابنا سعيد.

وكان أبو علي الخاقاني يتقرب إلى قلوب الخاصة والعامة، فسمع خدام السلطان ووجوه القواد أن يترجموا رقاعهم بالتعبد، ويتقرب إلى العامة بأن يصلّي معهم في المساجد التي على الطريق، فكان إذا رأى جمعا من الملاحين أو غيرهم من العامة يصلّون في مسجد على الشط قدم طياره وصعد وصلّي معهم. فأنصبت الوزارة بأفعاله ونذلت.

وكان [87] إذا سأل إنسان حاجة دق صدره وقال:

«نعم ككرامتي» ^{بـ}فَسْتَيْ: دق صدره.

وصالت الأموال مضّر في إطلاق أموال أصحاب التفاريق والقواد القدماء ومن يجرى مجراهم، فشغبوا عليه وقصدوا المصلّي فأقاموا فيه وأخرجوا

١ ليس الأصل واضعاً تماماً في مط: قردي ويد يدي، في مد: قردي يز يدي.

٢ في مط: والنفل الإتيات في الأصل والنفل والإتيات.

بهم أكثر الفؤاد واستفحل أمرهم وبسطوا فيه ألسنتهم.
فأمره المقتدر بإطلاق أرزاقهم فاعتذر بقصور الأموال ونقصان الإرتفاع،
وذكر أن الأموال المستخرجة من ابن القرات وأسبابه قد حصلت في بيت مال
الخاصة، وأنه ليس يُعْمَد له صاحب بيت مال الخاصة أمراً فيها، فأمر بإخراج
خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لينفق في الجند المشغبين.

وَقَدْ دِيَّوان البريد بمدينة السلام والإشراف على الوزير وعلى الجيش
وأصحاب الدواوين والقضاة وأصحاب الشرطة شفيح اللؤلؤي^(١).

فلما رأى ابن نوبة ضعف أمر الوزير تقرب إلى المقتدر برقاع أوصلتها أم
موسى يذكر فيها أنه يستخرج من الأعمال أموالاً جديلة أهلها الخاقاني، وذكر
أنه يستخرج من محمد بن علي الماذرائي وأخيه إبراهيم وحدهما سبعمائة
ألف دينار. فخرج الأمر إلى الخاقاني بتقوية يد ابن نوبة، ففعل ذلك [88]
واستخرج أموالاً بالعسف، وتعلب على الأمور، وكان يصرف عمال الوزير
ولم من يرى، وتوصل الأشرار إلى كتب الرقاع على يد أم موسى إلى
المقدر يخطبون^(٢) الأعمال ويتضمنون الأموال. فخرج الأمر إلى الخاقاني
بتقليدهم ذلك، فانبشروا أمره وشكروا الأشرار في النظر واستخرجوا الأموال
من كل وجه بكل عسف.

وكان حامد بن لعباس قد تضمن أعمال واسط ونواحيها أربع سنين فعمل
الكتاب له عملاً وحصلوا عليه في كل سنة مائتين وأربعين ألف دينار وألفين
وأربعمائة كُرٍّ بالمعدل شعيراً للكراع في كل سنة يستوفي منه مع المال الذي
ذكرنا مبلغه. وإنما كان حامد ضمن على عبدة السنة المتقدمة وزيادة يسيرة،
وكان التفسير والإضاعة والتخليط يقع من الخاقاني.

١. في مد: اللؤلؤي (ضم الهمزة) والفتح أوجه

٢. في مط يحطون

وذلك أن الخاقاني كان يتقلد في أيام عبيد الله بن سليمان وما بعدها إلى وقت استتاره في أيام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال البريد والمظالم والخرائط بما سيذن. فلما ولي الوزارة تحرر لقلعة النرية ونمضان المعرفة بالأعمال، فشرع مونس في تقليد علي بن عيسى.

ودخلت سنة ثلاثمائة [89]

يرتأى المقتدر في إعادة ابن الفرات إلى الوزارة

ولما رأى المقتدر بالله اضطراب الأمور وفساد التدبير وانتفاض المملكة، شاور مونساً الخادم، وعرفه أن الصورة تقود إلى رد أبي الحسن ابن الفرات وتقليده الوزارة.

وكان مونس مسووحشاً من ابن الفرات لأمر حكنا بعضها في حكاية أمره مع شبكزي وتقريره أمر فارس ونقض ابن الفرات عليه فقال مونس للمقتدر بالله :

- «إنه يقبح أن يعلم أصحاب الأطراف أن السلطان صرف ورياً ثم اضطُر إليه ورده بعد شهر من صرفه، ثم لا ينسبون ذلك إلا إلى المطمع في ماله فقط.»

وقال: إن كتاب الدنيا الذين يبرؤا المملكة دواوينها منذ أيام المعتضد بالله، هما أبا الفرات، وأبو العباس منها قد مات، وتسقلد الآخر الوزارة إلى أن صرف عنها، ومحمد بن يزداد^(١) ومحمد بن عبدون وقد قُلا في فتنة ابن المعتز، وعلي بن عيسى بن داود بن الجراح، ولم يبق من يصلح لتدبير المملكة غيره.

١ كذا في الأصل، يرداد وصححه في مد ي «داود»، وهو سائط من مط

ووصفه بالثقة والأمانة والديانة والنراة والصيانة والصناعة.
فأمره المقتدر بإفاد يلبق إليه ليحمله إلى الحضرة، وأظهر للخاقاني أنه
يحضره ليستخلفه لابنه عبد الله على الدواوين.
وكان الخاقاني يقول في مجلسه :
- «إني قد كتبت بحمل عليّ بن عيسى [90] إلى الحضرة لأستخلفه لعبد
الله.»

فلما كان يوم الإثنين لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثمائة ركب
الخاقاني إلى دار السلطان، فقبض عليه وعلي ابنه عبد الله وعبد الواحد
وأبي الهيثم ابن ثوبة ويحيى بن إبراهيم المالكي وأحمد ومحمد ابني سعيد
الحاجيين وبنان وسعيد بن عثمان النفاط واعتقلوا في يد ندير الحرمي. وكان
سعيد بن عثمان النفاط أحد من سعى للخاقاني في الوزارة، فقضى حقه بأن
قلده أعمالاً كثيرة جليلة.

وفي هذه السنة ضرف عبد الله بن إبراهيم المسمعي عن أعمال المعاوين
بفارس وتقلدهما بدر الحماسي وكان بدر يتقلد أعمال المعاوين بإصبهان فنقل
إلى أعمال فارس وكرمان وقلد مكانه عليّ بن وهسوزان الديلمي.

وخلعت سنة إحدى وثلاثمائة

وزارة أبي الحسن عليّ بن عيسى الوزارة

وفيها تقلد أبو الحسن عليّ بن عيسى الوزارة وقت قدومه من مكة وخلع
عليه، وركب من دار السلطان إلى داره، وركب معه مونس الخادم وغريب
الخال وسائر القواد والعلماء، وسلم إليه في يوم الخلع محمد بن عبيد الله
الخاباني وابناه، وجميع من سبّتهم [91] فيما تقدّم، فصادرهم مصادرات
قرية الأمر، واستخرج منهم جميع ما صادرهم عليه.

ثم أطلق الخاقاني إلى منزله، ووكل به فيه، وصان حُرْمَهُ أتم^(١) صيانة، وأوقع بأي الهينم ابن ثوابه مكروهاً.

ثم صار ينظر في أمر الأعمال في دار الوزارة بالمخزّم ييكر إليها في كل يوم، ويعمل فيها إلى آخر أوقات صلاة العشاء الآخرة ثم يتصرف إلى داره. وكب إلى كل واحد من العمال بما جرت العادة به من تشريف أمير المؤمنين إتياء بالحلج، وردّ أمر الدواوين والمملكة إليه، ويمرّهم على مواضعهم ويأمرهم بالجدّ والإجتهاد في العمارة، ويقول في آخر كتابه:

«وهذا عنقوان السنة وأول الإفتاح ووقت حموم الخراج، ولست أعلم ما يجب أن أطلبك به فذكره وأخاطبك عليه، ولكّني أملك أن تحمل صدراً من المال يتوفّر مقداره، وتنفذ الرسائل بذلك مع الجواب عن كتابي هذا عند نظرك فيه وتكتب إليّ بشرح الحال في أمور نواحيك وتنفذ مواضع تقف عليها وبها على موقع أترك فيها ومخاتل تدبيرك في توفيرها وتتميرها، وتستوقف عن إمضاء التسيّيات وما يجري مجراها إلى أن ترد عليك كتبي وتوفيعاتي في استثمارتك^(٢) [٥٢] عتاً يكون عملك عليه، وتمكّن في نفسك أنّه لا رخصة عندي ولا هوادة في حقّ من حقوق أمير المؤمنين أعضي عنه، ولا درهم من ماله أسامح فيه ولا تمصير في شيء من أمور العمل أصير لقريب أو بعيد عنه، ولا تكون بإظهار أنني حميل في ذلك أشدّ عناية منك بانصاف الرعيّة والعدل عليها ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها، فأني أطلبك بذلك كما أطلبك بتوفير حقوق السلطان ونصحيحها وصيانة الأموال وحياطتها، وتابع كتبك بما يكون منك وقتاً وقتاً لأعرفه إن شاء الله.»

وقلّد بعد ذلك الدواوين جماعه وعزل جماعه، وفعل مثل ذلك بالعمال،

١. في مد: أي صيانة.

٢. في مد: في استثناء رأيك، في مد: في استتار رأيك والرسم في الأصل لا يحتمل ذلك

ونظر إلى من تعود اقتطاع الأموال السلطانية، وإقامة سرورات نفسه منها، وقصر في العمارة، واعتمد غيره، فعزل أمثال هؤلاء.

ثم عمر الثغور والبيمارستانات وأدرّ الأرزاق لمن ينظر فيها وأراح عمل المرضى ولقّوام، وعمر المساجد الجامعة، وكتب إلى جميع البلدان بذلك ووقع إلى العمال به، وكتب إلى العمال في أمر المظالم كتاباً نسخته.

«بسم الله الرحمن الرحيم، سبيل ما يرفعه إليك كلّ واحد من المتظلمين قبل السوروز من مظلمته، ويدّعي أنّه تلف بالآفة من غلّته، أن تعتمد في كشف حاله على أوثق ثقاتك^(١) [93] وأصدق كفاتك حتّى يصحّ لك أمره، فتزيل^(٢) بالظلم فيه، فترفعه وتضع الإنصاف موضعه، وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسبه، وتستوفي الحراج بعده، من غير محاباة للأقوياء ولا حيف على الضعفاء، فاعمل فيما رُسم لك ما يظهر ويذيع ويشتهر ويشيع، ويكون العدل به على الرعيّة كاملاً، والإنصاف لجميعهم شاملاً، إن شاء الله.»

وكتب في إسقاط مال التكملة بفارس كتاباً وفي جمع ما يشبه ذلك كتاباً مشهورة مستحسنة.

فساس أبو الحسن عليّ بن عيسى الدنيا أحسن سياسة، ورسم للمعمال

١. في مط: أوثق ثقتك.

٢. في الأصل فيزيل. والتصحيح من مط.

الرسوم^(١) الجميلة وأنصف الرعيّة، وأزال السنن الجائرة، ودبّر أمر الوزارة والدواوين وسائر أمور المملكة بكفاية تامّة، وعمّاف وتصور وديانة، ونظر في المظالم وأبطل المكس بمكّة، والتكملة بفارس وسوق بحر بالأهواز، وجباية الحمر بديار ريعة فبانت بركته على الدنيا، وعمر البلاد وتوفّر الإرتفاع، واستقام أمر السلطان وعادت هيبة الملك، وصلاح أمر الرعيّة.

ثمّ أسقط عليّ بن عيسى الوزير أكثر ما زاده الخافائي في وزارته في دواوين الحند وإقطاعاتهم، وكانت هذه الزيادة قد لحقت الفؤاد وسائر أوصاف الحند، ولحقت الخدم والهاشية [94] وجميع الكتاب والمتصرّفين، وكانت كثيرة.

فلما أسقطها عاداه أكثر الناس وشتّوا عليه بالضيق والشحّ وقطع الأرزاق، وإنّما اضطرّ إلى ذلك لما رأى نفقات السلطان زائدة على دخله زياده مفرطة تخرج إلى هدم بيوت الأموال وصرفها في نفقات يستغنى عنها.

مناظرة بين عليّ بن عيسى وابن الفرات

وحكى ثابت بن شيّان^(٢) عني عليّ بن عيسى أنّه قال: كنت عمت عملاً لإرتفاع الممّكة وما عليّ من الخرج، فكأن الخرج زائداً على الدخل بشيء كثير، فقال لي ابن الفرات يوماً بعد صرفه إتياني وقد أخرجت إليه في دار السلطان لينظرني:

«أبطلت الرسوم وهدمت الإرتفاع»

فقلت له:

«أيّ رسم أبطلت؟»

١. في مطب. الرسالة الجميلة

٢. كذا في مطب. سنن. وما في الأصل ومد شيّان، والرواية موجودة في كتاب الورراء: ٣٢٣

قال : «المكسر بمكة والتكملة بفارس»

فقلت : «وهذا وحده أبطلت؟ وقد أبطلت أشياء كثيرة فمنها ومنها - وعدادت أشياء يبلغ جميعها خمسمائة ألف دينار في السنة - ولم أستكثر هذا المقدار في جنب ما حططه عن أمير المؤمنين من الأوزار وغسلت به عن دولته من الدرن والمار ولكن انظر مع ما حططت وأبطلت إلى ارتفاعي وارتفاعك ونفقاتي ونفقاتك.»

قال ثابت : فقلت : [95]

- «فبأي شيء أجابك؟»

فقال : «خرج الخادم ففرق بيننا قبل أن يجيب.»

قال : وحدثنني أحمد بن محمد بن سمعون وكان ينظر في أعمال النهروانات، قال

«مسحنا على الناس علانهم فإذا بعض النساء قد ذهب إلى باب الوزير علي بن عيسى ونحن لا نعلم، فتظلم أنا زنا عليه في مساحة قراح له، فلم نشعر بشيء إلا وقد جاءنا عامل يعرف بابن البدال ومعه فوج^(١) من مساح بادوريا وفرسان ورجالة، فلم يشك في أنه صارف لنا، فقال لي صاحبي: أحب أن تتلفاه وتتسهم الخبر ففعلت وتلقيته وعرفت خبر المتظلم، فعرفت صاحبي ذلك فقال لي»

- «لا تدري كيف جرى أمر مساحته؟»

قلت : «لا.»

قال : «فأخرج حتى توافف وتجهد.»

قال : فخرجت ومعى مساح البلد الذين مسحنا بهم واستقصيت معهم، وما

رلت أطف إلى أن تفردت المساحة، وكنا مسحنا القراح باثنين وعشرين جريباً فخرجت مساحتها إحدى وعشرين جريباً وقفيز، فاحتججت بأن القراح مسح وفيه غلة قائمة ومسح في هذا الوقت بعد الحصاد، وليس بمنكر أن يكون بين^(١) المساحتين في الحالتين هذا المقدار وانصرف ابن البذل^(٢). [96]

وورد عليه كتاب علي بن عيسى بالصواعق في الإنكار والتوعد، بأنه إن وقف على أن أحداً من الرعية حيف عليه في معاملة أو مساحة فعل وصنع. قال: فما جسرنا أن نستقصي على أحد في معاملة، فلما كان في السنة المقبلة زاد الإرتفاع في العشرة ثلاثة لأنّ الخبر انشر بالعدل وقيل: قد رُفع الحيف والظلم فنشط الناس للإزدياد من العمارة وفعل مثل ذلك في المضالم. وحكى ابن المشرف أن بعض عمال بادوريا طالب بالحراج وبقايا عليهم وحبس أهلهم فصبروا على الحبس فميتهم فصبروا على القيد ولم يجسر أن يوقع بهم خوفاً من علي بن عيسى فكتب بحضرتهم إلى علي بن عيسى بضربه عليهم غاية التصريب ويقول:

- «إن هؤلاء هم يُدَلّون بالحد، وعليهم أموال وقد أُلْطوا وصبروا على الحبس والتقيّد، لومتى لم تطلق اليد في تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسى بهم أهل السواد فظل الإرتفاع والوزير أعلى عيناً وما يراه^(٣)»
قال القوم: فجزعنا وحفنا أن يطلق يده فيما فيتلقنا لما كان في نفسه علينا، وهممنا بأن ندعن له. ثم اجتمع رأينا على التوقّف إلى أن يرد الجواب. قال: فورد وإذا هو قد وقّع بخطه على ظهر الرقعة

١. بين، سقطت من مط.

٢. في مط البقال.

٣. في مط. والوزير عبثاً وما يراه.

- «الخراج - عافاك الله - دين وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تمتد [97] ذاك إلى غيره، والسلام.»

قالوا: فقرج عنا وأدبنا الصحيح معاً علينا. فلما كانت السنة القابلة زاد ارتفاع بادوريا في العشرة اثنين وزرعنا حتى السطوح ثقة بالعدل والإنصاف.

تزوير توقيعات الوزير المصروف

ولما صُرف أبو علي الخاقاني عن الوزارة أكثر الناس التزويرات عليه وعُرضت توقيعاته على علي بن عيسى، فأبكرها وجمعها وأنفذ بها إلى أبي علي الخاقاني وقال:

- «أنظر في هذه التوقيعات وعزفتي الصحيح منها والباطل الذي زور عليك.»

وتفق^(١) أن حضر رسوله وأبو علي الخاقاني بمصلى. فوضع الرسول التوقيعات بين يدي أبي القاسم ابه وأدى الرسالة، فأخذ أبو القاسم يميئها ويفرد الصحيح منها، فأوماً إليه أبوه بالتوقف فتوقف، فلما فرغ من الصلاة أخذها فتصفّحها، ثم خلطها ودفعها إلى لرسول وقال:

- «تقرأ على الوزير السلام وتعزفه أن هذه التوقيعات كلها صحيحة وأنا أمرت بها فما رأيت أن تمضيه أمصيته وما رأيت إبطاله أبطلته.»

فلما انصرف الرسول قال لابنه:

- «يا بُنَيَّ، أردت أن تبغضنا إلى الناس بلا معنى ويكون الوزير قد التفت بالشوك بيدك؟ نحن قد صرفنا فلم لا تتحجب إلى الناس بامضاء كل ما زور علينا، فإن أمضاه كان الحمد لنا والصرر عليه، وإن أبطله كان الحمد لنا والدم

له. ١١

فاستحسن الناس هذا الفعل [98] من أبي علي، إلا أن علي بن عيسى تقدم إلى الحلق من الخاصة والعامة والخاصة بإسقاطه^(١) الزيادات التي صارت عند أصحابها كالأصول وأطراحه النفقات التي تعود بتمزيق الأموال بغير فائدة، فتقلت وطأته وكره الناس أيامه وقصدوا التشيع عليه، وطلبوه عند المعتذر بالله، وسعى قوم لأبي الحسن ابن الفرات في الوزارة.

القبض على الحسين بن منصور الحلاج بالسوس

وفي هذه السنة قبض على الحسين بن منصور الحلاج بالسوس، وأدخل بغداد مشتهراً على جمل^(٢)، وكان حُمل إلى علي بن أحمد الراسبي، فحمله علي إلى الحضرة، فصُلب وهو حي، وصاحبه وهو خال ولده معه في الجانيين جميعاً، وحُبس الحلاج وحده في دار السلطان وظهر عنه بالأهواز وبمدينة السلام أنه ادّعى أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف من الناس.

أحداث أخرى

وفيها أطلق الوزير أبا علي الخاقاني وأزال عنه التوكيل.

وفيها مات علي بن أحمد الراسبي بدور الراسبي، وتقدم مونس الخادم بمشورة علي بن عيسى لقبض أمواله، وكتب إلى النعمان بن عبد الله بالمصير إليه والاجتماع معه على ذلك، فكتب أنه حصل منها نحو ألف ألف دينار.

وفيها خلع على الأمير أبي العباس بن المعتذر بالله، وقُلد أعمال الحرب

١. في مط: بالتقصصه.

٢. في مط: مشتهراً على الحمل.

بمصر والمغرب واستُحلف [99] له على مصر مونس الخادم.
وقد الأمير على ابن المقتدر بالله الصلات وأعمال المعاون والأحداث
والحرب بكون الرئ ودباوند وقزوين وزنجان وأهر والظرم
وفيها ورد الخبر بقتل^(١) إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان على شاطئ
نهر بلخ، قتله غلمانه، وقام مقامه أبو الحسن نصر ابنه. فنقذ الهد إليه من
المقتدر بالله والكتاب بتقليده خراسان مكان أبيه.

قتل أبي سعيد الجنابي

وفيها ورد الخبر بأن خادماً لأبي سعيد الجنابي الحسن بن بهرام المصلب
على هجر قتله. ثم إن ذلك الخادم خرج بعد قتله مولاه، فدعا رجلاً من
رؤساء أصحابه وقال :

« السيد يدعوك. »

فلما دخل قتله وما زال يفعل ذلك بواحد واحد إلى أن قتل أربعة من
الرؤساء ثم دعا بالخامس فأحس الخامس بالقتل، فصاح وأطلع النساء عليه
وصيخن، فقبض على الخادم قبل أن يقتل الخامس. وقتل الخادم وكان
صقلابيا وقد كان أبو سعيد عهد إلى ابنه سعيد فلم يضطلع بالأمر فغلبه أخوه
الأصغر أبو طاهر سليمان بن الحسن.

وقد كان القرامطة وافوا إلى باب البصرة في سنة تسع وتسعين ومائتين.
وكان المتقلد لأعمال المعاون بالبصرة محمد بن إسحاق بن كنداجيق وكان
يوم الجمعة والناس في الصلاة، فصاح صائح : [100]

« القرامطة القرامطة. »

١. وزاد في مد أحمد بن.

فخرج إليهم الموكلون بالباب فوجدوا فارسين قد نزل أحدهما عند الميل، فمظروا إليه البوابون جالساً متكئاً قد وضع إحدى رجليه على الأخرى والآخر يازاتهم فصاحوا به، وبدر إليه رجل من الخوّل، فطعنه القرمطي وقتله وتراجعوا، فبكى أخوه فقالوا له:

«ارجع فجزّ برجله وخذ لعنكما الله.»

قالوا: «ومن أئماً؟»

قالوا: «نحن أسومنون.»

ثم تنحى فحبا حتى أخذ أخاه ودخلوا فأغلقوا الباب، وركب ابن كنداجيق بمن معه من الجيش حتى صار إلى الموضع فمظروا الديهقان عند صهاريج الحجاج إليهم فقالوا:

«إنهم نحو ثلاثين فارساً.»

فخرج إليهم عطاردين شهاب العنبري وخواصه وغلمان من شحنة البصرة والموطوعة، فقتل أكثرهم ولم ينح منهم إلا من هرب قبل المعايقة، وسلبوهم وبم يتركوا عليهم شيئاً إلا السراويلات بغير تكك ثم ضربوهم ضربات قبيحة ورجع ابن كنداجيق وغلق الباب وجثه الليل.

فلما أصبح لم ير منهم أحداً، فكتب إلى ابن الفرات - وكان هو الوزير في الوقت - يستنحده، فأمدّه بمحمّد بن عبد الله الفارقي في جيش كثيف وقائد من الرجال يعرف بقوروبه، وجمعر الزرنجى في نفر من الرجالة معونة لابن كنداجيق.

عليّ بن عيسى الوزير والقرامطة

فلما تقلد أبو الحسن [101] عليّ بن عيسى الوزارة شاوره المقتدر في أمر القرامطة فأشار بمكاتبة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجسّاسي، فستفدّم إليه

بعكاتبته وإيماذ الكتاب على يدي من يرى، فكسب كتاباً طويلاً جداً يذكرهم بالله ويدعوهم إلى الطاعة ويقول في آخره:

«إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ كِتَابَهُ هَذَا ظَهْرِيًّا^(١) عَلَيْكَ وَحِجَّةً مِنْ اللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ، وَقَاطِعاً لِعِلَّتِكَ، وَبَاباً يَعْصَمُكَ إِنْ صَدَقْتَ عَمَّا أَرَادَهُ مِنَ الْخَيْرِ بِكَ. وَعَظَمْتَ النِّعْمَةَ فِيمَا بَذَلَهُ مِنَ الْمَهْدِ لَكَ.»

ونفذ الرسل، فلما وصلوا إلى البصرة انتهى إليهم قتل أبي سعيد، فتوقفوا عن السير وكاتبوا الوزير علي بن عيسى بذلك واستطلعوا رأيه، فعاد الجواب إليهم بالسير إلى أولاده ومن قام بعده مقامه، فتعموا السير وأوصلوا الكتاب وأدوا الرسالة، فأجابوا عن الكتاب وأطلقوا الأسرى الذين تكلم بهم الرسل، وعاد بهم الرسل إلى بغداد.

ودخلت سنة اثنتين وثلاثمائة

وفيها قبض على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص الجوهري وأُخذ إلى داره جماعة حتى حملوه إلى دار السلطان فأخذ منه من المال والجوهر ما قيمته أربعة آلاف^(٢) [102] وكان هو يدعى أكثر من ذلك بكثير ويتجاوز في ذلك عشرين ألف ألف دينار وأكثر.

وفيها خرج أبي الحسين بن علي العلوي^(٣) وتغلب على طبرستان وألقب الداعي فوجه إليه أخوه صعلوك جيشاً فلم يشبوا له وانصرفوا فعاد العلوي إليها.

١. في الأصل، ظهرياً. والصواب «ظهرياً» كما جاء في حواشي مد.

٢. والصحيح كان ستة آلاف ألف دينار. انظر، صلة عريب، ص ٤٨. وربما سقط من الأصل «ألف». ومط هنا ناقصة.

٣. هو الأطروش. انظر، صلة عريب: ٤٧.

ودخلت سنة ثلاث وثلاثمائة
خروج الحسين بن حمدان عن طاعة السلطان
وما كان من عاقبته

وفيها ورد الخبر بأن الحسين بن حمدان قد خالف وخرج عن طاعة السلطان. وكان مونس الخادم غائباً قد أُخرج إلى مصر لمحاربة العلوي صاحب المغرب^(١) لَمَّا قصد مصر في تَيْف وأربعين ألفاً.

فندب له الوزير علي بن عيسى رائقاً الكبير وخلع عليه، وكتب إلى مونس يعرفه الخبر ويأمره بالمسير إلى ديار مُضَرَ إذا انصرف من مصر، وأن يجذب معه أحمد بن كيقلغ وعلي بن أحمد بن بسطام والعبّاس بن عمرو ليصلح الديار فيزيل الإختلال ويحفظ الثغور وخاصة الخززية منها فقد كان جرى على حصن منصور من قصد الروم إتياء وسبيهم كل من كان في نواحيه أمر عظيم لتشاكل الناس بالحسين بن حمدان عن الغزاة الصائفة.

ولَمَّا صار رائق إلى الحسين بن حمدان أوقع به الحسين، فصار رائق إلى مونس واتصلت [103] كتب علي بن عيسى الوزير إلى مونس بالإسراع نحو الحسين، فجدَّ مونس في المسير، ولَمَّا قُرب من الحسين جاءه مروان^(٢) كاتب الحسين وخرت بينه وبينه خطوب، كتب بها مونس إلى علي بن عيسى، وذكر أن مروان أوصل إليه كتاباً من الحسين يتضمن خطاباً طويلاً قد افتتحه وختمه وكرّر القول في فصوله :

- «بِن السبب في خروجه عمّا كان عليه من الثقة والطاعة عدول الوزير

١. هو المهدي أبو القاسم عبد الله انظر حواشي مد

٢. هي الأصل مَرْوَن (بالضبط) فقرأ في مد: «هرون» ثم هارون (دون توجيه) فأثبتناه «مروان» كما يقرأ من رسم الأصل.

«أيده الله - عما كان عليه في أمره إلى ما أوحشه وأنه لم يف له بضمانات ضمنها له.»

وذكر أنه قد اجتمع له من قبائل العرب ورجال العشيرة ثلاثون ألف رجل، وأنه سأل الرسول عما حمله الحسين من الرسالة إليه، فذكر أنه يسأله المقام بحرّان إذ كانت تحمل عسكره، وأن يكاتب الوزير - أعزّه الله - في أمره ويسأله صرفه عما يتقلده من الأعمال، وتركه مقيماً في منزله وتقليد أخيه دينار ربيعة، وأنه عرفه أن هذا متعذر غير ممكن، إذ كانت كتب الوزير متصلة إليه بالإنجاب، وأن مخالفته غير جائز وأنه لا يدع الكتاب فيما سأل، ولا يشنيه ذلك عما رسمه الوزير - أعزّه الله - فإن عزم على اللقاء فبالله يستعين على كل من خالف السلطان - أعزّه الله - وجحد نعمته وإن انقاد للحقّ وسلك سبيله وصار [104] إليه فنزع عما هو عليه كان ذلك أشد به، وإن أبى وأقام على حاله من التعرّز والمخرقة لفيه بمضر بأسرها، وصان رجال السلطان مع وفور عددهم عن التعرّض لطعامه، لا لىكول عنه منه، لكن لاستهانته بأمره، وأنه وكل بكاتبه هذا المترسّ عنه، وأنه لا يأذن له في الإنصراف إلّا بعد أن يعرف خبر الحسين.

ثم وردت الأخبار برحيل موسى حتّى نزل بإزاء جزيرة بنى عمر ورحيل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده وأمواله.

ثم انفلّ عسكر الحسين وصاروا إلى مونس أولاً أولاً.

وورد كتاب مونس بأنه قد صار إليه من أقرباء^(١) الحسين وغلماؤه وثقاته ووجوههم سبعمائة فارس، وأنه خلع على أكثرهم ونفد ما كان معه من الحلح والمال، وأنه في احتيال باقى ما يحتاج إليه.

١ كذا في الأصل: أقرباء، في مد أمره (خلاقاً للأصل).

ثم ورد كتابه بأسر الحسين بن حمدان وجميع أهله وأكثر من صحبه، وقبض على أملاك بني حمدان بأسرهم ودخل مونس ومعه الحسين وابنه بغداد.

فلما كان بعد يومين حُمل الحسين من باب الشقاسية إلى دار السلطان مصلوباً على ثقيق،^(١) منصوباً بأعلى ظهر مالح^(٢) وابنه مشهور على جمل آخر واليرانس على رؤوسهما، وسار بين يديه الأمير أبو المباس ابن المقتدر بالله، [105] والوزير أبو الحسن علي بن عيسى، والأستاذ مونس الخادم وأبو الهيثم عبد الله بن حمدان وإبراهيم بن حمدان وسائر القواد والجيش والقيلة، فلما وصلوا إلى دار السلطان وقف الحسين بين يدي المقدر بالله، ثم أمر بتسليمه إلى زيدان الفهرمانه وحُبس عندها في دار السلطان.

وشعب الرجال والحجرية بعد حصول الحسين بن حمدان، وأحرقوا اصطبل الوزير وطالبوه بالزيادة في أرزاقهم، فزيد بكل غلام ثلاثة دنانير في كل شهر من شهورهم، وزيد الرجال كل راجل^(٣) نصف وربع دينار في كل شهر، فسكن الشغب.

وقبض على أبي الهيثم عبد الله بن حمدان وجميع أخوته وحُبسوا في دار السلطان، وكان هرب ابن الحسين^(٤) بن حمدان في جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته آمد، فأوقع بهم الحرري وقتل ابن الحسين وجماعة من أصحابه، وحملت رؤوسهم إلى الحضرة وُصِّل قوم من أصحاب الحسين بن حمدان.

١ يثقيق كذا في الأصل ومط، ثقيق.

٢ كذا في الأصل - مالح (بالهاء المهملة) في مط ومد مالح.

٣ كذا في الأصل: راجل في مط ومد: ١٥.

٤ في مط أبو الحسين، بدل ١٥.

ودخلت سنة أربع وثلاثمائة

غلام وهسودان يقتل أحمد بن سياه

وفيها لقي بإصبهان غلام لعلي بن وهسودان الديلمي وكان يتقصد أعمال
المعاون بها أحمد بن سياه عامل الخراج بها، أنفذه صاحبه إليه في حاجة،
واففق أنه لقيه وهو [106] راكب، فكلّمه في الحاجة، فاشتد ذلك على أحمد
بن سياه، وقال له :

- « يا مؤاجر تخاطبني في حاجة على ظهر الطريق؟ »

فانصرف الغلام إلى مولا محفظاً، وحدّثه بما جرى، فقال له :

- « صدق فيما قال، ولولا أنك مؤاجر لصربت رأسه بالسيف لئلا خاطبك
بذلك، فعاد الغلام ووجد أحمد بن سياه متصرفاً فعلاه بالسيف وقتله، فأكر
السلطان ذلك عليه وصرف علي بن وهسودان لأجل ذلك من إصبهان بأحمد
بن مسرور البلخي، فاستأذن علي بن وهسودان في الإنصراف إلى بلد الديلم،
فأذن له، ثم سأل بعد ذلك في أمره مونس الحادم فرضى عنه وأقام بنواحي
الجبل.

وفيها قدم محمد بن علي بن صلوك مدينة السلام وهو ابن عم صاحب
خراسان مستأجراً فحلّ عليه.

رُزْبُ عَلِي السطوح

وحيلة للسلطان

وفيها في فصل الصيف نزع عب العامة من حيوان كانوا يستقونه الرّيب،^(١)

١. في الأصل ومط: الرّيب، بالرّاءين المهملتين، في مط ومعد الرّيب (بالإعجام)، والرّيب دابة
كالثور، أي الهزّ والرّيب: قطع من بقر الوحش.

ذكروا أنهم يرونه في الليل على سطوحهم، وأنه يأكل أطفالهم. قالوا: وربما قطع يد الإنسان إذا كان نائماً، أو ندى المرأة فيأكله. وكانوا يتحارسون طول الليل ولا ينامون ويتزاعفون ويضربون الطسوت والصواني والهواوين ليفزعوه. وارتبجت بغداد لذلك، حتى أخذ السلطان حيواناً غريباً أبلق، كآته من كلاب الماء. وقال -

- «هو الرئوب، وأنه صيد».

فصلب [107] على يقي عند الجسر الأعلى، وبقي مصلوباً إلى أن مات. فلم يغن ذلك إلى أن انبسط القمر، وتبين للناس أنه لا حقيقة لما توهموه، فأمسكوا. إلا أن اللصوص وجدوا فرصتهم بشاغل الناس في سطوحهم، فكثرت القوب.

الوزير يصلى على جنازة

شار على أنها جنازة ابن الفرات

وفيها تقرر عند أبي الحسن علي بن عيسى الوزير أنه قد سعى لابن الفرات في الوزارة وتحققه، فاستعفى منها، ولم يُعفه المقتدر. وأظهر في دار السلطان أن ابن الفرات عليل شديد العلة.

واتفق أن مات الشاري الذي كان محبوساً في دار السلطان، والتدبير في أمر الشراة^(١) أن يكتنم موت من يؤخذ منهم، ممن تسميه الشراة إماماً، فإنه ما دام حياً فليس ينصبون إماماً غيره، فإن صحّ عندهم موته نصبوا غيره. فأظهر في دار السلطان أن ابن الفرات مات وكفن الشاري وأخرجت جنازته على أنها جنازة ابن الفرات، وصلى عليه الوزير علي بن عيسى، ثم انصرف

إلى منزله متوجّحاً وقال لخواصه :

- «اليوم ما ب الكتاب».

ثم مصت الاتهام ووقف على بن عيسى من جهات كثيرة على تمام السعي لابن الفرات، وأنه حي، فقال لخواصه :

- «ليس ينبغي للإنسان أن يتحدث بكل ما يسمعه».

صرف على بن عيسى عن الوزارة

وكان يضر في أوقات من سوء [108] أدب الحاشية والمطالبة بالمحالات، واستغنى عن الوزارة ويخاطب المعتز في ذلك، فينكر عليه استعائه.

إلى أن اتفق يوماً أن صارت إليه أم موسى الفهرمانية في آخر ذي القعدة من سنة أربع وثلاثمائة لتوافقه^(١) على ما يطلق في عيد الأضحى للحرم والحاشية، وكان على بن عيسى محتجباً، فلم يجسر سلامة حاجبه عليه أن يستأذن لها فصرفها صرفاً جميلاً. ففضبت من ذلك وعلم على بن عيسى بحضورها وانصرافها، فأمر أن يُلتبس ويُعتذر إليها ليرجع، فأبى أن تعود، وصارت إلى المعتز والسيدة، فأغرت به وتخرّصت عليه الأحاديث، فصرفه المعتز بالله وقبض عليه غداة الإثنين^(٢) لثعاني حلون من ذي الحجة سنة أربع وثلاثمائة عند ركوبه إلى دار الخلافة، ولم يعرض لشيء من أملاكه وضياعه وضياع أسبابه، ولا لأحد من أولاده، واعتقل عبد زيدان الفهرمانية.

فكانت مدة وزارته هذه ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً

١. كذا في الأصل : لتوافقه في مط لتوافقه

وزارة أبي الحسن علي بن محمد

ابن الفرات الثانية

وفيها تقلد أبو الحسن الوريث والدواوين لثمان خن من ذي الحجة، وخلع عليه وحصار [109] إلى داره بالمخزم^(١) التي كان أقطعها في وراثته الأولى، وكتب إلى الأطراف والبلدان عن المقتدر بالله بخير إعادته إلى الوزارة على نسخة أنشأها أبو الحسين محمد بن جعفر بن ثوبة، وفي فصل منه:

- «ولمّا لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه ولا لملك بدأ منه، وكان كتاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت ما بين أخطارهم مقرّين برئاسته معترفين بكفايته متحاكمين إليه إذا اختلفوا واقفين عند غايته إذا استبقوا مذعنين بأنّه الخول القُتب المحصّن المحرّب العالم بذرة المال كيف تُحلب ووجوهه كيف تُطلب، انتضاء من غمده، فعاد ما عُرف من حده، فنقذ الأعمال كأن لم يقب عنها، ودبر الأمور كأن لم يخلُ منها. ورأى أمير المؤمنين ألا يدع سبباً من أسباب التكرمة كان قديماً جعله له إلا وقاه إيّاه، ولا نوعاً من أنواع المتوبة والجزاء كان آخره عنه إلا حباه به وآتاه»

فخاطبه بالتكثيرة وكان وكان.

وقضى ابن الفرات على أسباب علي بن عيسى وأخوته وكتابه وجميع

١. في مطبوع: المحرم (بالنساء البهنية).

عَمَّالَه بالسواد وبالمشرق والمغرب، وصادرهم سوى أبي الحسين وأبي الحسن إيسى أبي البغل فإنه أقرهما على ما كانا يتوليانه من أعمال إصهار والبصرة، لعناية أم موسى [110] بهما، وقبض على أبي علي الحافاني وتتم أسبابه، وألزم جميعهم مصادرة ثانية أقرها، وطالب المال المصروفين بالمصادرة وأن يظهروا المرافق ويؤدوها، ونصب ديواناً للمرافق، وكان ضمن للمقتدر ووالدته من هذه الحصة كل يوم ألفاً وخمسمائة دينار، وكانت تُنسب إلى مال الخريطة، فكان يحملها ولا يمكنه الإحلال بها وكان منها للمقتدر في كل يوم ألف دينار، وللستة في كل يوم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ديناراً، وثلاث، وللأميرين أبي العباس وهارون ابني المعتذر في كل يوم مائة وست وستون ديناراً وثلاثاً.

وكان ابن الفرات قد اتسع بما كان يستسلمه^(١) علي بن عيسى من الخراج، فإنه قد كان جبي قطعة منه قبل الافتتاح وابتدأ بذلك قبل صرفه بعشرة أيام، وأعد المال في بيت المال لينعمه في العيد في إعطاء الحشم والفرسان والأتراك، فتويت نفس ابن الفرات به وانضاف إلى ذلك حملة عظيمة راجت له من مال المصادرات والصميات، وأموال سفاتج وردت من فارس وإصهان ونواحي^(٢) لمشرق في درج كتب بحمول كتبت على أنها تصل إلى علي بن عيسى فأطلق جميع ذلك في الفرسان والحشم والخدم ومهمل الملفات.

وكان الغالب [111] علي أمر الدواوين والأعمال في أيام وزارة ابن الفرات هذه من بين سائر كتابه أبو بشر عبد الله بن فرجويه، وكان السبب في ذلك أنه سلم من الكية وقب القبض علي ابن الفرات في الدفعة الأولى، واستتر

مدة وزارة الخاقاني وعلي بن عيسى، وواصل بعد ما مضت سنة واحدة من وزارة علي بن عيسى مكاتبة ابن الفرات علي يد عيسى المتطبب، وكان ابن الفرات يجيبه عن رقاعة ويرسم له ما يكاتب به المقتدر عن نفسه، في معائب علي بن عيسى وكتابه وعماله، وأنه ليس يصادر أحداً من عماله ويقول

« لا أخون عاملاً بعد أن انتمتته. »

ويذكر تأخر أرزاق الولد والحرم والحشم، حتى إنه اقتصر بالولد والحرم على جاري ثمانية أشهر في السنة، والخدم والحشم بستة أشهر من السنة، واقتصر بالفرسان من مائة وخمسين ألف دينار تُطلق لهم في الشهر على خمسين ألف دينار.

وكان المقتدر يوقف ابن الفرات على تلك الرقاع، فيعرفه أن ابن فرجويه خير بالأمور، وأنه صادق في كل ما ذكره فيهم المقتدر بصرف علي بن عيسى، فإذا شاور مونساً في ذلك أشار عليه أن لا يفعل. ووصف علي بن عيسى بالديانة والأمانة.

فلما خرج موسى إلى مصر لبعارية العلوي [112] صاحب المغرب، تمكن ابن فرجويه من الجد في السعي على علي بن عيسى، وكان غريب الخال وبصر الحاحك يدفعان عن علي بن عيسى لما غاب موسى. فلما تبين ابن^(١) فرجويه دفع غريب ونصر عن علي بن عيسى، كتب رقعة بخطه إلى المقتدر، يذكر فيها أنه إن صرف علي بن عيسى عن الوزارة، وقلد مكانه علي بن محمد ابن الفرات، أطلق للولد والحرم والحشم ولعن بالحضرة من تفريق الفرسان مثل ما كان يطلقه في أيام وزارته الأولى على التمام

١. كذا في الأصل ومط: ابن. في مد لابن

والكمال والإدراة وأن^(١) يوفّر بعد ذلك من مال مصادرات العمّال ومال مرافقهم والاستثبات في النواحي في كلّ شهر من شهور الأهلة خمسة وأربعين ألف دينار.

فوافق المقدّر ابن الفرات على هذه الرقعة، فذكر أنّ جميع ما تصمّنته صحيح. وبدل خطّه بضمانه جميع ذلك فكانت هذه الرقاع من أكبر أسباب الحاققه على ابن فرجويه في وزارته هذه واحتصاصه به.

واتفق له مع ذلك أنّ ابن الفرات أودع على يده عند جماعة من التجار والكتاب أموالاً حليلة، ولم يقرّ ابن الفرات بما كان أودعه ابن فرجويه، لأنّه لم يكن يعرف أسماء من أودع ذلك عنده. فلمّا عاد إلى الوزارة استخرج له ابن فرجويه جميع ما كان أودعه له من غير [113] أن يذهب له شيء منه. وكان أبو عليّ بن مقلة متعطّلاً في أيام وزارة الحاقاني، وعليّ بن عيسى ملازماً منزله واستتر أيام الحاقاني. ثمّ آمنه عليّ بن عيسى، صلّم مرله فشكر له ابن الفرات واختصّ به لهذه الحال.

ذكر ما جرى من ابن أبي الساج عند

تداول الوزارة الأيدي الكثيرة

لما وقف يوسف بن أبي الساج على الخبر في صرف عليّ بن عيسى عن الوزارة، وكان مقيماً بأذربيجان ومنقلاً أيام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال الصلاة والحرب والمعاون والخراج والضياح العامة بأرمينية وأذربيجان، ومقاطعاً على مال يحمله في كلّ سنة عنها إلى بيت المال بالحضرة، وكان يزيج العلة في ذلك المال مدة أيام وزارة ابن الفرات الأولى. فلمّا ولي أبو

١. أن: تبدو رائدة وهي موجودة في كلّ من الأصل ومط.

عليّ الخاقاني الوزارة ثمّ عليّ بن عيسى، طمع فأخّر أكثر المال الذي كان يقطع عليه، واجتمع له من ذلك ما قوى به وحمله على العصيان.

ذكر ما دبره ابن أبي الساج واحتال به

أظهر أنّ عليّ بن عيسى أنفذ إليه اللواء والعهد عن المقتدر بالله يستلزمه أعمال الحرب [114] بالرئى وقزوين وأبهر وزنجان قبل صرفه عن الوزارة، وسار مبادراً إليها. فلما قرب منها انصرف عنها محمّد بن عليّ صعلوك،^(١) وهرب إلى نواحي خراسان، وكان محمّد بن عليّ هذا متعلّياً على هذه النواحي، ثمّ قاطع عن الضياع والخراج مقاطعة خفيفة ولم يف بذلك أيضاً. فلما وقف ابن الفرات على ما فعله ابن أبي الساج أنهى ذلك إلى المقتدر، ثمّ ورد كتاب ابن أبي الساج بعد أيام يعتدّ بما فعله من إخراج محمّد بن عليّ صعلوك عن الرئى وما يسيها، ويبشّر السلطان بفتح هذه النواحي، ويصف أنّه لما ورد عليه العهد واللواء من جهة عليّ بن عيسى سار إليها فرزقه الله الفتح والنصر، فأغتنط المقتدر بالله من ذلك وتقدّم إلى ابن الفرات بموافقة عليّ بن عيسى على ما كتب به ابن أبي الساج، فأخرجه من محبسه^(٢) ورّقو به وخاطبه به جميل وقال له :

« قد يجوز أن تكون دبرت بهذا الفعل على صعلوك وهذا غير منكر. »

فحلف أنّه ما ولاه ولا أنفذ إليه لواء ولا عهداً وقال :

« لا بدّ للواء والعهد أن يُنفذ مع خادم من خدم السلطان، أو قائد من

قوّاده. وهؤلاء الخدم والقواد بين أيديكم، سلوهم عن ذلك، ولديوان الرسائل

١. في مط: عليّ بن معذوك

٢. في مط: مجلسه.

[115] كاتب يتقلده يكتب العهود والولايات، سلوه هل كتب بشيء؟
 فأخذ منه ابن الفرات خطأً بما حكاه وعرضه على المقتدر بالله فآزدا
 المقتدر غيظاً على ابن أبي الساج.

وكتب ابن الفرات عن المقتدر بالله وعن نفسه إلى ابن أبي الساج في هذا
 المعنى أغلظ كتب وتوعده، وأنهذ إليه من الحضرة لمحاربتة خاقان المفلحي،
 وضم إليه الرجال، وأنهذ بعده عدة من العواد مدداً له وأنفق الأموال فيهم.
 وكان فيهم مثل محمد بن مسرور^(١) البلخي وسيما الخزري ونحري الصغير
 وجماعة أمثالهم، فواقعه ابن أبي الساج وهزمه وأسر جماعة من أصحابه
 وأدخلهم مشهريين إلى الري.

وقدم مونس الخادم من الثغر، فندب بحرب ابن أبي الساج وشخص إليه،
 وكتب إلى جميع العواد في طريقه بالإنضمام إليه واستأمن إليه أحمد ابن علي
 صعلوك^(٢) فأحسن هبولة، وصرف خاقان المفلحي عما كان إليه من أعمال
 الجبل، وقد مكنه تحرير الصغير.

واتصلت كتب ابن أبي الساج يلتمس الرضا عنه ويبدل سبعمائة ألف دينار
 عن أعمال الخراج والضمايع بكورة الري وما يليها خالصة، سوى أوراق
 الأولياء في تلك الأعمال، سوى النفقات [1.6] الراتب، فلم يحبه المقتدر
 بالله إلى ما التمس فكتبه ببدل أن يقيم بالري متقلداً أعمال معاون والحرب
 بها فقط حتى ينفذ السلطان إلى تلك السواحي من يتقد أعمال الصلاة
 والخراج والضمايع والأحكام والبريد والحبر والخرائط والصدقات. فأقام
 المقتدر على أنه لو بدل كل بدل لما أقره على الري يوماً واحداً لإقدامه على
 أن سار إليها بغير أمر.

١. كد: في الأصل ومط: في مد: سرور

٢. في مط: علي بن صعلوك

فلما رأى ابن أبي الساج هذه الحال انصرف عن الرى وأعمالها بعد أن أخربها وجبى مالها لسنة أربع وثلاثمائة فى مئة قرية، وهلد موسى الرى وقزوين وصيفاً البكتمى، ورضى ابن أبي الساج بأن يحدّد له العهد والولاية للأعمال التى كانت إليه أولاً، وأشار ابن الفرات بقبول ذلك منه وضمن أن يلزمه بهذا السبب حمل جملة من المال إلى بيت المال بحسن موقعها، فعارض ذلك نصر الحاجب وابن الحواري وقالوا:

« لا يجوز أن يقرّ على أرمنية وأذربيجان إلا بعد أن يرد الحاضرة ويطأ البساط. »

ونسبوا ابن الفرات إلى موطنه، فأقام المقتدر على أنه لا بدّ من محاربته، أو يرد الحاضرة، وكتب إلى موسى بالتخلّ إليه لمحاربته. [117]

فلما رأى ابن أبي الساج أن دمه على خطر، حارب مونساً بسراه من بلد أذربيجان فانهزم مونس إلى زنجان، وقتل من قوّاد السلطان سيما، واستأسر ابن أبي الساج جماعة من قوّاد مونس فيهم هلال بن بدر، وأدخلهم إلى أردبيل مشهرين وأقام موسى بزنجان يجمع ليوسف. وهو مع ذلك يكاتبه ويراسله، وابن أبي الساج يلتمس منه الصلح ومونس لا يقبل منه إلا المصير إلى الحاضرة.

وكان ابن أبي الساج أبى على مونس لما انهزم حتى سلم فى ثلاثمائة غلام، ولو أراد ابن أبي الساج لأسره فكان مونس يشكر^(١) ابن أبي الساج على هذه الحال.

فلما كان فى المحرم بعد ذلك فى أيام وزارة حماد بن العباس واقع موسى يوسف بن أبي الساج الواقعة الأخرى بأردبيل، فأسر يوسف وبه

١. فى مط: يشكو

ضربات، وأنصرف به مونس إلى بغداد. فلما كان سنة سبع وثلاثمائة حُمل يوسف بن أبي الساج على جعل من باب الشَّاسِيَّة وأدخل بغداد مُشْهِراً، على رأسه بُرْئُس وبين يديه الجيش إلى أن وصل إلى دار السلطان ووَقَّف بين يدي المقتدر، ثم حُبِس في دار السلطان في يد زيدان المهرماني، ووسَّع عليه ثم خُلِع على موسى وطُوق وسُور [118] وخُلِع على جماعة من قَوَّاده وزيد الرجاله نصف دينار لكل واحد في الشهر.

ولما بعد مونس من أذربيجان وأكماً راجعاً إلى مدينة السلام ومعه يوسف بن ديوداد^(١) غلب سُبُك غلام يوسف عليها، فأخذ موسى إليه محمَّد بن عبد الله العارقي وولَّاه البلد، وكان في حدود أرمينية، فسار إلى سُبُك وحاربه فانهزم العارقي وحصار إلى بغداد وتمكَّن سُبُك من البلد. ثم كتب إلى السلطان يسأل أن يقطع عن الناحية، فأجيب وفورق^(٢) على أن يحمل في كل سنة مائتين وعشرين ألف دينار، وأنفذت إليه الخلع والمعد ولم يَف بما وُوقِف عليه.

وكان مونس لما ظهر بيوسف بن أبي لساج وقبل انصرافه عن أذربيجان قَلَد بن وهسودان أعمال الحرب بالرَّيِّ ودنياوند^(٣) وقزوین وذنجان وأبهر وسلمها إليه وجعل أموالها له ولرجالها، وولَّد أحمد بن عليَّ صعلوك أعمال المعاون بإصبهان وقيم وجعل مال الخراج والضياح بقم وسأوة له ولرجالها، مبلعه في كل سنة أكثر من مائتي ألف دينار.

ثم وثب أحمد بن مسافر صاحب الطُّرم على ابن أخيه عليَّ بن وهسودان وهو منه مقيم بناحية قزوین فقتله على فراشه [119] وهرب في الوقت إلى

١. في مط: ديوداد.

٢. في مط: فأجيب بورق.

٣. كذا في الأصل ومط: دنياوند. جاء في مد: ديناوند، وهو خطأ.

بلده وكان أحمد بن عليّ أخو صعلوك مقيماً بسقم، فسار منها إلى الريّ ودخلها فأنكر عليه السلطان فعله، وقُلِّد وصيف البكتمريّ أعمال عليّ بن وهسودان وقُلِّد محمّد بن سليمان صاحب الجيش أعمال الخراج والصياع وكوُتب أحمد بن عليّ بالإصراف إلى قم، ففعل.

ثمّ جرت بينه وبين محمّد بن سليمان وحشة، فأظهر الخلاف وصرف عمّال الخراج والصياع عن قم، وأخذ في الاستعداد للمسير إلى الريّ وكوُتب تحرير الصغير وهو متقلّد همذان بالمسير إلى الريّ والاجتماع مع وصيف البكتمريّ ومحمّد بن سليمان على دفع أحمد بن عليّ. وسار أحمد بن عليّ إلى باب الريّ فواقعه، وانهزم وصيف وتحرّر إلى همذان، وقتل محمّد بن سليمان في الواقعة، وحصلت الريّ في يد أحمد بن عليّ، فشرع في إصلاح ما بينه وبين السلطان وعُني به نصر الحاجب فقاطع عن أعمال الخراج بالريّ ودباوند وقزوین وزنجان وأبهر على مائة وستة وستين ألف دينار محمولة في كلّ سنة إلى الحضرة، وقُلِّد الناحية، وقُلِّد محمّد بن حلف النيرمانيّ الصياع بهذه الواحي وأخرج أحمد بن عليّ عن قم فقلّد من نظر فيها.

وتعود إلى حديث ابن الفرات. [120]

لَمَّا قَبِلَ الوزير أبو الحسن ابن الفرات عداوة نصر الحاجب وأبي القاسم ابن الحوارى وشفيع اللؤلؤى ونسبهم إِيَّاهُ إِلَى مواطاة ابن أبي الساج على العصيان عاذاهم ومنعهم أكثر حوائجهم وصرف نصراً وشفيعاً عن أكثر أعمالهم.

وكان ابن الفرات قلّد أبا عليّ ابن مقنة كتابة نصر الحاجب، ثمّ استوحش أبو عليّ ابن مقنة من ابن الفرات لأجل استخدامه سعيد بن إبراهيم التستري.

فذكر لنصر أن ابن الفرات قد استخرج من ودائع التي سلمت له خمسمائة ألف دينار بعد أن حلف في وحب نكته أنه ما بقيت له ودعة لم يقر بها، فذكر بصير للمقتدر ذلك ليغظه على ابن الفرات وعز نصر وابن الحواري أبا عليّ ابن مقنة وأطمعاه في الوراثة ليستخرج ما عنده من أخبار ابن الفرات التي يضربون بها المقتدر عليه، حتى ظهر الأمر في ذلك واشتهر وكثرت به الأراجيف، فذهب أبو الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات إلى عمه فشرح له ما يتحدث به الناس فقال له

«إن شكك في أبي عليّ ابن مقلة مع تربيتي له ورفعي^(١) منه شككت في ولدي وفيك.»

ثم تبين ابن الفرات بعد ذلك صحة ما نسب إلى ابن مقلة وأطلع [121] أبا عليّ ابن مقلة على بعض ما وقع إليه من الخوض في أمره على طريق العجب ليصرفه عما شرع فيه، فاستوحش أبو عليّ منه وخاف معاجسته إياه بالكبة، فجدّ في السعي عليه واعتصم بصير الحاجب.

ودخلت / بن / خمس وثلاثمائة

ورود رسولين لملك الروم بهدايا وألطف كثيرة

التماساً للهدنة

وفيها ورد رسولان لملك الروم إلى مدينة السلام على طريق الفرات بهدايا عظيمة وألطف كثيرة يلتمسان الهدنة.

وكان دخولهما يوم الإثنين لليلتين خلتا من المحرم، فأثرا في دار صاعد بن مخلد، وتقدم أبو الحسن ابن الفرات بأن يفرش لهما ويعد فيه كل ما

١ - ويحتمل أن يقرأ ودفعي، كما قرئ في مد.

يحتاجان إليه من الآلات والأواني وجميع الأصناف، وأن يُقام لهما وللمن
معهما الأتزال الوسعة والحيوان الكثير والحلاوة، حتى يتسع بذلك كل من
معهما، والنمسا الوصول إلى المقتدر بالله ليلعلم الرسالة التي معهما.

فأعلمنا أن ذلك متممٌ صعب لا يجوز إلا بعد لقاء وزيره ومحاطبته فيما
قصد إليه وتقرير الأمر معه والرغبة إليه في تسهيل الإذن على الخليفة [122]
والمشورة عليه بالإجابة إلى ما التمس.

فسأل أبو عمر عدي بن عبد الباقي الوارد معهما من الثغر أبا الحسن ابن
الفرات الإذن لهما في الوصول إليه فوعده بذلك في يوم ذكره له
وتقدّم الوزير بأن يكون الجيش مصطفاً من دار صاعد إلى الدار التي
أقطعها بالمحرّم، وأن يكون غلماناً وحده وحلفاء الحجاب العرسومين بداره
منتظمين من باب الدار إلى موضع مجلسه، وبُسط له في مجلس عظيم
مذهب السقوف في دار منها يعرف بدار البستان بالفرش الفاخر العجيب،
وعُلقت الستور التي تشبه الفرش واستزاد في الفرش والبسط والستور ما بلغ
ثمنه ثلاثين ألف دينار، ولم يبق شيء تجميل^(١) به الدار ويفتح به الأمر إلا
فُعل، وجلس على مصلى عظيم من ورائه مسند عال والخدم بين يديه
وخلفه وعن يمينه وشماله، ولقواد والأوباء قد ملأوا الصحن، ودخل إليه
الرسولان فشاهدوا في طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ما هالهما.

ولما دخلوا دار العامة أجلسهما الحاجب في رواقها والرجال قد امتلأت
بهم الدار، ثم أخذ بهما في ممرٍ طويل من وراء هذا الرواق حتى أخرجهما
إلى صحن البستان، ثم عدل بهما إلى المجلس الذي كان [123] الوزير
جالساً فيه، فشاهدا من بهاء المجلس والفرش الذي فيه وكثرة الجمع منظرًا

عجيباً جليلاً.

وكان معهما أبو عمر بن^(١) عبد الباقي يترجم عنهما ولهما. وحضر نراد بن محمد صاحب الشرطة في جميع رجاله فأقيما بين يدي الوزير أبي الحسن ابن الفرات، فسألما وترجم لهما، ابن عبد الباقي ما قالاه فأجابهما بما ترجمه لهما ورغباً إليه، في إيفاع الفداء ومسألة المقتدر بالله الإجابة إليه فأعلمهما أنه يحتاج إلى مخاطبته فيما ذكره، ثم العمل فيه بما يرسمه، والتمسا منه إيصالهما إليه فوعدهما به.

وأخرجهما من بين يديه وأخذ بهما في الطريق الذي دخلا منه وعادا إلى دار صاعد والجيش منتظم طول الطريق بأحسن زى وأكمل هيئة. وكان زيهما دراريع ديباج ملوكية ووقايات وفوق الوقايات قلانس ديباج محدودة الرؤوس

وخاطب ابن الفرات المقتدر بالله في إيصالهما إليه، وواقفه على ما يحبيهما به، وتقدم إلى سائر الأولياء والقواد وسائر أصناف الجند بالركوب إلى دار السلطان، وأن يكونوا منتظمين للظهور من دار صاعد إلى دار السلطان

فركبوا ووقفوا في الطريق على هذا الترتيب [124] في الزى الحسن والسلاح النائم وتقدم بأن شحز رجايب^(٢) الدار والدهاليز والعمرات بالرجال والسلاح وأن يقرش سائر القصر بأحسن القرش ولم يزل يراعى ذلك حتى فرغ من جميعه.

ثم أتعد إلى الرسولين بالحضور، فركبا إلى الدار على الظهر وشاهدا في طريقهما من الجيش وكثرته وحسن زيه وتكامل عدته أمراً عظيماً، ولما

١. في مط: أبو عمران عبد الباقي.

٢. في مط: رحايات

وصلا إلى الدار أخذ بهما في ممر يقضى إلى صحن من تلك الصحنون، ثم عدل بهما إلى ممر آخر، وأخرجهما منه إلى صحن أوسع من الأول، ولم تزل الحجّاب يخرقون بهما في الصحنون والممرات حتى كلاً من المشي وانبهرتا وكانت تلك الصحنون والممرات محنونة بالغلمان والخدم.

إلى أن قربها من المجلس الذي فيه المقتدر بالله والأولياء وقوف على مراتبهم، والمقتدر جالس على سرير ملكه، وأبو الحسن ابن الفرات واقف بالقرب منه، ومونس الخادم، ومن دونه من الخدم وقوف عن يمينه ويساره. فلما دخلا إلى المجلس قبلا الأرض ووقفوا حيث استوفتهما بصر الحاجب، وأدبها إليه رسالة صاحبهما في الفداء، ورغبها إليه في إيقاعه فأجابهما الوزير عنه بأنه يفعل ذلك رحمة للمسلمين ورغبة في فكّهم وإيتاراً لطاعة الله عز وجل [125] وخلاصهم، وأنه ينفذ مونساً لحضور ذلك.

ولما خرجا من حصرتهم حُنع عليهما مطارف خزر مذهبة وعمائم خزر، وشُلع على أبي عمر أيضاً وانصرف على الظهر معهما والجيش على حاله منتظم للفداء.

فأنهّب لذلك وابتاع من التمس الرسل اتباعه من الروم المطلبين وأطلق له وللقواد الشاخصين معه من بيت المال بالحضرة مائة ألف وسبعون ألف دينار. وكتب إلى العمال في طريقة بإزاحة علته فيما يلتمسه، وحمل إلى كل واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صاة لهما، وأخرجهما مع مونس ومعهما أبو عمر وتم الفداء في هذه السنة على يد مونس.

وفيها أطلق أبو الهيجاء عيد الله بن حمدان وإخوته من الحبس في دار السلطان وخنح عليهم خلعة الرضا.

وفيها مات العباس بن عمرو الغنوي، وكان متقلداً أعمال الحرب والمماون

بديار مصر،^(١) فقلّد مكانه وصيف البكتري فلم يضبط العمل فقلّد مكانه
جنى الصفوانى فضبطه أحسن ضبط

ودخلت سنة ست وثلاثمائة

القبض على ابن الفرات وانتهاء وزارته الثانية

وفىها قبض على الوزير أبى الحسن ابن الفرت وكانت مدة وزارته هذه
الثانية سنة واحدة [١٢٦] وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب الظاهر فى صرف ابن الفرات عن وزارته هذه الثانية، أنه أحر
إطلاق أرزاق الفرسان الذين مع القواد واحتج بضيق الأموال، لأجل ما
احتجج^(٢) إليه من صرفها إلى محاربة ابن أبى الساج، وأيضاً لأجل نقصان
الإرتفاع بأخذ يوسف مال الرى، فشغب الفرسان فى أول سنة ست وثلاثمائة
شغباً عظيماً، وخرجوا إلى المصلى. والتمس ابن الفرات من المقتدر بالله
إطلاق مائتى ألف دينار من بيت مال الخاصة ليضيف إليها مائتى ألف دينار
ينفق فى الفرسان، فغلظ ذلك على المقتدر وراسله بأنه قد كان ضمن له أن
يقوم بسائر النفقات على رسمه كان فى وزارته الأولى، ويحمل ما ضمن
حملة إلى حضرته مقرداً، وأنه لم يظن أنه يقدم عليه بطلب مال. فاحتج ابن
الفرات بما ذكرته فلم يسمع حجته وتكرّر له.

وكان عبد الله بن جبير لما أقام فى وزارة على بن عيسى بواسط، وقد
عرف مقدار ارتفاع أعمالها وما يحصل لحامد بن العباس من الفصل على

١. فى مط: بديار مصر.

٢. فى مط: اصح

الضمان، شرح ذلك لابن الفرات [127] وبين له وجوهه لما عاد إلى بغداد وعند عودته إلى مجلس الأصل في ديوان السواد، فعظم ذلك في نفس ابن الفرات. فلما أتى على ذلك مدة استأذن ابن جُبَيْر ابن الفرات في أن يُكاتب حامداً في بعض ما كان أنباه إليه من ضمان حامد، فأذن له فيه إذناً ضعيفاً فكتب من مجلسه - وهو مجلس الأصل في ديوان الخراج إلى حامد وأجاب حامد وترددت بينهما مكاتبات في هذا المعنى.

وتبع ذلك كتب بشر بن عليّ، وهو خليفة حامد، يعتب عليّ ابن جُبَيْر لما كان يتكلم به في مجلسه، فاستوحش حامد من ذلك وتخوف أن يكون ما يظهره ابن جُبَيْر عن مواطاة الوزير ابن الفرات ولشيء قد عرفه من نية، فأنفذ من يسفر له في الوزارة ويخاطب له نصراً الحاجب، فسعى له في ذلك وعُرف نصر سعة نفس حامد وضمن له تصحيح أموال جليلة من جهة ابن الفرات وأسبابه، وراسل أيضاً السيدة في هذا الباب.

ووافق ما سعى له فيه وما بذله له سوء رأى نصر في ابن الفرات وتخوفه منه والإضاقة التي عرّضت في الوقت حتى طلب ما طلب، فتمّ لحامد ما قدره بما اجتمع من هذه الأحوال. فروسل حامد بالخروج إلى الحضرة من واسط [128] وأن يكتب كتاباً بخروجه على أجنحة الطير.

فلما وقف عليه المقدر أنفذ نصراً الحاجب وشفيعاً المقنري فقبضا على ابن الفرات وعليّ ابنه المحسن وموسى بن خلف وعيسى بن جُبَيْر وسعيد بن إبراهيم التستري وأم ولد له وابنها منه، وحملوا إلى دار السلطان فاعتقل أبو الحسن ابن الفرات وعده في يد زيدان الفهرمانية واعتقل الباقر في يد نصر. ووصل حامد إلى مدينة السلام وأقام ليلته في دار الحجية من دار السلطان، ونحَقّق به أبو الفاسم ابن الحواري، وجلس حامد يتحدث، فبان للقواد وجميع خواصّ المقدر حديثه وقلة خبرته بأمر الوزارة.

وَحَدَّثَ الْمُقْتَدِرُ بِذَلِكَ فَاسْتَدْعَى أَبَا الْقَاسِمِ ابْنَ الْحَوَارِيِّ وَعَاتَبَهُ عَلَى مَشُورَتِهِ بِهِ، فَوَصَّاهُ ابْنُ الْحَوَارِيِّ بِالْيَسَارِ الْعَظِيمِ وَبِاسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ وَهَيْبَتِهِ عِنْدَ الْعَمَالِ وَتُبِّلَ النَّفْسَ وَكَثْرَةَ الْعِلْمَانِ. وَكَانَ مَعَ حَامِدٍ لَمَّا قَدِمَ أَرْبَعَمِائَةَ غَلَامٍ يَحْمِلُونَ السِّلَاحَ فِيهِمْ عِدَّةٌ يَجْرُونَ مَسْجَرِي وَجْوهِ النَّوَادِ وَأَكْبَارُ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ.

وَأُشَارَ ابْنَ الْحَوَارِيِّ عَلَى الْمُقْتَدِرِ فِي عَرْضِ كَلَامِهِ بِإِطْلَاقِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَتَقْلِيدِهِ الدَّوَاوِينَ بِأَسْرَافِهَا لِيُخْلَفَ حَامِداً عَلَيْهَا فَمَتَنَعَ الْمُقْتَدِرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَلْتَمِسَهُ حَامِدٌ [129] مِنْهُ، فَأَحْتَالَ ابْنُ الْحَوَارِيِّ عَلَى حَامِدٍ وَقَالَ لَهُ: - «الْتَمَسْ ذَلِكَ مِنَ الْمُقْتَدِرِ إِذَا وَصَلْتَ إِلَى حَضْرَتِهِ وَعِظْ عَلَيْهِ أَمْرَ الْأَعْمَالِ وَالْدَوَاوِينَ وَحَرَائِجِ الْحَاشِيَةِ وَخَوْفَهُ مِنْ سُوءِ أَدْبِهِمْ^(١) وَصَوْرَ لِحَامِدٍ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلَّ مَرَامَةً لَهُ.»

وَحَلَفَ أَنَّهُ نَاصِحٌ لَهُ. فَلَمَّا وَصَلَ حَامِدٌ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَتَعَلَّدَ وَزَارَتْهُ قَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعَثَ ذَلِكَ سَأَلَهُ إِطْلَاقَ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَالْإِذْنَ لَهُ فِي اسْتِخْلَافِهِ عَلَى الدَّوَاوِينَ وَالْأَعْمَالِ.

فَقَالَ لَهُ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ:

- «مَا أَحْسَبَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى يَجِيبُ إِلَى ذَلِكَ وَلَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ تَابِعاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَبَوِّعاً رَئِيساً»

فَقَالَ حَامِدٌ بِحَضْرَةِ النَّاسِ:

- «لَمْ لَا يَسْتَجِيبُ إِلَى ذَلِكَ وَإِنَّمَا مِثْلُ الْكَاتِبِ مِثْلُ الْخِيَاطِ يَخِيطُ ثَوْباً قِيمَتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ وَيَخِيطُ ثَوْباً بِعَشْرَةِ دِرَاهِمٍ.»
فَضَحِكَ النَّاسُ مِنْهُ.

١ في مط: من سوادهم بدل «من سوء أدبهم».

وزارة حامد بن العباس

ولما حُلِعَ على حامد حُلِع الوزارة صار إلى دار الوزارة بالمعظم، فنزلها وجلس فيها للنهضة ولم يقرّر شيئاً من الدواوين فتركها معتومة ذلك اليوم، وتحقق به أبو عليّ بن مقلّة واختصّ به واستحضر حامد أبا عبد الله رنجي الكاتب فألزمه داره وردّ إليه مكاتبة العمّال عنه على رسمه مع ابن الفرات وتحقق بجميع الأمور ابن الحواري [130] وصار هو السفير بين حامد وبين المعتد بالله، وكتب عن المعتد إلى جميع أصحاب الأطراف وعمّال المعاون بخبر تقليده حامداً الوزارة، أسأ ذلك أبو الحسن محمّد بن جعفر بن ثوابة. ثمّ قرّر حامد وعليّ بن عيسى أمر الدواوين على اتفاق منهما جميعاً ثمّ أبدأ بعد ذلك بغير ما رأى تغييره.

وكان عليّ بن عيسى في أوّل أيام وزارة حامد بن العباس يحضر دار حامد في كلّ يوم دفعتين^(١) مدّة شهرين، ثمّ صار يحضر في كلّ أسبوع دفعة واحدة ثمّ سقطت منزله حامد عند المعتد بالله أوّل سنة سبع وثلاثمائة وتبيّن هو وخواصّه أنّه لا فائدة في الإعتماد عليه في شيء من الأمور، فتفرّد حيثنّ أبو الحسن عليّ بن عيسى بتدبير سائر أمور المملكة، وأبطل حامداً قصار لا يأمر في شيء بتة حتّى قيل فيه:

هذا وزير بلا سواد وذا سواد بلا وزير

فلما رأى حامد بن العباس نفسه لا يأمر ولا ينهى ولا يزيد على ليس السواد والركوب في أيام المواكب إلى دار السلطان، فإذا حضر لم يدخله المقدر في شيء من التدبير، وكان الخطاب كلّ مع عليّ بن عيسى، شرع

في تضمن أعمال الخراج والضمايع [131] والخاصة والعمامة المستحدثة والعباسية والعراثة بالسواد والأهواز وإصبهان، وردد بينه وبين علي بن عيسى في ذلك بحضرة المقتدر مناظرات إلى أن تضمن هذه الأعمال.

فضمن حامد أبا علي أحمد بن محمد بن رستم إصبهان بزيادة مائة ألف دينار في كل سنة على ما كان يرتفع به على يده ويد ابن أبي البغل ويد أحمد بن سياه، ولما زال ضمان حامد عقد علي بن عيسى على أبي علي ابن رستم إصبهان بهذه الزيادة ثم شرح أبو الحسين ابن أبي البغل عظيم ما يرتكب^(١) أبو علي ابن رستم من الظلم لأهل إصبهان، فبحث عنه علي بن عيسى حتى تحققه، فاستشار ابن أبي البغل فأشار بحقد الضمان على صاحبين له كانا يتوليان له بإصبهان مدة تفدده إياها وهما أبو مسلم محمد بن بحر وأبو الحسين أحمد بن سعد. فعقد ذلك عليهما بثمانين ألف دينار زيادة وخط من جملة المائة ألف عشرين ألفاً، ليكون في ذلك ترفيه للرعية، وسلم إليهما ابن رستم.

ولما تبين حامد انضاع^(٢) حاله عند المقتدر ورأى أنه لا يأمر ولا ينهى في شيء من أمر المملكة استأذن في العود إلى واسط ليدبر أمر ضماناته الأول، فأذن له [132] المقتدر في ذلك وأقام بواسط وله اسم الوزارة فقط.

ذكر ما عامل به حامد بن العباس علي

بن محمد بن الفرات وأسبابه

ركب حامد بن العباس وعلي بن عيسى ثالث يوم تقلد حامد الوزارة إلى

١. في مط: ما يركب.

٢. في مط: انضاع.

المقتدر ووصل الناس ووصلاً^(١) إليه، والتمس حامد الإذن لرجل من الجند وذكر أنه وجدته قبل تولده الوزارة وأقر له بأنه كان رسول ابن الفرات إلى يوسف بن أبي الساج في العصيان، فأحصره كتاباً منسوباً إلى ابن أبي الساج من ابن الفرات فغلط ذلك على المقتدر واغتاض على ابن الفرات وأقبل على أبي عمر القاضي وقال له :

- «ما عندك في هذا الفعل من ابن الفرات ؟»

قال له :

- «يا أمير المؤمنين لئن صحَّ أنه أقدم على هذا الفعل لقد سعى في إفساد أمر المملكة.»

ثم أقبل بعده على أبي جعفر ابن الهملول القاضي فقال له :

- «ما عندك في هذا ؟»

قال له :

- «عندي أني لله عز وجل قد أمر بالثبوت ونهى عن قبول قول الفاسق.»

ثم ناظر ابن الهملول الرجل مناظرة أدت إلى أنه كذب، فأقر الرجل بالكذب فيما ادّعاء فسلم الرجل إلى صاحب الشرطة وأمر بضربه مائة سوط، فصرّب [133] وحبس في المطبق ثم نُقِيَ إلى مصر

ثم إن حامداً وعلى بن عيسى أحضرا أبا علي الحسين بن أحمد المادرائي مناظرة ابن لفرات في دار السلطان، فكاشف الحسين بن أحمد المادرائي ابن الفرات بأنه حمل إليه في وزارته الأولى أربع مائة ألف دينار من مال المرافق بأجناد الشام وإن أبا العباس بن بسطام وأبا القاسم ابنه بعده حملاً إليه ثمان مائة ألف دينار من مال الاستثناء والمرافق بكور مصر حساباً في كل

١ قرئ الكلمة في مد، ودخلا في مط: ووصلا، كما أبتناه.

سنة مائتي ألف دينار.

وحضر المناظرة القضاة والكتّاب وجلس المقندر بحيث يسمع ما يجري ولا يراه أحد واحتجّ ابن المرات بأن قال .

« إنَّ هذا العامل قد تولّى أعمال مصر والشام في أتمام وزارة عليّ بن عيسى وقد اعترف بأنَّ هذه أموال واجب استخراجها وادّعى أنّه حمل بعضها إلّى حيث كان متقلداً أعمال أجداد الشام وأنَّ ابني بسطام حملاً إلّى ما ذكره. »

وقد ولي عليّ بن عيسى الوزارة مدّة أربع سنين وليس يخلو هذا المال من أن يكون حملة إلّى عليّ بن عيسى فهو واجب عليه أو لم يحصله فهو واجب على هذا العامل في نفسه .

ثمّ قد اعترف أنّه قد جبن في أتمام وزارتي الأولى ما قال وهو أربعمائة ألف دينار [134] وادّعى حملها إلّى فصار مقرراً على نفسه ومدّعيّاً عليّ وأنا أقول إنّ كذب في ادّعائه عليّ وحكم الله تعالى ورسوله والفقهاء معروف في أمثاله . فأسمعه حامداً ما يكره وشتمه شتماً قبيحاً ، فقال له ابن لفرات :

« أنت على بساط السلطان وفي دار المملكة وليس هذا الموضع مكاناً تعرفه من بيدر تقسعه ^(١) ولا هو مثل أكار قشتمه ولا عامل تلاكمه. »

ثمّ أقبل عليّ شفيع اللؤلؤى وقال له .

« يجب أن تكتب عنيّ بما أقوله إلى مولانا ، أيّده الله : إنّ حامداً إنَّما حمّله عليّ الدخول في الوزارة وليس من أهلها أنّي أوجبت عليه أكثر من ألف ألف دينار من فضل ضمانه أعمال واسط وجنددت في مطالبته بها فقدر بدخوله في الوزارة أن يفوز بذلك الفضل وبما يحصله مستأنفاً وقد كان ينبغي

له وهو وزير أمير المؤمنين أن يدع ضمان أعمال واسط حتى يتبين أمره هو أم مخسر^(١) فيدبره أبو الحسن علي بن عيسى فإنه لا يشك أحد في بعد ما بينه وبين حامد في الصناعة والإسقاط، فأما وهو وزير وهو ضامن فهذا أول خيانتته واقتطاعه.

فأمر حامد بن العباس أن تفت لحيته فلم يمتثل أحد أمره، فوثب هو بنفسه إليه وجذب لحيته.

وكان [135] الخطاب قد انتهى أن بذل الحسين بن أحمد المادرائي سخطه بخمسمائة ألف دينار سلم إليه ابن الفرات، وكان ذلك قبل شتيمة حامد له ومدّ يده إلى لحيته. وكان حامد أحضر أبا علي ابن مقلّة وواقفه علي أن يواجه ابن الفرات بأنّه قد استخرج من ودائعته التيس كتبتها في وزارته خمسمائة ألف دينار فلم يُرر أبو علي صمغته لابن الفرات وراسله حامد في المجلس أن^(٢) يفي بوعدده ويواقفه في وجهه فقال أبو علي:

«أنا أكتب خطي بذلك فأما أن أواجه ابن الفرات فلا أفعل.»

فعلط ذلك علي حامد وتكرّر لابن مقلّة منذ هذا اليوم

وكان علي بن عيسى لا يزيد علي أن يكلم ابن الفرات في مواضع الحقّة بكلام جميل وحامد مشغول بأسفه والشتيم. وكان ابن الحواري يرى ابن الفرات أنه متوسط بينه وبين حامد وتبين في خطابه أنه متعامل علي ابن الفرات ولما سمع المقتدر شتم حامد لابن الفرات و^(٣) وقف علي مدّ يده إلى لحيته أنفذ خادماً^(٤) أقام ابن الفرات من مجلسه وردّه إلى محبسه، فقال علي

١. في مط: أيرج، أم يخسر.

٢. تكررت «أن» في الأصل.

٣. في مط: وقف (دون الواو).

٤. كذا في الأصل: خادماً، وفي مط: حامداً.

بن عيسى وابن الحواري لحامد :

« قد جنيت علينا بما فعلته بأبن الفراء. »

وكان الحسين بن أحمد المادرائي بعد مكشفته لأبن الفراء قال له :

« إن تأدى إلى المصادرة [136] تحققت عنك خمسين ألف دينار. »

فلما خرج من المجلس قال له نصر الحاجب وعلى بن عيسى وابن

الحواري :

« دخلت لتناظر الرجل فلم تبرح حتى بذلت له مرفعاً وصانعة. »

فقال لهم :

« أدخلتموني إلى رجل قال لي بعضكم لَمَّا دخلت إليه : أنظر لمن

تخاطب. وقال آخر : أنظر بين يديك. وقال آخر : الله الله في نفسك. فلم

أجد شيئاً أقرب إلى الصواب ممَّا فعلته بعد أن سمعت كلامه. »

فمن جميل ما عمله ابن الفراء أَنَّهُ لَمَّا تَقَلَّدَ بعد هذا الرقعة الوزارة وهي

وزارته الثالثة قبض على ابن الحسين بن أحمد^(١) المادرائي وهو أكبر أولاده

فأخذ خطه بخمسة^(٢) وعشرين ألف دينار كانت واجبة عليه من مال

السلطان ولم يطالبه بها واعتقله إلى أن وافى أبوه الشام، فنكَّره ابن الفراء ما

كان بذله من الخمسين ألف دينار التي تحمَّلها عنه وقال له :

« قد كنتَ مَخَيَّراً أن تفعل وأن لا تفعل وإِنَّمَا وعدت وعداً وهذه رقعة

بخطِّ أمك بخمسة وعشرين ألف دينار وهي واجبة عليه حاصلةً فيه ولا

حجة له ولا لك فيها وقد رددتها عليك مكافأة لك على ما بذلت.

وقد كان أشدَّ أبو أحمد بن حماد لمناظرة ابن الفراء بحضرة شفيع

اللؤلؤي وغيره فافتتح ابن حماد الخطاب بأن قال :

١. سقط من مط « بن أحمد »

٢. في مط بخمس

- «إِنَّ [137] الوزير والرئيس أدام الله عزَّهما يقولان لك: أصدق نفسك فقد وصل إليك من ضياعك وغلاتك في كلِّ ستة ألف ومائتا ألف دينار ومن وجوه ارتفاقائك مثلها وهذا مال عظيم، فاكتب خطك بألف ألف دينار معجَّلة تقدِّمها إلى أن يُنظر في أمرك حتَّى تسلم نفسك وإلا سلَّمت إلى من يعامل بك بما يعامل به مثلك من الخوثة الذين دبروا على المملكة فقد صحَّ عند السلطان أمرك كاتبت ابن أبي السَّاح وأمرته بالعصيان.» فقال له ابن الفرات:

- «قد كان ينبغي أن يشغلك أمرك وما عليك في نفسك عن تحمُّل الرسائل قد تصرَّفت لعلِّي بن عيسى أربع سنين واقتطعت أموالاً، فلمَّا نظرت في الأمر استترت عني وكتبت إليَّ من تصرَّف مكانك باستدراكات عليك وارتفاقات لك كثيرة والكتب بأعيانها في ديوان السلطان محفوظة.» فأقبل شفيع عبي ابن حمَّاد فقال له:

- «لست من رجال ابن الفرات، فقم إلى ابنته المحسن فهاظره.» فقام وأخذ خطَّ المحسن بثلاثمائة ألف دينار. ثمَّ ناظر موسى بن خلف وسأله عن ودائع ابن الفرات وأمواله فقال له موسى:

- «ما له عندي وديعة ولا أعرف أخبار ودائعه ولا [138] له على يدي مال ولا وليت له كعملاً سلطاناً وإيماً كنت أنظر في نفقات داره.»

وكان موسى بن حلف شيخاً كبيراً قد أتت عليه نحو تسعين سنة وكان مع ذلك عليلاً به دُرب لا فضل فيه^(١) للمكروه فشتته ابن حمَّاد. وكان يتردَّد بعد ذلك إلى أصحاب ابن الفرات ويناظرهم فلا يرتفع له شيء، وكان علق المحسن بفريد من حبل السَّارة فلم يصح له من جهته شيء، فلمَّا رأى

١. في مخطوط: دُرب لا فضل فيه وفي مخطوط: لا فضل له (خلفاً للأصل)

ذلك استعفى منهم فأعفى وأحضر حامد موسى بن خلف فقال له :
« دُلَّ على أموال ابن الفرات فإنك تعرفها ولا تحوج إلى مكروه يقع
بك. »

فقال له . « أحلف بما شئت من الأيمان إنني لا أعرف شيئاً من ودائعهم. »
فأمر بصفعه فصُفِعَ إلى أن سأل علي بن عيسى فيه وأُشار إلى العلمان
بالكف . ثم عاوده حامد بالمكروه مرّات حتّى أحضره ليلة بين يديه وضربه
حتّى مات تحت الضرب فقيل له :
« إنه قد تلف ^(١). »

فقال : « أضربوه. »

فضُرب بعد موته سبعة عشر [سوطاً] ^(٢) فلما علم بموته أمر بحرّ رجله ،
فجرّ وتعلّقت أذنه في زرّ عتبة الباب فانقضت وحُمِلَ إلى منزله ميتاً .
واستحسن من فعل موسى بن خلف ووفائه أنّه كان يقف على أموال مودعة
لصاحبه عند جماعة فلم يقرّ عليه [139] إلى أن تلف .

وأحضر حامد المحسّن وطالبه فذكر المحسّن أنّه لا يقدر على أكثر من
عشرين ألف دينار فأمر بصفعه فصُفِعَ فرأى على رأسه شعراً كثيراً فقال :
« هذا لا يتألم بالصفع ، هاتوا من يحلق شعره. »

فأخرج من بين يديه فخلق شعره ثم أعيد ^(٣) إليه فصفعه حتّى كاد يتلف
وذلك بين أيدي جماعة كثيرة ، فشفع إليه علي بن عيسى وسأله أن يقتصر
منه على خمسين ألف دينار ، فحلف أنّه لا يقنع منه بدون سبعين ألف دينار ،
فبذل خطّه بها وألبسه جبّة صوف وعدّبه ألواناً ثم سلّمه إلى أبي الحسن

١. في مط: أتلّف

٢. زدناه كب ريد في مد.

٣. كذا في الأصل أعيد. وفي مط: اعتد

التعباني فأدى ستين ألف دينار بعد أن استباح الناس وأسعفه علي بن عيسى بعشره آلاف درهم وأقام شهوراً كثيرة يستريح الناس حتى صحح ما بذل خطئه به وكثرت الشفاعات فيه فردّه حامد إلى منزله.

وجهد حامد في أن يسلم إليه ابن الفرات فقال المقتدر.

«أنا أسلمه إليك وأوكل به خادماً يحفظ نفسه»

فقال حامد:

«إذا علم ابن الفرات أنه يُحرس من المكروه تمائن».

فقال المقتدر:

«أنا أسلمه^(١) إلى علي بن عيسى أو إلى شفع البؤلوي فإني أتق بهما».

وكان المقتدر يروى^(٢) في أمر ابن الفرات فتارة تشهره نفسه إلى [140]

المال وتارة يكره أن يتلف في يد حامد. فعرفت زيدان القهرمانه هذه الحالة من المقتدر وأعلمنها ابن الفرات، فأظهر ابن الفرات أنه رأى أخاه أبا العباس في اليوم ووصاه وقال له:

«أد المال فإنّ القوم ليس يريدون نفسك وإنما يريدون مالك»

وأنه قال:

«قد أدبني إليهم جميع مالى».

وأن أحياه إيماناً^(٣) بأن قال:

«لم تؤد إليهم المال الملائى».

فقلت: «إنّ معظم ذلك لورثتك».

فقال: «أدّه فإني جمعناه من أسلافهم وأدخرناه لعنل هذا اليوم».

١ أسلمه. كذا في الأصل وما في مط: أصله.

٢ يروى في أمر ابن الفرات: العبارة ستطت من مط. ولا بدع

٣ في مد: قال له: بزيادة «له» على الأصل

ثم كتب إلى تاجر بن بعل ما عندهما وهو سبعمائة ألف دينار إلى حضرة
المقتدر. وكتب إلى أبي بكر بن قرابة بشيء آخر وإلى ابن إدريس الحمالي
بشيء آخر، فأبعد المقتدر رقايعه إلى حامد وعلي بن عيسى فغلظ ذلك
عليهما وبتسا معهما^(١) من تسلم ابن الفرات وقال علي بن عيسى وابن
الحواري لحامد:

«أى شيء عندك فيما فعله ابن الفرات؟»

فقل حامد:

«هذا من إقبال مولانا أمير المؤمنين»

فقال له علي بن عيسى:

«هذا لا شك فيه كما قال الوزير، أيده الله، ولكن ما أشك أن ابن الفرات
ما فعل هذا حتى توثق بنفسه ولا سمح بهذا المال العظيم عقراً بغير مكيدة^(٢)
وقد كان يجوز أن يقع^(٣) منه [141] ببعضه إلا لشروعه في تضخم أنفسنا
وأحوالنا.»

فقال حامد وابن الحواري:

«هذا لا شك فيه»

ثم تشاغل حامد وعلي بن عيسى باستحضار من عليه المال وأوصلوا
إليهم رقايع ابن الفرات فاعترفوا بصحة سوى ابن قرابة فإنه قال في عشرة
آلاف دينار كان أودعه إياها:

«قد كان أودعني^(٤) هذا المال ثم ابتاع مني في أول سنة ست وثلاثمائة

١. في مد. معها (تصحيح الأصل).

٢. في مط. عقراً بغير تعيين مكرره بدل «عقراً بغير مكيدة»

٣. في الأصل. يقع (بشيء من الموضع) في مط أيضاً. يقع. في مد. يقع

٤. في مط أودعني بدل «أودعني».

عنبراً ومسكاً كثيراً أهدى أكثره إلى المقتدر بالله واليسير منه لنفسه ومعى توقيعاته بخطه بتواريخ أوقاته.»

واستدعى أن يجمع بينه وبين ابن الفرات فأثفذه حامد إلى دار السلطان وأوصنه مفلح إلى ابن الفرات حتى ذكر له ذلك فصّدقه وقال له :

- «لا تلمنى على ما كتبت به فقد كنت أنسيت ما جرى فيه ولعمري لقد كنت جعلت مال الوديعة محسوباً لك فى ثمن العطر.»

وكتب ابن الفرات خطّه بصفة ما قاله ابن قرابة فسُلّمت الننانير لابن الفرات وكان هذا الفعل من ابن قرابة أوكّد أسباب تحقّقه فيما بعد ذلك يابن الفرات. وهد كان ابن الفرات أودع القاضى أبا عمر مالا لابنه الحسن بن دولة فلحقّت أبا عمر رهبة شديدة من حامد لبسطه يده على القضاة والشهود [142] فاعترف أبو عمر القاضى أن لابن الفرات عنده وديعة لنا سأله حامد هل عنده وديعة. فأمر بإحضاره فأحضره وأدّاه وبلغ ذلك ابن الفرات فتكرّر لأبى عمر.

فحكى أن أبا بكر ابن قرابة قال - لنا خلع على ابن الفرات للورارة الثالثة كنت أول من لقيه فى دهن الحجة المتصل بباب الخاصة فقال :

- «يا أبا بكر تقرب أبو عمر بوديعة وعرضنى^(١)»

قال : فقلّك

- «الوزير أيده الله صادق فمن أخبره؟»

فأوماً إلى زيدان الفهرمانه وأن القاضى أبا عمر عرف تنكر الوزير له. ووصل إلى منزله وقت العشاء الآخرة فإذا بأبى عمر وابنه جالسين فى مسجد على^(٢) يابه فأكبر ذلك ونزل إليهما فحلفا عليه أن يدخل إلى منزله

١. مى مط. وعرضى.

٢. على سقطت من مط

ودخلاه بدخوله فقالا له :

- « حبر المجلس عندنا، فما الذي ترى؟ »

فقال لهما :

- « إرالة الإعتذار والإحتجاج ورثة المال. »

فاستجابا، وكان مبلغ المال ثلاثة آلاف دينار وسألاه التسكين عنهما لثلاث

بعاثلا فبكر ابن قرابة إلى ابن الفرات فقال له :

- « قد جاءني أبو عمر القاضي وابنه قَلْبَيْن، وذكر أن المال بحاله. »

فقال :

- « الحمد لله رب العالمين. »

فلما كان في اليوم الثاني من ذلك حمل أبو بكر الثلاثة الآلاف الدينار في

برثية^(١) كانت ضمنت الوديعة فلما رآها ابن الفرات عجب [143] وأمر

بتسليمها :

وعادًا إلى خبر حامد في وزارته

ولنا رأي حامد وعيسى بن عيسى تمكن ابن الحواري من المقتدر بالله
خرج توقيع حامد بخط عيسى بن عيسى بتقليد ابن الحواري جميع أعمال
الاعطاء^(٢) في العساكر لسائر نواحي المغرب من حد هيت إلى آخر حدود
منصر، وأن يقام له من الرزق مثل ما كان يقام لجميع من كان ينظر في ذلك
في آخر أيام وزارة ابن الفرات الثانية، وأن يقلد ابنه - وكانت سنه في الحال
نحو عشر سنين - ويجري عليه ما يبلغه في الشهر مائة وخمسون دينار
وقلّد ابنه هذا بيت مال الاعطاء بالحضرة بحق الأصل بجاري مائة وثمانين

١. الكلمة مهذبة تماماً في مط

٢. كذا في الأصل: الاعطاء.

ديناراً في الشهر واستخلف له عليه المعروف بقا طرميز الكاتب.
وراد بعد ذلك اختصاص ابن الحوارى وخدمته له في خلواته وكنان
يشاوره في أموره فقد أعملاً آخر وأجرى عليه واستخلف له عليها. فكان
يصل إليه مال عظيم ولا يباشر شيئاً من الأعمال ولا يدرى ما يحرى فيها.
وصرف نزار عن الشرطة بمدينة السلام وقد نُجح الطولوني واستخلف
عليها وأقام في الأرياع فقهاء يعمل أصحاب الشرط في أمر الجنة بما يفتون
به في أمرهم فصفت هيئة الشرطة بذلك واستلان^(١) اللصوص والعتارون
جانب نُحج [144] فكثرت الجراحات والفتن وتفاقم الأمر في التلصص وكان
العتارون يقولون:

أُخْرِجْ وَلَا تُسَالِي مَا دَامَ نُجُحٌ وَالِي.

ودخلت سنة سبع وثلاثمائة

كان غرض حامد في الصمانات على التواحي التي ذكرناها تفرد على ابن
عيسى بتدبير العمسكة وإبطاله أمر حامد. فتصقّ حامد بهذه التواحي ليكون
له بالحضرة أمر وهي وليوقم من هذه الأعمال ما يبطل به السوق التي قامت
لعليّ بن عيسى عند المقتدر بالكفاية والعفاف. وإنما لم يدخل أعمال فارس
في ضمانه لأنها كانت في ضمان أبي القاسم ابن بسطام وكان النعمان يشير
على حامد بترك الدخول في الضمان فإنه زعم أنه تسقط هيئته عند الناس
ويصير عليّ بن عيسى المطالب له بالأموال والمتحكم عليه.

وكان أبو عيسى أخو أبي صخرة قديم الصداقة لحامد وكان يشير عليه
بالضمان ليتبين أثره وأن يتصقن بعبارة سني عليّ بن عيسى خاصة ليكون ما

يشيره - وهو شيء كثير وافر - استدراكاً على علي بن عيسى. فقال حامد إلى هذا الرأي وخاطب علي بن عيسى بحضرة المعتذر وقال له :

- «قد تفرّد بتدبير الأمور دوني وليس ترى أن تشاورني في شيء بعمله ولا يد من صدق أمير المؤمنين. فقد أضعت بالسواد والأهواز وإصبهان أربعمئة [145] ألف دينار في كلّ سنة وأنا أصمن هذه الأعمال أربع سنين بعبرة المحمول والمسبب^(١) في سني وزارتك وزيادة أربعمئة ألف دينار في كلّ سنة.»

فأجابه علي بن عيسى بأنه لا يستصوب تضمينه هذه الأعمال لأنّ مذهبه في ضبط^(٢) الرعيّة وإحداث السنن وضرب الأبصار معروف ومن عمل بهذه السيرة فهو لا محالة يوفر سنة أو أكثر ثمّ تخرب خراباً لا يتلافى في سنين فيبطل الإرتفاع ويسىء الذكر. فتخاصما خصوصاً طويلاً فقال المعتذر :

- «هذا يوفر من حامد ولا يجوز تركه فإنّ ضمنت أنت هذه النواحي بما صمته حامد ضمنتك.»

فقال علي بن عيسى :

- «أنا كاتب وليست بعامل وحامد أولى بالضمان لا سيّما وقد بذل ما بذل راغباً والأثر في ذلك يا أمير المؤمنين، لأنّي قد عمرت البلدان لرفقي بالرعيّة وتقليدي من العنّال من أزال المؤمن عنهم، وسنة سبع قد تساهت عمارتها وليس يقدر أن يقول إنه يتضمّنها ليستزيد في عمارتها لأنّ أيام العمارّة قد انقضت منذ مدّة.»

فأمر المعتذر بعقد الضمان على حامد وأخذ خطّه به فخرجوا. وتقدّم علي بن عيسى إلى أصحاب الدواوين بإحراج البحر من دواوينهم

١. م في الأصل تصب مطموس. وما ألتصاء هو من مط. في مد أيضاً: المسبب

٢. في مط: حظ الرعيّة.

بعر السنين القريبة لأنها أوفر [146] فأخرج عبيرة المحمول والمسبب مع مال النفقات الراتبية في مواحي السواد والأهواز لسنة من ثلاث سنين أولاً سنة ثلاث وأخراً^(١) سنة خمس وثلاثمائة - ثلاثة وثلاثين ألف ألف درهم. وأخرج عبيرة الضياع الخاصة والمستحدثة والعباسية والقراقسية للمحمول والمسبب ثمانية آلاف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم وأخرج عبيرة مال إصبهان مع النفقات الراتبية بقسط سنة واحدة من ثلاث سنين سنة آلاف ألف وثلثمائة^(٢) ألف درهم تصير الجميع لسنة واحدة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ومائة ألف درهم والريادة التي يذللها حامد وهي عن قيمة أربعمائة ألف دينار خمسة آلاف ألف وثمانمائة ألف درهم يبلغ الجميع ثلاثة وخمسون ألف ألف وتسعمائة ألف درهم.

والتمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يأمر بتسليم جماعة من الكتاب إليه ليوليهم كتابته على ديوان ضمايه واحتار عبيد الله بن محمد الكلواذي وأحمد بن محمد بن زريق وغيرهما، فتقدم المقتدر بإحايه إلى ما سأله بعد أن عقد علي بن عيسى عليه الضمان باسم صاحبه محمد بن منصور وأخذ حط حامد بتصنئه عنه ما عقده باسمه واعتمد حامد بن العباس على عبيد الله بن محمد الكلواذي فكان ينظم الأعمال التي يخرجها كتاب حامد ويوكل الموافقة عن [147] حامد في دار السلطان ويرفق في المناظرة ويستعمل الحجة فقط.

واعتمد علي بن عيسى على الصقر بن محمد في مناظرة كتاب حامد، فكان حامد إذا حصر لا يزيد على النشم والسبب لعلي بن عيسى وذكره بالقبيح في نفسه وأسلافه واستعمل في ذلك ما فضح به المملكة وشاع في

١. في مط: أمواهين، وهو تصحيف.

٢. في مط: ستمائة ألف

الخاص والعامّ الحبر به ثمّ أصلح المقتدر بينهما بعضرتة.

وأسرف عليّ بن عيسى في الإلحاح على حامد في حمل المال واحتاج حامد إلى أن يسأذن في الخروج إلى الأهواز فأذن له وذكر أبو التماسم الكلواذى أنّه يضعف عن مقاومة عليّ بن عيسى عند غيبتة، فنصب حامد صهره أبا الحسين محمّد بن أحمد ابن بسطام للنيابة عنه في دار السلطان عند المأطرة وإعزاز^(١) الكلواذى ليستوفى حجّته وظهرت في ذلك الوقت صناعة الكلواذى وكفايته وصحة عمله فكان ذلك من أكبر أسباب نياحته.

وجرى خلاف كثير بين كتاب حامد وبين كتاب عليّ بن عيسى يطول ذكرها، ورضى حامد بوساطة النعمان فيها وكتب بذلك وتوسّط النعمان وقرّر الأمر من سائر أبواب الخلاف على مائة ألف دينار بقسط سنة واحدة.

وكتب ابن بسطام والكلواذى إلى حامد وهو [148] بالأهواز بصورة ما تفرّج عنه الحكومة، فدير حينئذٍ حامد في ذلك تدبير الشيوخ المجريين. فكتب إلى المقتدر كتاباً وأنفذ مع غلام له فأوصل نصر الكتاب مختوماً إلى المقتدر فوجده قد ذكر فيه أنّه لم يدخل في هذا الضمان لاستحلاب فائدة لنفسه ولا للربح على السلطان وإبما أراد أن يبيّن عن خبرته بالأعمال وحفظ الأموال وقبح آثار عليّ بن عيسى فيما تولّاه قديماً وحديثاً وأنّه كان بذل زيادة أربعمئة ألف دينار في كلّ سنة، وأنّه لما صار بالأهواز لاحت له زيادة مائتي ألف دينار في سنة سبع على أربعمئة ألف دينار، فوَقَر ذلك وكتب كتابه بخطّه حجّة عليه لينصف ذلك إلى الزيادة الأولى ويثبت في الدواوين.

فسرّ المقتدر بذلك وأمر بتقويه يد حامد وأن يعصر بعليّ بن عيسى على

١. لم تتأكّد من صحة القراءة، ما في مطّ مهمل دور أيّ نقط. وقرئ في مدّ - اغرار. والتستطه في الأصل على الرأ بفاصلة غير معادة والإعزاز. الإعانة.

النظر في حوائج القواد والحاشية والإحتياط فيما يُطلق من الأموال في النفقات فإنه بذلك أبصر من حامد، وبأفراد حامد بجباية الأموال والنظر في النواحي.

وخاف عليّ بن عيسى أن تقوى يد حامد فسلم إليه. واتفق بعقب ذلك أن تحرّكت العامة ثم الخاصة بسبب زيادة السعر وشغبوا [149] شغباً عظيماً متصلاً أشفى به الملك على الزوال وبغداد على الخراب. فادّعى كتاب حامد وأسبابه ومن يميل إليه أنّ عليّ بن عيسى حمل العامة وأكثر الخاصة على الشغب لأنّ السعر لم يكن زاد زيادة توجب ما خرجوا إليه وإنما بلغ الخبر الحواري ثمانية أرطال بدرهم.

ذكر ما اضطرب لأجله أمر حامد بن

العبّاس حتّى فسّخ صمّانه

تجمع الناس وقوم من أمثال العامة فتظلموا من زيادة السعر وضجّوا في وجه عليّ بن عيسى لما ركب، ثمّ نهب العامة دكاكين الجماعة من الدقاقين ببغداد ثمّ اجتمعوا إلى باب السلطان فضجّوا.

فتقدّم المقتدر إلى ابن الحواري بأن يكتسب إلى حامد بأن يهادر إلى الحضرة^(١) وينظر كى أمر الأسعار فيزيل التريص يبيع الغلات لتتخطّ الأسعار، فنفذ الكتاب بذلك فخرج حامد من الأهواز وأخذ المقتدر ماهر^(٢) الخادم لاستعجاله.

وخرج أصحاب الدواوين والقواد لتلقّيه وخرج نصر وابن الحواري فتلقّاه وخرج عليّ بن عيسى فتلقّاه، ووصل إلى المقتدر بالله فحاطبه بجميل وعزّوه

١ في مد: الحصور (تفهيراً للأصل).

٢ في مط: ما هو

إحماده إتياء على ما وقره وأمر بأن يُخلع عليه فخلع عليه وحُمل على شهرى وانصرف إلى منزله. [150]

وتحرّك الجند لغد^(١) ذلك اليوم فى دار السلطان وضجّوا لارتفاع السعر، وتحركت العامة فى المساجد الجامعة ببغداد وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة بعد الركعة الأولى واستلبوا الثياب ورجعوا بالآجر وكثرت الجراحات واجتمع منهم فى المسجد الجامع الذى فى دار السلطان عدد كثير على نصر الحاجب فوثبوا عليه ورجعوه بالآجر.

ثم صاروا فى ذلك اليوم إلى دار حامد بن العباس فأخرج إليهم غلمانهم فرمواهم بالآجر والنشاب وقتل خلق من العامة فحملوا على الجنائز وشنعوا بهم.

ووجه حامد جماعة من غلمانهم ومعهم ديوداذ بن محمد وهو ابن أختى يوسف بن أبى الساج، فدخلوا المسجد الجامع بالجانب الغربى على دوابهم فقتلوا جماعة وقتل أيضاً من الجند عدّة ويات الناس ليلة السبت على صورة قبيحة من الخوف على أنفسهم وأموالهم وخُرّمهم وضعف صاحب الشرطة عن مقاومتهم لكثرة من نجم من العامة.

فلما أصبحوا يوم السبت صار من العامة عدد كثير إلى الجسور فأحرقوها وفتحوا السجون ونهبوا دار صاحب الشرطة ودار غيره، فأنفذ المقتدر جماعة من العلماء الحبرية [151] فى شذات عدّة لمحاربة العامة وركب هارون بن غريب^(٢) الخال فى جيش عظيم إلى باب الطاق فأحرق موضع وتهارب العامة من بين يديه إلى المسجد الجامع بباب الطاق ووكل هارون بباب المسجد وقبض على جميع من وجده ولم يفرّق بين المسور والعتار وحملهم

١. قرئ الأصل فى مد: بعد.

٢. فى مط: غريب الحال.

إلى مجلس الشريعة فضرب بعضهم بالسوط وبعضهم بالدرّة وقطع أيدي قوم عُرِفوا بالإفساد.

ثم ركب يانس^(١) الموقفي يوم الأحد فسكّن الناس ونادى فيهم وزالت الفتنة، ثم ركب حامد في طيّاره يريد دار السلطان فقصدته العامة ورجعوه بالآجر. فأمر المقدر شفيحاً المقتدرى بالركوب لتسكين العامة، فركب وسار في الجانب الغربي وفيه كانت الفتنة، فسكّن الناس ثم قبض على جماعة من العامة فضرب بعضهم بالسوط وقطعت أيدي قوم عُرِفوا بالرجم.

وضعت الرجالة المصافية^(٢) في دار السلطان من زيادة السعر فتقدم المقدر بالله بفتح الدكاكين والبيوت التي لحامد والسيدة والأمراء أولاد الحليفة والوجوه من أهل الدولة وبيع الحطة بمقضان خمسة دنائير في الكُرّ وبيع الشعير بحسب ذلك وبمطالبة التجار والباعة أن يبيعوا بمثل هذا [152] السعر فركب هارون بن غريب ومعه إبراهيم بن بطحاء المحتسب فسُعر الكُرّ المعدل بخمسين ديناراً وتقدم إلى الدقّافين بذلك فرضى العامة وسكنوا وانحلّ السر.

فسخ الضمان عن حامد بن العباس

ومخرج توقيع المقدر إلى حامد بن العباس بفسخه عنه الضمان لأجل الفتنة وضجيج العامة من زيادة السعر وتوقيع إلى عليّ بن عيسى بأن يدبّر هو الأعمال بالسواد والأهواز وإصيهان ويقلّدها^(٣) العمال من قبله وأن يكتب عنه كتاباً إلى العامة يقرأ في الشوارع والأسواق ثم على المنابر بأنّه قد زال

١. ما في مط: مهمل من دون نقط.

٢. في مط: المصافة.

٣. قرئ الأصل في مد: وتقليدها.

ضمان حامد بن لعباس وخطر على جميع الوجوه والنفوذ والعلماء أن يتضمنوا بشيء من الأعمال. وكتب حامد إلى عماله بالإنصراف من الأعمال وتسليمها إلى عمال علي بن عيسى وانخرل حامد بن العباس لذلك.

ودخلت سنة ثمان وثلاثمائة

وفيها ورد الخبر من مصر بحركة الفاطمي إليها فأخرج مونس الخادم إليها.

وفيها خلع على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وقُد طريق خراسان والدينور وخلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا. وفيها ورد رسول أخى صعلوك^(١) بالمال والهدايا فخلع [153] عليه.

ودخلت سنة تسع وثلاثمائة

وفيها وردت الكتب وقُرأت على المنابر بهزيمة المغربي واستباحة عسكره.

وفيها لُقّب مونس: المطمّر، وأنشئت^(٢) الكتب به عن المقتدر بالله إلى أمراء النواحي وعُقد له على مصر والشام. وفيها دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلي بن العماد الديلمي الذي خرج بطبرستان.

وفيها اشتهر أمر النعلاج واسمه الحسين بن منصور حتى قُتل وأُحرق.

١. والبشارة في مط: وفيها وصل أخى صعلوك (بضمير وإسقاط).

٢. في مط: وأبشّت.

ذكر خير الحسين بن منصور الحلاج

وما آل إليه أمره من القتل والمثلة

إنهى إلى حامد بن العباس في أيام وزارته أنه قد موّه على جماعة من الحشم والحجاب وعلى غلمان نصر الحاجب وأسبابه وأنه يحيى الموتى وأن الجن يخدمونه فيحضرونه ما يشتهيّه وأنه يعمل ما أحب من معجزات الأنبياء. وادّعى جماعة أن نصراً مال إليه وسمى قوم بالسمرى وبعض الكتاب وبرحل هاشمى أنه نبي الحلاج وأن الحلاج إله - عزّ^(١) الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فقبض عليهم وناظرهم حامد فاعترفوا بأنهم يدعون إليه وأنه قد صبح عندهم أنه إله يحيى الموتى وكاشعوا الحلاج بذلك [154] فحجده وكذبهم وقال :

- «أعوذ بالله أن أدعى الربوبية والنبوة وإنما أنا رجل أعبد الله عزّ ذكره وأكثر الصوم والصلاة وفعل الخير ولا غير»

واستحضر حامد بن العباس أبا عمر القاضي وأبا جعفر ابن البهلول القاضي وجماعة من وأحوه الفقهاء والشهود واستفتاهم في أمره، فذكروا أنهم لا يفتون في قتله شيء إلى أن بصح عندهم ما يوجب عليه القتل وأنه لا يجوز قبول قول من ادّعى عليه ما ادّعاه - وإن واجهه - إلا بدليل وإقرار منه.

فكان أول من كشف أمره رجل من البصرة تصّح فيه وذكر أنه يعرف أصحابه وأنهم متفرقون في البلدان يدعون إليه وأنه كان ممن استحاب له ثم

تبين مخرقته فقارقه وخرج عن جملته وتقرّب إلى الله بكشف أمره.
 واجتمع معه على هذه الحال أبو عليّ هارون بن عبد العزيز الأورجى^(١)
 الكاتب الأنباري وقد كان عمل كتباً ذكر فيه معاريف الحلاج وحيله فيه
 وهو موجود في أيدي جماعة والحلاج حينئذٍ مقيم في دار السلطان موثّق
 عليه مأذون لمن يدخل إليه وهو عند نصر الحاجب
 وللحلاج إسمان: أحدهما الحسين بن منصور والأخر محمد بن أحمد
 الفارسي، وكان استهوى [155] نصراً وجاز عليه تمويهه وانتشر له ذكر عظيم
 في الحاشية فبعث به المقتدر إلى عليّ بن عيسى ليأظره فأحضر مجلسه
 وخاطبه خطاباً فيه غلطة فحكى أنّه تقدّم إليه وقال له فيما بينه وبينه:
 «قف حيث انتهيت ولا ترد عليه شيئاً وإلا قلبت عليك الأرض».
 وكلاماً في هذا المعنى. فتهيب عليّ بن عيسى مناظرته واستعفى منه وتقل
 حينئذٍ إلى حامد بن العباس.

الحلاج وبنت السمرى

وكانت بنت السمرى صاحب الحلاج قد أدخلت إلى الحلاج وأقامت عنده
 في دار السلطان مدة وبعث بها إلى حامد ليسألها عمّا وقفت عليه من أخباره
 وشاهدته من أحواله.
 فذكر أبو الفاسم بن^(٢) زنجي^(٣) أنّه حضر دخول هذه المرأة إلى حامد بن
 العباس وأنّه حضر ذلك المجلس أبو عليّ أحمد بن نصر البازياري من قبل أبي

١. في مط: الأورجى (بالهاء المهملة).

٢. في الأصل ومط: أبو الفاسم الزنجي وفي المواطن الآتية: أبو الفاسم بن زنجي، فوجدنا الصبط

وهو يوافق ما في صلة عريب: ٨٨ ٩١

٣. الزنجي، كنا في الأصل ومط. في مد زنجي.

القاسم ابن الحواري ليسمع ما تحكيه. فسألها حامد عما تعرفه من أمر الحلاج، فذكرت أن أباه السمرى حملها إليه وأنها لما دحلت إليه وهب لها أشياء كثيرة عذدت أصنافها.

قال أبو القاسم، وهذه المرأة كانت حسنة العبارة عذبة الألفاظ مقبولة الصورة فكان مما أخبرت عنه أنه قال لها.

«قد زوّجتك من سليمان ابني وهو أعزُّ أولادي عليّ [156] وهو مقيم بنيسابور وليس يحلو أن يقع بين المرأة والرجل^(١) كلام أو تنكر منه حالاً من الأحوال وأنت تحصلين عنده وقد وصّيه^(٢) بك فإن جرى منه شيء تنكرينه فصومي يومك واصعدي آخر النهار إلى السطح وقومي على الرماد والملح الحريش^(٣) واجعلي فطرك عليهما واستقبليني بوجهك واذكري لي منه ما تنكرينه منه، فأني أسمع وأرى.»

قالت: وأصبحت يوماً وأنا أنزل من السطح إلى الدار ومعى ابنته وكان قد نزل هو فلما صرنا على الدرجة بحيث يرانا ونراه قالت لي ابنته:

«اسجدي له»

فقلت لها:

«أو يسجد أحد^(٤) لغير الله؟»

قالت: كَسَمِّحُ كَلَامِي لها فقال:

«نعم، إله في السماء وإله في الأرض.»

قالت: ودعائي إليه وأدخل يده في كتفه وأخرجها مملوءة مسكاً ودفعه

١. في مط: الزوج، بدل «الرجل».

٢. في مط: لعنه.

٣. في مط: وملح الحريش.

٤. أحد، الكلمة سقطت من مط.

إلى ثم أعادها ثانية إلى كتمه وأخرجها مملوءة مسكاً ودفعه إلى وفعل ذلك مرات ثم قال :

« واجعلى هذا فى طيبك فإن المرأة إذا حصلت عند الرجل احتاجت إلى الطيب. »

قالت : ثم دعانى وهو جالس فى بيت على يوارى فقال :
 « ارفعى جانب البارية من ذلك الموضع وخذى ممّا تحته ما تريد. »
 وأوماً إلى زاوية البيت فجئت إليها ورفعت البارية فوجدت تحتها الدنانير مفروشة [157] ملء البيت، فبهرنى ما رأيت من ذلك. فأقست المرأة
 رحلت فى دار حامد إلى أن قُبل الحلاج.

الجدّ فى طلب أصحاب الحلاج

وجد حامد فى طلب أصحاب الحلاج وأذكى العيون عنهم وحصل فى يده منهم حيدرة والسمري ومحمد بن عليّ القنّاي^(١) والمعروف بأبى المعيث الهاشمي، واستتر ابن حماد وكبس منزله فأخذ من دقار كثيرة وكذلك من منزل محمد بن عيسى القنّاي فكانت مكتوبة فى ورق صينى وبمضها مكتوب بماء الذهب مبطّنة بالديباج ولحرير مجلّدة بالأدم الحيد ووجد فى أسماء أصحابه ابن بشر وشيكر فسأل حامد عن حصل فى يده من أصحاب الحلاج عنهما فذكروا أنّهما داعيان له بحراسان.

قال أبو القاسم بن زنجى : مكتبا فى حملهما إلى الحضرة أكثر من عشرين كتاباً فلم يرد جواب أكثرها. وقيل فيما أجيب عنه منها : إنّهما يطلبان ومتى حصلّا حملاً، ولم يُحملا إلى هذه الغاية.

١ فى مط القنّاي.

وصاياہ للدعاة إلیہ

وكان في الكتب الموجودة له عجائب من مكاتبات أصحابه السافدين إلى السواحى وبوصيته إيتاهم بما يدعون إليه الناس وبما يأمرهم به من نقلهم من حال إلى حال أخرى ومرتبعة إلى مرتبة حتى يبلغوا العاية القصوى وأن يخاطبوا [158] كل قوم على حسب عقولهم وأهملهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم وحوارات لقرم كانبوه بالفاظ مرموزة لا يعرفها إلا من كتبها ومن كتبت إليه.

كلام غريب من غلام حامد في الحلاج

وحكى أبو القاسم بن زنجى قال : كنت أنا وأبى يوماً بين يدى حامد إذ نهض من مجلسه وخرجنا إلى دار العامة وجلسنا فى رواقها وحضر هارون بن عمران الجهمذ بين يدى أبى ولم يزل يحدثه فهو فى ذلك إذ جاء غلام حامد الذى كان موكلًا بالحلاج وأومأ إلى هارون بن عمران أن يخرج إليه فنهض مسرعاً ونحن لا ندري ما السبب، فغاب عنا قليلاً ثم عاد وهو متغير اللون جداً فأبكر أبى ما رأى منه فسأله عن خبره فقال :

«دعائى العلام الموكل بالحلاج فخرجت إليه فأعلمنى أنه دخل إليه ومعه الطبق الذى رسمه أن يقدم إليه فى كل يوم فوجده قد ملأ البيت بنفسه فهو من سقته إلى أرضه وجوانبه حتى ليس فيه موضع، فهاله ما رأى ورمى بالطبق من يده وعدا مسرعاً وأنّ العلام ارتعد وانتفض وخمّ.

فبينما نحن نتعجب من حديثه إذ خرج إلينا رسول حامد وأذن فى الدخول إليه فدخلنا وجرى حديث العلام فدعا به وسأله عن خبره فإذا هو محموم، وقصّ [159] عليه قصّته فكذبته وشتمه وقال :

- «فُزِعَتْ من نيرنج الحلاج - وكلاماً في هذا المعنى - بعك الله أعزب عني.»

كيف حلّ دم الحلاج

فانصرف الغلام وبقي على حاله من الحمى مدة طويلة ثم وجد حامد كتاباً من كتبه فيه .

- «إنَّ الإنسان إذا أراد الحجَّ فلم يمكنه أفرد في بيته بناءً مربعاً لا يلحقه شيء من النجاسات ولا يتطرَّقه أحد. فإذا ضرب أيام الحج طاف حوله وقضى من المناسك ما يُقضى بمكة، ثم يجمع ثلاثين بيتاً ويعمل لهم أسرى^(١) ما يمكنه من الطعام ويُحضرهم ذلك البيت ويقدم لهم ذلك الطعام ويتولَّى خدمتهم بنفسه. ثم يغسل أيديهم ويكسو كل واحد منهم قميصاً ويدفع إلى كل واحد سبعة دراهم أو ثلاثة دراهم - الشك من أبي القاسم بن رجبى - وإن ذلك يقوم له مقام الحج.»

قال : وكان أبى يقرأ هذا الكتاب قلماً استوفى هذا الفصل التفت أبو عمر القاضى إلى الحلاج فقال له :
- «من أين لك هذا؟»

قال : «من كتاب الإخلاص للحسن البصرى.»
قال له أبو عمر :

- «كذبت يا حلال الدم.»

قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن البصرى بمكة وليس فيه شيء مما ذكرت. فكلما^(٢) قال له أبو عمر : «يا حلال الدم» قال له حامد .

١. الأسرى. الأسرى من قلوبهم : سرا، أى كن سرّاً، أى صاحب مروءة وسخاء.

٢. فكلما كذا فى الأصل ومط : وقرئ فى مد : فكلما.

- «أكتب ما قلت».

فتشاغل أبو عمر بحطاب الحلّاج فلم يدعُ حامد يستشاغل [160] وألح عليه إلحاحاً لم يمكنه معه المخالفة، فكتب بإحلال دمه وكتب بعده من حضر المجلس فلما تبين الحلّاح الصورة قال:

- «طهرى^(١) حمى ودمى حرام وما يحلّ لكم أن تأولوا علىّ بما يبيحه. اعتقادي الإسلام ومذهبي السنة، ولي كتب في الوراقين موجودة في السنة، فالله الله في دمي».

كتاب القوم وجواب المقتدر

ولم يزل يردّد هذا القول والقوم يكتبون خطوطهم حتى كمل الكتاب بخطوط من حصر فأنفذه حامد إلى المقتدر بالله. فخرج الجواب:

- «إذا كان فتوى القضاة فيه بما عرضت فأحضره مجلس الشرطة واضربه ألف سوط، فإن لم يمت فتقدّم بقطع يديه ورجليه، ثم اضرب رقبته وانصب رأسه وأحرقه^(٢)».

فأحضر حامد صاحب الشرطة وأقرأه التوقيع وتقدّم إليه بتسلّم الحلّاج وإمضاء الأمر^(٣) فامتنع من ذلك، وذكر أنّه يخوّف أن يُنتزع من يده. فوقع الاتفاق على أن يحضر بعد العتمة^(٤) ومعه جماعة من غلمانه وقوم على بغال يجرون مجرى الساسة^(٥) ليُجمل على بغل منها ويدخل في غمار القوم. وأوصاه بأن لا يسمع كلامه. وقال له:

١. في مط طهرى. وضبط العبارة من الأصل.

٢. في مط: المعتمد بدل «العتمة»!

٣. في مط. التلة، بدل الساسة

- «لو قال لك أجهري لك دجلة والفرات ذهباً وفضة فلا ترفع عنه [161] الضرب حتى تقتله كما أمرت.»

تنفيذ أمر المعتذر في الحلّاج

ف فعل محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة ذلك وحمله تلك الليلة على الصوذة التي ذكرت وركب غلمان حامد معه حتى أوصلوه إلى الجسر وبات محمد بن عبد الصمد ورجاله حول المجلس.

فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بعين من ذي القعدة أخرج الحلّاج إلى رحبة المجلس واجتمع من العامة خلق كثير لا يُحصى عددهم وأمر الحلّاج بضربه ألف سوط فضرب وما تأوّه ولا استغنى.

قال: فلما بلغ ستمائة سوط قال لمحمد بن عبد الصمد:

- «ادعُ بي إليك فإنّ عندي نصيحة تعدل عند الحليفة فتح قسطنطينية.»

فقال: «قد قيل لى إنك ستقول هذا وما هو أكثر منه، وليس إلى رفع

الضرب عنك سبل.»

فسكت حتى ضرب ألف سوط ثمّ قطعت يده ثمّ رجله ثمّ يده ثمّ رجله^١ ثمّ ضرب عنقه وأحرفت جثته ونصب رأسه على الجسر، ثمّ حمل رأسه إلى خراسان.

وادّعى أصحابه أنّ المضروب كان عدواً للحلّاج ألقي شبهه عليه. وادّعى بعضهم أنّه رآه وخاطبه في هذا المعنى بهجالات لا يكتب مثلها. وأحضر الوراقون وأحلفوا أن لا يبيعوا شيئاً من كتب الحلّاج [162] ولا يشتروها.

١. ثم يده ثمّ رجله. جاء في الأصل أيضاً بال تكرار. وليس هذا من خطأ النسخ بل للتعبير عن ترتيب القطع. ومهدف التكرار لى مد ظناً أنّه تكرار زائد.

ودخلت سنة عشر وثلاثمائة

إطلاق يوسف بن أبي الساج والعقد له على أعمال

وفيها أطلق يوسف بن أبي الساج بمسألة مونس المظفر من الحبس وشفاعته ثم حمل إليه مال وكسوة ثم وصل إلى المقتدر بالله وكان ركب في سواد فقيل البساط ثم يد المقتدر وخلع عليه خلع الرضا وحمل على فرس بمركب ذهب.

ثم جلس المقتدر في دار العامة بعد أيام وعقد له على أعمال الصلاة والمعاون والمخراج والضياح بالرى وقزوين وأبهر وزنجان وأذربيجان وركب معه مونس المظفر ونصر الحاجب وشفيع ومفلح وجميع من بالحضرة من القواد والعلماء وكانت الدار قد شحنت له بالرجال واسلح واحتشد له.

واسكتب يوسف بن أبي الساج محمد بن حلف النيرمانى وقوطع عن الأعمال التي تقلدها على خمسمائة ألف دينار محمولة في كل سنة على أن عليه القيام بمال الحبس الذي في هذه الأعمال والمقات الرتبة. وخلع على وصيف البكرى وعلى طاهر ويعقوب ابني محمد بن عمرو بن أليث.

من بعض حوادث السنة

وفيها ولد ناروك الشرطة ببغداد وخلع عليه وعزل عنها محمد بن عبد الصمد وخلع عليه وعزل عنها محمد بن عبد الصمد وخلع على وصيف البكرى خلعة أخرى [163] وضم إلى يوسف بن أبي الساج وشخص يوسف بن أبي الساج إلى عمه على طريق الموصل، فلما وصل إلى أربيل وجد غلامه شريك قد مات.

وفيها وصل إلى بغداد هدية أبي زهور الحسين بن أحمد المادرائى من

مصر وفيها بعلته معها فُلُو^(١) وكان يتبعها ويرتضع منها وغيلام طويل السنان يلحق طرف أرنبته.

وفيها قبض على أم موسى القهرمانة وعلى أختها وأخيها
ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن أم موسى زوّجت بنت أخيها أبي بكر أحمد بن العباس من أبي العباس بن محمد بن إسحاق بن المتوكل على الله، وكان من أولاد الخلفاء النجباء وكانت له نعمة حسنة ظاهرة وكان حسن المروءة واللبسة والدواب والمراكب، وكان صديقاً لعلي بن عيسى حتى قيل: إنه كان يرشحه للخلافة.

فلما وقعت المصاهرة بينه وبين أم موسى أسرفت فيما نثرت من المال وفيما أنفقت على دعوات دعت فيها الصغير والكبير من أهل المملكة في بضعة عشر يوماً فتمكن أعداؤها من السعي عليها ومكّوا في نفس المقتدر بالله ووالدته السيدة أنها إنما صاهرت ابن المتوكل ليزيلوا المقتدر بالله عن [164] الخلافة وينصبوا فيها ابن المتوكل.

فتنت النكبة عليها وسلّمت إلى ثقل القهرمانة مع أختها وأخيها. وكانت ثمل موصوفة بالشّر لأنها كانت قهرمانة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وكان أحمد يسلم إليها من يسحط عليه من جواربه وخدمه فاشتهرت بالقسوة والسرف في العقوبات.

واستخرجت ثمل منها ومن أختها وأخيها أموالاً عظيمة وجواهر نفيسة ومن الثياب والكسوة والمرش والطيب ما يعظم مقداره حتى نصب علي بن عيسى لذلك ديواناً وسماه: ديوان المقبوضات عن أم موسى وأسبابها، أجرى

١ كذا في الأصل: فُلُو ما في مط بهمل و فُلُو، ولد الجعش والنهر والبل في سن سنة

فيها أمر ضياعهم وأملاكهم وقلّده أبا شجاع المعروف بابن أخت أبي أيوب أبي الوزير وقلّد الزمام عليه أبا عبد الله اليوسفي الكاتب. ويقال: إنه حصل من جهتهم نحو ألف ألف دينار.

ولمّا قبض على أم موسى صرف عليّ بن عيسى ابن أبي البخل عن أعماله بقارس وقلّدها أبا عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي وصادره. ثمّ لمّا سقلّد ابن الثقات الوزارة الثالثة كتب إلى الكرخي بتجديده مصادرة ابن أبي البخل واعتقاله.

ذكر وفاة محمد بن جرير الطبري

وفيها توفّي محمد بن جرير الطبري وله نحو تسعين سنة، ودُفن ليلاً، لأنّ المائة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً، وأدّعت عليه الرقض [165] ثمّ ادّعت عليه الإلحاد.

وفيها دعا المقتدر مونساً المظفر فشرب بين يديه وخلع عليه خلع منادمة وكانت مثقلة بالذهب.

ودخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

وفيها صُرف حامد بن العباس عن الوزارة وعليّ بن عيسى عن الدواوين.

ذكر صرف حامد وعليّ بن عيسى

وردة الوزارة^(١) إلى ابن الثقات

كانت لذلك أسباب كثيرة منها أنّ حامداً شرع^(٢) في تصمّن عليّ بن

١. هي الوزارة الثالثة لابن الثقات

٢. في مط: أنّ حامداً أسر.

عيسى لما قُنع ضمانه لتلك الأعمال والبلدان التي ذكرناها وبذل أن يقوم بالأمر ويدبّر الأعمال. وكان الذي حملته على ذلك ما كان يبلعه من عرم المقتدر بالله على تقليد ابن الفرات لما كثر ضجيج الحاشية من علي بن عيسى لتأخيرهم عنهم أرزاقهم وأرزاق الحرم والولد، واقتصر بالخدم والحاشية والفرسان على البعض من استحقاقاتهم وحطّ من أرزاق العمال شهرين في كل سنة ومن أرزاق المنفيين وأصحاب الأجناد والبرد^(١) والقضاة أربعة أشهر فزادت عداوة الناس له وخشى حامد بن العباس من ابن الفرات لما سلف [166] منه إليه ولما عامل به ابنه المحسن وسائر كتابه وأسبابه.

فأمره المقتدر أن يكتب رقعة يحطّه بما يضمنه ويبدله وبشمية من يملّده الدواوين، ففعل حامد ذلك وعرض المقتدر بالله رقعته على ابن الفرات وهو في حبسه وشرح له أمره.

فقال ابن الفرات :

- «لو اجتمع مع حامد بن العباس الحسن بن مخلد وأحمد بن إسرائيل وسائر من شهر بالكفاية لما كان موضعاً لتدبير المملكة ولا لضبط أعمال الدواوين وأنه إن قلّد ذلك انخرقت الهيبة وزالت العظمة وإن علي بن عيسى على تصرف أحواله أقوم منه وأعرف بالأعمال والتدبير.»

ثمّ إنه قال :

- «أنا أتضمن خمسة أضعاف ما ضمنه حامد إن أعاده ومكّبه ممّا يريد.» فوعده المقتدر بذلك. وكان حامد مقيماً ببغداد لا يدخل نفسه في شيء من الأمور ولا يزيد على أن يحضر في أيام المواكب وينصرف. وصبر حامد من مقامه ببغداد لقبح حاله في الدلّ، ولأنّه افصح بما كان يعامله به عليّ

١. ما في الأصل: البرد، يفتح الباء، والبرد جمع البرد.

بن عيسى في توقيعاته، وذلك أنه كان يوقّع إلى كتاب الوزير حامد وإلى كتاب الدواوين إذا ذكره بما لا صبر له عليه، وكان يوقّع :
 - «ليطالب جهنم الوزير - أسعده الله - بحمل وظيفة واسط» .
 - «وليكتب إلى الوزير - أسعده الله - بأن يبادر بحمل شحير الكراع» .

[167]

وإذا تطلّم إليه متطلّم من أعمال حامد وعمّاله وقّع على ظهر رقعة :
 - «هذا ممّا ينظر فيه الوزير، أسعده الله» .

وذكر عليّ بن عيسى أنه يحتجّ في ذلك برسم قديم كان للوزراء .
 فاستأذن حامد المقتدر في الخروج إلى واسط والمقام بها لينظر في أمور ضمانه بتواحيها فأذن له وخرج .

ومنها^(١) ما جرى من أمّ موسى وما ذكرناه من خيرها وما تحدّث به الناس من أمر ابن المتوكّل وأنّ ابن الحواري ذبّر ذلك لميل أمّ موسى إليه وكشفها له أسرار الخلافة .

وكان بعض أسباب بن الفرات طرح رقعة في دار المقتدر فيها بيت شعر :
 يُهْبِكُ يُهْبِكُ هَذَا يَا دِيكَ دَارِ الْحَلِيفَةِ^(٢)

ولم يُذكر في الرقعة غير هذا البيت وهي أبيات فاحشة ليست فيها أصلح من هذا البيت، وكعمد أن جعلت الرقعة في صمّ الحليفة إلى دار حُرمة له .
 فقرأ المقتدر الرقعة وقبّحت عنده صورة ابن الحواري جداً واعتقد فيه ذلك اليوم استحلال دمه وسفكه ونكبة أمّ موسى، وُظِنَ أنّ هذا البيت كان من أوكد أسباب نكبتها وبكبتها .

ومنها أنّ مفلحاً الأسود كان شديد النحوق بالمقتدر منابراً على خدمته ثم

١. لمط : وفيها .

٢. في مط . ناديك دار الخلافة

عظم أمره حتى [168] أقطع الإقطاعات ومُلِّك الضياع الجليلة ووقعت بينه وبين حامد مباحكة وذكر مفلح حامداً بالقبيح وقال حامد:
 - «لقد هجمت أن أشتري مائة حادم أسود وأسمي كل واحد منهم مفلحاً وأهيم لعلماني.»

فحقق مفلح ذلك عليه ووقف على ذلك المحسن وعلى ما يشبه ذلك، فوجه إلى كاتب مفلح واجتمع معه وضمن له الأعمال والأموال والولايات حتى عقد حالاً بينه وبين مفلح.

تضريب من ابن الفرات عند المقتدر

وكتب المحسن رقعة إلى المقتدر بالله على يد مفلح يذكر فيها أنه إن سلم منه حامد وعلى بن عيسى ونصر الحاحب وشفيع اللؤلؤى وابن الحواري وأم موسى وأخوها والمادرانيون استخرج منهم سبعة آلاف ألف دينار، وكان أبو الحسن ابن الفرات لا يقصر وهو في الحسب في التضريب على هؤلاء وإطعام المقتدر فيهم.

وكان من طريق ما عمله وعجبه أن راسل المقتدر يوماً على يدى زيدان القهرمانه بثلثين منه قيمة لشي عشر ألف دينار أو هذا المقدار دنائير بعضها لشيء من أمره فتقدم المقتدر مع ما أخذه من أمواله أن يمنعه. فحملها إليه، ثم سأله أن يدخل إليه إذا اجتاز بموضعه ليُلقي إليه شيئاً لا تحتمله المكاتب ولا المراسلة، وكان المقتدر كثيراً [169] ما يدخل إليه ويشاوره فدخل إليه. فلما رآه ابن الفرات قام وأخذ الكيس الذي فيه الدنانير، فصفحه وفرغته بين يديه وقال له:

- «يا أمير المؤمنين قد عرفتك أن أموالك تنهب وتضيح وتضي بها الذمامات. ما تقول في رجل واحد يرتقى في كل شهر من شهور الأهلة هذا

المقدار من مالك وهو اثنا عشر ألف دينار؟»

فاستعظم المقتدر ذلك واستهوله وقال:

- «ويحك، من هذا الرجل؟»

قال له: «عليّ بن محمد ابن الحواري، وهذا سوى ما يصل إليه من المنافع لمكانه منك وموضعه من الاختصاص بك، وسوى ارتفاع ضياعه وسوى المرافق التي تصل إليه من الأعمال التي يتولاها وسوى وسوى». وردّ الدنانير إلى المقتدر بالله وقال:

- «إنّما أردت أن تشاهد ما يُصنع بك وسراه بعينك فليس الخبير كالمعاينة.»

فقام المقتدر بالله وقد عظم عنده أمر ما يجري واعتقد لابن الحواري غاية المكره.

خرج المحبوس وزيراً

فلما اجتمعت هذه الأسباب قوى عزم المقتدر على ردّ الوزارة إلى ابن الفرات. فلما كان يوم الخميس لتسع^(١) بقين من شهر ربيع الآخر وقد انحدر عليّ بن عيسى إلى دار السلطان قبض عليه وحبس عند زيدان الفهرماني في الحجرة التي كان فيها ابن الفرات، فأخرج منها [١70] ابن الفرات ليقفد الوزارة.

ابن الفرات يتحدث في أيام وزارته الثانية

قال أبو محمد عليّ بن هشام: كنت حاضراً مع أبي مجلس أبي الحسن

ابن الثمرات فسمعته يتحدث في وزارته الثانية قال :

- «دخل إليّ أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة الأتباري في محبسي^(١) من دار المقتدر بالله فطالبني أن أكتب خطّي بثلاثة عشر ألف ألف دينار.»
فقلت : «ما جرى قدر هذا علي يدي للسلطان في طول ولايتي فكيف أصدر علي مثله؟»

فقال - «إني حلفت بالطلاق أن تكذب خطك بذلك.»
فكتبت بثلاثة عشر ألف ألف من غير أن أذكر ما هي أو ضمناً فيها.
فقال -

- «فاكتب ديناراً لتبرئني من يميني.»
فلما كتبت ديناراً ضربت عليه وأكلت الرقعة وقلت :
- «قد برئت عن يمينك ولا سبيل لك إلى غير هذا»
فاجتهد جهده فلم أجد إليه شيء، فلما كن من النقد دخل إلى الحبس
ومعه أم موسى فطالب بذلك وأسرف في سبّي وشتمى ورماني بالزنا، فحلفت
بالطلاق ولست بالزنا، فحلفت بالطلاق وأني ما دخلت في شيء من محظور هذا
الجنس منذ تتف وثلاثين سنة وسبنته^(٢) أن يحلف بمثل ذلك إن غلامه القائم
على رأسه لم يأنه في ليلته تلك. فأكرت أم موسى هذه الحال وغطت
وجهها حياءً وكبراً
فقال لها ابن ثوابة :

- «هنا إنما تبطره الأموال التي وراء، ومثله في ذلك [171] مثل المرتين
مع كسرى والحجاج مع الحجاج بن يوسف، فاستأمرى السادة في إنزال
المكروه به حتى يذعن بالأموال.»

١. في مط: في مجلس

٢. سبنته: كذا في الأصل. وفي مط: شتمه. سامة الأثر: كلفه إيتاء.

قال أبو الحسن : يعنى بالسادة المقتدر ووالدته وخالته وخاطف ودستبويه أم ولد المقتدر^(١) لأنهم إذ ذاك يدبرون الأمر معاً لحداثة المقتدر.

قال ابن العرات . فعضت أم موسى ثم عادت فقالت لابن ثوابه :

« يقولون لك قد صدقت ويدك مطقة فيه وكنت في حجرة ضيقة وحر شديد فأمر بكشف البوارى حتى صرت في الشمس ونحى الحصر من حتى وأعلنت أبواب البيوت حتى حصلت في الشمس ثم قيدنى بقيد ثقيل وألبسنى جبّة صوف قد نقت في ماء الأكارع وغلّنى بغلّ وأقفل باب الحجرة وانصرف فأشرفت على التلف . قلما مضت نحو أربع ساعات إذا صوت غلمان مجتازين في الممر الذي فيه الحجرة التى أنا فيها محبوبس . »
فقال لى الخدم الموكّلون :

« هذا بدر الحادم الحرمى وهو لك صنيعة . »

فاستغثت به فصحت :

« يا أبا الخير ، الله الله فى . لك مكان من السادة ولى عليك حقوق ، وقد ترى حالى والموت أسهل علىّ ممّا أنا فيه »

فخاطب السيدة^(٢) وذكرهم حرمتى وخدمتى فى تثبيت دولهم إذ خذلهم الناس وافتتاحى [172] البلدان المغنفة وإثارتى الأموال المكسرة فإن كان دنىي يوجبّ الصلّ فالموت أروح »

فرجع إليهم فخاطبهم ورققهم ولم يبرح حتى حلّ الحديد كلّ عنيّ ثم أذنوا فى إدخالى الحتام وأخذ شعرى وتغير لباسى وتسليمى إلى زيدان وترفيعى فجاءنى مبشراً بذلك فلم يبرح حتى فعل جميع ذلك وقال :

« يقولون لك . لى ترى بعدها بؤساً . »

١ . لعلّ الصحيح . المعتضد . كما أشار إليه مد .

٢ . كذا فى الأصل ومط : السيدة . و لعلّ الصحيح السادة . كما أشرح فى مد .

ذكر الخبر عن وزارة أبي الحسن ابن الفرات الثالثة

وتقلد أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات الوزارة الثالثة في ذلك اليوم وخلع عليه واستدعى المقتدر بالله المحسن ابنه من منزله بسوق العطش فخلع عليه مع أبيه^(١) ولم يوصل المقتدر بالله إليه في ذلك اليوم أبا القاسم ابن الحوارى وطهر أولاد ابن الفرات وأسيابه واستتر بعض أسباب حامد وقبض المحسن في طريقه على جماعة من أسباب حامد.

وكان أبو علي ابن^(٢) مهلة يتقلد لعل بن عيسى زمام السواد طول أيام وزارة حامد، فلما تقلد ابن الفرات هذه الوزارة تجلد ولم يستتر وصار إليه وظهر من إعراض ابن الفرات عنه ما غض منه ولم يقبض^(٣) عليه للعودة التى يسه وبين [173] ابن الحوارى فلما قبض بعد ذلك على ابن الحوارى قبض عليه.

وانقل ابن الفرات إلى داره الأولى التى بالمحرّم وركب إليه ابن الحوارى ليهنئه فأطال عنده ونسه ابن الفرات وشاوره وخلا به فتحقق به وأظهر السرور بولايته مع ما يطنه من الحوف الشديد منه.

وكان أسباب أبي القاسم ابن الحوارى قد أشاروا عليه بالإستتار وقالوا له : - «إن المقتدر بالله لم يأذن لك عند تقليده ابن الفرات مع علمه بالعداوة بينكما إلا لسوء رأيه فيك.»

فقال ابن الحوارى :

١ فى مط، ابنه

٢ فى مط، وكان علي بن مهلة، بإسقاط «أبو».

٣ فى مط، ولم يقبض عليه المودة.

- «لو كان كذلك لقبض عليّ قبل تقليد ابن الفرات.»

فلما كان يوم الإثنين ركب ابن الفرات وركب ابن الحواري إلى دار السلطان فأذن لابن الفرات ولم يؤذن لابن الحواري فاستوحش ابن الحواري.

ثم صرّ الأمر إلى ابن الفرات وقد كان شرط عليّ ابن الفرات أن يجريه عليّ رسمه في وزارته الثانية، فإنه لم يكن يصل مع ابن الحواري ظاهراً وإنما كان يصل سراً. فلما خرج ابن الفرات من عند المقتدر بالله وانفرد دخل إليه ابن الحواري فأقبل عليه وشاوره في جميع أموره وقال:

- «قد غبت عن محاري الأمور منذ خمس سنين وأنت عارف بها وأريد أن تعاظمني وتستعمل ما يلزمك بحق المودة.»

فتفقّى ابن الحواري [174] قوله بالشكر وإظهار المناصحة وأنشأ ابن الفرات معه حديثاً طويلاً وبهص قبل أن يستتمه^(١) ونزل إلى طيّاره وأنزل معه ابن الحواري وأحمد بن نصر البازيار ابن أخيه ومحمد بن عيسى صهره وعليّ بن مأمون الإسكافي كاتبه وعليّ بن خلف النيرماني.

وكان أحوه محمد بن خلف مصاهراً له وأظهر لجماعتهم الإكرام والاختصاص لوما رآل يضاحكهم إلى أن حصل في داره. ثم أسرّ إلى العباس الفرغانى حاحبه بأن يقض عليّ ابن الحواري وجميع أسبابه، فقبض عليهم واعتقلهم في حجرة الدار واستحضر ابن الفرات في الوقت شقيقاً اللؤلؤى فأمنه إلى دار ابن الحواري لحفظها من الهب وضمّ إليه جماعة من الفرسان والرجالة وأمر بمعاملته بالجميل في مطعمه ومشربه وأفردت له دار واسعة وفرشت بفرش نظيف وأفردته عن كتابه ومن يأس به ورأسه ابن الفرات في

المصادرة وتوسط ابن قرابة بينهما.

وكان ابن قرابة متحققاً بأبن الفرات وشديد الأنس بابن الحواري، فتقررت^(١) مصادرته بعد خطاب كثير على سبعمائة ألف دينار في نفسه دون كتابه وأسبابه واشترط إطلاق أحمد بن نصر البازيار لينصرف في أداء مال التعجيل [175] وهو مائتان وخمسون ألف دينار فأطلق وأزيل التوكيل^(٢) عن دار ابن الحواري وأسبابه وسلم جميعها إلى أحمد بن نصر.

وأمر ابن الفرات بكبس مواضع فيها أسباب حامد وكتابه فأثارهم، وكان المحسن يسرف في المكروه الذي يوقعه بمن يحصل في يده منهم حتى إنه أحضر ابن حماد الموصلی وأخذ خطه بمائتي ألف دينار وسلمه إلى مستخرجه، فصفحه المستخرج صفحاً عظيماً فلم يرض المحسن ذلك وأخرجه إلى حضرته وصفحه على رأسه حتى خرج الدم من أنفه وفمه ومات ولم ينكره المقتدر وقد كان أشفق المحسن من إنكاره وخافه خوفاً شديداً.

فلما كان بعد أيام أهدى المقتدر إلى المحسن خلج مناديته وأجرى عليه من الرزق كل شهر ألفي دينار زيادة على ررق الدواوين. فضرى المحسن على مكاره الناس وأسرف المقتدر في ابتصابه أفعاله إلى أن بلغ الأمر فيه إلى أن غنى الجواري بحضرته.

أَحْسَنُ الْمُحْسِنِ أَحْسَنُ

وكان استر أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس فاستخرجه واستخرج منه ستين ألف دينار وأخذ خطه بمائتي ألف دينار بعد مكروه غليظ وغضبه على خادم يعرف بموج^(٣) كان مشهوراً بالميل [176]

١ في مط: ففتردت

٢ في مط: التوكيد

٣. كذا في الأصل ومط. موج في مد. مرج.

إليه وقبض على جماعة فأخذ خدمهم وغلمانهم الرُّوقَة وأوقع بهم المكاره.

ذكر الخبر عن قبض الوزير ابن الفرات

على حامد بن العباس

كان المقتدر قد شرط على ابن الفرات أن لا ينكح حامداً وأن يماظره على ما يجب عليه من فضل الضمان فإذا وجب عليه شيء يقول الكتاب والقضاة أخذ بعضه وقال :

« قد خدمني ولم يأخذ مني إلا رزق سنة واحدة وشرط عليّ أن لا أسلمه لمكروه ولا أدع عليه حقاً. »

فماظَرَ ابن الفرات إلى إقراره على أعمال واسط وخاطبه بأجل دعاء، ثم عمل له الأعمال واستقصى عليه الحجة وخرج عليه أموالاً عظيمة وكاتب أصحابه بمطالبته والإلحاح عليه فبن تقاعد بها وكُل به من يطالبه بالمال الواجب عليه للمصالح والبدور إذ كان ممّا لا سبيل إلى تأخير، فإن أمير المؤمنين ليس يأذن في تضمينه مسأناً.

فأظهر صاحب الوزير ابن الفرات هذا الكتاب في مجلسه وبلغ حامداً^(١) الخبر في الوقت فأظهر بواسط أن كتاب المقتدر ورد عليه بأمر فيه بالمسير إلى بغداد وخرج من واسط مع جميع كتّابه وحاشيته ورجّالته وحمل معه من الفرش والآلات والكسوة جميع ما كان يُخدم به بعد أن احتاط [١٧٧] في أمواله وأمتعته الفاخرة وأودعها عند ثقافته بواسط وضرب عند خروجه بالبوقات وأجلس غلمانه وحاشيته بأسرهم في الزواريق والسُمرّيات وبادر بهخيره على أيدي الفُجج^(٢) وعلى أجنحة الطير إلى ابن الفرات وقاد دوابه

١. في الأصل: حامد (من دون الالف).

٢. الفُجج: جمع فُجج، فارسيّ معرب، أصله الفارسيّ «فيلد»، وأصبح بالإنجليزية: «page» الفُجج

ودواب حاشيته. وأصحابه على الشط فوصل خبره إلى ابن الفرات فاستشار
ابنه المحسن ومن يختصه فيما يعمل به فأشاروا عليه بأن يبادر إلى المقتدر
ويقرئه^(١) كتاب حامد ففعل ذلك.
وقال المقتدر.

- «ما وقتت على ما عمله حامد ولا كتبت بشيء مما ادّعاء على.»
فقال ابن الفرات :

- «فإن كان كذلك فالصواب أن يُنفذ نازوك في جمع من العلمان الحصريّة
والفرسان والرجالة بعضهم في الماء وبعضهم في الظهر حتى يقبض على
حامد وأسبابه.»

فأذن له في ذلك فانصرف ابن الفرات إلى داره وأنفذ نازوك وتقدم إليه
بالمبادرة حتى يقبض على حامد وعلى أسبابه حتى لا يعوته أحد منهم.
فسار نازوك وأحطاً بأن قبض على أول من لقيه من أسباب حامد وعلى
دوابه وغلماؤه وبلغ حامداً خبره فاستتر من الطريق ونهب أسباب نازوك
بعض ما كان مع القوم [78] من الأمتعة واستظهر نازوك على الكتب
والحسيانات والأعمال وصار بالجمع إلى الحضرة.

فأمر المقتدر بتسليم جميع الكتب والأعمال إلى ابن الفرات وفرّق الأمتعة
في خزائنه والدواب في اصطلاته. ووحد ابن الفرات في الكتب المحمولة
إليه عجائب من كتب من تقرب إليهم فقبض عليهم. وكان حين ورد كتاب
حامد بالمسير من واسط واستظهر بالتوكيل بسحبته إبراهيم الذي كان
بالحضرة.

→

رسول السلطان الذي يسعى على رجليه.

١ يقرئه: كذا في الأصل ومط. وغير في مد إلى «ويقرأ» وليس بصحيح

فلما تمّ قبض نازوك على أسباب حامد أمر ابن الفرات هشاماً بالرفق بهذا الجهد مرة وبالعلظة أخرى ويسأل عن ودائع حامد، ففعل هشام به ذلك فأقرّ عمواً أنّ لحامد عنده مائة ألف دينار عيماً ثمّ حلف على أنّه ليس عنده لحامد ولا لأحد من أسبابه وديعة غيرها. فأمنه ابن الفرات على نفسه وأن لا يسلمه^(١) إلى المحسن ولم يطلع ابن الفرات المقتدر بالله على خير هذه المائة الألف إلا بعد أن تسلم^(٢) حامداً.

وانتشر الخبر في رجب أنّ حامداً إنّما استتر لأنّ المقتدر كتب إليه ينكر خروجه من واسط على تلك الحال التي خرج عليها ويأمره أن يستتر ويوافي بغداد حتّى يتوثق منه ويأخذ خطه بما يدل أن يضم [179] به ابن الفرات والمحسن وكتّابهما وأسبائهما ليسلم الجماعة إليه فاستتر المحسن والفضل والحسين والحسن أولاد أبي الحسن ابن الفرات وخرمهم وأكثر الكتاب ولم يبق في دار ابن الفرات من كتّابه الذين يحضرون مجلسه إلا أبو القاسم ابن زنجي وحده.

وكانت مدة سعاد حامد قد انقضت فصار إلى دار السلطان في رىّ الرهبان ومعه بوس خادمه وصعد إلى دار الحجة^(٣) التي فيها نصر الحاجب فاستأذن له فارس بن رُنداق^(٤) على نصر وقال :

- «حامد بن العباس قد حضر الباب وهو يستأذن على الاستاذ.»

فقال :

- «قل له يدخل.»

١. في مط : يسأله ، بدل «يسلمه»

٢. في الأصل ومط : يسلم.

٣. في مط : دار الحجة.

٤. في مط : رنداق.

فلما دخل قال له قبل أن يجلس :

- «إلى أين جئت؟»

قال : «جئت بكتابك».

فقال له :

- «فإلى هاهنا كتب إليك أن تجيء»

ولم يقم له، واعتذر إليه أنه تحت سخط الحقيقة، ووجه نصر إلى مفلح يسأله الخروج إليه، وكان مفلح يتولى الاستئذان على المقتدر إذا كان عند حرمه. فخرج مفلح وكلمه نصر في أمر حامد وقال له :

- «هو في هذا الوقت في حال رحمة ومثلك من استعمل معه الجميل ولم يواخذه بما كان منه في تلك الأمور».

ثم قال حامد لمفلح :

- «تقول لمولانا أمير المؤمنين [180] عني، بأنني أَرْضِي أَنْ أَكُونَ مَعْقُلاً فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا اعْتُقِلَ فِيهَا عَلِيٌّ بْنُ عَمِيٍّ وَسَاطِرُنِي الْوَزِيرَ وَالْمَحْسَنَ وَالْكَتَّابَ بِحَضْرَةِ لِقْهَاءِ وَالْقَضَاءِ وَوُجُوهِ الْفُؤَادِ، فَإِنْ وَجِبَ عَلَيَّ مَالٌ خَرَجْتُ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ أَكُونَ مَالِكاً لِاسْتِيفَاءِ حَاجَتِي^(١) وَمَمْرُوساً فِي نَفْسِي وَلَمْ يُمْكِنَ الْمَحْسَنُ مِنْ دَمِي لِيَجَارِبَنِي عَلَى الْمَكَارِهِ الَّتِي كُتِبَ أَوْفَعُهَا بِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ شَابٌّ وَأَنَا شَيْخٌ قَدْ بَلَغَتْ هَذِهِ السِّنُّ الْعَالِيَةُ وَالْيَسِيرُ مِنَ الْمَكْرُوهِ يَثْلُفُنِي».

فوعده مفلح بذلك ودخل على المقتدر بالله فخاطبه في أمره بضد ما وعده به، فتكلمت السيدة في أمر حامد وقالت :

- «لا يضر أن يُعْتَقَلَ فِي الدَّارِ وَيُنَظَرَ حَتَّى يُحْرَسَ نَفْسُهُ».

١ كذا في الأصل ومط : حاجتي، في مد : حاجتي.

فقال مفلح :

- «إن قُعل هذا لم يتمّ لابن الفرات عمل، لأنّ الأراجيف قد كثرت به وخربت الدنيا وبطلت الأموال..»

فقال المعتذر لمفلح :

- «صدقت..»

وأمره أن يخرج إلى نصر فيأمره أن يتمد حامداً إلى ابن الفرات. فخرج مفلح إلى نصر بذلك فأخذ نصر يطيب نفس حامداً بأن يقول :

- «لابدّ من أن تصير إلى حضرة الوزير مع ثقة لي ثم أردك إلى دار أمير المؤمنين..»

فالتمس حامد من نصر ثياباً يتخبر بها ما عليه من زيّ الرهبان، فامتنع مفلح من الإذن له في ذلك وقال :

- «قد أمرني مولاي أن أوجه به [81] في الزيّ الذي حضر فيه..»

فما زال نصر يشفع له حتى أذن له في تغيير زيّه وأنفذه مع ابن زُنداق الحاجب وبأمر مفلح ينقاد كاتبه إلى ابن الفرات يبشّره بحصول حامد وما أمر به المعتذر من تسليمه إليه.

وكان ابن الفرات على قلقٍ وانزعاجٍ لنا وقف على حصول حامد في دار السلطان واستمرّ كتابةً وأولاده كلّهم فلما جاءت رسالة مفلح سكن بعض السكون وصلى الظهر وجلس وليس بين يديه غير ابن زنجي وهو ينظر في العمل نظراً خفيفاً إلى أن ذكر بعض الغلمان أنّ طياراً من طيارات الخدمة قد أقبل، ثمّ قدّم عند درجة داره وبأمر البوابون بحبره ودخل ابن الزنداق ومعه حامد بن العباس فلما رآه ابن الفرات قال له :

- «لم تركت عملك وجئت؟»

قال : «بكتابك جئت..»

قال: «فلم لم تقصد داري إن كنت جئت بكائي؟»

قال: «حُرمت التوفيق.»

ولم يزل يخاطبه بالكاف^(١) من غير ذكر الولاية. وأخرج ابن الزنادق رقعة نصر الحاجب إلى الوزير بإنفاذ حامد إليه فألقاها إلى ابن زنجي وقال: «اكتب بوصوله.»

فكتب وسلم الجواب إلى ابن زنادق فنهض من المجلس. فلما انصرف ضعفت نفس حامد وأقبل يخاطب ابن الفرات بالوزارة ولأن كلامه وبان فيه [182] الخضوع.

وأمر ابن الفرات يحيى بن عبد الله قهرمان داره بأن يفرد لحامد داراً واسعة في داره، ويفرشها فرشاً حسناً ويتفقد في طعامه وشرابه وطيبه، حتى يُخدم^(٢) بمثل ما^(٣) كان يُخدم به وهو وزير، وأن يقطع له كسوة فاخرة ويجعل معه لخدمته إذا كان خالياً حادمين أسوديين أعجميين، وأمره أن يؤسسه عند الأكل وأن يخدمه في تلك الحال من الخدم والفراشين من يُوثق به. ففعل يحيى ذلك.

ذكر ما عومل به حامد وما عمله هو

دخل إلى حامد وقت العصر من ذلك اليوم عبد الله بن فرجويه وأحمد بن الحجاج بن مخلد صهر موسى بن خلف وقد كان حامد استعمل معهما في أيام وزارته من المكاره ما لم يُسمع بمثله قط. فوبّحاه على ما فعل بهما فوجد أن يكون رأهما أو وقع بصره عليهما. فتمأ أكثرا عليه قال لهما:

١. الكاف، كتاب الخطاب: «لا»، مثل قوله: بكتابك جئت.

٢. في مط: حتى يخدمه بمثل ما كان يخدمه به وهو وزير.

٣. ما ساقطة من الأمل، وهي موجودة في مط ومريضة في مد، كما هو الصحيح.

«قد أكثرتما عليّ، وأنا أجمل القول لكما، إن كان ما استعملته من الأحوال التي تصفان وما عاملت الناس به قد أثمر لي خيراً فاستعملاً مثله وزيداً عليه، وإن كان قبيحاً وهو الذي أصرني إلى أن تمكّس مني فتجنّبوه. فإن السعيد من وعظ بغيره.» [183]

فذهب وأعاد ذلك على ابن الفرات فاسترجع حامداً وقال :
«ما أدفع رحلته^(١) ولا أنكر ذريته ولكنّه رجل من أهل النار يُقدم على الدماء ومكارة الناس.»

قال ثابت^(٢) في كتابه في التاريخ : ومن أعجب العجب أن يقول أبو الحسن ابن الفرات هذا القول ويصدّق قول حامد ويستجيده ويقول إنّه بأفعاله القبيحة من أهل النار وهو لا ينكر مع كرم طبعه وجلالة قدره وسلامة أخلاقه وإيتاره الإحسان إلى كلّ أحد على المحسن ابنه طرائقه^(٣) المنكرة وأفعاله العظيمة التي أنكرها على حامد بن العباس وقد زاد عليها للواحد واحداً ولا ينهاء ولا يعظه بما لحق حامداً فيرجع ويكون السعيد الذي وعظ بغيره فإنّ من يُقدم على الله تعالى على بصيرة وبعد التنبيه والتذكير خلاف من يُقدم وهو مغترّ غافل.

ثمّ راسل ابن الفرات حامد بن العباس في الإقرار بماله بمائتي ألف دينار منها المائة التي كنت له عند إبراهيم جهبذه، لأنّه قد كان وقف على حصول هذا المال من جهة الجهبذ في يد ابن الفرات.

وأخذ المحسن شيئاً آخر من جهة موتس خادمه إلى حضرة المقتدر بالله، وكتب إليه أنّه أخذ ذلك عفواً بغير مناظرة ولا مكروه [184] وأطمع المقتدر

١. في مط: رحلته.

٢. في مط: فانت.

٣. في مط: طرائقه المنكرة.

من جهة حامد في أموال كثيرة واستخرج من مونس بعد ذلك بعد مكروه كثير أربعين ألف دينار وضود جماعة من حاشيته بأموال آخر^(١).

واستحضر ابن الفرات حامد بن العباس بحضرة الغناء والقصة والكتاب وناظره مناظرة طالت واستوفى حامد حججه إلى أن أخرج ابن الفرات عملاً وجده في صناديق غريب غلام حامد. وكان هذا الغلام يتولى لحامد بيع غلاته في التربة، فواقف حامداً عليه وأحضر غريباً فاعترف بذلك بالعمل وكان حمله سهواً منه، لأن حامداً كان في كل سنة يجمع جميع حساباته ويقرّها في دجلة.

فلما جرى المقدار على حامد بما جرى أنسى أن يطلب من هذا الغلام هذا العمل وكان في جملة الظهور. فكان ما ثبت في ذلك العمل من أثمان العلات لسنة واحدة خمسمائة ألف دينار وتيفاً وأربعين ألف دينار سوى شعير الكرام المحمول إلى الحضرة.

فبان أن في الضمان من الفصل أكثر من الصعب وظهر أيضاً أن أسعار تلك السنة الثانية في العمل أسعار ناقصة وأن أسعار السنين التي بعدها بأسرها أزيد. واتجهت حججه ابن الفرات على حامد وأخذ ابن الفرات خطوط القضاة والكتاب وشفع النولوي بما ظهر من الحجة على حامد.

وكان [185] ابن الفرات يرفق في المناظرة ولا يُسمعه^(٢) ولا يفرق به ولا يزيد على إيجاب الحجة عليه ويدعه حتى يستوفى منه لنفسه الحجة. وكان المحسن ابنه يشتعه بحضرة الناس أقيح شتم ويقول:

«ليس يخرج المال منك إلا مثل المكارة التي كنت تجريها على

الناس.»

١. وغيره في مد إلى «أخرى»

٢. في مطبوع ولا يسمعه

ويقول: «إني أعطى خطي إن سلّم مني أن أستخرج منه ألفي ألف دينار معجبة ويبدل دمه إن لم يف بذلك.»

وبستكفة^(١) أبوه وبهاه عن الشتم فلا ينتهي. فقال حامد:

«أيها الوزير قد أكثر من شمي واعتملته وليس الإحتمال له وإنما أكرم مجلس الوزير وليس بعد الحال التي أنا فيها شيء يخاف أعظم من القتل فلو لا ما يلزمني من توقيع مجلس الوزير لرددت عليه.»

فحلف أبو الحسن لئن عاد المحسن لشتم حامد ليستعفين الخليفة من مناظرته. فحينئذ أمسك عن الشتم ثم أعاده إلى الماطرة مرات وكان يحصل في آخره أنه لا مال له وكان قد باع ضياعه ومستعلاته وفرشه وداره ولم يبق له حيلة.

فلما أعيت^(٢) ابن الفرات الحيلة فيه خلا به في دار من دور حُرمة من حيث لم يحضر معها أحد من خلق الله ورفق به وحلف له على أنه إن صدقه عن أمواله وذخائره لم يسلمه إلى المحسن ولم يُخرجَه عن داره [186] وحفظ نفسه. فلما أقام في داره مكراً وإمناً خرج إلى فارس مقلداً لها أو إلى أي بلد أحب مع حادم من خدم السلطان يحفظ نفسه. ووكد الممين على ذلك ~~قال~~ ~~قال~~.

«أنتَ بعم أنك ضمتني من أمير المؤمنين لأسلم إليك فافتديت نفسي بسبعمئة ألف دينار وأقررت بها عمواً من مالي حتى سلمت منك وأنت فقد تناسيت كل جميل فعلته وفعله أخى بك، والخليفة الآن مقيم على أن يسلمك إلى المحسن وهو حدث وقد أسلفته من المكاره ما لم يستعمله أحد مع وزير ولا مع ولد وزير، وأنا أرى لك أن تعتدي نفسك بمالك حتى تلحقك الصيانة

١. في مط: وسكته أبوه

٢. في مط: أصب.

من التسليم إلى المحسن «
وؤكد له الأيمان.

فعند ذلك ركن حامد إلى قوله ويمينه وأقر له من الدفائن في البلايع
حفراها وتولى هو بنفسه دفن المال فيها بخمسمائة ألف دينار، وأقر بأن له
عند جماعة من الوجوه والشهود نحو ثلاثمائة ألف دينار وأقر بأن له كسوة
وطيباً مودعة بواسط.

فأخذ ابن الفرات خطه بذلك وبأدر بالركوب إلى المقتدر من غير أن
يُحصر معه المحسن ولا عرّفه شيئاً من الخبر.

فسرّ المقتدر بذلك ووعد أن يسلم إليه كل من ضمنه من نصر الحاجب
وشفيع اللؤلؤى وغيرهما وأشار ابن الفرات [187] بإبفاذ شفيع لتسلم هذا
المال بواسط. فخرج شفيع فوجد تلك الأموال المدفونة واستخرج تلك
الودائع وصار بها إلى المقتدر بالله.

ومأزال حامد في دار ابن العرات مصوناً إلى أن توصّل المحسن إلى
المقتدر بالله على يد مقلح، فالتمس منه أن يوقع إلى أبيه بأن يستخلفه على
سائر الدواوين وجميع أمر المملكة فتردّد^(١) مقلح برسائل من لمقتدر بالله
إلى أبي الحسن ابن العرات وتسكّر ابن الفرات لابنه وجرت فيه ألوان
مناظرات إلى أن خلع على المحسن وركب معه أبوه والقواد ثم انصرف أبوه
إلى داره ومضى المحسن إلى داره.

ثم ركب المحسن مع أبيه إلى دار السلطان وخاطب الخليفة بحضرة أبيه
وقال:

«قد بقيت على حامد جملة وافر من مال مصادرته، وإن سلم إلى

استخرجت منه خمسمائة ألف دينار.»

فأمر المقتدر أبا الحسن بتسليمه إليه. فقال ابن القرات :

«قد عاهدته أن لا أسلمه إليه.»

فراجع المحسن المقتدر إلى أن أمر المقتدر أمراً لم يمكن أبا الحسن مخالفته فيه. فسلمه إليه وحمله المحسن إلى داره وطالبه وأوقع به مكروهاً وأقام حامد على أنه لم يبق له مال ولا حال، فأمر بصفحه فصُفِعَ خمسين صفة وسقط كالمغشى عليه وما زال [188] يُصَفَع إلى أن تكلم وقال :

«أى شئ تريد^(١) منى؟»

قال : «أريد المال.»

قال : «ما بقى غير ضيعتى.»

قال : «فاكتب بوكالة لابن مُكرم - وكان أحمد بن كامل القاضي حاضراً -

تقرّ فيها أنك قد وكلته فى بيعها.»

فكتب ذلك ووقعت الشهادة على حامد.

ثم إنَّ المحسن عامله بعد ذلك بمعاملة تجرى مجرى السُخف من إذلاله والوضع منه. ثمَّ سلمه إلى خادم له مع خمسة من الفرسان وعشرة من الرجال ليُحْدِثُوا بِهِ إلى واسط^٢ ويبيع ضياعه وأملاكه.

وشاعَ يَبْعَدُ أنَّ حامداً طلبَ لَيْلَةً انحدره بيضاً فحُمِلَ إليه وتحسّى منه وقت إقطاره عشر بيصات، وأنَّ خادم المحسن الموكل به طرح فيه سماً فما استقرَّ فى جوفه حتّى صاح ولحقه ضرب عظيم ودخل واسط وهو لمآبه^(٣).

فسلمه الخادم إلى محمد بن علىّ البزوفرى وجعله فى داره وبادر الخادم بالإصراف، وقام حامد أكثر من مائة مجلس ولم يتعدَّ إلّا بسويق السُلّت.

١ فى الأصل: تريدون وهو سهو فى مطلق: تريدون، ولد وجبه من الضحّة.

٢ فى الأصل ومط ومد: لمآبه، والتصحيح ممّا، أى دخل واسط وهو مشرف على الموت.

وأراد البروفري الإستظهار لنفسه فاستحضر القاضي والشهود بواسط وكتب كتاباً يقول فيه :

- «إِنَّ حامداً وصل إلى واسط وتسلمه البروفري وهو عليل من ضرب شديد لحقه في طريقه بين بغداد وواسط وإنه إن تلف من ذلك الضرب فإني مات [189] حتف أنفه، ولا صنع للبروفري في شيء من أمره.»
ووجه بالكتاب إلى حامد فأظهر له حامد الإستجابة إلى الإشهاد على نفسه بما فيه. فلما دخل إليه القاضي والشهود قال لهم :

- «ابن الفرات الكافر الفاجر المجاهر بالرفض عاهدني وحلف لي بأيمان البيعة والطلاق، على أنني إن أقررت بجميع أمواله لم يسلمني إلى ابنه المحسن وصائتي عن كل مكروه وأطلقني إلى منزلي وولاني أجل الأعمال، فلما أقررت له بجميع ما ملكته سلمني إلى ابنه المحسن فعذبني بأصناف العذاب وأخرجني مع فلان الخادم واحتال عليّ وسقاني ييماً وطرح فيه سماً فلحقني الضرب^(١) ولا صنع للبروفري في شيء من هذا الوقت، ولكنه فعل وصنع، ثم أخذ قطعة من أمواله وأمتعتي وجعل يحشوها في المساور^(٢) البريوني المخلقة^(٣) فشتاع المسورة بخمسة دراهم وفيها أمتعة تساوي ثلاثة آلاف دينار فيشترها هو فاشهدوا على ما شرحت لكم.»
وتبين البروفري حينئذ أنه أخطأ فيما فعله.

وكتب صاحب الخبر بواسط إلى ابن الفرات بجميع ما تكلم به حامد.
وتوفي حامد بن العباس ليلة الثالثة عشر من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. [190]

١. كذا في الأصل الضرب. في مطب: الكرب

٢. المسورة: متكام من جلد.

٣. والمبارة في مطب. وجعل يحشوها في المساور البريوني المخلقة.

ما جرى في أمر عليّ بن عيسى وتسليمه إلى ابن الفرات

لما قبض المقتدر على عليّ بن عيسى وجعله في يد زيدان القهرمانه،
راسله بأن يقرّ بأمواله. فكتب رعدة يقول فيها: إنه لا يقدر على أكثر من
ثلاثة آلاف دينار

وافق أن ورد الخير بدخول أبي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي إلى
البصرة سحر يوم الإثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخر في ألف وسبعمائة
راجل، وأنه وصل إليها بسلايم نصيها بالليل على سورها وصعد إلى أعلى
السور، ثم نزل إلى البلد وقتل البوابين الذين على أبواب السور وفتح الأبواب
وطرح بين كل مصراعين منها حصي ورملاً كان معه على الجمال لتلاً يمكن
إغلاق الباب عليه، وأنه لم يعرف شباك المفلحي وإلى البصرة إلا في سحر
يوم الإثنين ولم يعلم أنه ابن أبي سعيد الجنابي، وقدّر أنهم أعراب. فركب
مفتراً ولقيه وحرث بينهم حرب شديدة وقتل شباك ووضع أبو طاهر في أهل
البصرة السيف وأحرق المبرّد وبعض المسجد الجامع ومسجد قبر طلحة ولم
يعرض للقبر.

وهرب الناس إلى الكلاء^(١) فكانوا يحاربونهم عدّة أيام ثم أخذهم السيف
فطرحوا أنفسهم في الماء فغرق أكثرهم. وأقام أبو طاهر بالبصرة [191] سبعة
عشر يوماً ويحمل على جماله كل ما يقدر عليه من الأمعة والنساء
والصبيان، ثم انصرف إلى بلده فأتى إلى ابن الفرات في الوقت الذي ورد فيه

١. في الأصل كلاء (دون مدّ). وما في مط دون تشديد. كلاء: محلة مشهورة وسوق بالبصرة
(مراد الإطلاع)

خير القرمطي بُنى بن نفيس وجعفرأ الررنحى إلى البصرة وقُلد محمّد بن عبد الله المارقى أعمال المعاون بالبصرة وخُلع عليه وانحدر في الطيّارات والشذاءات. وورد الخبر بوصوله إليها بعد انصراف أبى طاهر الجنائى عنها فأقام فيها المارقى رجاله وانصرف بُنى والررنجى.

وكان بُنى بن نفيس أنفذ جماعة من القرامطة إلى بغداد ذكر أنّهم استأمنوا إليه وأنهم زعموا أنّ على بن عيسى كانتهم بالمصير إلى البصرة وأنّه وجّه إليهم فى عدّة أوقات يهدايا وسلاح فوافوا بغداد وأنهى ابن الفرات الحال فى ذلك إلى المعتدر بالله.

ذكر مناظرة ابن الفرات على بن عيسى

وعرض الكتاب بعينه عليه فأمره المعتدر بإخراج على بن عيسى إليه لينظره، والجمع بينه وبين القرامطة حتّى يواجهوه بما قالوا فيه، ففعل ابن الفرات فاحتجّ على بن عيسى بأن قال:

«إنّه من كان فى مثل حالتى وتحت سبط السلطان كاشفه الناس

بالكذب [192] والباطل لاسيّما إذا كان الوزير منحرفاً^(١) ومغتاضاً»

ثم أخذ ابن الفرات يخاطبه فى أمر الأعمال وكان فيما ناظره عليه أمر المادرائين وقال^(٢):

«قد كان^(٣) أخذ ابن بسطام خطوطهما فى أيام وراثتى الشافيه صلحاً عمّا وحب عليهما من خراج ضياعهما بمصر والشام وما أخذه من المرافق بها مدّة تقلدهما فى أيامك الأولى بألفى ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار وأدّى

١. كذا فى الأصل ومط ومد؛ منحرفاً. ولعله «منحرفاً».

٢. قد كان - ساقط من مد

في أيامي نحو خمسمائة ألف دينار فصرفت على ابن^(١) بسطام ساعة وليت الدواوين وفلّدت هذين العاملين المجاهرين باقسطاع مال السلطان وأنشأت إليهما كتاباً عن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بإسقاط ذلك بأسره عنهما، ثم ادّعت أن أمير المؤمنين أمر بذلك وقد أنهيت هذه الحال إلى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه. فقال :

« لم أمر بشيء من هذا ولا ظنّ أن أحداً يقدم عليه بمثلها »

فأجاب عليّ بن عيسى بأنه كان في الوقت [كتاباً]^(٢) لحامد بن العباس يخلفه على العمل، وكان أمير المؤمنين أمرني بقبول قوله وأنّ حامداً ذكر أنّ أمير المؤمنين أمر بإسقاط هذا المال عن هذين العاملين ووقع بذلك توقيعاً فوقعت تحت توقيع حامد بامتنال أمره كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمره به صاحبه.

فقال [193] ابن الفرات :

« أنت كنت تعارض حامداً وتخاصمه أبداً في السير تخرجه عليه في عبدة ما كان ضحية حتى جرى بينكما ما تحدّث به الناس. فكيف تركت أن تستأذن أمير المؤمنين في هذا المال العظيم الجسيم ؟ »

فقال عليّ بن عيسى :

« كتب في أول الأمر كتاباً لحامد مدّة سبعة أشهر، ثمّ بان لأمر المؤمنين ما أوجب أن يعتمد عليّ، وكان الذي جرى من أمر المادرائيين في صدر أيام حامد. »

فقال له ابن الفرات :

« فلما اعتمد عليك أمير المؤمنين ألا صدقته عن خطأ حامد في هذا

١. في الأصل، بن. وفي مط: ابن.

٢. ما بين المعرفتين غير موجود في الأصل، أضفناه من مط.

الباب وتلايته ؟»

فقال : «أغضيت عن ذلك لأنني كنت في ذي القعدة سنة ست أوصلت الحسين بن أحمد إلى حضرة أمير المؤمنين وأخذت خطه في مجلسه بما عقده عليه من ضمان أعمال الخراج والضماح لمصر^(١) والشمام في كل ستة^(٢) بعد النفقات الراتبه وإعطاء الجيش في تلك النواحي وهو ألف ألف دينار في كل سنة خالصة للمحمل إلى بيت المال لا ينكسر منه درهم واحد وذلك بعد أن أخذت خطه بجميع ما تصرف فيه من عطاء الجيش والنفقات الراتبه في ناحيه ناحيه ووقعت عليه أيضاً في كل سنة لما ينكسر ويتأخر في هذه الأعمال مائة وثلاثين ألف دينار [194] وخطه بذلك في ديوان^(٣) المغرب وهذا غاية ما قدرت عليه.

فقال ابن الفرات :

«أنت تعمل أعمال الديوان منذ نشأت وعد وليت ديوان المغرب سنين كثيرة ثم توليت الوزارة ودبرت أمر المملكة مدة طويلة هل رأيت من يدع مالاً واجباً يؤدى معجلاً ويأخذ عوضاً منه مالاً مؤجلاً يُحال به على ضمان، وهبك أغضيت كما ذكرت ورأيت ذلك صواباً في التدبير، فهل استوفيت مال هذا الضمان من هذا الضامن^(٤) في مدة خمس سنين دبرت فيها المملكة؟» فأجاب عن ذلك بأنه قد كان ورد من مال الضمان للسنة الأولى جملة. ثم سار العلوي من أفرقية حتى تعلب على أكثر النواحي بمصر فنفذ مونس المظفر إلى مصر بمحاربه فأنصرف أكثر المال إلى أعطيات الجند ونفقات

١. كذا في الأصل : لمصر. وفي مط ومذ : بمصر.

٢. في كل سنة : العبارة سقطت من م.

٣. في الأصل : الديوان.

٤. في مط : الضمان.

العساكر وانكسر باقيه لأجل استخراج العلوي ما استخرجته من أموال
النواحي المجاورة لمصر.

فقال ابن الفرات :

- « فقد انهزم العلوي منذ صفر سنة تسع ووجب على هذا الضامن مال
سنتين كاملتين بعد هزيمة العلوي فهل استخرجت من هذا الضامن ألفي ألف
دينار؟ »

فأجاب عن ذلك ما لم يُحفظ.

ثم قال له في آخر خطابه :

- « فقد [195] أمر أمير المؤمنين بمطالبتك بالأموال التي جمعتها وختته
فيها فينبغي أن تقر بها عفواً وتصون نفسك عن المكروه. »
فقال علي بن عيسى :

- « لست من دوى المال وما أقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار. »

ثم ناظره على أموال الحاشية، فقال لعلي بن عيسى :

- « أنت قد أسقطت من أرزاق الحرم والولد والحشم والفرسان الذين كنت
أوفهم أرزاقهم على الإدرار في أيامي الأولى والثانية مدة خمس سنين دبرت
فيها أمر المملكة ما يكون مبلغه في كل شهر مع ارتفاع الضياع التي هي ملك
خاصة خمسية وأربعين ألفاً يكون في السنة خمسمائة وأربعين^(١) ألف دينار
وفي هذه المدة ستة آلاف ألف دينار ولست تحلو من أن تكون احتجتها^(٢)
لنفسك أو أصعتها. »

فقال علي بن عيسى :

- « ما استعيلت من هذه الضياع، ووقرت من أرزاق من يستغني عنه تمت

١. في الأصل ومط ومد؛ أربعون (في كلا الموضعين).

٢. كذا في الأصل استعيلتها. وفي مط احتجتها احتجى المال؛ ضمه إلى نفسه واحتواه.

به عجز الدخل عن النفقات المبرقة حتى اعتدلت الحال فلم أمد يدي إلى بيت مال الخاصة فأما الخمسة والأربعون ألف الدينار التي كنت تحملها من أموال المرافق مائتي ما استصوبت^(١) ما استصوبته أنت من أخذها والإذن للعمال في أن يرتفقوا، بل حضرتها ورفعتها فلم أعرض لها، لأنها كانت طريقاً إلى تلف أموال السلطان وظلم الرعية [١٩٦] وخراب البلاد، وأنت كنت تعول في النفقات على ما كنت تحوله من بيت مال الخاصة إلى بيت مال لعامة، فترضى به الحاشية وتخرب به بيت المال.»

وتكرر الخطاب في هذا المعنى.

ثم ناظره على ما حمّله إلى القرامطة من الهدايا والسلاح وما تردّد بينه وبينهم من المكاتبات مرّة والمقاريات أخرى فقال :

«أردت استمالتهم وإدخالهم في الطاعة وكففتهم عن الحاح وأعمال الكوفة والبصرة مدة ولايتي دفعتين، وأطلقوا من الأسارى الذين كانوا من المسلمين عدّة.»

فقال له ابن الفرات :

«فأى شيء أعظم من أن تشهد أن أبا سعيد وأصحابه الذين جحدوا القرآن ونبوة النبي عليه السلام واستباحوا عُمّان وقتلوا أهلها وسبواهم مسلمين وبكائهم بذلك وتؤخر إطلاق أرزاق من يحفظ السور بالبصرة حتى أدخلوا بمراكزهم فدخلها الفرمطي وقتل أهلها.»

فاحتج بحجج يطول شرحها.

فسأل نصر الحاجب والمحسن أبا الحسن ابن الفرات أن يدعهما يخلوا به، فخلوا وأشارا عليه بالمصادرة فاستجاب إليها، وأرماه ثلاثمائة ألف دينار

١. كذا في الأصل ومط: ما استصوبت وفي مد: ما استصوب

يحتل منها في مدة شهر مائة ألف دينار^(١) أولها يوم خروجه من دار السلطان إلى حيث يأمن فيه على نفسه ويصل إليه الناس [٩٧] فأخذ ابن الفرات خطه بذلك وأنفذه إلى المقنذر بالله فأمضاه.

ثم كتب ابن الفرات كتاباً عن نفسه إلى كل واحد من أصحاب الدواوين يذكر فيها خيانة علي بن عيسى وسرقته وما واجهه به وما بدله من المصادرة.

وحكى أبو الفرج ابن هشام عن ابن المطوق أن أبا الحسن علي بن عيسى كان سأل أبا الحسن ابن الفرات أن يتجافى له عن ارتفاع ضيعته لسنة إحدى عشرة وثلاثمائة ليؤديه من جملة المصادرة وأن ابن الفرات قال له :
- « هو خمسون ألف دينار. »

فقال علي بن عيسى :

- « قد رضيت بعشرين ألف دينار. »

وذكر أنه دون ذلك. فلما نفى إلى مكه وجد في ضيعته نحو الخمسين الألف الدينار^(٢).

قال أبو الفرج : فسمعت الهاماني الواسطي يقول : سمعت أبا الحسن علي بن عيسى يوتخ أبا عبد الله البريدي ويقول له :

- « يَا عَبْدَ اللَّهِ. أما خفت الله بحيث حلفت بما حلفت به ونحن مجتمعون في دار السلطان أطال الله بقاءه أن استغلاك واستغلال إخوتك من ضيعتكم بواسطة عشرة آلاف دينار وقد وجدته من حساب رفعه إليّ - يعني الهاماني^(٣) - ثلاثين ألف دينار. »

١. في مط : ألف دينار. بإسقاط «مائة»

٢. في مط : الألف الألف الدينار.

٣. في مط : اليهما في. بدل «الهاماني».

فقال أبو عبد الله :

«أفتديت بسيدنا - أيده الله - حيث سأله أبو الحسن ابن الفرات عن ارتفاع ضيعته فلم يصدقه وسأله [198] وعلمت أنه مع ديانتته لو لم يعلم أن التفتية مباحة عند من يخاف ظلمه، لما حلف بتلك اليمين.»
فكأنه ألهم علي بن عيسى حجة

ونعود إلى تمام خبر علي بن عيسى مع ابن الفرات

امتنع المقتدر من تسليم علي بن عيسى إلى ابن الفرات. فذكر علي بن عيسى أنه لا يمكنه أن يؤدي مال مصدرة إلا بعد أن يخرج من دار الخليفة. وأحضره المحسن دفعتين وطالبه ورفق به فلم يؤد إلا ثمن دار باعها فقيدته المحسن، فلما رأى نصر ذلك نهض عن المجلس وطالب المحسن علي بن عيسى فقال :

«لو كنت أقدر ها هنا على أداء المال لما قُيدت.»

فألبسه جبة صوف وأقام على أمره فحينئذ صفه عشر صفعات

فقام نازوك من المجلس، فقال المحسن :

«إلى أين تقوم؟»

فقل : «ما أحب أن أحضر مكروه هذا الشيخ.»

وأعيد علي بن عيسى إلى محبسه، وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما عامل به

المحسن علي بن عيسى فأقلقه ذلك وقال لابنه :

«قد جنيت علينا بما فعلته، كان يجب أن تقتصر على القيد.»

ابن الفرات يشفع لعلي بن عيسى

ثم كاتب المقتدر بالله يشفع لعلي بن عيسى وذكر أنه لما وقف على ما

جرى عليه لحقه من العمّ أمر لا يذكر مثله وأنه لم يطعم طعاماً منذ عرف خبره، لأنه شيخ من مشايخ الكتاب وقد خدم أمير المؤمنين [199] وتحرم بداره ومثله يخطئ وأمير المؤمنين أولى بالصفح، وسأل أن يزال عنه القيد والحبسة الصوف.

فأجابه المقتدر بأن عليّ بن عيسى مستحق لأضعاف ما جرى عليه وأن المحسن قد أصاب فيما عامله به، وأنه قد شفعه في أمره، وأمر بحلّ قيده ونزع حبسة الصوف عنه، وتقدّم بعد ذلك بتسليم عليّ بن عيسى إلى ابن الفرات ليؤدى مال التعجيل من مصادره فلما حمل إليه [قال] ^١:

- «لست أحب أن يكون في داري ثلاً يلحقه مرض وهو شيخ فينسب إلى، وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يادن في تسليمه إلى شفيح». فقيل للمقتدر ذلك. فقال:

- «أنا أسلمه إليك لأنك الوزير فاحفظ نفسه ولا سلمه إلى المحسن، فأما غير هذا فانت أولى بما نراه».

فأخذ ابن الفرات إلى شفيح وأحصره وأخذ ابن الفرات في توبيخ عليّ بن عيسى وعاتبه عليّ أمر وقوف وقّع أمير المؤمنين بردها عليه وأن مالها كان ينصرف إلى أنساء، يتقرب بها إلى الله - عز وجل - ويصرف بعضها إلى ولده وغلمانه وأن ما فعله لا يجوز في الدين ولا في المروءة.

فأخذ عليّ بن عيسى يعترف بالتمريط الذي وقع منه وسأله قبول عذره، وكان المحسن حاضراً [200] فأطنب في توبيخه وتثريعه على هذا السبب، فأجابه بمثل ما أجاب به والده وريادة. وقال في عرض كلامه:

١. ما بين المعقوفين ساقط في الأصل، فأضفاه من مط.

- «أنا والله أستجلبك»^(١).

فقامت على المحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على أبيه أيضاً، فأجابه المحسن بجواب فيه غلظة وأقبل أبوه يسكنه ويرفق به، ثم قال لعلي بن عيسى:

- «أبو أحمد كاتب أمير المؤمنين وصنيعته».

وأخذ يصف محله منه وتقريضه إليه وأخذ علي بن عيسى في الاعتذار من تلك الكلمة، ونهض علي بن عيسى مع شفيح فأجلسه شفيح في صدر طباره وحمله إلى داره.

وحكى أبو الحسن ابن أبي هشام أنه كان حاضراً المجلس وأنه رأى الحسن بن دولة ابن أبي الحسن ابن الفرات خرج في تلك الحال، فقام له علي بن عيسى وقبّل رأسه وعييه فاستكثر ذلك ابن الفرات وقال له:

- «لا تفعل يا أبا الحسن، هذا ولدك».

ثم فتح دواته ووقع إلى هارون بن عمران الجهمي أن يحمل إلى أبي الحسن علي بن عيسى بلا دعاء ألفي دينار يستعين به على أمره في مصادره، وقال لأبي المحسن:

- «وقع أنت أيضاً بشي».

فوقع بألف دينار، ثم أحصر بشي^(٢) بن هارون وكتب قبضاً لعلي بن عيسى من مال مصادره بهذه الثلاثة الآلاف الدينار. [201] فأنصرف علي بن عيسى شاكراً.

ولم يقبل علي بن عيسى من أحد من الكتاب معونة في مصادره مع بدل جماعتهم له وحملهم إليه ما أطاق كل واحد منهم، إلا من ابن فرجويه وابني

١. كنا في الأصل: استجلبك في مد: استجلبك والمثبت في مد: يستجلبك.

٢. في مط: بسر (بالسين المهملة).

أبى الحسن بن الفرات الفضل والحسين، فإنه قبل من كل واحد منهما خمسمائة دينار وحمل إليه أبو الهيجاء ابن حمدان عشرة آلاف دينار، فردّها وقال:

- «لو كنت متقلداً فارس قبلتها منك ولكنى أعلم أنّ هذه جميع حالك^(١) وما أحبّ أن أثلمك».

فحلف أبو الهيجاء أن لا يرجع إلى ملكه، ففُرقت في الطالبين وفي الصدقة على الصّفي وبذل له شفيح اللؤلؤى ألفى دينار، فامتنع من قبولها وقال:

- «لا أجمع عليك مؤوتى ومعوتى في مصادرتى»
وقبل من هارون بن غريب ومن نصر الحاجب وشفيح المقدري.

إبعاد على بن عيسى إلى مكة ثم إلى صنعاء

فلما أدّى على بن عيسى أكثر مال مصادرته قال ابن الفرات للمقتدر:
- «إنّ في مقام عني بن عيسى في دار شفيح ضرراً عليه، فإنّ الأراحيف قد كثرت وإنّ دة إلى دار السلطان زاد الإرجاف»
والنمس الإذن في إبعاده إلى مكة فأذن له المقتدر في ذلك، فأطلق ابن الفرات لمارقِدِر^(٢) له من نفقته ومّا يحتاج إليه سبعة آلاف درهم، فخرج إليها. ثم كتب ابن الفرات بإبعاده إلى صنعاء اليمن [202] فأبعد إليها.

ابن الفرات وأسباب على بن عيسى

ثم استخرج ابن الفرات من أسباب على بن عيسى وعمّاله وكتّابه مالا

١ ما في الأصل يشبه أن يكون «حلك» وفي مط: حاكك ما في مد: مالك.

٢ في مط: ورد، بدل «قدر».

عظيماً بالمكارة وبسط يد ابنه فأكر الناس أخلاقه وما كان يُعرف من كرمه ونبله.

فأما أبو عليّ ابن مقله فإنه كتب إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل [١] زنجي رقعة وكانت بينهما مودة وضمتها أبياتاً له ما أثبتها لأنّي لم أستجدها. وكتب رقعة إلى ابن الفرات يذكره بحرمته وقديم خدمته ويستعطفه وجعلها في درج تلك الرقعة وسأله إيصالها فلما وقف ابن الفرات عليها تقدّم بحلّ قيده وتقرير مصادره على ما ينهض به ثمّ خفف عنه بعد ذلك وأطلقه.

فأما ابن الحوارى فإنّ ابن الفرات سلّمه إلى ابنه المحسن فصفحه صفحاً عظيماً في دفعات وضربه بالمفارع ثمّ أخرجّه إلى الأهواز مع مستخرج له، فلما وصل إليها قتله المستخرج.

فأما المادرائيان فإنه كتب بإشخاصهما، فحمل الحسين بن أحمد وهو أبو زنبور^(٢) فاعتقله ابن الفرات في داره واستحضر القضاة وأصحاب الدواوين إلى داره وحضر المحسن وأحضروا أعمالاً عملوها لأبي زنبور وناظره ابن الفرات عليها وأخذ خطّه من الأبواب التي نواظر عليها بألفي ألف وأربعمائة ألف دينار، ثمّ استكثر [203] ابن الفرات هذا المال فقرر مصادره على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وعرض خطّه بذلك على المقتدر بالله لاستصواب فعله. وتناهى ابن الفرات في معاملته بالجميل، وكان يسترجله ويصف فهمه ويقول: إنّه ما خاطب عاملاً أفهم منه ولا أجلد، وسامه أن يواجه عليّ بن

١ ما بين المعقوفتين سائط من الأصل ومط، وأضيف في مد أيضاً.

٢ في مط: أبو دينور

عيسى بأنه أرفقه في أيام تقلده ديوان المغرب وفي أيام وزارته فاستعفاه من ذلك.

فقال له ابن الفرات :

« فكيف واجهني أنا بأمره ولا تواجهه بأمرى ؟ »

فقال : « ما حمدت معه تلك الحال ولا أسعسناها إلى أحد مع الظاهر من إساءة الوزير إليّ بتسليمه إتياء إلى ابن بسطام وبسطه يده عليّ في أيام وزارته الثانية، فكيف نستحسنون لي هذه الحال في معاملة عليّ بن عيسى مع قديم وحديث إحسانه إليّ. »
فأعفاه ابن الفرات من ذلك.

ثم قدم محمد بن عليّ المادرائي ولم يكن تقلد في أيام وزارة حامد ابن العباس شيئاً من الأعمال، فناظره ابن الفرات على المال الباقي عليه وعلى الحسين بن أحمد من ضمان أجناد الشام ومصر وعن حق بيت المال في ضياعه^(١) وهو حينئذ شريك للحسين بن أحمد في الضمان فاحتج في بعضه.
فقال له ابن الفرات :

« لست بأفهم من الحسين وقد احتج بأكثر ما ذكرت [204] فلم تثبت له حجة. »

وأخذ خطه بلا تهديد ولا مكروه بألف ألف وسبعمائة ألف دينار، ثم سلمه إلى المحسن وكان في داره على أتم صيانة، وأقام فيها يوماً واحداً. وكان المحسن يتناول عليه^(٢) إذا حضر، ثم أطلقه وكان السبب في ذلك أنه حمل إليه مالا جليلاً وثياباً فاخرة وجواهر نفيسة وخدماء روفة.

١ كذا في الأصل ومط: ضياعه وما في مد: ضمانه

٢ في الأصل: يتناول عليه له في مط: يتناول له.

ذكر ما دبره ابن الفرات في أمر مونس حتى أبعد

كان ورد مونس من العزو بعد أن ظفر بالروم ظفراً حسناً، فلتقاء المحسن ونصر الحاجب وشفيع ومقلح وسائر القواد ولقي المقتدر بالله، فتحدث الناس أن مونساً أكر ما جرى على الكتاب والمثال من المكروه العظيم من ابن الفرات والمحسن وما ظهر من وفاة حامد بن العباس، وأن أكثر الفرسان التفريق بالحضرة قد عملوا على الإضمام إلى عسكر مونس المظفر لتروح أرزاقهم

فعلّظ ذلك على ابن الفرات وصار إلى المقتدر بالله بعد أسبوع من قدوم مونس المظفر فخلاً به وأعلمه ما عمل مونس عليه من ضمّ الرجال إليه، وأنه إن تمّ له ذلك صار أمير الأمراء وتغلب على أمر المملكة ولاسيما والقواد [205] والعلماء منقادون له، وعظم عليه الأمر وأغراه به إغراء شديداً. فلما ركب مونس المظفر إلى دار المقتدر بالله، قال له المقتدر بحضرة ابن الفرات :

« ما شيء أحبّ إلّ من مقامك، لأنّني أجمع إلى الأنس بك والتبرّك برأيك الانتفاع بحضورك في أمر الحضرة كلّ، ولكن أرزاق الفرسان برسم التفريق عظيمة، وما يتهدّد أن تطلق أرزاقهم على الإدرار ولا النصف من استحقاقهم وليس يطيعون في الخروج إلى نواحي مصر والشام، لأنّهم يحتشّون بقصور أحوالهم عن ذلك. وقد علمت أن الرّى وأبهر وزمجان متعلّقة بأخي صعلوك وكذلك أرمينية وأذربيجان ويوسف بن أبي السّاح، وإن أهدت ببغداد التمس الرجال الإتصام إليك، فإن لم أجمعهم شغبوا وأفسوا البلد، وإن

أقمت لم يَرْج^(١) من مال ديار ربيعة ومُضَر^(٢) والشام شيء، وليس يفي مال السواد والأهواز وفارس بنفقات الحضرة ومال عسكري. والوجه أن تخرج إلى الرقة وتتوسط عملك وتنفذ عمالك في اقتضاء الأموال وتستخرج ما يجب على المادرائيين من الأموال العظيمة التي بذلوا بها خطوطهم وتهابك^(٣) عمال المعاون والخراج بمصر والشام فيستقيم أمر [206] الملك. ورسم له الشخص من وقته^(٤) في سائر الضمان الحجرية والساجية يرسمه.

فعلم مونس أن هذا من رأي ابن الفرات وتدبيره وعرف شدة عداوته له، فسأل المقتدر بالله أن يأذن له في المقام بقية شهر رمضان حتى يعيد ببغداد، فأجابه إلى ذلك. فلما عيّد صار إلى ابن الفرات لوداعه، فقام له قياماً تاماً فاستغفاه مونس وحلف عليه أن يجلس في المصلّى فامتنع، وسأله مونس في عدة أمور فوقع له بجمع ما التمسه وأراد القيام عند خروجه من حضرته فاستحلفه يرأس الخليفة الآمعل، ثم ودّع الخليفة وخرج إلى مضره في يوم مطير.

مذبذبة ابن الفرات بعد مونس

في أهر الحاشية

ولما فرغ ابن الفرات من مصادرة جميع الكتاب وأخرج مونساً شرع في القبض على نصر الحاجب وشفيع المقتدرى. فوصف للمقتدر ما في جنب

١. الضبط من الأصل.

٢. ما في الأصل يحتمل «بصر» و «مُضَر» في مط. مصر. وفي مد. مَضر.

٣. كذا في الأصل: تهابك.

٤. في الأصل ومط: من وقته. في مد من رقة

نصر خاصة من الأموال والضياع وكثرة ما يصل إليه من الأعمال التي يتولاها، ثم من سائر وجوه مرافقه فأجابه المقتدر إلى تسليمه إليه، وأصل لخبر بنصر فلجاً إلى السيدة واستعانت إليها. [207] فكلمت ابنها وقالت له :

- «عد أبعد ابن الفرات موساً عنك وهو سيفك وثقتك ويريد الآن أن ينكب حاجبك لينمكن منك فيجازيك على ما عاملته به من إرالة نعمه وهتك حرمة. فليت شعري بمن تستعين عليه إن أراد بك مكروهاً من خلعك والندير عليك، لاسيما مع ما أظهر من شره وإقدام ابنه المحسن على كل عظيمة.»

وقد كان نصر مضى إلى منزله واستظهر بتعريق ماله في الودائع واستتره فراسلته السيدة بالرجوع إلى داره، فوثق وعاد وهو مع ذلك شديد التذلل لابن الفرات وابنه وابن الفرات يُعرف المقتدر من أحواله ومن إفساده ابن أبي الساج حتى ضيغ على الخلافة خمسة آلاف ألف دينار من ارتفاع نواحيه ما يهَمُّ معه المقتدر بتسليمه إليه

فلما كان في ذي الحجة من هذه السنة ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبي الساج بأحمد بن علي أخي صعلوك وقتله إتياء وأنه أخذ رأسه وهو على حمله إلى بغداد.

فركب المحسن إلى المقتدر والنمس من مفلح أن يوصله إليه من غير حضور نصر الحاجب فأوصله وبشره بالفتح وأعلمه أن نصراً الحاجب يكره ذلك وأنه عدو لابن أبي الساج وهو الذي [208] أفسده على السلطان فلذلك كتبه الخبر

ودخلت سنة اثنى عشرة وثلاثمائة

فلما كان بعد أيام ظهر في دار للسيدة كان المقتدر يُكثر الجلوس فيها

عند والدته رجل أعجمي على سطح مجلس من مجالسها وعليه ثياب فاخرة وتحتها ممّا يلي بدنه قميص صوف ومعه محبرة ومقدحه وسكين وأقلام وورق وسويق وحبل، يقال إنّه دخل مع الصّناع فحصل في الموضع وبقي أليماً فعطش وخرج ليطلب الماء فطفر به وسئل عن خبره فقال :

« ليس يجوز أن أخطب غير صاحب الدار. »

فأخرج إلى الوزير أبي الحسن ابن الفرات فقال له :

« أنا أقوم مقام صاحب الدار فقل ما شئت. »

فقال : « ليس يجوز غير خطابه في نفسه ومساأله عمّا احتاج إليه. »

فرقى به فلم يغن الرقى. فلمّا لم تكن فيه حيلة أخذ الخدم يقرّرونه بالضرب والعنف فعدل عن الكلام بالعريية فقال بالمارسية :

« ندائتم^(١). »

ولزم هذه اللفظه فلم يزل عليها في كلّ ما يخاطب به، وأخرج فعوقب حتّى تلف وهو لا يزيد على :

« ندائتم. »

فصلب ولقّب عليه حبل من قسّ ومساقة^(٢) ولطخ باللفظ وضرب بالنار. وخاطب ابن الفرات بصرّاً الحاجب بحضرة [209] المقتدر في أمر هذا الرجل، وقال له :

« ما أحسبك ترضى لنفسك أن يجرى عليك في دارك مثل هذا الذي

جرى على أمير المؤمنين وأنت حاجبه وحافظ داره وما تمّ مثل هذا على أحد من الخلفاء في قديم ولا حديث وهذا الرجل هو صاحب أحمد بن عليّ أحمى صعلوك لا محالة، والدليل على ذلك أنّه أعجمي، فإمّا أن يكون أحمد

١. ندائتم: الصّمد من الأصل. ولا ضمة في مط. ندائتم: لست أعرف

٢. كذا في الأصل ومط. مساقة. في مد: مشاة (بإعجام الثاني)

بن عليّ - قبل أن يُقتل - واطأك^(١) حتّى أوصلته إلى هذا الموضع وإمّا أن تكون أمت دسسته ليهتك بأمر المؤمنين لتخوّفك على نفسك منه ولأجل عداوتك لابن أبي الساج وصداقتك لأحمد بن عليّ ولأجل عظيم ما وصل إليك من أحمد بن عليّ من الأموال »

فقال له نصر الحاحب :

- «ليت شعري أدبر عليّ أمير المؤمنين لأنّه أخذ أموالى وهتك حرّمي أو قبض ضياعي أو حبسني عشر سنين؟»
فقال المقتدر :

- «لو تمّ هذا عليّ بعض العوامّ لكان عظيماً»

وتمكن ابن الفرات منه واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر ممّا جرى على الحاجّ من القرمطي وسنشرحه فيما بعد. فشغل ابن الفرات بنفسه وقوى أمر نصر وسلم من ابن الفرات.

وفي هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخير في مصير ابن أبي الساج من أذربيجان إلى الريّ ومحاربته [210] أحمد بن عليّ وحمل رأس أحمد بن عليّ وجثته إلى مدائن السلام.

تفريق المال على طلاب الأدب

وفيها فرّق ابن الفرات على طلاب الأدب مالاً وعلى من يكتب الحديث مثله، وكان السبب في ذلك أنّه جرى حديثهم في مجلسه فقبل لعلّ الواحد منهم ييخل على نفسه بدائق^(٢) فضّة أو دونها ويصرفه إلى ثمن ورق وحرير.

١. في مط: واصلك. بدل «واطأك».

٢. كذا في مط ومد وما في الأصل: بدائق.

وكان ابن الفرات موصوفاً بسمة الصدر وحسن الخلق، وكان فرَّق في الشعراء مالا. فقال لما جرى حديث هؤلاء:

«أنا أولى من عاونهم على أمرهم.»

وأطلق لهم لما يصرفونه إلى ذلك عشرين ألف درهم.

فذكر أنه لم يسبق ابن الفرات إلى ذلك إلا ما حدث به الضبيعي عن رجاله أن مسلمة بن عبد الملك أوصى عند وفاته بالثلث من ثلثه لطلاب الأدب وقال:

«هم مجفوون^(١)».

وكان يستعمل كل يوم في مطبخ ابن الفرات من لحوم الحيوان ولبي دوره من الثلج الكثير ومن الأشربة التي تعرض على كل من دخل ومن الشمع ومن القراطيس ما لم يستعمله أحد قبله ولا بعده وكان إذا ولي الوراثة ارتفعت أسعار الشمع والثلج والقراطيس خاصة وإذا غزل رخصت.

وكان أهدى إلى موسى [211] المظفر عند موافاته من المغرب وإلى بشرى ويليق وإلى نازوك وغيرهم من العلماء والخدم لما حضر النوروز هدايا عظيمة لم تسمح نفس أحد بمثلها وقدّر أنّهم يستكفهم بها فلم يقع موقعه الذي أراد.

ذكر السبب في ضعف أمر ابن الفرات

بعد تنأيه في القوة والاستقامة

اتفق أن ورد الخبر إلى بغداد على ابن الفرات بأنّ أبا طاهر ابن أبي سعيد

الجبّابى ورد إلى الهبير لِيَسْتَلْقَى حاجّ سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ففى رجوعهم، فأوقع^(١) بقاقله فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرها واتصل خبره بهم وهم بقيد^(٢) فأقاموا حتّى قنى راد من فيها وضاق بهم البلد فارتحلوا على وجوههم.

وأشار عليهم أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان - وكان إليه طريق الكوفة وطريق مكة وبذرقة الحاجّ - لما بلغهم خبر الهجرى، أن يعدل بهم من قنيد إلى وادى القري لئلا يجازوا بالهبير فضجّوا من ذلك وامشعوا عيه وساروا وسار معهم ضرورة إلى الهبير.

فلما قربوا من الهبير عارضهم أبو طاهر ابن أبى سعيد انجّابى وقتلهم فظفر بهم وقتل [212] منهم خلقاً كثيراً وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان وأحمد بن كشمزد وغير العمرى وأحمد بن بدر عمّ السيّدّة أمّ المقتدر وجماعة من خدم السلطان وخرمه.

وأحد أبو طاهر جمال الحاجّ فى سائر القوافل وسبى متّ كان فيها من احتار من النساء والرجال والصغار وسار بهم إلى هجر وترك باقى الحاجّ فى مواضعهم بلا زام ولا جمال. وكانت سنّ أبى طاهر فى ذلك الوقت سبعة عشر سنة ومات أكثر من خلف من الحاجّ بالعطش والخفا والرّجلة.

وانقلبت بغداد وطرفها فى الجبّابيين وخرج النساء حفاة منشّرات الشعور مسودات الوجوه يملطن ويصرخن فى الشوارع وانضاف إليهن حرم المنكوبين الذين نكبهن ابن القرات وذلك فى يوم السبت لسمع خلون من صفر فكانت صورة فظيعة^(٣) قبيحة شعبة لم ير مثلاً.

١. والمباراة فى مط - ما وقع قنائه فيها ..

٢. فى مط: عيد.

٣. فى مط: فضيحة

وتقدم ابن الفرات إلى نازوك باركوب إلى المساجد الجامعة في الجانبين ببغداد بسبب حركة العامة فركب في جميع جيشه من الفرسان والرجالة والنقاطين حتى سكن العامة

ثم قدم سائق الحاج فشرح الصورة [213] لابن الفرات، فركب ابن الفرات آخر هذا اليوم وقد ضعفت نفسه إلى المقتدر وشرح له الحال واسدعى نصراً الحاجب وأدخله في المشاورة وتمكن نصر من خطاب ابن الفرات بحضرة المقتدر وانبسط لسانه عليه وقال له :

- «الساعة تقول: أي شيء الرأي، بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال بإبعادك مونساً الذي يناضل الأعداء ويدفع عن الدولة، فمن يسمع الآن هذا الرجل عن السرير ومن الذي أسلم رجال السلطان وقواده وحرمه وخدمه إلى القرمطي سواك وقد ظهر الآن أمر الأعجمي الذي وجد في دار السلطان وأنه إنما كان صاحب القرمطي.»

وأشار نصر على المقتدر بمكاتبة مونس بالتمجّل إلى الحضرة، فأمر أن يكتب بذلك. ووشّت العامة على ابن الفرات ورجعت طيّاره بالأجر، وركب المحسن من دياره يريد طيّاره فرجموه وضجّت العامة في الطرقات بأن :

- «ابن الفرات القرمطي الكبير وليس يقعه إلا إتلاف أمة محمّد.»

وتحرّكت العامة قاصدة من الصلاة في المساحد الجامعة ذلك اليوم وارتجّت بغداد بأسرها من الجانبين. [214]

وأشار ابن الفرات بإنقاذ ياقوت إلى الكوفة لضبطها لئلا تردّها الهجرية^(١) ويضمّ العلماء الحبرية ووجوه القواد إليه وإن كان الهجري مقيماً سار لمحاربته.

١. هجر (الهجر) - هي قاعدة البحرين، أو ناحية البحرين كلها (مراد الإطلاع)

فتنمذم المعتذر إلى ياقوت بالشخص، وإلى ابن الفرات بإزاحة علقته فالتزم ابن الفرات له ولولديه وهما المظفر ومحمّد وللزيادة في إعطائهم وموائدهم ولعن ضمّ إليه أموالاً عظيمة.

وخرج ياقوت بعرضه إلى باب الكناسة، وورد الخبر على ابن الفرات بانصراف الهجري إلى بلده، فوقع إلى ياقوت بالرجوع فرجع وبطل نفوذه إلى الكوفة.

وأصلح المعتذر بين ابن الفرات وبين نصر وأمر الجماعة بالتضاfer على ما فيه الصلاح للدولة وكفايه الهجري.

دخول مونس بغداد

ودخل مونس بغداد وتلقاه الناس فلم يتأخّر عنه أحد وركب إليه ابن الفرات للسلام عليه ولم تجر له بذلك عادة ولا لأحد قبله. فلما عرف مونس خبره خرج إلى باب داره وتلقاه وسأله أن ينصرف فلم يفعل. وصعد إليه من طيّاره حتّى هنا بمقدمه. فلما خرج لينصرف خرج معه مونس إلى أن نزل إلى طيّاره. [215]

ما عامل به المحسن المنكوبين لما اضطرب أمره وأمر أبيه

استوحش المحسن بعد إيقاع الهجري بالحاجّ من المنكوبين ونظر إلى سقوط حشمته^(١)، فخاف أن يظهر ما أحذه وارتفق به وما أسعظه من أداء المصادرين وفار به، فنصب أبا جعفر محمّد بن عليّ السلمغاني المعروف

١. في مطبوعته

باين أبي العرّاق^(١) وكان هذا يدعى من حلول اللاهوت فيه ما ادّعاء العلاج. وكان المحسن قد غنى بهذا الرجل فاستخلفه بالحضرة لجماعة من السّال وكان له صاحب يعرف بملازمته مقدّام على الدماء من أهل البصرة. فسلم المحسن إلى صاحب ابن الفرات هذا البصري جماعة فيهم النعمان بن عبد الله وعبد الوهاب ابن ما شاء الله ومونس حادم حامد وأظهر أنّه يطالبهم بما بقى عليهم من المال، فلمّا حصلوا في يده ذبحهم كما يُذبح الغنم وكان جماعة مستترين، فكتب ابن الفرات إليهم كتباً جميلة حتى ظهروا، ثمّ صادرهم واستخرج منهم أموالاً كثيرة.

ذكر القبض على أبي الحسن ابن الفرات

وهرب ابنه المحسن [216]

وانتدّ الإرجاف باين الفرات حتى استتر أولاده وكتابه فمراسله المقتدر على لسان نسيم.

فحكى أبو القاسم بن زنجي أنّه كان بين يديه إذ جاءه نسيم فتقدّم إليه فأدى الرسالة التي كانت معه فسمعتة يقول في جوابها:

«قل له: أنت تعلم يا أمير المؤمنين أنّي عادية في استيفاء حقوقك الصغير والكبير» واستخرجت لك المال من الدنيا والشريف وبلغت غاية ما أمكنتني في تأييد دولتك ولم أفكر في أحد مع سلامة بيتك وما قرّيني منك واجتلب لي حسن رأيك، فلا تقبل فيّ قول من يريد إبعادى عن خدمتك ويقرّيك بما لا فائدة فيه ويدعوك إلى ما تُدَمُّ^(٢) عواقبه.

١. في الأصل ومط. الفواق، وهو تصحيف بعد ذكره في إرشاد الأريب ٢٩٨:١ وذكر قصّة للوزير

المهلبي مع العرّاقية بالبصرة، عند ابن الأثير في حوادث سنة ٣٤٠ (مد)

٢. في مط: ندّم

«وبعد فطالعي وطالعك واحد وليس يلحقني شيء ولا يدحلقك مثله، فلا تلتفت إلى ما يقال، فقد علمت الخاصة والعامة أنني أطلقت للرجال النافدين إلى طريق مكة ما لم يطفه أحد تقدمني واخترت رؤساء الجند والقواد وشجعان الرجال وأزحت العلة في كل ما التمس مني، فحدث من قضاء الله عز وجل علي الحاج ما قد حدث مثله في أيام المكتفي بالله رحمه الله فما أكره [217] علي وزيره ولا أرمه جريرته ولا أفسد عليه رأيه.»

وتكلم في هذا المعنى بما يشاكلة وانصرف نسيم والعلمان بانصراف نسيم. واحتدّت الأراجيف وكثرت بأي الحسن ابن الفرات والمحسن ابنه، وأراد المقتدر أن يسكن مهما فكتب إليهما رقعة يحلف فيها علي ما هو عليه لهما وما يعتقد من الثقة بهما، وأنه ينبغي لهما أن ينقا بما تقرّر في نفسه من موالاتهما وأمرهما أن يظهر رقعته إليهما لأهل الحضرة ويكتب بنسختها إلى جميع عمّال العرب والحراح في البلدان.

ثم ركب بعد ذلك ابن الفرات والمحسن إلى الدار، فوصلا إلى المقدّر في شهر ربيع الأول سنة اثنى عشرة، ولما خرجا أجلسهما نصر الحاجب وكان راسل العلمان العجربة المقتدر في القبض عليهما فدخل مفلح برسالتهم، ثم أشار عليه بتأخير الأمر وقال له:

- «إن صرف الوزير بكلام الأعداء خطر وخطأ فسي التدبير وإطماع للعلمان.»

فأمره أن يتقدّم إلى نصر بإطلاقهما ويعرف العلمان أن الأمر يجري فيما راسلوه على محبتهم فتقدم مفلح وقال:

- «لينصرف الوزير.»

فأذن نصر للوزير وابنه في الإنصراف [218] فقام^(١) ابن الفرات في الممرات كالمهزول حتى وصل إلى طياره وكذلك ابنه المحسن. فلما وصلا إلى دار الوزير دخل إليه المحسن فسأره سراراً طويلاً ثم خرج من عنده وانصرف إلى منزله وجلس فيه ساعة وتقدم بما أراد ثم خرج فاستتر. وجلس أبوه غير مكترث يطر في العمل وبين يديه وجوه الكتاب وانصرفوا آخر النهار وقد تشككوا فيما بينهم من صورة الأمر لقا رأوه من نشاطه وانيساطه وجريه على رسمه في الحديث والأنس والأمر والتبهي وتحدث بعض خواصه قال سمعته يقول في آخر الليل وهو في مرقده يتمثل بهذا البيت :

وأضحى لا يدرى وإن كان حازماً أقدامه خير له أم وراؤه^(٢)

هدل ذلك على سهره وتفكره في أمره، وجلس من العد ينظر في أمره. قال أبو القاسم ابن رحي. فبينا هو كذلك إذ وردت رقعة لطيفة محتومة فقرأها فما عرفت متن هي في الوقت ثم عرفت أنها كانت من مفتح. ثم وردت رقعة أخرى من رجل مجرى مجرى الجند كان ملارماً لدار السلطان فلما قرأها أمسك [219] قليلاً ثم دعا بحبي قهرمانه فأسر إليه بشيء وانصرف. ثم صرف الناس وواعدهم البكور ونهض ابن الفرات عن مجلسه إلى دور حرمة وتفرق الناس.

فلما صرت إلى الروشن ذكرت شعلاً على كان شغلني به فانصرفت وجلست لذلك، فإذا بنازوك قد دخل عليه سيفه ويده دبوس وإذا بيلقي

١ في مط. مقام

٢ في مط. أومراؤه

يتلوه وهما بخلاف ما أعهدهما^(١) من الإنسباط ومع كل واحد منهما نسحو خمسة عشر غلاماً بسلاح. فلما لم يجدوه في مجلسه دخلوا إلى دار خرمه فأخرجوه منها حاسراً وأجلس في طيار وحمل إلى دار نازوك وقبض معه على ابنه الفضل والحسين ومن وجد من كتابه.

ومضى نازوك^(٢) ويليق إلى مونس المطفر وعرفاه الحبر وكان قد خرج إلى باب الشماسية وأظهر أنه خرج للنزهة، فأنحدر معه هلال بن بدر وجماعة من قواده وذهب يليق إلى دار نازوك وأخرج ابن الفرات من هناك مع ولديه وأسبابه وأخرج نازوك من داره رداء قصب وطرحه على رأسه لأنه كان حاسراً. فلما رأى ابن الفرات مونساً أظهر الإستبشار [220] بحصوله في يده فأجلسه معه في الطيار وخاطبه بجميل مع عتاب وتدلّل ابن الفرات وخاطبه بالأستاذية فقال له مونس:

«الساعة تخاطبني بالأستاذية وبالأمس تخرجني على سبيل اللفى إلى الرقة والمطر يصب على رأسي ثم تذكر لمولانا أمير المؤمنين أني أسعى في فساد مملكتي!»

وانحدر به إلى دار السلطان وتقدم بحمل ولديه وكتابه إليها وتسليمهم إلى نصر. فتكاثر العامة على ابن الفرات ومعهم أسباب المتكويين يدعون عليه ويضجون واجتهد مونس في دفعهم فما قدر على ذلك ورحلوا طيار مونس لمكان ابن الفرات فيه وصاحوا:

«قد قبض على القرمطي الكبير وبقي القرمطي الصغير.»

ولما وصلوا إلى باب الخاصة صعد جمع عظيم من الشميريات لرجم ابن الفرات ولولديه وكتابه بالأجر حتى حوربوا واحتجج إلى رميهم بالسهام وجرح

١. في مط. عهدهما

٢. في مط. باروك

بعضهم فانصرفوا وتسلمهم نصر.

فكانت مدة ابن الفرات في هذه الوزارة الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً.

تسليم ابن الفرات إلى شفيح اللؤلؤي

ثم اجتمع وجوه القواد إلى دار السلطان وأقاموا [221] على أن ابن الفرات إن شئس^(١) في دار الخلافة خرجوا بأسرهم إلى المصلّى وأسرفوا في التهديد. فدعا المقتدر مونساً ونصراً وشاورهما فأشارا بتسكين القواد وبأن يخرج ابن الفرات ويسلم إلى شفيح اللؤلؤي ويقتل عنده. فاستحضر شفيح وسلم إليه.

ذكر توصل أبي القاسم عبد الله بن محمد

بن عبيد الله الخاقاني إلى الوزارة

كان أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني استتر في أيام وزارة ابن الفرات الثالثة وأبوه أبو علي شديد الصلّة وقد أسنّ وتغيّر فهمه^(٢) ولما اضطرب أمر ابن الفرات عندي جرى على الحاجّ ما جرى. سعى عليه أبو القاسم الخاقاني وعلى به المحسن وعمل لهما عملاً وسعى له في ذلك نصر الحاجب ونمّل الكهرمانة وغيرهما^(٣). وكان مونس أشار بأبي القاسم الخاقاني قبل ذلك.

فقال المقتدر :

«أبوه خرّب الدنيا وهو شرّ من أبيه ولكن نقلد الحسين بن أحمد

١ في الأصل ومط : جلس . انظر ص ١٢٠ عريب .

٢ في مط : ويعرفهم . بدل «وتغيّر فهمه» .

٣ كذا في الأصل ومط ومد : وغيرهما ، ولعله : وغيرها

المادراني،»

فعرّفه مونس أنّه قد نفذ إلى مصر وأنّ استحضاره يبعد. ثمّ ساعده نصر وابن الخال [222] في ذلك، ثمّ استحضره المقتدر وشافهه بتقليده الوراثة والدواوين وخلع عليه وركب معه مونس المظفر وهارون بن غريب إلى داره.

ذكر ما جرى عليه أمر ابن الفرات وأسبابه

بعد تقلّد أبي القاسم الخاقاني الوزارة

ذكر أبو الحسن أنّه سلّم إلى شفيع كما ذكرنا فراسله شفيع على يد المعروف بالجمل كاتبه، فيما يهذله من المصادرة عن نفسه ليسلم من أعدائه ومن تسليمه إلى الخاقاني وأبي العباس ابن^(١) بعد شتر وهو كاتب الخاقاني فأجابه ابن الفرات بأنّه لا يفعل أو يتق من المقتدر بالله في حفظ نفسه من تسليمه إلى أحد من هذه الطبقة. وقال للكاتب الملقّب بالجمل:

«قل لصاحبك إنّي قد خلّفت في يد هارون الجهبذ وابنه مائة ونيّماً وستين ألف دينار حاصلة قبيلهما من المصادرين ليعرف الخليفة ذلك ويتقدّم بحملها إلى بيت مال الخاصة من وقتها حتّى لا يوهمه الخاقاني أنّه هو استخرجه ثمّ يصرفه في النفقات التي سبيلها أن ينفق من بيت مال العامة.»

فركب شفيع للوقت وأهّى ذلك إلى المقتدر [223] فوجهه إلى الجهبذين وكانا في دار الخاقاني لم يكلمهما بعد لتشاغله بالهيئة فأحضرا واعترفا بالمال وحملاه وصحّاه في بيت مال الخاصة.

وتقدّم المقتدر إلى نصر الحاجب بتسليم أولاد ابن الفرات وكتابه وأسبابه إلى الخاقاني، فسلمهم إليه وأخذ خطّه بتسلمهم وتسليم الخاقاني إلى أبي

١ ابن ساقطة في مط. وأقيت في مد أيضاً.

العباس ابن بعد شرّ فقيدهم وأجلسهم على الأرض في الحرّ الشديد ثم أخذ
خطّ كلّ واحد من ولدى ابن الفرات بمائة ألف دينار وخطّ سعيد بن إبراهيم
بمائتى ألف وخطّ أبى غانم كاتب المحسن بمائتى ألف دينار، ووقع النداء
على المحسن وهشام وابنى فرجويه والنهديد لمن وُجدوا عنده بعد النداء
بالهيب وإحراق المنازل وصرّب ألف سوط. وواقف أبو الحسن شفيعاً على أن
يصمن عنده مالا إن رُدَّ إلى دار السلطان ولم يُسلم إلى أحد.

فذهب شفيع فحاطب في ذلك المقتدر فقال له المقتدر :

- «إنّ مونساً ونصراً وهارون بن غريب قد أجمعوا^(١) على أنّه لا يمضى
للخاقانى أمر إلّا بتسليم ابن الفرات إليه وضمن أن يستخرج منه ومن ابنه
وأسبابه [224] ألفى ألف دينار.

فانصرف شفيع ووجه إلى ابن الفرات بكاتبه يشرح الصورة له.

كلام لابن الفرات في وزارة الخاقانى

فقال هذا الكاتب وهو الملقّب بالجلّ : كنت أدخل إلى ابن الفرات في كلّ
يوم لتمتّد أحواله. فكنت أجدّه أقوى الناس نفساً وأصبرهم على نوائب
الدهر. قال

ولقد سألنى - عمّن نقلد الوزارة -

فمرّفته أنّه أبو القاسم بن أبى على الخاقانى.

فقال : «السلطان تكب وما تكبت أنا.»

وسألنى : «عمّن تمّتّد الديوان - يعنى ديوان السواد، فقلت :

- «محمد بن جعفر بن حفص.»

١. كذا في الأصل ومط: أجمعوا. في مد: اجتمعوا.

فقال : «رُمى بحجره^(١)».

وسألني : عمر تقلد باقي الدواوين.

فعرّفته أنّهم يحيى بن عويم المالكي ومحمد بن يعقوب المصري وإسحاق بن عليّ القنّاي. فقال :

«لقد أيد الله هذا الوزير بالكفاة»

مناظرة ابن الفرات لاستخراج ماله

وكان المناظر لابن الفرات ابن بعدش فرفق به فوعده أن يتذكر ودائعهِ ويعرفه إياها فعاوده بالرفق فأقرّ أن له عند التجّار مائة وخمسين ألف دينار. وكان المعتذر رسم أن يكون مال مصادرة ابن الفرات وحده يحصل في بيت مال الحاشية ومال مصادرة أسبابه في بيت مال العامة.

ولمّا [225] استخرج ما ذكره ابن الفرات من التجّار أعاد ابن بعدش مطالبته ابن الفرات، فذكر أنّه لم يبق له مال فأوقع به مكروهاً يسيراً. ولم يكن ابن الفرات ممّن يستجيب بالمكروه فتقاعد وامتنع دفعة واحدة من أداء شيء.

فمضى هارون بن عريب إلى المعتذر وعرفه أن الخاقاني جنى على السلطان بتسليمه ابن الفرات إلى ابن بعدش وأنّه كان ينبغي أن يرفق به ويداريه، فإنّه ممّن لا يستجيب بالمكروه. فتقدّم المعتذر إلى الخاقاني بأن تكون مناظرة ابن الفرات بحضرة هارون بن عريب وأن يرفق به. وكان ابن بعدش قد ضيق على ابن الفرات في مطعمه ومشربه حتّى أنّه أدخل إليه خبز خشكار^(٢) وقتّاء وماء الهواء، فوجّه إليه بطعام واسع وشراب رخيص كثير.

١. كذا في الأصل ومط: رُمى بحجره. في مد. بحجره رمى (بالنقد والناخير).

٢. في الأصل: خشكار. وفي مط ومد خشكار. وهي فارسية خير من دقيق غير منخول

وفاكهة واعتذر إليه عما جرى وحلف أنه لم يعلم بما حُومس به.

ثم إن الخافاني راسله على يد خاقان بن أحمد بن يحيى يرفق ومداواة بأن يقر بماله ولا يلاج السلطان فليس ذلك بمحمود. فأجابه بأن قال:

- «قل للوزير لست حدثاً غزاً فتحال عليّ في المناظره، ولست [226] أهول إني لا أقدر على المال ولكن إذا وثقت لنفسى بالحياة فديتها بالمال. وإنما أثق بذلك إذا كتب أمير المؤمنين بخطه لي أماناً وشهد الوزير والقضاة بخطوطهم ويكتب لي الوزير أيده الله أماناً بخطه ويسلمني إلى أحد رجلين: إما مونس المطقروا إن كان عدوي وإما شفيع التلوي فإن لم يفعل ذلك فقد وطئت^(١) نفسي على التنف.»

فوجه إليه الخافاني:

- «يأني لو قدر على التوثق لك لتوثقت، ولكن إن تكلمت في هذا المعنى عاداني حواص الدولة لأجلك، ثم لم تنتفع أنت بذلك وقد ردّ الخليفة أمرك إلى هارون بن غريب.»

فتواعدوا إلى دار الخاقاني بالمخزّم واستحضر ابن الفرات وناظره ابن بعد شر بحضورهم فتماتن ابن الفرات فبدأ ابن بعد شر يُسمعه المكروه فأكره هارون وزيره^(٢) وقال:

- «بهذا تريد أن تستخرج مالي ابن الفرات؟»

وأقبل هو على ابن الفرات وداراه وخاطبه بجميل وقال له:

- «أنت أعرف بالأمور من كل من يخاطبك والخلفاء لا يلاحظهم وزراؤهم

إذا سخطوا عليهم.»

فقال له ابن الفرات:

١. كذا في الأصل ومط: وطئت، في مد: وطئت

٢. زبيرة: منقذ

«أشّر على أيها الأمير فإن من كان في مثل حالتي عزب عنه الرأي» فلم يزل معه في مناظرات إلى أن أخذ [227] خطّه بمصادرة ألفي ألف دينار على أن يعجل منها الربع وعلى أن يُحتسب له من الربع بما أذاه وما أخذ بعد ذلك ممّا نلّه استخرج من ودائعته بغير إقرار منه ويطلق له بيع أملاكه وما يستبيع من صياعه وأمتعته ويُبدل إلى دار شفيح اللؤلؤى أو غيره من ثقات السلطان ويطلق الكوذاني ليتصرف في جمع أمواله ويُطلق له الدواة ليكتب من يرى مكاتبته فأخذ هارون بن غريب خطّه بجميع ما كتب به وحمله إلى المقدّر بالله.

ذكر اتفاق سيّئ اتفق على المحسن

حتى ظفّر به وصودر وقُتل

كان المحسن استتر عند حماه جنزابة وهي حماته ووالدة الفضل بن جعفر بن الفرات فكانت تحمله كلّ يوم، بكرة إلى المقابر في زيّ النساء وتردّه إلى المنازل التي يثق بها بالليل.

فمضت به يوماً إلى مقابر فريش في زيّ النساء على رسمه وأمسّت فبعث عنها الطريق إلى الكرخ فوصف لها امرأة كانت معها منزل امرأة تثق بها ليس معها رجل لأنّ زوجها مات منذ سنة، فصارت جنزابة^(١) مع النسوة والمحسن [228] إلى هناك فقالت لصاحبة الدار:

«إنّ معنا امرأة لم تتزوج بعد، وقد عادت من ماتم وضافت عليها^(٢) فأفردى لها بيتاً.»

١. في مط جيرانه.

٢. كذا في الأصل ومط ومد.

فأفردت لها^(١) بيتاً في صُفَّة وأدخلت إليه المحسن ثم ردت عليه الباب وجلس السوء مع المحسن في البيت. فجاءت جارية سوداء بسراج معها فوضعت في الصُفَّة وأدخلت حنزاباً إلى المحسن بسويق وسُكَّر وكان المحسن قد نزع ثيابه فاطلمت الجارية السوداء من حيث لا يشعر المحسن ولا حنزاباً في البيت، وعلمت أنه رجل، فانصرفت وأخبرت مولاتها.

فلما جنَّ الليل جاءت مولاتها وطالمت البيت فرأت المحسن وكان ذلك من نعس المحسن وبخذلان الله إياه، لأنَّ تلك المرأة كانت زوجة لمحمد بن نصر وكيل علي بن عيسى وكان المحسن طلبه فأدخل إلى ديوانه فرأى ما يلحق الناس من المكاره بحضرة المحسن فمات من الفزع فجأة من غير أن يكلمه المحسن.

فعمضت المرأة في الوقت إلى دار السلطان حتى وصلت إلى دار نصر الحاجب 'وشرح له الصورة فأبى نصر الحاجب الخير إلى المعتدري بالله، فتقدم بالبعثة إلى نازوك ليركب إلى الموضع ويقبض على المحسن.

فركب [229] نازوك مر وقته إلى الموضع وكبه وقبض على المحسن، وضربت الشبّاب لذلك نصف الليل عند الطفر به حتى ارتاع الناس ببغداد وظنوا أنَّ القرمطي قد كبس بغداد.

وحمل المحسن إلى دار الوزارة بالمخزوم وتسلمه ابن بعد شر [وجزعه]^(٢) في وقته مكروهاً عظيماً وأخذ خطه بثلاثة آلاف ألف دينار. وحضر هارون بن غريب دار المخزوم وناظر المحسن فوعده أن يتذكر ودائمه ويقرّ بها ولحقه في يومين متواليين مكروه عظيم فلم يدعن بدينهم واحد وقال: «ليس يجمع بين نفسي ومالي».

١ التأنيث بـاء على أنَّ المحسن امرأة.

٢ زيادة من مط.

وحضر بعد ذلك هارون بن غريب ومعه شفيح اللؤلؤى وأحضر المحسن والكتاب وابن بعدش وناظر المحسن وأوقع به مكروهاً عظيماً وقال له :
 - «هيك لا تقدر أن تؤدى المال الذى أخذ خطك به»^(١) لا تقدر أن تؤدى
 مائة ألف دينار.

فقال له :

- «بلى إذا أمهلت وزال عني المكروه».

فقال له :

- «نحن نمهلك فاكتب خطك بمائة ألف دينار»

وكتب^(٢) بذلك خطه وأنه يؤديها فى مدة ثلاثين يوماً.

فلما قرأ هارون بن غريب الرقعة قال :

- «كانك ترجو أن تعيش ثلاثين يوماً»

فخضع له المحسن وقال له : [230]

- «أفعل ما يأمر به الأمير».

قال : «أكتب بآنك تؤديها فى مدة سبعة أيام»

فارتجع الرقعة ليكتب بدلها. فلما حصلت فى يده مضغها وبلغها وامتنع أن يكتب غيرها. فقيد وعُلِّ وألُس جبة صرف وضرب على رأسه بالدبابيس على أن يكتب ما كان يكتبه فسم يكتب، فأعيد إلى محبسه وعُدَّت فيه بأنواع العذاب فلم يذعن بدهم واحد.

الخاقانى يناظر بن الفرات

فلما كان بعد ذلك حضر الأستاذ موسى وبصر الحاجب وانقضاء والكتاب

١ فى مط: ولا تقدر، بزيادة الواو

٢ كذا فى الأصل ومط. وكتب. وفى مد: وثبت

مجلس الوزير الخاقاني وأحضر أبو الحسن ابن الفرات وناظره الخاقاني ولم يكن الخاقاني من رجاله، فكاد أبو الحسن ابن الفرات أن يأكله فكان فيما قال له .

- «إني استغللت ضياعك في مدة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار.»

فقال: «قد كانت هذه الضياع في يد علي بن عيسى عشر سنين أيام وزارته وأيام وزارة حامد بن العباس وما ارتفع له منها إلا أربعمائة ألف دينار فقد ادّعت لي^(١) المعجزات.»

فقال له :

- «أصفت حقوق ضياع السلطان إلى ضياعك.»

فقال . «الدواوين لا يمكن أن يُكتب ما فيها فتظر في ارتفاع النواحي السلطانية في أيام نظري فيها وفي ارتفاعها أيام علي بن عيسى ووزارة [231] حامد بن العباس ووزاره أيك التي دبرتها أنت حتى تعلم هل زادت ارتفاع ضياع السلطان في أيامي أم قصت.»

ونوظر فيمن قُتل وشُع عليه بهم فقال

- «ليس يخذو من ذلك من أحد أمرين: إما أن يقال إني أنا قتلهم فلم أضب عن الحضرة والقتل لا ينسب إليّ والمدعى قتله بالبعد منها، وإما أن يقال كتبوا خطك بقتلهم وهؤلاء أصحاب المعاون وثقات السلطان وعمال الخراج ووجوه متصرفي عمال السلطان قد حكمتهم على نفسي.»

فقبل له :

- «قد قتلهم أبك.»

فقال . «أنا غير أبي وأنتم تناظروني.»

١. في مط: في المعجزات.

فقال له ابن بعد الشر^(١) :

« إذا قتل ابنك الناس فأنت قتلتهم. »

فقال له ابن الفرات :

« هذا خير ما حكم الله ورسوله، فإنه عز وجل يقول : ولا تزرز وازرة
ورزأ أخرى. ^(٢) وقال النبي عليه السلام لرجل من أصحابه : أهذا ابنك ؟
فقال : نعم. قال : أما إنه لا يجنى عليك ولا تحنى عليه، ومع هذا فهو في
أيديكم سلوه فإن وجب عليه قود بادعاء قتل^(٣) في موضع ناء عنه يقال فيه
إن غيره تولى قتله فالحكم في هذا معروف. »
فتحير القوم في الجواب.

فقال عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصر الحاجب :

« إن رأى الحاجب أن يقول له حيث كنت تقول لمن تطالبه. إن أدبت
وإلا سلمتك [232] إلى المحسن، أكنت تسلمه يسقيه^(٤) السويق والسكر أو
لهذه؟ ومن أطلو التعذيب فقد أطلق القل، لأن الإنسان قد يتلم بمفرعة
واحدة يضرب بها فصلاً عن غيرها. »

فخاطبه نصر بذلك فقال في الجواب :

« إن الحليفة أطل الله بقاءه ولى المحسن وأنا إذ ذاك محبوس وهو
مطلق فضمن ما صمته وحركى ذلك على يد مفلح وتوسطه جماعة من ثقات
لسلطان. ثم لما تقلدت الأمر كنت أحب الرفق بالناس وإذا ناظرهم ورفقت
بهم لم يذعنوا بما يلزمهم فإذا أقاموا على الإمتناع سلمتهم إلى من نصبه

١. بعد الشر. كما في الأصل. بعد الشر. وفي مط: بعد شر. كما هو في سائر المواضع.

٢. الأنعام، ١٦٤، ١٧، الأيسر، ١٥، ٣٥، طاهر، ١٨، ٣٩، الزمر، ٧، ٥٣، النجم، ٣٨.

٣. في الأصل: قيل وفي مط: قيل، وكلاهما خطأ.

٤. في مط: ليسفه.

السلطان وأمر بتسليمهم إليه.

فقال له مونس .

« كَأَنَّكَ تَحِيلُ عَلَى الْخَلِيفَةِ فِي قَتْلِ النَّاسِ فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ ، مَا أَمَرْتُ بِقَتْلِ أَحَدٍ سِوَى ابْنِ الْحَوَارِيِّ فَقَطْ . »

ثُمَّ أَقْبَلَ نَصَرَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ :

« مَعِيَ رِسَالَةٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ إِلَيْكَ فَتَسْمَعُهَا وَتَجِيبُ عَنْهَا »

قَالَ : « وَمَا هِيَ ؟ »

قَالَ : « يَقُولُ : سَلِّمْتُ إِلَيْكَ قَوْمًا بِعَالٍ ضَعَفْتُ لِي وَأُرِيدُ مِنْكَ أَحَدَ أَمْرَيْنِ :
إِمَّا وَفِّيتَنِي الْمَالَ أَوْ رَدَدْتَ عَلَيَّ الْقَوْمَ . »

فَقَالَ ابْنُ الْفَرَاتِ :

« أَمَّا الْمَالَ فَقَدْ صَحَّ فِي بَيْتِ الْمَالَ ، وَأَمَّا الرِّجَالُ فَمَا ضَعَفْتُ أَرْوَاحَهُمْ
وَلَا بَقَاءَ لَهُمْ وَقَدْ تَلَفُوا حَتْفَ أَنْفُسِهِمْ . »

فَقَالَ لَهُ مونس العظَّمَر :

« هَبْ ^(١) أَنْ لَكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِذْرًا وَحِجَّةً ، أَيْ عِذْرٌ [233] لَكَ فِي
إِخْرَاجِي إِلَى الرِّقَّةِ حَتَّى كَأَنَّكَ مِنَ الْعَمَالِ الْمَصَادِرِينَ أَوْ مِنْ أَعْدَاءِ دَوْلَةِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ؟ »

قَالَ : « أَنَا أَخْرَجْتُكَ ؟ »

قَالَ : « فَمَنْ أَخْرَجَنِي ؟ »

قَالَ : « مَوْلَاكَ ^(٢) أَمَرَنِي بِإِخْرَاجِكَ . »

قَالَ : « مَوْلَايَ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ . »

قَالَ : « مَعِيَ حِجَّةٌ بِحِطَّةٍ كَتَبَ إِلَيَّ رَقْعُهُ احْتَضَطَتْ بِهَا لِأَنَّهَا بِحِطَّةٍ يَشْكُو

١. لِي مَط : هَبْ لَكَ أَنْ لَكَ

٢. كُنَّا فِي الْأَصْلِ وَمَط : مَوْلَاكَ . وَلِي مَد : مَوْلَانَا

فيها أفعالك وقماً بعد وقت وفتحك البلدان بالمؤمن العليظة ثم إعلالك إيها
بسوء تدبيرك وأثارك القبيحة.

قال: «وأي الرقة؟»

قال: «في أيديكم هي جملة المهات التي أمرت بحفظها في السقط
الحيزان المكروب عليه بسخطي بالتعطف به من المهات وفيها الأمر
بإخراجك إلى الرقة والتوكيل^(١) بك حتى تخرج.»

فأمر الخافائي بإحضار السقط فوجده محتوماً بخاتم ابن الفرات ووجد
فيه الرقة بعينها وفيها جميع ما ذكر ابن الفرات بسخط المقتدر فأخذها
ومضى مونس من وقته إلى المقتدر حتى لقيه وأقرأه الرقة فغطا المقتدر
على ابن الفرات غيظاً شديداً، فأمر هارون بضربه بالسوط. فمضى هارون
حتى ضرب ابن الفرات بين الهبازين خمس درر فقط وقال له:
«يا هذا أذعن بمالك.»

فأعطى حطه بعشرين ألف دينار وقال:

«هذا مالي.»

ثم أخرج المحسن [234] في الوقت فضربه ضرب التسلف، فلم يذعن
بشيء بته.

فصار هارون بن غريب إلى المقتدر بالله واستعفى من مناظرة ابن الفرات
وابنه وقال:

«هؤلاء قوم ليس في عزمهم أن يؤدوا شيئاً البتة وقد استغنوا.»

فأمر بتسليمهم إلى نازوك وبسط المكروه عليهما فأوقع نازوك بالمحسن
أنواع المكاره حتى تدود بدنه ولم يبق فيه فضل لمكروه. وضرب أبا الحسن

ابن الفرات ثلاث دفعات بالفلوس^(١) فلم يدع ب درهم واحد،
 واسبغاً المقتدر بالله أبا القاسم الخاقاني الوزير وقال له :
 - « ما رأيت شيئاً مما صنعت من أموال ابن الفرات وابنه صبح. »
 فقال : « لأنه لم يترك والتدبير. »

وإن ابن الفرات لما عدل به عن مآخرة الكتاب وسُلم إلى أصحاب
 السيوف يس من الحياة فضن^(٢) بالمال ونظر إليه ابنه فاقتدى به «
 وقال نازوك للمقتدر :

- « قد انتهيت بهؤلاء القوم من المكارة إلى الغاية حتى إن المحسن مع
 ترفه^(٣) قد تدوّد بدنه وصبر بعد ذلك على مكارة عظام لم يُسمع بمثلها وقد
 مضت له الآن أيام لم يطعم طعاماً وإنما يشرب الماء شرباً يسيراً وهو في
 أكثر أوقاته مغشّى عليه. »
 فقال المقتدر بالله :

- « إذا كان الأمر كذلك فلا بد من حملهما إلى داري. »
 فأظهر مونس^[238] والصناعة :

- « إن الصواب في ذلك. »

وقال الخاقاني :

- « قدر وفق الله^(٤) أمير المؤمنين. »

وخرجت الجماعة من حضرته.

فأسر الخاقاني إليهم وهم بعد مجتمعون في دار السلطان وقال :

١. في مط: بالفلوس. والفلوس: حبل للسفينة ضخمة.

٢. في مط: نص. بدل « فضن » وهو تصحيف.

٣. في مط: ترفه.

٤. وزاد في مد: رأى.

«إن حُمل ابن الفرات إلى دار الخليفة بذل أسبابه^(١) عنه وعن ابنه لأموال، وإذا وثق مع ذلك بالخليفة وحصل في داره أخرج أمواله وتوثق لنفسه ولابنه، فإد أمن على نفسه تضمن الجماعة وحمل الخليفة على تسليمها إليه ويطمعه في أن يوفر أرزاقها وإقطاعاتها وضباعها ويجمع له أموالاً جليلة خطيرة. والوجه أن يقع الاجتماع من القواد واليمين على أنهم إن وقفوا على أن ابن الفرات وابنه حُملا إلى دار الخليفة^(٢) خلعوا الطاعة.»
فقال مونس:

«هذا شيء إن لم فعله لم يصف لنا عيش.»
وتجرد لهذه الحال هارون بن غريب وتآزرك فجمعوا القواد ووجوه العلمان الحجرية وكان يلبق^(٣) يستحلفهم.

ذكر مقتل أبي الحسن ابن الفرات وابنه المحسن

ثم اجتمعوا بأسرهم إلى مونس ونصر وأطهروا ما في نفوسهم. فأشار مونس بأن يلتبس القواد نقل ابن لفرات وابنه إلى دار مونس فإن مات المحسن استبقى أبوه. فقال له [236] هارون بن غريب:
«إذا مات المحسن لم يصلح أن يستبقى أبوه وكيف يوثق به وقد قُتل ابنه حتى يؤمن على الملك؟»

ثم كاشفوا المقتدر بالله وقالوا بأجمعهم:
«إن لم يقتل ابن الفرات وابنه خلع الأولياء بأسرهم الطاعة.»

١. في مط: أشابه، وهو تصحيف.

٢. في مد: دار الخليفة.

٣. في مط: يلبق.

وواصل هارون بن غريب مخاطبة المقتدر في قتل هذين وقال :
 - «لست آمن أن يجتمع الأولياء على البيعة لبعض بني هاشم، ثم لا
 يُبلا في الأمر.»

وأرادت الجماعة من الوزير الخافائي التجريد في ذلك فقال :
 - «لست أدخل في سمك الدماء وإنما أشرت بالألأ يُحمل إلى دار السلطان
 فأما قتله فخطأ، لأنه ليس ينبغي أن يُسهل على الملوك ولا يُحسن لهم قتل
 أحد، فإنهم متى فعلوا ذلك خفَّ عليهم قتل خواصهم حتى يأتوا عليهم بأدنى
 ذنب وخطأ يكون منهم.»

فلما كان يوم الأحد لإثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر قُدم إلى
 ابن الفرات طعامه فأمر برفعه وقال :
 - «أنا صائم.»

وحضر وقت الإفطار فقُدم إليه سآ حضر وقت الطعام فقال :
 - «لست أفطر الليلة.»

فحضر عنده من اجتهد به أن يفطر فقال :

- «أنا مقتول في غد لا محالة.»

فقبل له : [237]

- «أعبدك بالله.»

فقال : «بلى رأيت البارحة أحى أبا العتاس رحمه الله في النوم وقال لي :
 أنت تفطر عندنا يوم الإثنين بعد غد وما قال قط في النوم^(١) شيئاً إلا صح
 وغداً الإثنين وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين بن علي صلوات الله عليه^(٢).»
 فلما كان من الغد وهو يوم الإثنين انحدر الناس إلى دار الحليفة، فلم

١. في الأصل اليوم. وفي مط. النوم. كما أثبتناه.

٢. في مط. رضى الله عنهما.

يصلوا^(١) فكتب هؤلاء الرؤساء بقتل ابن الفرات وابنه فأجابهم المقتدر أن:
- «دعوني أنظر في ذلك».

فكتبوا إليه: أنه إن تأخر قتل ابن الفرات وابنه عن هذا اليوم جرى على المملكة ما لا يتلافى.

وكتب المقتدر إلى نازوك بأن يضرب أعناقهما ويحمل رؤوسهما إلى حضرته فقال نازوك:

- «هذا أمر عظيم لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع».

فأمر المقتدر الأستاذين والخدم بالخروج إليه برسائله بإمضاء ما كتب به فخرجوا إليه بذلك فقال:

- «لا أعمل عسى رسالة ولا بد من مشافهة بذلك».

وابن الفرات يراعى الخبر فلما قيل له إن الناس قد انصرفوا وإن نازوك انصرف إلى منزله سكن قليلاً ثم قيل له:

إن نازوك قد عاد إلى دار السلطان.

فاضطرب جداً وصار ناروك إلى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم فجلس [238] في الحجرة التي كان ابن الفرات معتلاً فيها ووجهه بعجيب خادمه ومعه السودان حتى ضرب عنق المحسن وصار برأسه إلى أبيه فوضعه بين يديه فارتاع لذلك ارتباعاً شديداً وعرض هو على السيف فقال لناروك:

- «يا منصور ليس إلا السيف؟ راجع أمير المؤمنين في أمري فإن لي

أموالاً عظيمة وودائع كثيرة وجواهر جليلة».

فقال له نازوك:

- «قد جلى الأمر عن هذا».

وأمر به فضربت عنقه وحُمل رأسه ورأس ابنه إلى المقتدر بالله فأمر بتفريقهما، فحرقا في الفرات وعُرفت الجثتان في النصارين^(١) ببغداد.
وكانت سنّ أبي الحسن ابن الفرات رحمه الله يوم قُتل إحدى وسبعين سنة وشهوراً وسنّ ابنه المحسن ثلاثاً وثلاثين سنة.

حكم المنجم في ابن الفرات وابنه

وقد كان حكم العاصمي المنجم في تلك السنة أنّه يخاف فيها على ابن الفرات نكبة وتلفاً بالسيف وذكر ذلك في مولده الذي كان بين يديه، وحكم على مولد المحسن أنّ عمره ثلاث وثلاثون سنة، فصَحَّ حكمه.

إطلاق القرمطي الحاجّ الأسرى عنده

وفي هذه السنة ورد كتاب المارقي من البصرة يذكر أنّ كتاب أبي الهيثم ابن حمدان ورد عليه من هجر يذكر أنّه كلّم أبا طاهر القرمطي في أمر من استأسر من الحاجّ [239] وسأل إطلاقهم فوعده بهم وأنه أحصى من عنده منهم فكانوا من الرجال ألفين ومائتين وعشرين رجلاً ومن النساء نحو خمسمائة امرأة.

ثمّ وردت الأخبار بورود قوم يُعَمُّ قوم إلى أن كان آخر من ورد منهم أبو الهيثم وأحمد بن بدر عمّ السيّد. وقدم بقدم أبي الهيثم رسول أبي طاهر القرمطي يستدعي الإفراج عن البصرة والأنهواز ونواح آخر فأُنزل الرسول وأكرم وأقيمت له الأتزال الواسعة ثمّ حُرف ولم يقع إجابة إلى شيء ممّا التمس.

عدة حوادث

وفيها خُلع على سجع الطولوني ورُدَّ إلى إصبهان لولاية أعمال المعاون بها.
وفيها ورد رسول ملك الروم ومعه أبو غُمير ابن عبد الباقي ووصل إلى
السلطان وأوصله معه هدايا والتمس الهدنة والفداء فأجيب إلى ذلك بعد الفزاة
الصائغة وخُلع عليهما ورجع الرسول إلى بلد الروم.
وفيها خُلع على جسي الصفواني وكان ورد من ديار مُضر واستدعى
محرابة أبي طاهر القرمطي.

قدوم سليمان وابن مقلّة

وعلى بن عيسى إلى بغداد

وكان سليمان بن الحسن بن مخلد وأبو عليّ ابن مقلّة مبعدين بشيراز في
يد أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي. فذكر أبو عليّ أنّه كان مجتمعا مع
سليمان في دار [240] واحدة مصوتين مكرمين، فورد عليه الخبر بالقبض
على ابن الفرات، وكان أبو الحسن ^{ابن أبي} البعل معتقلا في يد صدرقه جعفر
بن القاسم الكرخي. قال: فاطلعت الجماعة على الخبر وكان ابن أبي البغل
قد وقف على مذكران رسمه ابن الفرات والمحسن في أمره فحين وقف على
الخبر وقّع في حاشية التقويم:

«وفي هذا اليوم وُلد محمّد بن أحمد بن يحيى وله إحدى وثمانين

سنة.»

ولمّا وقف الكرخي على الخبر أطلق أبا عليّ ابن مقلّة وسليمان بن
الحسن وهنأهما بالسلامة قبل أن يرد عليه كتاب بإطلاقهما، ثمّ ورد كتاب
الحاقاني على المسمعي والكرخي بإطلاقهما ومراعاتهما حتّى لا يخرجا من

شيرار فأقام سليمان مدة أسبوع حتى أحكم أمره.

ودعا المسمعى جعفر بن القاسم الكرخي دعوة عظيمة وأقام على حال سرور^(١) يومين متواليين، فخفى عنهما الخبر في خروج سليمان وكان خرج في ذي الحيج. فلما كتبنا إلى الخاقاني بهرب سليمان عظم عليه واشتدّت الأراحيف بوزارة سليمان ودخل سليمان بغداد مستتراً وأقام أبو عليّ ابن مقلّة بشيرار إلى أن توصّلت زوجته إلى أسباب الخاقاني وعنى به شفيع المقتدرى وأمر الخاقاني بإطلاقه [241] والإذن له في المصير إلى الأهواز، وكسب له بإجراء مائتي دينار في كل شهر عليه ومنعه من الخروج، فأقام مدة ثم أذن له في قدوم بغداد بشفاعات الناس له^(٢).

وفيها خاطب مونس المظفر الوزير الخاقاني في أمر عليّ بن عيسى وأن يكتب إلى أبي جعفر صاحب اليمن بالإذن له بالرجوع إلى مكّة فكتب إليه بذلك فأذن له أبو جعفر وحمل إليه طيباً وكسوة وآلات نحو خمسين ألف دينار وعاد عليّ بن عيسى إلى مكّة مع حاجّ اليمن.

فلما حصل بها فلده الخاقاني بمسألة مونس الإشراف على مصر والشام. وكتب عليّ بن عيسى لما وصل إلى مكّة وقبل تقلّده الإشراف على مصر والشام إلى الوزير الخاقاني كتاباً يهنّئه فيه بالوزارة ويعزّيه بأبي عليّ أبيه ويسأله صيانتهم أهلكه وورثه والعناية بهم في ضيعته ومعيشتهم فأجابه الخاقاني بحواب جميل وآتاه قد رعى^(٣) حقّه في أهله وولده وحاشيته غير معتدّ عليه ولا متعمّد به.

١. كذا في الأصل. سرور. وفي مط. مرور.

٢. في مط. إبيه.

٣. كذا في الأصل ومط. يديه وفي مد: يده.

ذكر الأسباب التي اتفقت على الخاقاني حتى صرف عن الوزارة

كان أبو العباس ابن الخصيبى وقف على مكان زوجة المحسن بنت حنراية فسأل أن يولّى النظر [242] فى أمرها واستخراج مالها. ففعل ذلك واستخرج منها سبعمائة ألف دينار وصحّحها فى بيت مال الخاصة. فتهدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ورشّحه للوزارة وبلغ ذلك الخاقاني فحمل ابن بعد شرّ على أن بذل خطّه أنّه يستخرج من الخصيبى^(١) مائة ألف دينار معجّلة وصلت إليه من مال المحسن وزوجته زيادة على ما صحّحه من هذه الجهة.

وعرض الخاقاني الرقعة فلم تقع موقعها واتصل الخبر بأبى العباس الخصيبى فكتب إلى المقتدر رغبة يذكر فيها معائب الخاقاني وابنه وكتابه وضياح الأموال وفساد التدبير وسلّمها إلى من يعرضها على المقتدر والسيدة. وبلغ ذلك الخاقاني واشتدّ به الأراجيف وضعت نفسه وكان عليلًا فزادت عليه حتى أقام شهوراً لا يقدر على أكل لحم حمل ولا طائر وكان يأكل كل يوم ورن أربعين درهماً خبزاً، ثم صار عشرين درهماً، وظهر به ورم فى يديه^(٢) ورحلّيه ووجهه وكان يتجلّد ويركب فى كلّ شهر مرّة أو مرتين إلى دار السلطان وينوب عنه ابنه فى أيام المواقب.

فشغب الفرسان لطلب أرزاقهم وخرجوا إلى المصنّى فوعدوا به وتأخّر عنهم [243] فعادوا وطمعوا فى الذهب.

وأشرفت بغداد على فتنة عظيمة وخرج إليهم ياقوت بتوقيع المقتدر بالله

١ فى مط: الحصنى.

٢ كما فى الأصل ومط: يديه وفى مد: يده.

إلى الخاقاني بإطلاق رزقة تامة لهم وضمن ياقوت ذلك. فراسل المقتدر الوزير الخاقاني بإطلاق نفقاتهم، فذكر أنه لا يقدر على ذلك وكان عليلًا، فعاوده برسالة يأمره فيها أن يحتال في مائة ألف دينار ليضيف إليها مائتي ألف دينار ينفق فيهم. فأقام على أنه لا يقدر على احتيال مائة ألف درهم وأن له في توجيه مال النوبة للرجالة ومال الغسان الحجرية والحشم وخلفاء الحجاب شغلًا طويلًا. فتقدم المقتدر بإخراج ثلاثمائة ألف دينار من بيت مال الحاصة واعتمد على ياقوت في تفرقتها.

وكان مونس المطفر بواسط فاسدعاه المقتدر لما شغب الفرسان فوافي^(١) وتلقاه الأمير أبو العباس والوزير الخاقاني ونصر وسائر الأستاذين والقواد ولقى المقتدر فعرفه ضيق الأموال وتبجح الخاقاني وشاوره في صرفه، فأشار عليه بالتوقف ليلقاه ويوافقه. فلم يمه مونس فعرفه الخاقاني أنه لا حيلة له في شيء يصرفه في المهم واحتج بأنه عليل لا فصل فيه للعمل.

فأشار مونس [244] لما رأى تبجح الخاقاني الشديد باستحضار علي بن عيسى وتقليده الوزارة فاستبعد المقتدر ذلك فأشارت السيدة والخالة بأبي العباس الحصبى فقبض على الخاقاني واستتر ابنه عبد الوهاب وإسحاق بن علي القنای وأخوه **أبى بعدش** وحقان بن أحمد بن يحيى بن حاقان وظهر الباقون.

فكانت مدة وراثته سنة واحدة وستة أشهر.

ذكر سبب وزارة أبي العباس الحصبى

واسم المقتدر أبا العباس الحصبى وهو أحمد بن عميد الله يوم

الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، فمكده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه هارون بن غريب وياقوت ونازوك وأكثر الفواد، واستكتبت ثمل القهرمانة مكانه على ديون ضياع السيّدة أبا يوسف عبد الرحمن بن محمّد وكان قد تاب من عمل السلطان، فلما أسند إليه هذا العمل الجليل كسر التوبة فسفاه الناس المرتد، واستدرك أموالاً جليّة كان الخصمي أضاعها، فتكرت ثمل للخصمي في الباطن.

وكان أبو العباس الخصمي يواصل شرب النبيذ بالليل والنوم [245] بالنهار في أيام وزارته كلها، وإذا اتبه يكون محموراً لا فضل فيه للعمل، فردّ فصّر الكتب الواردة من عمّال الخراج والمعاون وقرائنها والتوقيع عليها وإخراجها إلى الدواوين، وقراءة الكتب النافذة والتعليم عليها إلى مالك بن الوليد، ويعمل جوامع مختصرة للمهمّ ممّا يرد وينفذ فيعرضه عليه إذا اتبه فربّما قرأه وربّما لم يقرأه فيقرأه أبو الفرج إسرائيل ويوقع فيه على حسب رأيه.

وكانت الجوامع تعمل بخطّ أبي سعيد وهب بن إبراهيم بن طاراذ فتبقى أتماماً بحضرته فإذا كثرت تقدّم بأن يقرأ عليه ويتقدّم بالتوقيع تحت كلّ فصل بما عنده فيه ويخرج ذلك الحامع إلى مالك بن الوليد فيبقى عنده يوماً أو يومين ثمّ يخرج إلى صاحب الديوان فيقرأ ويوقع تحته بما يراه ويُجاب عن الكتاب من الديوان بما يعمد إلى صاحب الديوان فيقرأ ويعلم عليه وإلى أن ينفذ الجواب ما قد تمرّدت البثوق واتسعت^(١) الفتوق واحتملت الأعصاب الغلات وحدثت الحوادث المفسدة لمعنى ذلك الكتاب.

فلما رأى الكلّوذاني ذلك ورأى الضرر يزيد والنحط لا يتلاهي كتب إلى العمال بأن ينفذوا نسخة لما يكتبونها إلى الوزير إليه [246] فكانوا يكتبون

إليه نسخاً بما ينفذ منهم إلى الوزير فيوقع على ظهرها بما يجابون به وتخرج إليه الكسب المكتوبه عن الوزير بعد جمعة وأكثر.

وقدّم الوزير الخصيبى إلى الحسن بن ثوابه بأن يقرأ قصص المتظلمين ويوقع عنه فيها فى غير يوم المظالم ويجمع القصص فى يوم المظالم ويحتصر ما فى الرقعة فإذا قرأها وقع بحسبه وكان أكثر أعتاده على أموال المصادرين وكان أول المصادرين أبو القاسم الخافاني واعتنى مونس أمره وذكر للمقتدر أنه لا فضل فيه للحركة^(١) وأنه قد قرّر أمر مصادره عن نفسه وابنه وكتابه المختصين به على مائتى ألف وخمسين ألف دينار. فأمضى المقتدر ذلك وأخذ خطّه به إلى الخصيبى ووضع الخصيبى يده على العمال والكتاب وجازفهم^(٢) فيما صادرهم عليه، فصادر جعفر بن قاسم الكرخى على مائة وخمسين ألف دينار وقبض على المالكي وعلى هشام وعلى بن الحسين بن هدى وورثة أبى أحمد الكرخى والحسن بن أبى الحسن ابن الفرات ويحيى بن عمّرويه وأبى الحسن بن مابداذ وإسحاق بن إسماعيل النوبختى ومحمّد بن يعقوب المصرى وورثة نصر بن الفتح صاحب بيت المال [247] وابن عيد الوهاب وعبد الله بن جبير.

وكرّرت الأراجيف بالخصيبى وأنه مصروف عن الوزارة، لأنّه حمار لا يحسن شيئاً غير المصادرات وهو مشغول بالشرب واللعب وأنّ الأمور كلّها ضائعة والمهمات واقفه، وأرجف بالوزارة لجماعة.

وفىها كانت وقعة أبى طاهر سليمان بن الحسن القرمطى بالكوفة وأسر هوّاد السلطان.

١. فى مط: لا فضل للحركة.

٢. فى مد: جازفهم، خلافاً للأصل ومط.

ذكر الخبر عن دخول القرمطي الكوفة

كان جعفر بن ورقاء يتعلّد أعمال الكوفة وطريق مكة. فلما شخص الحاج من بغداد تقدّمهم خوفاً من أبي طاهر القرمطي وكان معه ألف رجل من بني عمّه من بني شيبان، ثمّ خرج في القافلة الأولى ثمل صاحب البحر وفي قافلة الشمس^(١) جتي الصفواني وطريف السهكري وسياسير الديلمي. فكانت عدّة من بذرق بالقوافل من أصحاب السلطان ستة آلاف رجل^(٢) فتلقاهم أبو طاهر الجنابي وكان أول من لقي جعفر بن ورقاء فناوشه قليلاً، ثمّ طلع على جعفر قوم من أصحاب أبي طاهر عبي نجب يقودون خيلاً فنزلوا عن النّجب وركبوا الخيل وخالطوا جعفر بن ورقاء فلم يثبت لهم واستلهم [248] بمن معه من بني شيبان فلقى القافلة وقد نزلوا من العقبة فرّدّهم وأخبرهم الخبر فولّوا مبادرين حتّى دخلوا الكوفة.

وتبع أبو طاهر رجال السلطان والقوافل حتّى بلغ باب الكوفة فخرج قوّد السلطان الذين ذكرناهم، فأوقع بهم وهزمهم وأسر جيّاً الصفواني، وأقام أبو طاهر بطاهر الكوفة ستة أيّام يدخل البلد بالهار ويخرج بالليل فيبيّت في معسكره ويحمل كلّ ما قدر على حمله. فكان في جملة ما حمل أربعة آلاف ثوب وشي وثلاثمائة راوية زيت. فلما حمل كلّ ما قدر عليه رحل إلى بلده.

ودخل جعفر بن ورقاء وجماعة المنهزمين إلى بغداد فتعدّم المقدّر بالله إلى مونس بالحروح إلى الكوفة لمحاربة القرمطي، واضطرب أهل بغداد اضطراباً شديداً وانتقل أكثر أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ودخل

١ وفي صلة غريب (ص ١١٩) وأسر مارج العادم صاحب الشمس... وأخذت القرمطة الشمس.

٢ في مط: في ألف رجل، يدل «ستة آلاف رجل».

مونس الكوفة وقد رحل أبو طاهر الحنّاي عنها فاستخلف مونس بها ياقوتاً وسار هو إلى واسط ولم يتم الحج لأحد.

ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [249]

وفيهما ورد الخبر بمسير^(١) عليّ بن عيسى إلى مكّة حاجباً في هذه السنة من مصر وورد سلامة حاجبة بغداد ومعه سفائح بمائة ألف وسبعة وأربعين ألف دينار وبأثار واستدراكات أثرها. وكان الخصيبى قد أقرّ عليّ بن عيسى على ما كان إليه من الإشراف على مصر والشام. وفيها فتح إبراهيم المسمى تاحية القُص^(٢) وأسر معهم خمسة آلاف إنسان وحملهم إلى فارس.

وفي هذه السنة كثرت الأرباب ببغداد حتى عمل منها التمور وحملت إلى البصرة فتُسبوا إلى البغى.

وفيهما كتب ملك الروم إلى أهل الثغور يرسم لهم أداء الخراج إليه ويقول: «إن فعلتم ذلك طائعين وإلا قصدتكم فقد صَحَّ عندي ضعفكم».

ودخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة

وفيهما دخل الروم ملطية فأخرجوها وسبوا وأقاموا سنة عشر يوماً.

وفيهما وصل ثعل إلى عمله من الثغور عند انصرافه من بغداد.

وفيهما مات أبو القاسم عبد الله بن محمّد الخاقاني وكان أطلق إلى منزله.

فلما ارتفعت الصرحة [250] بوفاة كُبست داره لطلب عبد الوهاب ابنه فلم

١. في الأصل بمسير. في مط: بمصر. والأنسب والأصح: بمسير.

٢. القُص (= القُصّ): جبل بكرمان أهله كالكراد. يصفه صاحب المرائد بقلة الرحمة والفساد في الأرض.

يُوجد

وفيها دخل أهل ملطية بغداد مستغيثين مما نزل بهم من الروم.
 وفيها خرج أهل مكة منها ونقلوا حرمهم وأموالهم لاتصال خبر القرمطي
 بهم وأنه قريب منهم فتحوَّفوا على أنفسهم وأموالهم منه.
 وكتب الكلؤذاني^(١) إلى الخصيبي بأن أبا طالب زيد بن علي التويندجاني
 قد صار يجري مجرى أصحاب الأطراف وأنه قد تعلَّب على ضياع السلطان
 وأنه يلزمه مائة استعمله منها ثلاثة آلاف ألف درهم.
 وعمل بذلك عملاً أحال فيه على ما كان كنهه أبو القاسم علي بن أحمد
 بن بسطام وقت تقلده فارس. وكتب إلى الحسن بن إسماعيل وكان شخص
 ليقرَّر خلافاً كان بين السمعى والكرخي بأن يصادره على مائة ألف دينار
 فاستدعى الحسن بن إسماعيل أبا طالب زيد بن علي وأخذ خطه بمائة ألف
 دينار.

ذكر تدبير سيئ دبَّره الخصيبي أخرج به

أكثر المالِك عن يده ولم يمكن تلافيه

دبَّر الوزير أبو العباس الخصيبي أن يقلد يوسف بن ديوداذ جميع نواحي
 المشرق ليسلم أموالها إليه فيكون مع ماله ضمانه أرمينية وذرستان مصروفة
 إلى قواده وجنده [251] وغلمانته، وكاتبه في المصير إلى واسط ليستفذه إلى
 هجر لمعارية أبي طاهر الجبائي وأشار بتكليفه وبأن يكون موسى المظفر
 ببغداد ليقوى مكانه أمر الخلافة وتعظم الهيبة في قلوب الأعداء.
 فلما قرب^(٢) ابن أبي الساج من واسط وكان فيها موسى المظفر رحل

١. في مط: الكلؤذاني.

٢. في مط: خرب.

مونس إلى بغداد ودخل ابن أبي الساج واسط وأنفذ قبل وصوله إليها أبا علي الحسن بن هارون كاتبه وكان يخدمه في خاص أمره على سبيل الخلافة لأبي عبد الله محمد بن خلف النيرماني كاتبه واختص به وخف على قلبه، فصار إلى بغداد ليواقف الخصيبي على مال رجاله وأموال الأعمال التي كانت معقودة عليه والأموال التي جعل مالها مصروفاً إلى رجاله زيادة على الأموال المتقدّم ذكرها، فإنّ الخصيبي جعل أموال الخراج والضياغ بنواحي همدان وسامنة وروثة وقمّ وماء البصرة وماء الكوفة والإيغارين^(١) وماسيدان ومهرجاتنق لابن أبي الساج لمائدته لمحاربة الجنابي.

فأمضى المفتر ذلك وتقدّم بتقليده أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياغ بسائر كور^(٢) الجبل وأنفذ إليه اللواء وكنّاه، فكان يوسف يستكنّي [252] على جميع الناس إلا على الوزير ومونس المطقر.

والتمس الحسن بن هارون أن يجعل لابن أبي الساج مائدة مبلعها في الشهر خمسة ألف دينار وقال:

- «ليس هو بدون أحمد بن صعلوك».

وكان قد جعلت له مائدة في أيام وزارة حامد بن المتّاس مبلعها ثلاثة آلاف دينار في شهر وجعل له عشرة آلاف دينار في كلّ شهرين من شهور الممالك لا رراق غلمان لا يحضرون. وسام الكتاب الحسن بن هارون أن يشرط على نفسه أن ينفذ السلطان مُنفقاً مُنفق أموال تلك النواحي في رجاله غلمانه،^(٣) فاستجاب إلى جميع ما طالبوه به وأعطى حطّه إلا أمر المنفق^(٤)

١. الإيغاران: سُمّيَا بذلك، لأنّهما أَوْفرا نَيْسِي ومَغْقِل، وهما: الكَرْج والْبُرْج (مرصّد الإطلاّع).

٢. في مط كور.

٣. في مد: رجاله وظلمانه. وما أُنْبِتناه مطابق لما في الأصل ومط.

٤. كذا في الأصل: أمر المنفق. في مط. الأمر المنفق. وفي مد: إلا بأمر المنفق.

فأنه زعم أن صاحبه لا يَصوّر نفسه عند أصحاب الأطراف بصورة من لم يوثق به على مال رجائه.

ولما عقد لابن أبي الساج على الجبل وندب لمহারبة القرمطي عقد لصاحب خراسان على الرى فصار إلى الرى وأخذ إليه من يحاطبه على المال الذي وُوقف على حمله من الرى. وصار ابن أبي الساج إلى الرى وحمل إليه المعتذر خلعاً سلطانية وسيفاً ومنطقة ذهب وخيلاً بمراكب ذهب وقصّة وطيباً وسلاحاً. [253]

ذكر الخبر عن القبض على الخصيبى

وتقليد على بن عيسى الوزارة

أضاق أبو العباس إضاقة شديدة واضطرب أمره وأشار مونس بعلى بن عيسى فأنفذ صحوة نهار يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة إلى الخصيبى حتى قبض عليه وعلى ابنه وكتباه وحملوا إلى دار السلطان وحُبِسوا عند ريدان لفهرمائه. وفُرق بين الخصيبى وبين ابنه وحُمل باقى المعتقلين إلى دار الوزارة بالمخرّم واعتقلوا فيها، وأنفذ نازوك وقت قبضه على الخصيبى حتى حُفظت داره القديمة من النهب.

واستدعى المقتدر أبا القاسم شيد الله بن محمد الكلوثانى وأوصله إلى حضرته وعزّفه أنه قد قلد أبا الحسن على بن عيسى الوزارة وأنه قد استخلفه له ويقدم إليه باليابة عنه واستحضر سلامة الطولونى وتقدم إليه بالنفوذ فى البرية إلى دمشق واستحضر على بن عيسى معها.

وانصرف أبو القاسم الكلوثانى من دار السلطان فى الطيار الذى قبض على الخصيبى إلى دار الوزارة بالمخرّم ونظر فى الأعمال وكتب إلى العمال فى الواحى وإلى جميع الأمراء وأصحاب البرد والخبر والقضاة بما قلد على بن

عيسى من [254] الوزارة واستحلاف أمير المؤمنين إياه وأمر ونهى وعسرف وولّى.

وظهر فى ذلك اليوم أبو على ابن مقلّة وأبو المتح الفضل بن جعفر ابن جنزابة وصارا إلى الكلوذاني وسلما عليه.

ذكر خلافة أبى القاسم الكلوذاني لعلى بن عيسى وتمشيته للأمور

قد كان جمع الخصيى عنده جميع رقايع المصادرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال بما ضمنوا من المال بالسواد والأهواز وفارس والمغرب، وكان عنده خطّ كاتب المسمعى عن مال فارس^(١) بما يعجّله عن الزيادة فى ضمانه وهو ألف ألف درهم وخطّ سليمان بن الحسن بما استدركه على ابن^(٢) عبد الوهاب وهو أربعمئة ألف دينار وكسر، وما ضمن حملة عن أعمال الشام وهو خمسمئة ألف دينار، وخطوط ضمناء واسط والبصرة وطريق خراسان والنهروانات ونهر بوق والذئب الأسفل وجازر والمدينة العتيقة وغيرهم. فحفظ جميع ذلك الكلوذاني إلى أن قدم على بن عيسى فسلمه إليه.

وأدّى بَصِيرٌ بن على إليه مائتى ألف درهم وأحمد بن إسحاق بن زريق عشرة آلاف دينار وورد بعد أسبوع من صرف الخصيى قَبِيحٌ يكتب سليمان بن الحسن ولى درجها سفائح [255] بثمانين ألف دينار، وورد ما كان حملة على بن عيسى على الطهر من مال مصر ووصل من جهة البرجمالى من قم عشرة آلاف دينار وورد من جهة أبى على ابن رستم من مال الصمان

١ فى مط: على حال فارس، بدل «عن مال فارس».

٢ كذا فى الأصل ومط: ابن عبد الوهاب فى مد: ابنى عبد الوهاب.

سفاح بأربعمائة ألف درهم فكان ذلك سبب تمشيته الأمور.
وأنفق الكلوذاني في سائر المرتقة وفي الفرسان قبل العيد ولم يزل أسو
القاسم الكلوذاني يدبر الأمور وقد تمكنت الهبة لعلي بن عيسى في الصدور
فاستعان بذلك على أمره.
وسار علي بن عيسى من دمشق إلى جسر منبج^(١)، ثم انحدر في القرات
إلى بغداد وشخص الناس في استقباله سنة خمس عشرة، فممنهم من أهدى إلى
الرقّة.

ودخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة^(٢)
ذكر ما دبره علي بن عيسى في وزارته هذه
وم جرى في أيامه

وصل علي بن عيسى إلى بغداد وبدأ يدار المقتدر ووصل إلى حضرته بعد
عشاء الآخرة ومعه مونس. فخطبه أجمل خطب وانصرف إلى منزله ووجه
المقتدر إليه في ليلته بكسوة فاحرة وفرش ومال يقال إنه بقيمة عشرين ألف
دينار، وخلع عليه [256] من العدي وسار معه مونس المطفر إلى أن بلغ داره
وحلف عليه علي بن عيسى فرل في داره، وسار بين يديه هارون ابن
عريب وشفيع ومفتح ونسيم وبافوت وناروك وجميع القواد حتى وصل إلى
داره بباب البستان.

وكان قد ضرب علي بن عيسى على هشام فناخر عنه واستوحش فكاتبه
وونسه حتى حضر مجلسه ثم قال له :

١ منبج. على وزن مسجد. بلد قديم كبير واسع بينه وبين القرات ثلاثة فراسخ، وإلى حلب عشرة
فراسخ (مراد الإطلاع)
٢. المطر ساقط في مط.

- « ما مذهبي أن أذكر إساءة لأحد من الناس ولما خلصني الله من صنعاء وعدت إلى مكة عاهدت الله على ترك الإساءة إلى أحد ممن سعى عليّ في ولايتي ونكيتي ووكلت جميعهم إلى الله ولك خدمة متقدمة توجب لك^(١) حقاً وعليك أضعافه فإن كنت لا ترعى ذلك فمن أدع رعايته. »
وقلّد عليّ بن عيسى الكلوزاني ديوان السواد وقال له :
- « هذا أجلّ الدواوين ومتى تشاغلّت بخلافتي اختلّ وليس يقوم به أحد كقيامك. »

ثمّ نظم الأعمال^(٢) وقلّد العمال ورتّب الدواوين واعتمد على إبراهيم بن أيّوب في إثبات أمر المال^(٣) بحضرته وفي موافقة صاحب بيت المال على ما يطلقه وينفقه في كلّ يوم ومطاليتّه بالروزنامات [257] في كلّ أسبوع ليتعجل معرفه ما حلّ وما قبض وما بقي. وكان الرسم إذا عملت الختمة لم يرفع إلى الديوان للشهر الأوّل إلّا في النصف من الثاني.

وقلّد أبا الفتح الفصل بن جعفر بن جتازبة ديوان المشرق، وأبا بكر محمّد بن جتّى ديوان المغرب، وأبا عليّ ابن مقلّة ديوان الضياع الحاصه والمستحدثة، وأبا محمّد الحسين بن أحمد المادرائي ديوان الضياع القرائية، وأبا محمّد بن روح ديوان زمام الخراج والضياع العامة بالسواد والأهواز وفارس وكربلاء وما يجري فيه.

وقلّد أبا القاسم ابن النّعاط ديوان زمام النفقات والخزائن. وأبا جعفر القمّي ديوان الدار، وأبا أحمد عبد الوهاب بن الحسن ديوان البرّ وديوان الصدقات، وأبا الفتح محمّد بن أحمد قلنسوة ديوان زمام الحيش، ومحمّد بن عيسى

١ في مط : ذلك ، بدل «لك»

٢ في مط : الأموال .

٣ في مط - الحال

ديوان الحرم، وأبا يوسف ديوان الفص والحاتم.
وقلّد أيضاً كفاة المال واقتصر في أرزاقهم على عشرة أشهر في كلّ سنة وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر في كلّ سنة. وحطّ من مال الرجالة برسم السوبة ومن مال الفرسان وجميع أرزاق من كان يرتزق بهدين الرسمين [258] من الكتاب والتجار ومن لا يحمل السلاح. وحطّ أولاد المرتزقة الذين في المهود وحطّ من مال الخدم والحشم وجميع أرزاق الحلساء والندماء والمعنّين والتجار وأصحاب النفاعات، وحطّ أرزاق غلمان وأسباب أصحاب الدواوين ولازم النظر بنفسه في العمل ليلاً ونهاراً والجلوس لأصحاب الدواوين في الليل وكان يسهر أكثر الليل حتّى استقامت الأمور وتوازن الدخل والخرج.
وكان إلى أبي عبد الله البريدي في الوقت الضياع الخاصّة ضماناً واطّاع الوزراء. وكان أبو يوسف البريدي يتولّى لعلّ بن عيسى الخراج برامهرمز سهلها وجببها.

شرح ما جرى بين الوزير أبي الحسن

علّ بن عيسى وبين أبي العباس

أحمد بن عبيد الله من المناظرة

تقدّم المقتدر إلى أبي الحسن علّ بن عيسى بمناظرة أبي العباس الخصيبى. فأخرج إليه وناظره في دار السلطان بحضرة الأستادين والقواد والقصة مناظرة جميلة وسأله عن مبلغ ما أنفق بالحضرة من بيت المال فلم يجمعه، وسأله عمّا صحّ له من مال المصادرين وعن رقاعهم [259] بالمصادرات وعن كفالات من كفل منهم وعن ضمانات ما ضمنه عنهم فقال:

- «أما المصادرات فقد صحّ لى منها فى مدّة أربعة عشر شهراً توليت فيها الوزارة نحو ألف ألف دينار.»
فقال له :

- «كم منها من جهة الخاقانى فإنّ أمير المؤمنين عزّنى أنّك ضممتهم بخمسمائة ألف دينار.»

فقال : «دفع^(١) عنه مونس المظفر.»

فردّت الجماعة قوله وقالوا له :

- «قد سلّم إليك حتّى شنع عليك بأنك سممته ثمّ أطلّفته.»
ثمّ قال له علىّ بن عيسى :

- «لأى شيء استحضرت يوسف بن أبى الساج إلى واسط وسلّمت إليه أعمال المشرق بأسرها سوى إصبهان وكيف وقع لك أنّه يجوز أن يخرج هو مع قزم اعتادوا الجبل والمقام فيه فى طريق البرّ يصدون طريق السواحل فى بلدان حوالى^(٢) هَجَرَ؟»

قال : «كان عنده^(٣) أن هذا صواب.»

فقال له :

- «فحيث فعلت ذلك لم تقتصر على أن تعرض^(٤) رجاله وعلمائه ويجهري^(٥) مآل^(٦) عسكره محرى مآل^(٧) عسكر مونس المظفر، فأنه يسبّب له مال ويطلق على أيدي منفقين من قبل السلطان ويرفع الحساب بذلك إلى دواوين الجيش ولا يقتصرون على ديوان منها دون جميعها ولا يزداد أحد [260] ولا يُسل عنه من رسم إلى رسم إلّا على استقبال معروف ثمّ يؤفّر المعطون كلّ

١. فى مط: أدفع، بدل «دفع» وهو خطأ ليس فريداً من مط.

٢. فى مط: حوال.

٣. فى مط: تعرض.

شهر من التوفيرات بسبب القرم ولأجل سقوط من يسقط جملة من المال ولم
لم تترك الأعمال في أيدي عمال السلطان ويسبب له عليهم مال رجاله كما
يسبب مال رجال أبي الحسن مونس المظفر؟»
قال : «لم أفعل هذا لأنه تكلف من هذا الأمر عظيماً احتيج معه إلى فصل
مسامحة.»

فقال له :

- «فلأى سبب ضمنت إبراهيم بن عبد الله المسمعى أعمال فارس
وكرمان؟»
فقال : «لأجل زيادة بذلها.»
فقال له :

- «أما علمت أن حفظ الأصول أولى من طلب الأرباح؟ وهنك رغبة^(١)
في الزيادة ليم لم تستدعه إلى الحصره فإذا ورد بها وأردت تضميته أقام بها
واستعمل على العمل خلفاءه وأقام لك الضمماء الثقات بالمال ومضى بعد
ذلك.»

فقال : «إنما رغب في الضمان ليعمله بنفسه.»

فقال علي بن عيسى :

- «أرجو أن يسلم الله.»

ثم قال :

- «لم قبضت جاري إبنك محمد ألفى دينار في كل شهر وهو لا يقرأ كتاباً
ولا يحضر ديواناً ولا يحسن أن يعمل شيئاً؟»
قال : «سألت أمير المؤمنين له ررق المحسن وعبد الوهاب بن الخاقاني

١ في مط. رغبة، بدل «رغبة».

[261] فأجابني إليه.

قال: «المحسن ربي في الدواوين ودبر الأمور وكان مع شره واستحلاله وبيع دياره كاتباً، وابن الحاقاني كان ينوب عن أبيه ويأمر وينهى ويخدم وهو فهم وابنتك لا يجري مجرى واحد منهما فاكسب خطك أنك ترد م قبضه».

فقال: «كيف أرد ما لا قبضه ابني وأنته؟»

فقال له:

«على أي شيء أنته؟»

قال: «على ما ينفق مثله الأحداث».

ثم سأله عن أموال المصادرين وما صبح من جهتهم فقال:

«لا أحفظه إلا أنه ثابت في ديوان المصادرين».

قال: «فعنه أسألك».

قال: «هو عند هشام وإن سئل عنه خبر به»^(١) فإن رقاع المصادرين

والكمالات والأعمال في يده».

فقال له:

«ما سبقك أحد إلى تسليم خطوط المصادرين إلى صاحب ديوان

المصادرات لأن سبيل الخطوط أن تكون في خزائن الوزراء محفوظة

يتسلمها وزير بعد وزير فإن كنت أردت عمارة الديوان فكان ينبغي أن

تأخذ^(٢) الخطوط على نسختين: نسخة للديوان ونسخة تكون عندك، فلو باع

صاحب الديوان رقاع المصادرين والكمالات وضمائن الضمائن هل كان

على السلطان مضرة [262] في هذا المال أعظم منك، وإذا كان هذا تدبيرك

١. والمبارة في مط: «وإن سأل عنه خبرته، بدل «وإن سئل عنه خبر به».

٢. في مط: أن أخذ

فيما لم تكن تحسن سواء فأى شيء دبرت غيره من أعمال الدواوين؟ فإما أن تكون خنت الأمانة وإما أن لم تحسن ضبط شيء من الأعمال؟» وكل ذلك يخاطبه به عن غير إسماع مكره ولا صياح.
ثم قال :

«عررت المملكة فُصِرَ النساء والحرم بالمقارع وهُتكت الستور بما فعلت من تسليمهن إلى الرجال فلائحة حال سلّمت بنت جعفر بن الفرات إلى أفلح وهو رجل شاب جميل الوجه يتصنع حتى تزوّج بها ففى حبسك^(١) ولائحة حال ضربت دولة وإنها بحضرتك، ثم لم ترض بذلك حتى اعتقلت الجماعة فى يد غلمانك وحجّابك عدّة شهور؟»
ثم قال :

«ارتزقت لنفسك خمسة آلاف دينار فى الشهر يكون فى مدّة أربعة عشر شهراً سبعين ألف دينار سوى ما ارتزقه أبك وأخذت من أقطاعك فى مدّة سنة وشهرين ما ثبت فى الخصومات الموجودة لجبهتك^(٢) فى ديوانك مائة وثمانين ألف دينار يصير الجميع مائتين وخمسين ألف دينار.»

ثم أخرج عملاً بخطّ على بن محمّد بن زّوح بهذا المبلغ وبأنّه أنفق فى كلّ شهر من النفقات الراتبية ألفى وخمسمائة دينار تكون فى أربعة عشر شهراً خمسة وثلاثين ألف دينار [263] وفى النفقات الحادثة والصلوات والمؤونة مع ثمن^(٣) الطيب والكسوة عشرين ألف دينار وفى ثمن عقارات أضافها إلى داره مع ما أنفقه على البناء أربعين ألف دينار وفى ثمن الهدايا فى النوروز والمهرجان إلى الحليفة وإلى الأميرين أبى العباس وهارون ابنه وإلى السيدة

١. فى مط. حبسك، بدل «حبسك».

٢. والمبارة فى مط: ما ثبت فى الخصومات الموجودة لجبهتك.

٣. فى مط: الثمن الطيب

والخالة وزيدان ومفلح خمسة وثلاثين ألف دينار. وفي ثمن بغال ودواب
وجمال وخدم وغلمان عشرة آلاف دينار.

وفيما يحتاج إلى إيفاء وصرفه إلى من يرسم^(١) دار الوزارة من خلفاء
الحُجَّاب والبَوَّابين وأصحاب الرسائل وإزالة الفرسان والرجالة عشرين ألف
دينار.

فقال في الجواب :

- « هذا عمل صحيح وليس كل ما أنفقته كتبته فقد كنت أصوغ لُحُرمي
وأولادي وأنفق نفقات أسترها عن كاتبي وما سرقت ولا خُنتُ. »
فقال له علي بن عيسى :

- « ما يقول أحد أنك سرقت أو خُنت ولكسك أصعبت وأساءت التدبير
ودخلت فيما لا تحسنه ولو أخذت أضعاف ما أخرجناه عليك لما ناظرَك
أمير المؤمنين فيه لاسيما وهو منسوب إلى أرزاقك وإقطاعك ونفقات معروفة
لك، وكيف ناظرَك في ذلك وما نعيش [264] ولا أحد من كتَّاب أمير
المؤمنين إلَّا في نعمته وإحسانه ولما ضياع استفدناها في خدمته وخدمة
أسلافه رضي الله عنهم »

ولم يزل يرفق به إلى أن أخذ خطه بأربعين ألف دينار يؤدِّيها في مدَّة
أربعين يومًا بعد أن خلف إنَّه لا يتَّجه له حيلة في غيرها، وسلَّم علي بن
عيسى رقعة بها إلى مفتاح وقال له :

- « تعرضها على أمير المؤمنين وتقول . إنَّ هذا وإن كان قد غرَّ^(٢) من
نفسه وأضاع وأهمل فقد تحرَّم بخدمة أمير المؤمنين وحلف بأيمان بيعته على
أنَّه غاية ما يقدر عليه وليس له ذنب وإلَّا الذنب لمن غرَّك منه ولم ينصحك

١. في مط: يرسم.

٢. في مط: غير من نفسه.

في أمره.»

ثم كتب رقعة إلى المقتدر بقبول ما بذله الحصيبي ويحمله إلى ثمل القهرمانه إلى أن يؤدى ما فارق عليه.

ذكر ما دبّره عليّ بن عيسى من الأمور

في وزارته هذه

لما نظر عليّ بن عيسى في الأمور وجد أهم ما يحتاج إليه أمر الرّجالة المصافيّة وكان مبلغ مالهم في أيامه ثمانين ألف دينار ومال رجال مونس المظفر وهو ستمائة ألف دينار في كلّ سنة سوى مال الرّجالة معه ومال الحصريّة برسمه فأنه يطلق [265] مع أرزاق نظرائهم.

وكان يسبّب مال رجال مونس^(١) على نواح اختارها مونس فإذا أراح العلة فيما ذكرناه نظر بعد ذلك في أمر مال خلفاء الحجاب والحشم والمتطبّبين والفرسان برسم التفاريق والمنخمين والفراسين والطبّاخين والساسة وسائر المرتبة من الخدم. فخرج عليّ بن عيسى يوماً من حضرة المقتدر بالله ليركب في طيّاره فوثق به الخدم والحشم بالسنتهم وثوباً قبيحاً. وورد الخبر عن عليّ بن عيسى بأن إبراهيم بن المسمعي اعتلّ علة حادة وتوفّي بالتوبندجن فأشار عليّ بن عيسى بتقليد ياقوت أعمال الحرب والمعاون بفارس وتقليد أبي طاهر محمّد بن عبد الصمد أعمال معاون بكرمان فخلع عليهما وعقد لهما لواءان.

وكتب عليّ بن عيسى إلى القاسم بن دينار بالمبادرة إلى فارس وقلمه أعمال الخراج والضيايع بها وفلّد ما كان إليه من أعمال الأهواز بها الحسن

أحمد بن محمد بن مابداذ وابن السلاسل.

فحكى أبو الفرح ابن هشام قال: لما بلغ أبا عبد الله البريدي ما تقلده هؤلاء من أعمال الأهواز وما حولها قال:

«يملأ هؤلاء هذه الأعمال ويُقتصر بأخي أبي يوسف على شَرْق^(١) وبني على ضمان الضيع [266] الخاصة، خذ يا أبا هشام هذا الكتاب - يعني الكتاب الوارد عليه بما قلد - وأعطه ابنك حتى يمثل عليه ويتعلم منه الخط، فإنَّ لطبلي صوتاً سوف تسمعه بعد أيام.»

وكان أبو عبد الله البريدي أنفذ أخاه أبا الحسين إلى الحضرة لما بلغه اضطراب أمر علي بن عيسى ووافقه على أن يخطب له عمل الأهواز إذا تجددت وزارة لمن يرتفق، فإنَّ علي بن عيسى يفت ولا يرتفق.

فلما تمت الوزارة لأبي علي ابن مقله صار أبو الحسين إلى أبي أيوب السمسار وبذل له عشرين ألف دينار فقلد أخوه أبو عبد الله البريدي أعمال الأهواز سوى السوس وجنديسابور وقلد أبو الحسين الفراتية وأبو يوسف الخاصة والأسافل على أن يكون المال في ذمته إلى أن يقع الوفاء لهم وفيهم وقبض المال.

وكتب أبو علي ابن مقله في القبض على أبي السلاسل فخرج أبو عبد الله بنفسه إلى تَسْتَرَحْتِي حصله وأسبابه ووجد له في صناديقه وعبد جَهِنْدَه عشرة آلاف دينار فأخذها ووافقه على أن يملك بما كان عند الجَهِنْدَه ببقايات باطلة وأخذ من كاتبه ألفي دينار ومن خليفته ثلاثة آلاف دينار [267] ومن حاجبه ألفي دينار.

وكان أبو عبد الله البريدي أحد دجالي الدنيا وشياطينها.

ثُمَّ كَثُرَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ مَقْدَةَ بِأَنَّهُ أَهْلُهُ لِمَا لَا يَسْتَحِقُّهُ فَصَرَفَهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَادِرَائِيَّ وَقَلَّدهُ إِسْرَافاً وَقَلَّدَ الْأَصْلَ جِمْاعَةً مِنْ الْعَمَّالِ فَمَا أَهْلَى أَبُو مُحَمَّدٍ وَلَا أَمَرَ وَكَانَ كَاتِبَهُ عَلِيُّ بْنُ يَوْسُفَ وَخَلِيفَتُهُ صَحْبَتُهُ مِنَ الْحَضْرَةِ فَبَانَ مِنْ تَحْلِفِهِ^(١) وَسَقُوطُهُ مَا صَارَ بِهِ تَكَالُافاً وَحَدِيثاً. وَحَسِبَكَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيَّ أَخَذَ عَلَيْهِ الطَّرْفَاتِ فَكَانَ كُلُّ مَا كَتَبَ بِهِ يُؤْخَذُ مِنْ رِسْلِهِ فَمَا قُرِئَ لَهُ كِتَابٌ مِنْذُ دَخَلَ الْأَهْوَاذَ إِلَى أَنْ صُرِفَ عَنْهَا. ثُمَّ صَرَفَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبُو عَلِيٍّ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيَّ وَقَالَ :

- «اغتررت بطلل ذلك الشيخ وما كلُّ من يصلح للكتابة ينفذ في العمالة^(٢)».

وعدنا إلى تمام حديث علي بن عيسى

وما دبره به المملكة

وَلَمَّا أُحْرِجَ إِلَيْهِ الْإِرْمَاعَاتُ كَانَ فِيهِ مِئَةِ ارْتِخَاعٍ لَصِياعٍ إِنْطَاعِ الْوُزَرَاءِ بَعْدَ نَفَقَاتِهِمُ الرَّاتِبَةِ مِائَةً وَسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. فَكُتِبَ إِلَى الْمُعْتَدِرِ بِأَنَّهُ غُنِيَ عَنْ هَذَا الْإِنْطَاعِ وَأَنَّهُ قَدْ وَفَّرَ مَالَهُ فَإِنَّ أَمْرَ ضَيْعَتِهِ قَدْ صَلَحَ وَكَذَلِكَ [268] وَقَفُّهُ^(٣) بِإِعَادَتِهِ إِيَّاهُ إِلَى خِدْمَتِهِ وَأَنَّهُ يَوْفَرُ أَيْضاً رِزْقَ الْوِزَارَةِ وَهُوَ مَعَ أَلَمِي دِينَارٍ أُجْرِمَتْ لَابِنِ الْخُصِيِّ سَبْعَةَ أَلْفِ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ. وَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمُعْتَدِرُ بِالشُّكْرِ وَأَنَّهُ لَا يَدُّ مِنْ أَنْ يَقْبِضَ الرِّقَّ عَلَى الرَّسْمِ فَحَلَفَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَنَّهُ لَا يَقْبِضُ رِزْقاً بِهَذِهِ الْخِدْمَةِ لِأَنَّ مَذْهَبَهُ تَرْكُ التَّنْعَمِ.

١. في الأصل إهمال وغموص (تخلف، تهاون). في مط: تخلفه. ورجع في مد: تهاونه. وهو أنسب للسياق.

٢. الضبط في الأصل: الشمالة، بضم العين.

٣. كذا ضبط ما في الأصل.

حوادث أخرى

وفيها شغب الفرسان برسم التمازيق وخرجوا إلى المصلّى فنهبوا القصر المعروف بالترّيّا وذهبوا الوحش الذي في الحائر وذهبوا البقر التي لأهل القرى التي حوله وخرج إليهم مونس وضمن لهم أرزاقهم فرجعوا إلى منازلهم.

وفيها حُلِعَ على مونس للخروج إلى الثغر لأنّ ملك الروم دخل سميشاط وضرب في مسجد الجامع بالتواقيس وصلى فيه الروم صلاتهم.

وفيها ظهرت وحشة مونس المظفر

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ خادماً من خدم المقدر بالله حكى لمونس أنّ المقدر تقدّم إلى خواصّ خدمه بحفر زُبَيْة^(١) في الدار المعروفة بدار الشجر من دار [269] السلطان حتّى إذا حصل مونس فيها عند الدواع إذا أراد الخروج إلى الثغر، حُجِبَ إليّ وأدخل مونس وحده إلى ذلك الصحن، فإذا اجتاز على تلك الزُبَيْة وهي مغطاة وقع فيها ونزل إليه الخدم وخنقوه ويظهر أنّه وقع في سَرْدَاك فمات، فامتنع مونس من دار السلطان وركب إليه جميع القوّاد والعلماء والحاشية وعبد الله بن حمدان وأخوته وأكثر العرب وخلت دار السلطان من الجند.

وعال عبد الله بن حمدان :

- «نقابل بين يديك أنّها الأستاذ إلى أن تثبت لك لحيّة».

١. الزُبَيْة: الحفرة تعمق لصيد السباع، أو حفرة يُشْتَوَى فيها ويُخْبِز.

فوجه إليه المقتدر بنسيم الشرايبي ومعه رقعة بخطه إليه يحلف له فيها على بطلان ما بلغه. فصرف مونس جميع من اجتمع إليه من الجيش وأجاب عن الرقعة بما يجب في مثل ذلك وأنه لا ذنب له في حضور من حضر عنده، لأنه لم يستدعهم، وامتنع ابن حمدان من الإنصراف وحلف أنه لا يبرح من دار مونس ليلاً ونهاراً إلى أن يركب معه إلى دار السلطان ويطمئن إلى سلامته. ولازم مونساً أياماً كثيرة.

وأنضاف إلى ذلك أن إسحاق بن إسماعيل كان سبب عليه مال مونس [270] ومال رجاله فبلح^(١) فيها. وكان علي بن عيسى متكرراً له لأشياء يلعبه عنه في غيبته فشعب الفرسان لتأخر أموالهم، فجذ علي بن عيسى بإسحاق بن إسماعيل واعتقله وأخذ خطه بخمسين ألف دينار من مال ضمانه واعتقل أحمد بن يحيى الحلخت كاتبه وعدة من أصحابه حتى استوفى ذلك. ثم صرفه عن أعماله وجذ بمقال السواد حتى صبح له في مده ثلاثة أيام ما أنفقه في أصحاب مونس.

وكسب المقتدر إلى جماعة من وجوه القواد بأنه قد صفح عما كان منهم في نهب الترياً وإحراقها وقرئت عليهم فشكروا وسألوا أن يضم جماعة منهم ممن اتهم بذلك إلى مونس المطهر لينحدر معهم إلى حضرته. فأنحدر معهم ووصل إلى المقتدر بالله وقيل الأرض بحضرته وحلف المقتدر له على صفاء نيته وودعه مونس.

وقرأ عليه علي بن عيسى كتاباً ورد عليه من وصيف البكتمري بأن المسلمين عقبوا على الروم وظفروا بهم وجميع من في عسكرهم وقتلوا منهم وغنموا غنائم جليله. وخرج مونس من داره إلى مصر به بواب السماسية

١ بلح: أعيا وعجز ولم يوجد عنده شيء

وشيعه الأمير أبو العباس والوزير علي بن عيسى ونصر الحاجب وهارون ابن غريب. [271]

وورد رسول ملك الروم ومعه كتاب من وزير الملك وهو اللعنيط^(١) إلى الوزير علي بن عيسى يلتبس فيه الهدنة.

ظهور الديلم

وفي هذه السنة^(٢) ظهر الديلم، وكان أول من غلب على الرئ منهم بعد خروج ابن أبي الساج منها، ليلي بن العمان ثم ماكان بن كاكى. ودخل هذا الرجل فى طاعة صاحب خراسان لأنه كتب إليه واستدعاه، فمضى إليه وغلب على الرئ أسفار بن شيرويه وكان مرداويج بن زيار أحد قواده.

عاقبة عسف أسفار بن شيرويه

وكان أسفار بن شيرويه لعا غلب على قزوين ألزم أهلها مالا جليلا وعسفهم عسفا شديدا وخطبهم وأحل بهم من تسليط الديلم^(٣) على مهجهم وأموالهم واستباحتهم وتعذيب عتالهم ما استعظمه هو فى نفسه فضلا عن غيره، ورقت القلوب منه وضاعت النفوس وبلغت الحناجر ويشى الناس من الحياة وتمنوا الموت. فخرج الرجال والنساء والأطفال إلى المصلى مستغثين إلى الله تعالى وراضين إليه فى كشف ضرهم فمضى لهم يوم على ذلك. وأنهى الخبر إلى أسفار فتهاون بالدعاء.

١ كذا فى الأصل: اللعنيط (بإسقاط العين) وفى خط اللعنيط، وفى مد اللعنيط، (بالعين المصححة)

٢ سنة ٣١٥.

٣ والعبارة فى خط: وعطفهم وضرهم من تسليط الديلم

فلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي خَرَجَ عَلَيْهِ مُرْدَاوِيَجُ فَوَاقَعَهُ وَهَزَمَهُ [272] فَمَرَّ عَلَى وَجْهِهِ فَتَبِعَهُ يَوْمَهُ أَجْمَعَ فَلَمَّ يَظْفَرُ بِهِ، وَلَحِقَتْ أَسْفَارُ مَجَاعِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَأَوَى إِلَى رَحَى طَحَّانٍ فِي قَرْيَةٍ وَسَأَلَهُ أَنْ يُطْعِمَهُ فَأُخْرِجَ إِلَيْهِ خَبِيراً وَلَبِئْسَ، وَكَانَ يَأْكُلُ وَأَطْلُ مُرْدَاوِيَجٍ عَلَى الْمَوْضِعِ فَوَجَدَ آثَارَ الْحَافِرِ قَدْ انْقَطَعَ هُنَاكَ، فَوَقَفَ يَتَأَمَّلُ فَرَأَى أَكْثَرًا فَتَشَبَّهَتْ بِهِ وَسَأَلَهُ عَنْ أَسْفَارِ ضَائِكِرٍ وَأَرْهَبِهِ فَقَالَ لَهُ .

— «مَا أَعْرِفُهُ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ فَارِسًا قَدْ دَخَلَ إِلَى هَذِهِ الرَّحَى.»

وَكَبَسَ مُرْدَاوِيَجُ الْمَوْضِعَ فَوَجَدَهُ بِأَكْلِ خَبْزٍ فَأَحْتَرَزَ رَأْسَهُ، وَعَادَ إِلَى قَرْوِينَ فَسَكَّنَ أَهْلَهَا وَتَلَا فَا هُمْ وَأَزَالَ تِلْكَ الْمَطَالِبَةَ عَنْهُمْ وَوَعَدَهُمْ بِالْجَمِيلِ وَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَوَهَبَ^(١) دَعَاءَهُمْ.

ثُمَّ أَنَّ مُرْدَاوِيَجَ ذَهَبَ فَتَعَلَّبَ عَلَى الرَّيِّ وَإِصْبَهَانَ وَأَسَاءَ السَّيْرَةَ بِإِصْبَهَانَ خَاصَّةً وَتَبَسَّطَ فِي أَحْذِ الْأَمْوَالِ وَانْتَهَاكَ الْحَرَمَ وَطَعَى وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرٍ ذَهَبٍ دُونَهُ سَرِيرُ قِضَّةٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ مَنْ يَرْفَعُ مِنْهُ وَأَقَامَ بَعْدَهُ يَوْمَ السَّلَامِ عَلَيْهِ صَفُوفًا بِالْبَعْدِ مِنْهُ.

وَسَامَ مُرْدَاوِيَجَ رَحَالَهُ الْخُسْفُ^(٢) وَكَانُوا يَرْهَبُونَهُ رَهْبَةً عَظِيمَةً وَكَانَ يَقُولُ :

— «أَنَا سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَهَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ.»

وَكَانَ يَغْضُضُ مِنَ الْأَتْرَاكِ [273] عَصًا شَدِيدًا. فَسَاءَتْ نِيَّاتُهُمْ لَهُ فَطَلَبُوا كَيْدًا يَكِيدُونَهُ بِهِ وَتَمَكَّنَتْ لَهُ فِي نَفُوسِ الْخَاصِّ وَالسَّامِّ الْبُغْضَاءُ وَخَجَرُوا مِنْهُ وَضَمَّتْ نَفُوسُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ فِي أَيْمَانِهِ.

١. فِي مَط: وَرَهَبَ

٢. فِي الْأَصْل: الْخُسْف. وَمَا فِي مَط: الْبُغْضَاء. كَمَا تَبَيَّنَ

مقتل مرداويج

قال: وركب يوماً في موكب عظيم وخرج إلى الصحراء وكان ينفرد عن جيشه ويسير وسطاً لا يجسر أحد على القرب منه فكان العالم يتعجبون منه ومن تمرده وطغيانه إذ اشتق العسكر رجل شيخ لا يعرف، على دابة، فقال: - «زاد أمر هذا الكافر واليوم تكفونه»^(١) قبل تصرّم النهار وبأخذه الله إليه.»

فلحقت الجماعة دهشة وتبلّدوا.

قال أبو مخلد عبد الله بن يحيى:

وكنيت في الموكب فنظر بعض الناس إلى بعض ولم ينطق أحد منهم بحرف ومرّ الشيخ كالريح، ثم قال الناس:

- «لم لا تتبعه ونسعيده الحديث وسأله من أين علم أو نأخذه ونمضي به إلى مرداويج لنلا يبلغه الخبر فيلومنا على تركه.»

فركضوا يميناً وشمالاً إلى كلّ طريق وسبيل في طلبه فلم يوجد وكان الأرض ابتلعته.

ثم عاد مرداويج ولم يلو على أحد ودخل داره ونزع ثيابه، ثم دخل الحمام وأطال... وكان كورتكين قريباً منه وخصيصه^(٢) يحرسه ويراعيه في خلواته وحمامه فأمره أن لا يتبعه وتأخر عنه مغضباً فتمكن منه الأتراك [274] وهجموا عليه في الحمام فقتلوه بعد أن مانع عن نفسه وقاتل بكرنيب فصّة^(٣) كان في يده، فشق بعض الأتراك بطنه. فلما خرجت حشوته ظنّ أنه

١ تكفونه: كذا في الأصل. وفي مط: تكفر به وفي مد: تكفونه وليس الأمل كذلك

٢ في مط: وخصيصه.

٣ في مط: بكسر فصّة.

قد قتله فلمّا خرج إلى أصحابه قالوا له :
- « أين رأسه ؟ »

فعرّضهم أنّه قد شقّ بطنه . فلم يرضوا بذلك وعادوه لحزّ رأسه فوجدوه قد قام على سريرين في الحَمّام وردّ حشوة بطنه وأمسكها بيده وكسر حمامة الحَمّام وعاونته قِيَم الحَمّام وهم بالخروج من ذلك الموضع إلى سطح الحَمّام . فلمّا رأوه كذلك حزّوا رأسه فظهر أمره بين الظهر والعصر بخروج الأتراك الذين كانوا معه إلى رفقاتهم وإخبارهم إيّاهم بخبره وركوبهم إلى الإصطبلات للنهب .

وفيها ارتفع ذكر أبي جعفر بن شيرزاد
وعنى به عليّ بن عيسى .
ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ ابن شيرزاد كان يكتب لهارون بن غريب وينظر في جميع أموره فأطعم هارون فيه وقُرّف بجنايات عظيمة فقبض عليه يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، وسلّمه إلى حادمه [275] مونس وأمره بالتضييق عليه ومنعه من الدواة فتأخّرت رقعة عن أخيه أبي الحسن زكريّا .

وكان يكتب للخالة علي ديوان ضياعها . فعرف الخالة صورة أخيه فشكت الخالة ذلك إلى السيدة فوجّهت السبدة بخادم لها إلى هارون حتّى انتزعه من يده وحمله إلى در السلطان وتقدّمت بإطلاقه .

وخاطب هارون بن غريب عليّ بن عيسى في أمر ابن شيرزاد وقال له
- « قد كان اقترض منّي للحافاني أموالاً كثيرة وأخذ بها تسبيبات وفاز بها وقد عمل له المومّل كاتبى بمال عظيم وأنا أَرْضَى بنظر ثقة من ثقات الوزير

في العمل «

فتقدم الوزير علي بن عيسى إلى أبي يوسف كاتب السيدة بالمصير إلى دار هارون وحضر المؤمل وكتابه فظفروا في العمل.

فكان أول باب فيه أنه وجد في دفتر من دفاتر ديوانه ثبت^(١) ما قبض من التسيبات التي سببها الخاقاني لابن شيرزاد من مال القروض التي اقترضها من مال هارون بن غريب.

وقد حكى فيه أنه قبض خمسة عشر ألف دينار وأنه لم يجد هذا المال في ختمات الجهيد الثابتة في الديوان. وكان كاتب ابن شيرزاد على ذلك الديوان ابن أبي الميمون، فقال [276] ابن أبي الميمون :

- «قد صَحَّ في ختمة الجهيد ومع صاحبى خط الأمير بقضه إيّاه، لأنه حمّله إلى حضرته وصرّفه في ثمن دار المحسن التي أبتيعت^(٢) من وكيل الخليفة في وزارة أبي القاسم الخاقاني.»

فأخرجت الختمة بسينها فوجد ذلك فيها، ووجد محرّر هذه الختمة قد كتب هذا المال كأنه تفصيل المال المتقدم وكان سبيله أن يكون مخرجاً بارزاً عن التفصيل الأول. فوجد^(٣) أبو يوسف ومحمد بن جنى الأمر على ما قال كاتب ابن شيرزاد وأخرج ابن شيرزاد خط هارون بن غريب بصحة هذا المال منسوباً إليّ تلك الجهة وأنه أدّى في بيت المال لثمن الدار وأحضر قبض صاحب بيت المال به.

ثم نظر في الباب الثاني أن المطلق للفرسان في عسكر هارون من مالهم فيه الربع الدراهم^(٤) تساوى ستة عشر درهماً بدينار وأنه لم يضع الصرف من

١. ثبت : كذا في الأصل . وفي مط : ثبت .

٢. في مط : تبت .

٣. كذا في مط . وما في الأصل : الربع دراهم .

مال الرجال وأنه يلزمه منه في مدة ولايته كتابة هارون ثياف وعشرون ألف دينار، فأخرجوا الختمات فوجدوا الجهد قد احتسب بما صرفه في أعطيات الرجال ورقاً من غير أن يوضع منه شيء لفصل الصرف، فاحتج كاتب ابن شيرزاد بأن فصل [277] الصرف في ختمة تورّد في أصول الأموال في آخر باب من أبواب الأصول وهو ما يتوّمّر من هذا الباب وغيره من سائر نفقات هارون بن غريب فأخرج ذلك من الختمات.

فمّا بطل هذان البابان وهما معظم ما كان في العمل نهض أبو يوسف ومحمد بن جني وقام معهما ابن شيرزاد وأقبل عليه هارون فقال:

«قد هنكني كاتبى هذا الجاهل الناقص قبحه الله وقد جنيت على نفسى بصرفك ولكن إن تصرفت لأحد فعلت وصنعت».

وتهدده.

فذهب ابن شيرزاد وشرح لعلّ بن عيسى ذلك فصار ذلك سبباً لعناية علّ بن عيسى به واشتهر حديثه وفاض في الكتاب

وفيها ورد الخبر وكتاب الفارقي من البصرة بأنه قد اجناز بيد البصرة ممّا يلي البرية جيش للقرمطى كثير العدد يقصد الكوفة فكتب المعتذر إلى مؤنس العظمى يأمره بالرجوع إلى بغداد فرجع من تكريت ودخل بغداد بعد صلاة العصر بعد أن أخذ قطعة من جيشه إلى النهر.

وخرج ياقوت إلى مضره بالزعرانية متوجّهاً إلى عمله بفارس.

القبض على ابن أبي الساج

وتقليد الحسن بن هارون

وفي هذه السنة قبض يوسف بن أبي الساج على كاتبه [278] أبي عبد الله

محمد بن خلف اليرماني وقد مكانه أبا عليّ الحسن بن هارون وقيد محمد بن حلف بقيود تقال وأخذ منه يوم قبض عليه من المال والفرش والكسوة والعلمان ما قيمته مائة ألف دينار وأخذ حطه بخمسمائة ألف دينار مصادرة عن نفسه.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك ما استعمله بواسط من السرف في التكثير والتسجير والتوسع في النفقات حتى إنه جعل في داره بواسط في شراب العامة ثلاثين غلاماً وفي شراب الخاصة عشرين غلاماً وكان يسفرج من داره إلى دار صاحبه يوسف ويكرّ إليه جمع قواد ابن أبي الساج ورؤساء غلمانه ورؤساء العمال ويسلمون عليه كما يفعل الناس ببغداد بالوزراء في أيام الموابك.

وكان قبل ذلك في مسير ابن أبي الساج من الرى إلى واسط قد لبس الثياب والسيف والمنطقة إلا أنه لم يكن يركب إلى دار صاحبه بسواد فرفاً بينه وبين وزير السلطان واحمله ابن أبي الساج على ذلك.

ثم أطمع نفسه أيام مقامه بواسط في الوزارة للسلطان، وتبين [279] عداوة نصر الحاجب لابن أبي الساج فكاتبه ووجه إليه بمن يثق به يلتمس منه أن يشير على المقدر بتقليده الوزارة مكان عليّ بن عيسى وضمن أن يستخرج من عليّ بن عيسى وأخيه سليمان بن الحسن وأبى زيور المادرائي وانكلوداني وأسبابهم ألف ألف دينار ويقوم بنفقات السلطان وأرزاق لأوليائه.

سعاية

وسمى بصاحبه وقال: إنه كان يستر عنه مذهبه في الدين وإنه لما سار

إلى واسط أنس به وانبط إلى فكشف له أنه يتدين بأن لا طاعة عليه للمقتدر ولا لبني العباس على الناس طاعة وأن الإمام المنتظر هو العلوي الذي بالقيروان وأن أبا طاهر الهجري صاحب ذلك الإمام، وأنه قد صنع عنده أنه يتدين بدين القرامطة وأنه إنما صير العلوي منحقاً به ويجمع أسرارهم بهذا لسبب، وأنه ليس له ثبة بالخروج إلى هجر. وأنه إنما يحتال بالوعد بالخروج إلى هجر حتى يتم له أخذ الأموال، وأنه قال في شهر ربيع الآخر:

«أى شيء بقى لنا على الخليفة ووزيره من الحجة ولم ليس تخرج إلى هجر ولا أراك تسعد لذلك؟»

فقال له فى الجواب:

«لم لا تكون لك معرفة [280] بالأمر من فى نيته^(١) الخروج إلى هجر.»

وأنه قال له:

«فلم غررت السلطان من نفسك ووعدته بهذه الحال حتى سلم إليك جميع أعمال المشرق؟»

فأجابه بأنه يرى انتفاض الخليفة وسائر ولد العباس الخاصيين أهل الحق فرضاً لله - عز وجل عليه - وأن طاعته طاعة الروم أصلح من طاعته الخليفة.

وأنه قال:

«فهنك فعلت ذلك، ما الذى يؤمنك من القرمطى أن يوافق إلى واسط وإلى الكوفة فلا تجد بداً من لقائه ومحاربته؟»

فقال فى الجواب:

١. كذا فى الأصل فى نيته وفى مط: فى نيته.

- «ويحك كيف أحارب رجلاً هو صاحب الإمام وعُدّة من عُدّده؟»
فقال له .

- «فإن أراد هو حربك أى شيء تعمل؟»
فقال له .

- «ليس لهذا أصل، وقد ورد عليه كتاب الإمام من القيروان بأن لا يظاً
بلداً^(١) أكون فيه ولا يحاربني بوجه ولا بسبب»
وإنه ختم القول بأن قال :

- «إني إنما انتظر أن يهبط رجالى بأسرهم أموال سنة أربع عشرة
وثلاثمائة فإذا قوا بذلك منعت أولاً من أعمال واسط والكوفة وسقى الفرات
وأنفذت إليها العمّال، فلا بدّ للسلطان أن ينكر حينئذ ما أفعله فأكاشفه
وأحطب للإمام وأظهر [281] الدعوة وأسير إلى بغداد، فإن من بها من الجند
قوم يهرون مجرى النساء قد ألقوا الدور على دجلة والشراب والخلع
والخيش^(٢) والمغنيات فأخذ نهبهم وأموالهم ولا أدع الهجرى يفوز بالإسم
وأكون أنا سائق الدولة إلى الأمام. فإن أبا مسلم خراز النعال لم يكن له أصل
وقد بلغ ما بلغ ولم يكن معه لئما ارتفع الصف منى. وما هو إلا أن أظهر
الدعوة حتى قد اجتمع مائة ألف ضارب سيف.»
ويقول بنحوه بنو خلفه:

- «قد صدقت أمير المؤمنين عن هذا الأمر، فإن ولّاني الوزارة انقمع ابن
أبي الساج وبطل عليه تدبيره وأحيب^(٣) حينئذ رجاله وغلّمانه: فإما أسروه

١. وفي بعض النسخ ورد عليه كتاب ابن المعتز ولا يظاً بلداً» بدل «وقد ورد عليه كتاب للإمام من
القيروان بأن لا يظاً بلداً»

٢. الخيش: الرجل الدني

٣. حبيب: خدعه وأفسده. يقال «حبيب على فلان صديقه» أى أسده عليه

وإمّا هرب طائراً على وجهه إلى أذربيجان. فأُتي إذا توليت الوزارة جددت به في المطالبة بالخروج إلى هجر فإن كاشف دبرت عليه.»
 فأنهى نصر الحاجب كله إلى المقتدر وعرفه أنّ محمد بن خلف قد كتب إليه يحلف له على أنّه ما حمله على هذا الفعل إلا الغضب للدين أولاً ثمّ الأتفة من أن يتمّ لهذا القرمطي على الخليفة وسائر الخاصة والعامة ما دبره.
 وكان الحسن بن هارون يخلف محمد بن خلف [282] ويقف دائماً بين يديه على رجله ويخدمه كما يخدم ابن أبي الساج. فلما رأى اختصاصه بابن أبي الساج تنكّر له وعص على القبض عليه وإتلافه وأظهر ذلك لأبي بكر ابن المنتاب وكان قد احتضّ به وغلب عليه. فاتفق أن شرب ابن المنتاب مع جماعة من إخوانه بواسطة وفيهم عبد الله بن عليّ الجرجرائي عامل الصلح والمبارك، فسأله عبد الله بن عليّ أن يشكر له أبا عليّ الحسن بن هارون لما يوليه من الجميل وقال له:

- «تعرض لي روجه على سيّدا أبي عبد الله محمد بن خلف أسأله فيها أن يعرفه شكري ويأمره بالريادة فيما شكرته عليه.»

فقال له ابن المنتاب:

- «أتق الله في نفسك ولا تفعل، فإنّ أبا عبد الله على غاية الشكر للحسن بن هارون ولن يبعد أن يقبض عليه ويبلّغه^(١)».

فحفظ ذلك عبد الله بن عليّ وتقرّب به إلى الحسن بن هارون. ووقعت بين محمد بن خلف وبين عبد الله بن عليّ مباحكة فيما شُبّب عليه لقوم يعتنى بهم محمد بن خلف فشتمه محمد بن خلف وهذّده وأمر بإخراجه من مجلسه على أقبح صورة.

١. في الأصل: ويبلّغه (يضمّ الفين).

فاجتمع عبد الله بن عليّ والحسن بن هارون عليّ التدبير عليّ محمّد بن خلف ونصبا عليه أصحاب الأخبار إليّ أن وقفنا [283] عليّ ما عمله في السعي في تقلّد الوزارة للمقتدر وسعايته بصاحبه فاطلع عبد الله بن عليّ ابن أبي الساج عليّ ذلك وتقرب إليه فنصب يوسف بن أبي الساج أصحاب أخبار عليّ محمّد بن خلف إليّ أن وقف عليّ أن خادماً له يتق به قد أنفذه دفعات إليّ بغداد وأظهر أنّه إنّما ينفذه لابتغاء كسوة وفرش ودوابّ وغلمان له وأنّه هو السفير بينه وبين نصر الحاجب في التدبير عليّ ابن أبي الساج فتقدّم ابن أبي الساج إليّ عبد الله بن عليّ في أحد الطرق عليّ هذا الخادم وإليّ الحسن بن هارون بمراعاة الوقت الذي ينفذ فيه الخادم. فلما نفذ من واسط عرّفه الحسن ذلك فوجّه بثقائه وأمرهم أن يرصدوا الخادم في الطريق، فإذا عاد من بغداد قبضوا عليه وسلموه إليّ صاحب عبد الله بن عليّ بجزجرايا.

وتهدّم إليّ عبد الله بن عليّ بأن يوجّه بمن ينتظره بجزجرايا وأنفذت الكتب التي سمع إليّ ابن أبي الساج فوجدتها بخطّ كاتب نصر جوابات عن كتب محمّد بن خلف إليه تدلّ عليّ إشارات ورموز وتراجم وفيها كلّ مكروه وسعي عليّ دم^(١) ابن أبي الساج وحاله وإطماع في ماله وحاله [284] وتحذير من تأخّر القبض عليّ عليّ بن عيسى. فبادر ابن أبي الساج في إنقاذ الحسن بن هارون إليّ الحضرة بكتب ورسائل إليّ عليّ بن عيسى عليّ رسمه ووجّه بتلك الكتب بعينها وقال له :

- « تقول للوزير عنيّ : قد سعى هذا الرجل عليّ دمي ودمك ودماء أصحابك وأريد أن أقبض عليه وأكثر ذنوبه عندي سعيه عليك. »

فلما وقف عليّ بن عيسى عليّ جميع كتبه ورسائله تعجّب وهل له :

١. في مط. دم (بالذال المعجمة).

- «تقول لأخى أبى القاسم : إن كنت تريد أن تفعل ذلك لترى نفسك من هذا الرجل الخائن المستحلّ فالله يوفقك ويحسن معونتك. وإن كنت تفعل هذا بسببى فوالله ما أشكر أحداً كما أشكر من يسعى لى صرفى عن الوزارة، فالحبس والنفى أسهل منّا أقاسيه منها.»

وزور عبد الله بن على عن الخادم كتباً على أنها من بغداد إلى محمد بن خلف بأنه : قد أحكم أكثر ما تحتاج إليه وأنه سريع العود إلى واسط. فسكت نفس محمد بن خلف إلى ذلك. وصار عبد الله بن على إلى محمد بن خلف وترضاه وبذل له أن يحمل إليه من ماله مائة ألف درهم مرفقاً ليزول ما فى نفسه عليه. فظنّ محمد بن خلف أن ذلك صحيح ودعا عبد الله بن على وواكله وشاربه. [285]

ولم يلبث الحسن بن هارون أن عاد من بغداد فبدأ بدار محمد بن خلف ووقف بين يديه فقال محمد بن خلف :

- «يا عاضن^(١)، قد بلغنى أنك شئت علىّ عند علىّ بن عيسى وذكرت له أنى أطلب الوزارة مكانه وأنتك مع ذلك قد ضربت علىّ حاشية الأمير وعلمانه. ووالله يا كلب لأضربنك خمسمائة سوط ولأخذن منك ثلاثين ألف دينار قد أبطرتك.»

والحسن بن هارون لا يريد علىّ أن يقول له :

- «الله بينى وبين من أعزى مولاي ومن أنا عبده وعرسه.»

ومحمد بن خلف يشتمه إلى أن قال له :

- «لقيت الأمير؟»

فقال الحسن بن هارون :

١. لى مط : يا عاضى.

« ما لقيته بعد. »

فقال له :

« فامض إلى لعة الله فالفه وعذ إلي. »

فمضى إلى ابن أبي الساج وشرح له جميع ما وقف عليه من سعي محمد بن خلف عليه وما خاطبه به لتأثيقه بعد قدومه من بغداد.

فقال ابن أبي الساج لحازنه الذي يتسلم من محمد بن خلف الأموال المحمولة إليه التي ينفقها في رجاله وغلماؤه ونفقاته :

« قد كنت أحضرتي منذ مدة مالا نصفه غلة ودراهم بهرجة^(١) »

وخراسانية، وذكرت أن ابن خلف حملك إليك لتنفقه في الأولياء [286] وغيره، وذكرت أن الأمر^(٢) مُسرف في فضل الصرف وأنه كثير فعزفتي الآن الحال فيما يحمله إليك؟ »

فقال : « انتهى يحمله الآن شر من كل ما تقدم وقد أخرجت من مائة ألف درهم حملها اليوم ألف وخمسمائة درهم جديد وألفي درهم صراح لا سينة^(٣) واثنين وأربعين ألف درهم غلة رديّة. »

وعظم عليه الأمر في فضل الصرف في ذلك فقال له :

« فإذا حضر محمد بن خلف العشية فادخل إلي واحمل المال كهيئته وعزفتي أن جميع غلمائي ورجالي قد فسدت ثيابهم بهذا السبب. »

ف فعل الخازن ذلك. فقال ابن أبي الساج :

« يا أبا عبد الله أنت تعلم أن هذا المال لا يجوز لأحد أن يقبض مثله وإذا قوت رجالي شهراً وأعطيتهم مالا جيّداً أو مقارباً للجودة كان أصلح من

١ في مط: بهرجة.

٢ في مط: الأمير.

٣ في مط: لا شيء (بإسما ما قبل الأخير)، وفي الأصل شعوش.

هَذَا.

فغضب محمد بن خلف وقال له :

« ما جزأ هذا الكلب على خطايي بحضرتك في هذا الباب إلا لأنه قد وقف على فساد رأيك فيّ، وإنما أفسدك عليّ من قدر أن يتولى كتابتك وهو هذا العليّ الحسن بن هارون وأهول به وبهذا الحازن وبجميع غلمانك ورجالك عليّ، وأنا عقدت لك هذه الحال وهذا الأمر [287] والآن فوالله لا نظرت في شيء من أمرك، فاعمل ما شئت. »

ونقض يده في وجهه وخرج من مجلسه. فجعل ابن أبي الساج يحلف له أن يعود فلا يفعل ويحلف أنه لا يرجع.

فدنا طال ذلك بينهما وبلغ أن يعطف إلى دهليز يغيب به عن عينه قال ابن أبي الساج لغلمانه :

« ضعوا أيديكم في قفا الكلب اللاحد الخنير^(١) فأسمعوني صوته بالصنع. »

فصنع نحو من مائة صفة وأخذ سيفه ومنطقته. واستدعى ابن أبي الساج عبد الله بن عليّ وأحضر للوفد فرجه به إلى دار محمد بن خلف ليحفظها ويقبض على سائر غلمانه وأسبابه وخزائنه، وكان عبد الله بن عليّ مشهوراً بالعرفاء والثقة. ونُقِذَ إلى الحسن بن هارون بأن يستقلّ كتابته مكانه واستحلفه أن يدخل إلى الحجرة التي اعتقل فيها ويقيده بخمسين رطلاً ويلبسه قميص باياف ففعل به الحسن بن هارون ذلك فقال له :

« يا محمد بن خلف أخبرني أغرك أمي أهول لك : يا مولاي ؟ إنما كنت أسحر منك، أيما كان أبعد غوراً وتديبراً، أنا أم أنت ؟ »

١ كذا في مط ومذ : الخنير، وفي الأصل : الخنير واللاحد الذي يعمل اللحد.

وأخذ الحسن بن هارون خطه بستمائة ألف دينار بعد أن أهانه وصفقه وضربه بالمفارع، فأدّى نحو خمسين ألف دينار [288] إلى أن رحل ابن أبي الساج من واسط إلى الكوفة لمحاربة الهجرى وحمله معه مقيداً وشغل عنه بالحرب وأسر، فأفلت محمد بن خلف.

ذكر وقعة ابن أبي الساج مع القرمطي

وما استعمله من ترك الحزم

واستهانت به بالعدو حتى أسر

وما اتفق عليه بعد الأسر حتى قُتل

كتب يوسف بن ديوداذ من واسط إلى الوزير أبي الحسن علي بن عيسى يلتمس منه حمل مال إليه ليصرفه فيما يحتاج من إعداد الأنزال^(١) والعلوفات بين واسط والكوفة ويحتج بأن أموال المشرق^(٢) متأخرة عنه وأن الأمر ليس يحتمل مع قرب موافاة الهجرى بأن ينتظر ورود مال من الجبل ويقول إنه لا يقنعه لذلك أقل من مائة ألف دينار. فعرض علي بن عيسى كتابه على المقتدر، فتقدم بأن يحمل من بيت المال الخاصة سبعون ألف دينار ويُنفذ إليه.

وورد الخبر بخروج أبي طاهر من هجر بنفسه يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان، فنزل في الموضع المعروف بالحسن وبينه وبين الاحساء مسيرة يومين وأقام به إلى يوم السبت ورحل من غد وكتب [289] السلطان إلى ابن أبي الساج بما ورد من خبره ويأمره بالمبادرة إلى الكوفة. وكتب علي بن عيسى إلى عمال الكوفة بإعداد الميرة والعلوفات ليوسف.

١ في مط: في إعداد الأتراك.

٢ في مط: المشرق.

وسار يوسف من واسط يوم الأربعاء ليلية بقيت من شهر رمضان نحو الكوفة وعاد سلامة الطولوني منصرفاً من عنده وكان حمل إليه المال.

ولما قرب أبو طاهر الهخري من الكوفة أطلق جميع من كان معه من أسارى الحاخ وهرب عتال السلطان من الكوفة فأخذ أبو طاهر جميع ما أمدّ ليوسف من البئر والعلوفات وهو مائه كتر دقيقاً وألف كتر شعيراً وقد كان خفّ ما مع أبي طاهر من الميرة، ولحقه وأصحابه^(١) شدة فقرى ومن معه بما صار إليهم. ووافى يوسف إلى ظاهر الكوفة يوم الجمعة لثمان خلون من شوال وقد سبقه أبو طاهر إليها بيوم واحد فحال بينها وبينه

وحكى عن أبي طاهر أنّه قال: إنّ عسكره قرب من عسكر يوسف فى الطريق بين واسط والكوفة، وكان يوم ضباب، فلم ير أحدهما صاحبه وأنّه أحسن به^(٢) ولو شاء لأوقع به.

ووجه يوسف إلى أبي طاهر يدعوه [290] إلى الطاعة، فإنّ أبي فإنّ الوعد للحرب يوم الأحد.

فعكى الرسول: أنّه لما صار إليه حُمل إلى موضع فيه جماعة متشاكلو الزمى وقيل له:

«تكلّم فإنّ لىك صبح»

ولم يعرف من هو منهم. فأدى الرسالة فأجيب بأنّه غير مستجيب لما دعاه إليه ولا لتأخير المناجزة. فكانت الحرب بينهما يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة خمس عشرة وثلاثمائة على باب الكوفة، فيقال إنّ ابن أبي الساج لما عاين عسكر أبي طاهر ووقف على عزّته أررى عليه واحترقه^(٣)

١. فى مط: وأصابه

٢. فى مط: وأنّه أمر به، بدل «وأنّه أحسن به».

٣. فى مط: وأصره.

وقال :

« من هؤلاء الكلاب ؟ هؤلاء بعد ساعة في يدي . »

وتقدم بأن يكتب كتاب المتح قبل اللقاء تهاوناً به وزحف كل واحد منهما إلى صاحبه .

فلما سمع الهجري صوت البوقات والدباب والزعقات عن عسكر ابن أبي الساج - وكانت عظيمة جداً - إلتفت رجل منهم إلى رفيق له وهو يسايره فقال له :

« ما هذا الزجل ؟ »

فقال له رفيقه : « فشل . »

فقال له : « أجل . » ما زاده لفظه .

ورسم عسكر أبي طاهر أن لا تكون فيه بوقات ولا دباب ولا صياح . وعبأ ابن أبي الساج رجاله وانفرد هو مع غلمانه على عادة له في الحرب وكان ابتداء الحرب بينهما مذ ضحوة نهار يوم السبت إلى وقت غروب [291] الشمس . وما قصر ابن أبي الساج في الثبات وأثنى أصحاب أبي طاهر بالشباب وجرح منهم حلقاً .

فلما رأى أبو طاهر ذلك وكان واقفاً في عمارة له مع من يثق به من أصحابه نجو مائتي فارس بالقرب من حيطان الخيز نزل من العتارية فركب فرساً له وحمل بنفسه مع ثقاته وحمل يوسف بنفسه وغلمانه عليه واشتبكة الحرب بينهما فأسر ابن أبي الساج آخر النهار وبه ضربة على جبينه بعد أن اجتهد به غلمانه أن ينصرف فامتنع عليهم وحصل أسيراً في يد أبي طاهر مع جماعه من غلمانه بعد أن قتل من أصحابه عدد كثير وانهزم الباقون .

ولما أسر يوسف وقت المغرب حمل إلى معسكر أبي طاهر وضربت له خيمة وفُرش له فيها ووكل به وأحضر رجل معالج يعرف بابن الشيعي . فقال

ابن السبيعي هذا : لما دخلت إليه إلى الخيمة التي حُبس فيها وجدته جالساً وعليه دُرّاعة ديباج فضّى وجُرّبانها^(١) ولَبِنها^(٢) من ديباج أحمر وقد تلوّنت^(٣) بالدم الذي سال من الضربة التي في جبينه، ووجدت الدم قد جمد على وجهه، فالتصت ماءً حارّاً. فقال لي بعض أصحاب أبي طاهر :

« والله ما ذاك عندنا، ولا عندنا ما يُسخن فيه. »

وكانوا [292] خلفوا سوادهم بالقرب من لقادسيّة وتجرّدوا للقتال، فغسلت وجهه بماء بارد وغسلت موضع الضربة وعالحته وسألني عن اسمي وبأى شيء أعرف، فذكرت له ذلك فوجدته يعرف أهلي أتيام كان بالكوفة وهو صبيّ مع أخيه الأفسين وكان يتغلّد الكوفة، فعجبت من ذكره وفهمه وقنّة اكترائه بما هو فيه.

وورد خبر الواقعة وأسر ابن أبي الساج على عليّ بن عيسى، فراح إلى دار السلطان واجتمع مع نصر الحاجب ومونس المظفرّ على إنهاء الخبر إلى المقدّر بالله وانتشر الخبر، فدخلت الخاصّة والعامة لأبي طاهر هيئة عظيمة ورهبة شديدة. وعملت الجماعة على الهرب إلى واسط ثمّ إلى الأهواز، وابتدأ المنهزمون بالدخول إلى بغداد وأخرج مونس المظفرّ مضربه إلى ميدان الأشنان وخرج عليّ إلى الكوفة.

وورد كتاب العامل بقصر ابن هبيرة على عليّ بن عيسى بأنّ أبا طاهر وأصحابه رحلوا عن الكوفة يوم الثلاثاء لإثني عشرة حلت من شوال قاصدين عين التمر، وورد كتابه بعد ذلك بنزولهم عين التمر، فبادر عليّ بن عيسى باستئجار خمسمائة سميريّة وجعل فيها ألف رجل ومعها عسدة [293]

١. جرّبانها والجرّبان طوق التميمي. فارسيّة أصلها جرّبان. واللّبة: موضع القلادة من الصدر.

٢. في مط. وجرّبانها ولبنها.

٣. في مط. تلوّنت.

من شذاءات وطيارات وحوّلها من دجلة إلى الفرات وفيها جماعة من العلمان الحجرية لمنع الهجرى من عبور الفرات، وتقدم إلى جماعة من القواد بالمسير على الظهر من بغداد إلى الأنبار لضبطها.

فمتما كان يوم الجمعة رأى أهل الأنبار ومن بها من القواد حيل أبى طاهر مقبلة من الجانب الغربى فبادروا إلى قطع جسر الأنبار وأقام أبو طاهر إلى أن أمكنه العبور بالسفن فعبر يوم الثلاثاء نحو مائة رجل ولا يعلم بهم أصحاب السلطان إلى أن حصلوا بالأنبار ونشبت الحرب بينهم وبين جماعة من القواد فمتما حلا البلد من أصحاب السلطان عقد أبو طاهر جسر الأنبار وعبر وخلف سواده فى الجانب الغربى وفيه ابن أبى الساج، ولما علم من فى الشذاءات من أصحاب السلطان أن أبى طاهر قد عقد الجسر ساروا إليه بالليل فضربوه بالنار فبنى أبو طاهر فى جماعة من أصحابه فى الجانب الشرقى من الفرات وسواده فى الجانب الغربى منه وحالت الشذاءات والطيارات بينهم.

ولما ورد الخبر بعور أبى طاهر إلى الأنبار وقتله من بها من القواد خرج نصر الحاجب ومعه [294] الحجرية والرخالة المصافية وجميع من كان بقى ببغداد من القواد وبين يديهم علم الخلافة وهو شبيه بالنواء أسود وعليه كتابة بياض:

«محمّد بن رسول الله»

وكان مونس قد صار بباب الأنبار واجتمع مع نصر وكان عدد من معهما من الفرسان والرجالة وغيرهم يزيد على أربعين ألف رجل، وخرج أبو الهيجاء ومن إخوته أبو الوليد وأبو العلاء وأبو السرايا فى أصحابه وأعرابه وسار نصر وسبق مونساً على قنطره النهر المعروف بزبارا بناحية عقرقوب^(١)

١ كذا فى الأصل ومد: عقرقوب، فى مط. عقرقوب (بإعمال الأخير) وفى المصاحف عقرقوف، وهى قرية من نواحي نهر عيسى، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ

على نحو فرسخين من بغداد ولحق به مونس واجتمعا على النهر وأشار أبو الهيجاء على نصر الحاجب بقطع قنطرة نهر زُبَارَا وألح عليه في ذلك. فلما رآه يتأقل عن قبول رأيه قال له :

« أيها الأستاذ اقطعها واقطع لحينى معها. »

فقطعها حينئذ.

وسار أبو طاهر ومن حصل معه من أصحابه من الحسانب الشرقي من القرات قاصدين نهر زُبَارَا. فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان آخر يوم الاثنين عشر خلون من ذي القعدة بات بموضعه ليلته وياكر المسير إلى قنطرة نهر زُبَارَا.

وتقدم من رجاله راجل أسود يقال له: صبح،^(١) فكان أمام عسكره فما زال نشاب أصحاب السلطان تأخذه وهو يتقدم ولا يهرله وقد صار بالنشاب كالقنفذ، فلما صعد القنطرة ورأها مقطوعة رجح، وما زال أصحاب أبي طاهر يمتحنون غور^(٢) لماء في النهر، فلما علموا أنه ليس يُخيض انصرفوا راجعين القهقري من غير أن يؤثروا ظهورهم وصاروا إلى الحسينية فوجدوا لماء قد أحاط به لأن نصرا ومونساً وجهها قبل ذلك بمن يثق هناك بشوقاً كياراً فصار الماء المحر محبباً بعسكر أبي طاهر. فأقام هناك يوم الثلاثاء وسار هو وأصحابه إلى الأسار ولم يجسر أحد من أصحاب السلطان أن يتبعه أو يصلح قنطرة زُبَارَا أو يعبرها.

وكن ما أشار به أبو الهيجاء من قطع هذه القنطرة توفيقاً من الله فإنها لو كانت صحيحة لعب أصحاب القرمطي عليها وما هالهم وفور عسكر السلطان ولا نهزم أصحاب السلطان ومليك القرمطي ببغداد. وذاك أن أكثر أصحاب

١. في مط: صبح

٢. في مط: غور

السلطان كَرَّوا إلى بغداد منهرمين لَمَّا بلغهم وصول أبي طاهر إلى النهر من غير أن يروههم أو يقع عين عليهم لعظيم ما تداخل القلوب من الرعب بعد الحادث باین أبي الساج. [296]

ولم يحدث أحد نفسه بعد ذلك أن يحوز له أن يثبت في وجهه. وكان مع أبي طاهر جماعه من الأولاد فمدلوا به عن المخر وسار نحو الأنبار ولَمَّا ولى أبو طاهر وأصحابه عن موضع العسكر برَّاراً ارتفع التكبير والتهليل من أصحاب السلطان ليزيع الخبر به وبادر أصحاب الأخبار إلى عليّ بن عيسى بالسلامة وبانصراف أبي طاهر ورجوعه إلى الأنبار وبأنه لا طريق له ولا مخاضة ولا حيلة في الوصول إلى معسكر عسكره ولا إلى نواحي بغداد.

وطمع مونس في الظفر بسواده وباقى رجاله الذين خلفهم في الجانب الغربي من الأنبار وفي تحليص ابن أبي الساج فأنفذ يلق حاجبه وجماعة من القواد ومن غلمان ابن أبي الساج في سَنة آلاف رجل وظنوا أنه لا يتم لأبي طاهر العبور إلى حيله وسواده. وبلغ أبا طاهر ذلك فاحتال حتى انفرد عن رجاله ومضى مشياً طويلاً حتى خرج عن الأنبار إلى الصحراء التي تتصل بالفراق، ثم عبر في زورق صياد يقال. إنه دفع إليه ألف دينار حتى عبر به إلى سواده فلَمَّا حصل في سواده واجتمع مع أصحابه حارب يلق ومن معه [297] فلم يثبت له يلق وانهمز ومن معه وقتل جماعة من أصحابه.

وبصر أبو طاهر في الوقت باین أبي الساج وقد خرج من خيمته التي كان معتقلاً فيها متطعماً إلى الطريق ليطر ما يكون من حال الوعدة فوقع له أنه أراد أن يهرب فدعا به إلى حضرته وقال
- «أردت الهرب؟»

ويقال: إِنَّ غَلَمَاهُ كَانُوا نَادُوهُ فَقَالَ لَهُ الْفَرْمَطِيُّ:
«طَمَعْتَ أَنْ يَخْلَصَكَ غَلَمَانِكَ؟»

فَأَمَرَ بِهِ فَصُرِبَتْ عُنُقُهُ بِحَضْرَتِهِ وَصُتِرَ أَعْنَاقُ جَمَاعَةٍ كَانُوا فِي الْأَسْرِ.
وَاحْتَالَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبُو طَاهِرٍ حَتَّى عَبَّرَ جَمِيعَ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي
الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْقُرَابِ بِالْأَنْبَارِ فَحَصَصُوا مَعَهُ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي يُلِي
الْهَرَمَةَ وَعَادَ يَلْبِسُ مِنْهُمْ مَقْلُوباً إِلَى مَوْنَسِ الْمَطْفَرِ
وَحَكِي أَبُو الْقَاسِمِ ابْنَ زَنْجِيٍّ أَنَّهُ كَانَ عِدَّةُ أَصْحَابِ أَبِي طَاهِرٍ أَلْفٍ
وَحَمِصًا مِائَةً رَجُلٍ مِنْهُمْ سَبْعُمِائَةٍ فَارِسٍ وَثَمَانِمِائَةً رَاجِلٍ وَأَنَّهُ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ
رَجُلٍ أَنْبَارِيٍّ كَانَ يَقِيمُ لَهُ وَلِرَجَالِهِ الْخَيْرَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا أَلْفًا
وَسَبْعِمِائَةً.

قال: وسمعت بعض مستأمة أبي طاهر وقد سُئِلَ عَنِ السَّبَبِ فِي سُرْعَةِ
هَزِيمَةِ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ وَثَبَاتِهِمْ هُمْ [298] فَقَالَ:

«السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ السُّلْطَانِ يَقْدَرُونَ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْهَرَبِ
فَيَقْدَمُونَهُ وَنَحْنُ نَقْدَرُ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الصَّبْرِ فَتُنْبِتُ وَلَا نَبْرَحُ.»

وَرَتَبَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ بَغْدَادٍ وَنَهْرُ زُبَارَا^(١) الْعَرَبِيَيْنِ وَسَلَّمْ إِلَيْهِمْ مِائَةً
طَيْرٍ إِلَى مِائَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَى أَحْنَحَتِهِمْ كِتَاباً بِخَبَرِ الْعَدُوِّ فِي كُلِّ
سَاعَةٍ.

وَكَانَ السَّبَبُ فِي سَلَامَةِ بَعْدَادٍ وَأَهْلِهَا يَوْمَ قَصْدِ الْفَرْمَطِيِّ زُبَارَا مَعَ كَثْرَةِ
الْعِيَارِيِّينَ وَالْمُتَشَبِّهِينَ بِالْجُنْدِ وَتَشَوُّقَهُمْ إِلَى النَّهْبِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى تَقَدَّمَ إِلَى
نَازِلِهِ بِمَوَاصِلَةِ الرُّكُوبِ وَالتَّطَوُّافِ فِي جَمْعِ جَيْشِهِ كُلِّ يَوْمٍ غَدُودَةً وَعَشِيَّةً فِي
الْجَانِبَيْنِ فَفَعَلَ ذَلِكَ. ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ مَوَاقَاهُ أَبِي طَاهِرٍ إِلَى نَهْرِ زُبَارَا أَنَّ

١ زُبَارَا يُقَالُ: إِنَّهَا مِنْ بَوَاحِي الْكُوفَةِ (مَرَادُ الْإِطْلَاقِ).

يَهْجُرُ إِلَى بَابِ حَرْبٍ بِجَمِيعِ جَيْشِهِ وَيَقِيمُ فِيهِ إِلَى وَقْتِ الْعَتَمَةِ وَأَنْ يُوَاصِلَ
النَّدَاءَ فِي الْجَانِبَيْنِ بِأَنَّهُ :

« مِنْ ظَهَرَ مِنَ الْعَيَّارِينَ وَالْمُتَشَبِّهِهِ بِالْجُنْدِ وَمَنْ وَجَدَ مَعَهُ حَدِيدَ ضَرْبِ
عَصْفِهِ. »

فَانْجَحَرَ الْعَيَّارُونَ وَأَغْلَقَ أَهْلُ بَابِ الْمَحْمُولِ وَنَهَرَ طَائِفُ الْقَلَّاتِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ
دَكَكِيهِمْ وَتَحَرَّزَ النَّاسُ فَتَنَقَّلُوا أَمْتَعَتَهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ.

وَأَمَّا وَجْهُ النَّاسِ فَأَكْثَرُوا الزَّوَارِيقَ وَجَعَلُوهَا فِي [299] الشُّوَارِعِ فِي
دَجَلَةٍ وَتَنَقَّلُوا إِلَيْهَا أَمْتَعَتَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ حُدَّهَا إِلَى وَاسِطٍ. وَنَعَلَ قَوْمٌ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ أَمْتَعَتَهُمْ إِلَى حُلْوَانَ لِيُحْمِلُوا إِلَى خِرَاسَانَ مَعَ الْحَاجِّ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ
أَحَدٍ مِنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ شَكٌّ فِي أَنَّ الْقَرْمَطِيَّ يَمْلِكُ بَغْدَادَ.

وَأَقَامَ نَارُوكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَمَا رَسَمَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى. عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ
مِنْ أَرْلِ النَّهَارِ إِلَى أَنْ مَضَى صَدْرُ مِنَ اللَّيْلِ لَا يَنْزِلُ^(١) هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ عَنْ دَوَاتِهِمْ إِلَّا لِلصَّلَاةِ وَضُرْبَتِ لَهُ وَلَهُمُ الْحِمِيمُ فَتَزَلُّوْهَا بِاللَّيْلِ وَكَانَ
ذَلِكَ سَبَبًا لِسَلَامَةِ الْبَلَدِ.

وَقَصَدَ الْقَرْمَطِيُّ إِلَى هَيْتَ بَادِرِ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ وَسَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ إِلَى
هَيْتَ لِنَدْفَعَهُ عَنْهَا فَسَبَقَا الْقَرْمَطِيَّ إِلَى هَيْتَ وَصَعِدَا إِلَى سُورِهَا وَقَوِيَتْ بِهِمَا
قُلُوبُ أَهْلِ هَيْتَ فَلَمَّا وَصَلَ الْقَرْمَطِيُّ إِلَيْهَا قَانَسُوهُ بِالْمَنْجَنِيقَاتِ فَقُتِلَ مِنْ
الْقَرَامِطَةِ جَمَاعَةٌ وَأَصْرَفَ أَبُو طَاهِرٍ عَنْهَا.

وَوَرَدَ الْحَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى بَغْدَادَ فَسَكُنَتْ الْفُوسُ وَأَطْمَأَنَّتِ الْقُلُوبُ وَتَصَدَّقَ
الْمُقْتَدِرُ وَالسَّيِّدَةُ لَمَّا بَلَغَهُمَا خَبَرُ انْصِرَافِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

وَكَانَ مُوسَى وَبَصْرَ أَحْصَرَا جَرَائِدَ جَمِيعِ الرِّجَالِ الدِّينِ اجْتَمَعُوا عَلَى نَهْرِ

١. فِي مَط. لَا يَنْزِلُ.

زُبَارًا مِمَّا يَلِي بِغَدَادِ سَوَى [300] الْأَعْرَابِ فَوَجَدُوهُمْ إِثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ رَجُلٍ سَوَى غُلَمَانِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ فَأَتَهُمْ كَانُوا أَضْعَافَ هَذِهِ الْعِدَّةِ .
وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى لَمَّا بَلَغَهُ أَسْرَ ابْنِ أَبِي السَّاحِ بِأَدْرِ فِي الْوَقْتِ إِلَى الْمَقْتَدِرِ وَقَالَ لَهُ :

- «إِنَّمَا جَمَعَ الْخُلَفَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ الْأَمْوَالَ لِيَقْمَعُوا بِهَا أَعْدَاءَ الدِّينِ وَالْخَوَارِجِ وَلِيَحْفَظُوا بِهَا الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَلْحَقِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ قُبْضُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْءٌ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، لِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَافِرٌ وَقَدْ أَوْقَعَ بِالْحَاجِّ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ وَقَدْ تَمَكَّنَتْ لَهُ هَيْبَةٌ فِي قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْحَاصِصِ وَالْعَامِّ .

- «وَأِنَّمَا جَمَعَ الْمُعْتَصِدُ وَالْمَكْتَفَى فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ مَا جَمَعُوا لِمِثْلِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ وَالْآنَ فَلَمْ يَبْقَ فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ كَبِيرُ شَيْءٍ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .»

- «وَتَخَاطَبَ السَّيِّدَةُ فَأَتَاهَا دَيْهٌ فَاضْلَهُ فَإِنْ كَانَ عِنْدَهَا مَالٌ قَدْ ذَخَرْتَهُ لَشِدَّةٍ يَلْحَقُهَا أَوْ تَلْحَقُ أَدُولُهُ فَهَذَا وَقْتُ إِخْرَاجِهِ ، وَإِنْ تَكَرَّرَ الْآخَرَى فَاخْرُجْ أَنْتِ وَأَصْحَابُكِ إِلَى أَفَاصِي خُرَاسَانَ فَقَدْ صَدَّقْتُكَ وَنَصَحْتُكَ »

فَدَخَلَ إِلَى وَالِدَتِهِ ثُمَّ عَادَ فَأَحْبَرَ أَنَّ السَّيِّدَةَ اسْتَرَاتَتْهُ وَأَمَرَتْ بِإِخْرَاجِ خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ مَالِهَا إِلَى بَيْتِ [301] مَالِ الْعَامَّةِ لِيُنْفِقَ فِي الرِّجَالِ وَسَأَلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَنْ مَقْدَارِ مَا بَقِيَ فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ مِنْ الْمَالِ فَعَرَفَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَنَّ فِيهِ خَمْسِمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ .

وَتَجَرَّدَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى لِحِفْظِ الْأَمْوَالِ وَتَقَدَّمَ أَلَا يَضِيعُ مِنْهَا دَرَاهِمٌ وَاحِدَةٌ فِي قِضَاءِ الدَّامِمَاتِ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَ النَّوَاحِصِ وَأَتَمَدَّ الْمُسْتَحْتَجِّينَ إِلَى الْعُقَالِ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ جَمَلَةٌ أُخْرَى .

وَنَصَحَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى رَجُلٌ مِنَ التَّجَارِ بِأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى خَيْرِ رَجُلٍ

شيرازى يتخير للقرمطى ويكاتبه . فأخذ معه جماعة ققبض عليه وحمل إلى دار السلطان وناظره على بن عيسى بحضرة القاضى أبى عمر والقواد وقال :
 - «أنا صاحب أبى طاهر وما صحتبه إلا على أنه على حق وأنت وصاحبك ومن يبعكم كفار مبطلون ولا بدّ لله فى أرضه من حجة وإمام عدل وإمامنا المهديّ فلان بن فلان بن إسماعيل بن جعفر الصادق وليس نحن مثل الرافضة الحمقى الذين يدعون إلى غائب مستطير.»
 فقال له على بن عيسى :

- «أصدقنى عن يكاتب القرمطى من أهل بغداد والكوفة.»
 قال : «ولم أصدقك عن قوم مؤمنين حتى أسلمهم إلى قوم كافرين فيقتلونهم؟ [302] لا أفعل ذلك أبداً.»

فأمر بصمعه بحصرتة وصربه بالمقارع وقيّده وغلّه بغلّ ثقيل^(١) وجعل فى فمه سلسلة وسلّمه إلى نازوك وحبسه فى المطبق فمات بعد ثمانية أيّام لآثمه امتنع من أن يأكل ويشرب حتى مات وشغب الجند.

ودخلت ليلة ست عشرة وثلاثمائة

ودخل موسى المطرّ بغداد من الأنبار ودخل بعد نصر وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم وكان الحشد قد شغبوا بالأبّار لطلب الزيادة فى أرزاقهم فأقاموا ببغداد على مطالبتهم ، فزيد كلّ واحد منهم ديناراً وأنفق فيهم على الزيادة.

وورد الخبر بدخول أبى طاهر القرمطى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئاً وقتل من أهلها جماعة ثم سار إلى الرحبة فدخلها بعد أن حارب

١ ما فى الأصل غير واضح فى مدّ ثقيف وفى مدّ ثقيل ، كما أنشأه

أهلها ووضع السيف فيهم بعد أن ملكهم ونُذِبَ مونس المظفر للخروج إليهم بالرقّة، وكان أهل قرقيسيا وجهوا إلى القرمطي يطلبون الأمان منهم ووعدهم بجميل. ثم أنفذ إليهم من نادى بقرقيسيا ألا يظهر بها أحد بلهار فلم يحسر أحد بها أن يظهر [303] فعبثت سرية له إلى الأعراب على جسر عقده بالرحبة فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ جمالهم وأغنامهم فرهبه الأعراب رهبة شديدة، وصاروا لا يسمعون بذكره إلا تطايروا، وجعل عليهم نأوة إلى هذه الأيام وهي من كل بيت دينار في السنة. ثم أصدد من الرحبة إلى الرقّة.

وسار مونس المظفر إلى الموصل ومنها إلى الرقّة فانصرف أبو طاهر عن الرقّة على طريق الفرات ووصل إلى الرحبة فحمل ما معه من الراد وغيره في زواريق وانحدر في الماء وعلى الظهر ليعاود هيتاً وكان أهلها قد نصبوا على سورها عزادات ومنجنيقات، فحاربوه وقتلوا من أصحابه، فانصرف عنها إلى ناحية الكوفة، وورد^(١) الخبر بذلك فأخرج بنى بن نفيس وهارون بن غريب على مقدّمة نصر.

وجاءت خيل القرمطي ومعهما ابن سَنَير إلى قصر ابن هبيرة وعبروا الفرات بمخاضة فقتلوا جماعة من أهل القصر. فخرج نصر الحاجب ومعه القواد والرجالة المصافيّة يريدون مواجهة أبي طاهر وحُمّ نصر حتّى حاة فلم يمنعه ذلك من المسير إلى سورا. ووافى [304] أبو طاهر إلى شاطئ سورا وقت المغرب، فلم يكن في نصر نهوض للركوب لشدة علته، فاستخلف أحمد بن كيعلغ وأنفذ معه الجيش فانصرف القرمطي قبل أن يلقاه أحمد بن كيعلغ. واشتدّت علة نصر وحُمّ لسانه من شدة الحمى فرّد إلى بغداد في عمارية

١ كذا في الأصل ومط. وورد الغير وهي مد وراود الخبر

ومات في الطريق، فحرح شفيح المقتدرى برسالة المقتدر إلى الجيش الذي كان مع نصر بأنه قد جعل الرئيس عليهم مكان نصر هارون ابن غريب فدخل هارون بن غريب مع الجيش بغداد.

ذكر الحال التي أدت إلى صرف علي بن عيسى وتقليد أبي علي ابن مقله

لما رأى علي بن عيسى اختلال النواحي في أيام وزارة الخاقاني والخصيبي وتقصان الإرتفاع وزيادة النفقات وما لحق من زيادة الرجالة بعد انصرافهم من الأتبار من حرب القرمطى وأن زيادتهم بلغت مائتي وأربعين ألف دينار في السنة مضافة إلى المقات المفرطة هاله ذلك واستعظمه ووجد رجال السلطان قد ضعفوا عن القرمطى وتبين انحراف نصر الحاجب عنه، وذلك لميل مونس إليه، استعفى [305] المقتدر من الوزارة فأمره بالصبر وقال له :

«أنت عندى بمنزلة المعتضد بالله ولي عليك حقوق.»

فواصل لا يستعفاء فشاور المقتدر مونساً المظفر وأعلمه أنه قد شقى له ثلاثة: الفضل بن جعفر ابن جتازيه فلم يشر به لأجل من قُتل^(١) من آل الفرات، وأبو علي ابن مقله فلم يشر به لعدائته وقال :

«لا يصلح للوزارة إلا شيخ له ذكر وفيه فضل.»، ومحمد بن حلف النيرماني فلم يشر به، وعرفه أنه جاهل لا يحسن^(٢) أن يهتفى اسمه وأنه متهور، وأشار بمدارة علي بن عيسى.

١. قُتل. الشكل من الأصل

٢. في مقله: لا يحسن أن يهتفى اسمه، بدل «لا يحسن أن يهتفى اسمه»

ثم لقي مونس عليّ بن عيسى ورفق به وداراه فقال له عليّ بن عيسى :
 - «لر كنت مقيماً بالحضرة لاستعنت بك وعملت ولكنك خارج إلى الرقة»
 وبلغ أبا عليّ ابن مقلّة ذلك فجذّ في السعي، وشاور المقتدر مصر الحاجب
 في أمر الثلاثة فقال :

- «أمّا الفصل بن جعفر فلا يدفع عن صناعه ومحلّ ولكنك بالأسى قتلت
 عمّه وبنو الفرات يدينون بالرفض، وأمّا ابن مقلّة فلا هيبة له»
 وأشار بسعيد بن خلف لما كان بينهما ممّا ذكرناه فيما تقدّم، فنفر المقتدر
 منه لما عرفه من جهله وتهوره، وواصل ابن مقلّة [306] مداراة نصر
 الحاجب فأشار على المقتدر به وقال :

- «يقلّد، فإن قام بالأمر كما يحب وإلا فالصرف العاجل بين يديه».

واضطرّ المقتدر إلى أن استوزر أبا عليّ بن مقلّة.
 وكان ما مال به المقتدر إلى أبي عليّ أنّ أبا طاهر الفرمطي لما قرّب من
 لأنبار تشوّف إلى علم خبره ولم يكن يكاتب بشيء من خبره غير الحسن
 بن إسماعيل الإسكافي عامل الأنبار. فلما عرف أبو عليّ ابن مقلّة الصورة
 طلب أطياراً وأنفذه إلى الأنبار وكوّتب عليها أخبار الفرمطي وقتاً بعد وقت
 فكان ينفذه إلى نصر لوفته ويعرضها نصر على المقتدر ووجد بذلك نصر
 السبيل إلى تعريض^(١) ابن مقلّة وقال للمقتدر :

- «إن كن هذه مراعاته لأمورك ولا تعلّق له بخدمتك فكيف يكون إذا

اصطلمته؟»

ذكر القبض على علي بن عيسى

وتقليد ابن مقله

فلما كان يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الأول سنة ست عشر،
وثلاثمائة أنفذ هارون ابن غريب للقبض على علي بن عيسى فصار هارون
إلى دار علي بن عيسى ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وكان أبو جعفر متعطلاً في
الوقت فوجه بأبي جعفر إليه لأنه [307] استحبها منه وعرفه ما أمر فيه. فلما
أدى إليه الرسالة قال له

«أنا جالس متوقع له.»

وكان قد لبس علي بن عيسى حُفّاً وعمامة وطيلساناً وفي كفه مصحف
ومقراض وسأل هارون أن يصون حرمة وولده ففعل، وحمله مع أخيه أبي
علي عبد الرحمن إلى دار السلطان فسلم علي بن عيسى إلى زبدان القهرمانه
واعقل عبد الرحمن عند نصر فكامت وزارته هذه سنة واحدة وأربعة أشهر
ويومين.

فلما كان في آخر نهار يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع
الآخر أحضر أبو علي ابن مقله الحاجب في دار السلطان ولم يصل إلى
المقتدر وأقام عند نصر الحاجب في دار السلطان. وجد محمد بن خلف في
طلب الوزارة وضمن ثلاثمائة ألف دينار^(١) مُعجلة غير أموال النواحي. فقلق
أبو علي ابن مقله لذلك وحضر من غد دار السلطان ولم يصل أيضاً.

واجتمعت الألسن على المقتدر بإمضاء أمره وبإلزام لمحمد بن خلف،
فأمضاه وحضر يوم الخميس للنصف من الشهر ووصل وخلع عليه وحمل

١. كذا في الأصل ومط: ثلاثمائة ألف دينار

إليه من دار السلطان طعام على رسم الوزراء إذا تقلدوا.

وكان أبو الحسن [308] عليّ بن عيسى قبل صرفه عن الوزارة بعشرين يوماً كتب إلى أبي عبد الله البريدي يأمره باستخراج ما كتب به ابن مابنداذ^(١) أنه قد اجتمع في بيت مال الأهواز من مال الأهواز وهو ألف ألف وخمسون ألف درهم وانضاف إلى ذلك ما حمله القاسم بن دينار من مال فارس وكرمان على الظهر وهو سبعمائة ألف درهم سوى ما حمله أبو علي ابن رستم من مال إصبهان وهو أربعمائة وخمسون ألف درهم فيصير الجميع ألفي ألف ومائتي ألف درهم.

وكان في أبي عبد الله البريدي حركة ورجلة يحتاج إليهما في ذلك الوقت. فكتب إلى ابن مابنداذ يطالبه بالمال فكتب بأن المال حاصل. وكان ابن مابنداذ يشتتر، فوجه إليه يستمجله ولم ينظره واستحضر كتبه فحمل في الشدائد ألفي ألف ومائتي ألف درهم، وكتب أنه إن عادت الشدائد حمل فيها باقي المال، مصرف عليّ بن عيسى قبل موافاة بقية المال.

وقد كنّا ذكرنا انحراف نصر الحاجب عن عليّ بن عيسى لملل مونس المطر إليه، فلما نكب عليّ بن عيسى ادّعى نصر الحاجب أنه وجد رجلاً يعرف بالحوهري أقر أنه صاحب القرمطي [309] وأنه جعل سفيراً بينه وبين عليّ بن عيسى.

وحكى عنه أن عليّ بن عيسى كان يكاتب لقرمطي على يده وجمع بينه وبين عليّ بن عيسى حتى واجهه بذلك فقال له عليّ بن عيسى:

«بهتني وما خلق الله لما يقوله أصلاً».

وعاون أبو عليّ ابن مقله نصراً الحاجب في هذه القصة إلى أن كاد يتم

المكروه على علي بن عيسى وهم المقتدر أن يضربه بالسوط على باب العائنة بحصره المصحاء والقصة وأصحاب الدواوين، فاحتالت السيدة واستكشفت الحال فيما ادعى عليه فوقفت على بطلانه وقررت ذلك في نفس أنها وأزالت ما كان أمره به فيه.

وأخذ أبو علي ابن مقله خطوط العمال والضمان بنحو مائة ألف دينار وبلغ أبا عبد الله البريدي وهو بالأهواز تقلد أبي علي ابن مقله الوزارة وكان بينهما مودة فأنفذ إليه من وقته سفائح بثلاثمائة ألف دينار من حملة الباقي بالأهواز بعد ما كان حملة.

وكان الفاسم بن دينار وأحمد بن محمد بن رستم قد حملا إلى علي بن عيسى سفائح بستمائة ألف درهم، فوصلت بعد صرفه^(١) فقبضها ابن مقله فمضى أمر أبي علي ابن مقله بهذه الاتفاقات. وكتب [310] أبو علي ابن مقله كتاباً برفع كل الجبايات^(٢) والمصادرات وسكن من الناس ليبسطوا في أعمالهم

وفي هذه السنة وقعت حرب بين نازوك وهارون بن غريب بن ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن سؤاس هارون بن غريب وسؤاس نازوك تغايروا على غلام أمرد ووقع الشر بينهم وأخذ نازوك سؤاس هارون بن غريب وأودعهم مجلس الجرائم بعد أن ضربهم، فصار أصحاب هارون بن غريب إلى مجلس الشرطة ووثبوا على أبي الجود خليفة نازوك وانتزعوا أصحابهم من

١. في مط: صرفها.

٢. الجبايات كذا في الأصل. وفي مط الجبايات. وفي مد الجبايات.

يده

وركب ناروك إلى المقتدر وشكى إليه هذه الحال فلم يكن من المقتدر إنكار رضيهِ^(١) نازوك فاصرف محظاً وجميع رجاله وجسمع هارون ابن غريب رجاله وباتا جميعاً مستعدين.

فلما أصبحوا زحف أصحاب نازوك إلى دار هارون بن غريب وأغلق هارون بابه دونهم وخارج الباب جماعة من غلمان هارون وأصحابه فقتل منهم قوم وفتح باب هارون حينئذ وخرج أصحابه واستحكمت الحرب بينهم واشتدت. فوجه ناروك إلى أصحابه بمن صرفهم، ثم ركب [311] الوزير أبو عليٍّ ومعه مفلح الأسود لتوسط القصة، فبدأ بابن الخال وأدى إليه رسالة المقتدر بالكف. ثم صار إلى نازوك فأدى إليه مثل ذلك فسكنت القصة.

واستوحش نازوك وأقام في داره وفيها غلمانه وأصحابه ورجاله وظهر في ساقه توتة^(٢) وقلعها وجعلها سبباً في ترك الركوب وبعد ثلاثة أيام صار إليه هارون بن غريب بدعوة فاصطلحا وأقام نازوك في داره وصار هارون بن غريب إلى البستان الجمي أعام فيه ليبعد عن نازوك وكثر الناس عليه وأرجفوا له بأمره الأمر فاشتد ذلك على أسباب مونس المطقر وكبوا به إليه وهو بالرقّة فأسرع الشخصوس منها على طريق الموصل إلى بغداد ووصل إليها ولم يتحدر إلى المقتدر ولا لقيه وصاعد إليه الأمير أبو العباس والوزير أبو عليٍّ فسلما عليه واتحدر نازوك.

ظهور الوحشة بين مونس والمقتدر

وأقام هارون بن غريب في دار السلطان منابذاً لمونس المطقر ودخل أبو

١ رضيهِ في الأصل غموض، وما أثبتناه يوافق مط ومذ

٢ في مط: قومه، بدل «توتة».

الهيحاء عبد الله بن حمدان من الجبل وصار إلى مونس المظفر وما زالت المراسلات تتردد بين مونس والمقتدر. [312]

ودخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة

ذكر فتنة نازوك وأبى الهيجاء التي أدت إلى خلع

المقتدر وذكر قتلها ورجوع المقتدر بالله إلى الخلافة

لما كان يوم السبت لثمان خلون من المحرم خرج مونس المظفر إلى الشماسية وخرج الجيش معه وركب نازوك من داره في غلمانه وأصحابه في السلاح. فلما وصل إلى الجسر وجده مقطوعاً فأقام بمكانه إلى أن أصلح وعبر هو وأصحابه عليه وصاروا إلى مونس وخرج أبو الهيجاء ابن حمدان إليه وسائر القواد، ثم انتقلوا من باب الشماسية إلى المصلى وشحن المقتدر داره بهارون بن غريب وأحمد بن كيعلغ والحجرية والرجالة المصافية. فلما كان آخر النهار انفضّ أكثر من كان في دار السلطان وصاروا إلى مونس وصرف مونس تحرير الصعير عن الدينور وردّها إلى أبى الهيجاء مضافة إلى أعماله.

ورأسله مونس المقتدر بأنّ الجيش عاتب منكر للمرف فيما يصير إلى الخدم والحرم من الأموال والضياع ولدحولهم في الرأي والتدبير ويطالبون بإخراجهم من النار [313] وإبعادهم وأخذ ما في أيديهم.

فكتب المقتدر إلى مونس رقعة سخطها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمتعني الله بك ولا أحلاني منك ولا

أُرْنِي سَوْءَ عَيْكَ تَأْمَلْتُ بِحَالِ أَسَى خَرَجَ أَوْلِيَاؤُنَا^(١) وَصَانِعَا
وَشَسَعْنَا إِلَيْهَا وَتَمَشَّكُوا بِهَا وَأَقَامُوا عَلَيْهَا، فَوَجَدْنَهُمْ لَمْ
يَرِيدُوا^(٢) إِلَّا صِيَانَهُ نَفْسِي وَوَدَايَ وَإِعْرَازَ أَمْرِي وَمَسْكَي
وَاجْتِلَابَ الْخَيْرِ وَالْمَصْعَةَ مِنْ كُلِّ حَهِهْ وَتَظْلِيلَهَا بِكُرِّ سَبِيلٍ،
بَارِكْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَغَانِي عَنِّي صَالِحَ مَا أَنُوبُهُ
فِيهِمْ.

- «وَأَمَّا أَسَى يَا أبا الْحَسَنِ الْمَطْفَرُ - لَا حُلُوثَ مِنْكَ - فَشَحَى
وَكَبِيرِي وَمَنْ لَا رُولَ وَلَا أَحْوَجَ عَنِ الْعَمَلِ إِلَيْهِ وَالنُّوْقَرِ عَلَيْهِ
وَالْتَحَقُّ بِهِ وَالْإِجَابَ لَهُ أَعْرَضَ مَا بَيْنَاهُ هَذِهِ الْحَادِثُ أَمْ لَمْ
يَعْرِضْ. وَتَقْصُصْ لِأَمْرِ الدِّيِّ يَحْمَعُ أَمْ لَمْ يَنْقُضْ، وَأَرْحُو الْآ
تَشْكُ فِي ذَلِكَ إِذَا صَدَقَتْ نَفْسُكَ وَحَاسِبْنَهَا وَأَرْلَبِ الظُّنَّ السَّيِّئَةَ
عَنْهَا أَدَامَ اللَّهُ حَرَسَهَا وَلَقُوَّةَ بِاللَّهِ وَالِدِي حَاصٍ لِأَصْحَابِهَا فِيهِ
مِنْ أَمْرِ الْحَدَمِ وَالْحَرَمِ الدِّيِّ يُحَرِّحُونَ مِنَ الدَّارِ وَيَبْعَدُونَ عَنْهَا
وَتَسْفِطُ رَسُومَهُمْ فِي الْحَدَمِ وَيَمْعُونَ مِنْهَا وَيَزُودُونَ مِنْ نَعْمَتِهِمْ
وَبِحَالِ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهَا إِلَى أَنْ يَمْرَحُوا عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِ
[314] وَالصِّيَاعِ وَيَرُدُّوْهَا إِلَى حَقَّقِهَا قَوْلَ إِذَا بَيَّنَّوْهُ حَقَّ سَبِيلِهِ
وَنَصَفَّحُوهُ كَمَا تَصَفَّحَهُ عَمُوا أَنَّهُ قَوْلُ حَافٍ وَسَعَى عَلَى فِيهِ غَيْرُ
مُسْتَرٍ وَلَا حَافٍ

- «وَلَا يَثَارِي مَوَاقِفَتَهُمْ وَأَتَّاعِي مَسَرَّتَهُمْ مَا جَسَبَتُهُمْ إِلَى
الْمُنِيرِ فِي أَمْرِ هَذِهِ انْطَبَقَ خَاصَّةً، فَأَتَقَدَّمُ بِقَبْضِ بَعْضِ

١ أَوْلِيَاؤُنَا: كَذَا فِي الْأَصْلِ وَفِي مَطِّ آهَاؤُنَا

٢ لَمْ يَرِيدُوا: كَذَا فِي الْأَصْلِ - وَفِي مَطِّ لَمْ يَذْبُرُوا

إقطاعاتهم وحظر تسوياتهم وبسط إيفاراتهم وإخراج من يجوز إخراجهم من داري ولا أطلق للباقيين الدخول في تدبيرى ورأى وأوعز بمكاتبة العمال في استيفاء^(١) حق بيت المال في ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال إنه قد لا يسه^(٢) الربى واشتد.

- « وأنظر بنفسى فى أمر الحاصّة والعامة وأبلغ فى إنصافها والإحسان إليها العاية، ولا أعتمد فى ذلك على وزير ولا سفير البتّة وانتصب لإثارة الأموال وجمعها ووضعها فى مواضعها وأحميها من كلّ ما يثلمها وينتقصها وأشعر فى ذلك وأبلغ فى مناهضة الأعداء قريباً وبعداً وهذا إنفاقى عنه اعتماداً عليكم وتفويضاً إليكم وثقة بأنكم شركائى وسهمائى والمخصوصون بخير أئامى شرّها وحلوها ومرّها ولو علمت أنّه يحل ذلك ذنباً لى وجراً يتجنّى به علىّ لكنت أول شاخص إلى كلّ [٢١٥]، تعب وأول مبادر نحوه من غير إبطاء عنه ولا ريب.

- « فأما أنتم فمعظم نعمكم منى وما كنت لأغور عليكم فى شيء سمعت به لكم ورأيت فى وقته وأراه الآن زهيداً فى جنب استحقاقكم وأنا بشميره أولى وبتوفيره أحرى والله المطّلع على جميل معتقدى للجماعة فيها والشاهد على محبّتى لإيصالها إلى أقصى أمانيتها.

- « ونازوك، فليست أدري من أىّ شيء عتب ولا لأية حال

١ استيفاء: كذا فى الأصل وفى مط استيفاد

٢ لا يسه كذا فى الأصل رلى مط لا يشته.

استوحش واضطرب لأئى لم أله على محاربة هارون بن غريب الحال ولم أمنعه من الانتصار منه والأخذ بثأره عنده ولا أمرت بمعاونة هارون عليه ولا قبضت يده عما كانت طويلة إليه منبسطة فيه متمكنة منه ولا عثرت له حالاً ولا حزت له مالاً ولا سمع منى ولا بلعه عنى ما يسوء موقعه وينغر منه والله يغفر لنا وله.

- «وعهد الله بن حمدان فالذى أعفطه صرفه عن الدينور وقد كان يتهياً إعادته إليها إن كان راغباً فيها فيسعف بمسأله وأن يستدعى تعويضه من الأعمال ما هو أعظم خطراً من الدينور فلا نفصر عن إرادته وما عدى له ولنازوك وللعصاة كلها إلا التجاوز والإبقاء والإغضاء وقبل هذا وبعده، فلى فى أعناقكم بيعة مد [316] وكدتموها على أنفسكم دفعة بعد دفعة، ومن بايعنى فإنا بايع الله ومن نكث إنا نكث عهد الله.

- «ولى أيضاً عليكم نعم وأياد وعينكم صنائع وعوارف أمل أن تعترفوا بها وتلتزموها ولا تكفروها وتشكروها وإن راحتم الجميل وتلاقيتم هذا الخطب الجديل وفرقتم جموعكم ومرقتموها وعدتم إلى منازلكم واستوطنتموها وأقبلتم على شؤونكم وتشاعلتم بها وأحرستم فى الخدمة على عادتكم فلم تقصروا فيها كسم بعنزة من لم يجرح من موضعه ولم يأت بما يعود بشعث^(١) محله وموقعه وكنت الذى تعرفونه فى الشقة بكم والإبشار بكم والسكون إليكم

١ بشعث كنا فى الأصل وفى مط وبشعث

وإلّا شئتمال عليكم لكم بسندك عهد الله إن عهده كان
مسؤولاً.

«وبأبسم إلّا مكاشفة ومخالفه وإثارة فسة وتحديد محبة
فقد وليتكم ما توليتهم وأعمدت سيفي منكم ونبرأت إلى الله أن
أمدّ باعى إلى أحد منكم ولحأب هي نصري ومعونتي وكفايتي
إلى الله عز وجل ولم أخرج من مرئى ولم أسلم الحق الذى
جمعته الله لى إلّا كما حرح عثمان بن عفان عن دره وكما سلم
حقه لما حمله عامة تقائه وأصاره وكار ديك حقه فمعا بين الله
عز وجل ويى ومعدرة وسبياً [317] يدين الله لما أؤتمنه من
لهوز فى الدنيا والآخرة والله بصير بالعباد وللطامس بالمرصاد
وحسبى الله ونعم الوكيل.»

ولما وصت هذه لرقعة إلى موسى ووقف ناروك وتو الهجاء عى ما
نضمت عدلو إلى مكاسبه بإخراج هارون بن غريب عن بغداد، فأجابهم إلى
ذلك وفلّد هارون الشعور الشميّة والجرريّة من يومه ومصى إلى قُطْرُب^(١)
فأقام بهاء

ولما كان يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم دخل مونس المطقر
والجيش بغداد وعدلوا عن دار السلطان كراهية لمعرّه لجند وطهر عبد لناس
طهوراً بيّناً وأرحسوا إرحفاً قوتاً أن ناروك وأبا نهجاء وهما موساً المطقر
على الاستبدال به ونصب غيره فى الخلافة.

فمّا كان يوم الأربعاء لإثى عشرة ليلة حلت من المحرم خرج مونس

١ قطرب قرية بين بغداد والفرقة، وهى الآن حراب (مراد الإطلاع)

إلى باب الشَّاسِيَّةِ دفعة ثانية وخرج معه أبو الهيجاء ونازوك وبنى بن نفيس وجميع القواد والجيش وزحفوا إلى دار السلطان.

ذكر الخبر عن خلع المقتدر بالله

وتقليد القاهر بالله الخلافة

لَمَّا زحف القوم بأسرهم إلى دار السلطان هرب المطمّر بن ياقوت وسائر الحجاب والحشم [318] والخدم والوزير أبو عليّ ابن مسفة منها ودخل مونس من باب الزاوية وحصل الجيش كلّ في دار السلطان. فلَمَّا كَانَ بعد عتمة ساعة أخرج المقتدر ووالدته وحالته وخوَصَّ جواريه من الدار وأصعد بهم إلى دار مونس المطمّر ودخل هارون بن غريب من قُطْرَيْل سرّاً إلى بغداد واستتر بها

ومضى أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى دار ابن طاهر ليُسحدر منها محمّد بن المعتصد بالله فلم يفتح به كسافور الموكل بحفظ الدار وطالبه بعلامة من مونس، فلم تكن معه فاتصرف، وأصعد ونازوك بعد أن أخذ العلامة وطرح في طريقه النار في دار هارون بن غريب وأحضر محمّد بن المعتصد ووصل إلى دار السلطان في الثلث الأخير من ليلة السبت للصف من المعزّم وسُلم عليه بالخلافة وباعه مونس والقواد ولُقّب الماهر بالله.

وزارة علي بن مقلة

وأخرج مونس عليّ بن عيسى من الحبس في دار السلطان وأطلقه إلى منزله وأحضر أبا عليّ بن مقلة وقلّده وزارة القاهر بالله وعلّد نازوك الحجابة مضافة إلى ما إليه من الشرطة بمدينة السلام وأضاف إلى ما كن إلى أبي

الهيحاء من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق [319] سُرّ من رأى وبُزرج سابور والراذيين ودقوقاء^(١) وخانيجان والموصل أعمال المعاوين بهمدان ونهاوند والصيمرة والسيروان وماسبذان ومهرجاندق وأرزن. ووقع النهب في دار السلطان ومضى بنى بن نفيس إلى تربة السيدة بالرصافة فوجد لها هناك ستمائة ألف دينار فحملها إلى دار السلطان. وخلع المقتدر بالله من الخلافة يوم السبت الصف من المعزّم وأشهد على نفسه بذلك الفصاة وسَمّ الكتاب بذلك إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف.

ذكر حزم استعمل وانتفع به

فحدث أبو الحسين ابن أبي عمر أنّ أباه سلّم الكتاب إليه بالخلع وقال له :
- «يا بنى احفظه واسره ولا يره أحد من خلق الله عندك.»
قال : فقلب له :

- «وما الفائدة في كتمانك وقد علم به الخلق؟»

قال : فقال لي

- «وما الفائدة في إظهاره ومن أين تعلم ما يكون؟»

قال : فامتثلت أمره. فلما أعيد المقتدر بالله إلى الخلافة بعد يومين أخذ القاضي أبو عمر ذلك الكتاب فسلّمه إلى المقتدر بالله من يده إلى يده وحلف له على أنّه [320] ما رآه أحد من خلق الله عنده غيري. فحسن موقع ذلك من المقتدر جداً وشكره له وفلّده بعد مديدة قضاء القضاة.
قال : فقال لي :

- «يا بنى ما ضرنا كتمان الكتاب وسره شيئاً»

١ دقوقاء (بالمثا) بلدة بين أربل وبغداد (مراصد الإطلاع)

وانصرف الناس من دار السلطان يوم السبت ولما كان من غد وهو يوم الأحد جلس القاهر بالله وحضر الوزير أبو عليّ ابن مقلة ووصل إليه وأمره بالجلوس بين يديه وسكن الذهب وكتب أبو عليّ ابن مقلة بحبر تقليد القاهر بالله الخلافة كتاباً أشتأه إلى الولاة في النواحي. وأمر نازوك الرجالة المصافيّة بقطع خيمهم من دار السلطان وأقام رجاله مكانهم فاضطربوا من ذلك ثم تقدّم إلى خلفاء الحجاب والبوابين ألا يدخل الدار إلا من كانت له مرتبة فاضطربت^(١) الحجريّة من ذلك وتكلّموا وصار ذلك سبباً لردّ المعتدر إلى الخلافة.

ذكر السبب في ردّ المعتدر إلى الخلافة

فلما كان يوم الإثنين السابع عشر من المحرم بكر الناس إلى دار السلطان لأنّه يوم موكب ودولة جديدة، فامتأّت الدهاليز والممرّات والرحاب وشاطئي دجلة [321] منهم وحصر الرجالة المصافيّة بالسلاح يطالبون بالبيعة ورزق سنة ولم ينحدر مونس إلى دار السلطان ذلك اليوم وأقام في منزله. وارتفعت زعقات الرجالة وسمعها نازوك وأشفق أن يجرى بين أصحابه وبينهم قتال، فتقدّم إلى علمائه وأصحابه ألا يعرضوا لهم. وزاد شغب الرجالة وهجموا يريدون الصحن السعيني فلم يسمعهم أحد لما كان نازوك تقدّم به إلى أصحابه ودخل منهم من كان على الشطّ من الروشن بالسلاح المشهور وقربت زعقتهم من مجلس القاهر بالله وكان جالساً في رواق السعيني وبين يديه أبو عليّ ابن مقلة ونازوك وأبو الهيجاء، فوجّه بنازوك لخطابهم وكان نازوك مخموراً كالسكران قد شرب طول ليلته، فلما برز إلى الروشن ومظن

١ كذا في الأصل؛ فاضطربت وفي مطب ماضطرب.

إليه الرجال أسرعوا نحوه فصافهم لأنهم شهبوا السلاح عليه، فوكلى منهم وعدا وأطعمهم في نفسه وعدوا حلقه وانتهى به الهرب منهم إلى باب كان هو سده أمس ذلك اليوم بالآجر والحصى ولم يمكنه النفوذ ووصلوا إليه وقتلوه وقد كانوا قتلوا قبله^(١) عجيباً وصاحوا:

«مقتدر يا منصور».

فنهارت كل من في الدار من الوزير والحجاب والحشم وسائر الطبقات حتى بقيت الدار خالية.

وصلب [322] الرجال بازوك وعجيباً على خشب الستاره التي على شاطئ دجلة [ثم صار^(٢) الرجال إلى] دار مونس يطالبون بالمقتدر بالله، ويأدر الخدم في دار السلطان فغلّقوا أبوابها وكان جميعهم خدام المقتدر وحاشيته وصنائه، وأراد أبو الهيجاء أن يخرج من الدار فتعلق به القاهر وقال:

«يا أبا الهيجاء تسلمنى؟»

فدخلت أبا الهيجاء الحمية والألفة، فرجع معه وقال:

«والله لا أسمتك».

وعاد فوجد الأبواب مغلقة فدخل دار السلام وارتفعت ضجة وتكبير فقال غائى وجه الفصحة، لبعض الخدم الصفار الرسائلية^(٣).

«أنظر ما هذه الضجة؟»

فمضى وعاد وقال:

«قتل أبو الهيجاء».

١ قبله: كذا في الأصل وفي مط قطه

٢. في مط. وصار إلى مونس بدل «ثم صار الرجال إلى دار مونس». وما بين المعقوفتين من مد

٣. في مط رساوية.

فقال له :

- «أنظر ويلك ما تقول.»

فأعاد ذلك ثلاثاً فقال أبو الهيجاء

- « هو ذا أنا^(١) ويلك.»

فقال الخادم .

- «غلطتُ، قُتل نازوهُ»

فقال القاهر لوجه القصعة :

- «افتح لي الباب لأخرج إلى الشطّ.»

فقال : «إن وراءه أهولاً كثيرة يتعذر منها الوصول إلى الشطّ، ولكن تفتحه

على كلّ حال.»

ففتح فأفضى بالقاهر المشى إلى درجة الدواليب المصوبة على دجلة فوق

موضع التاج فصعد بها ويده في يد أبي الهيجاء ابن حمدان، وأشرفاً على

دجلة، فرأيا الرجال في السلاح من نهر المعلى منتظمين متراصين إلى التاج

وإلى باب الخاصة لا يحصيهم [323] العدد فنزل مبادراً فقال له أبو الهيجاء :

- «امضي يا مولاي فوثرية حمدان لا فارقتك أو أقبل دونك.»

ومصفاً حتى دخلا الفردوس وخرجوا من باب الفردوس إلى الرحبة، فلحقا

غلاماً لمقبل الخادم زاكياً فلما رآهما ترجّل وقالوا له :

- «من أين جئت؟»

قال . - «من باب النوبي^(٢).»

فخرج أبو الهيجاء سواده ومنطقته ودفعا إلى العلام وقال له :

- «أعطني جبتك.»

١. في الأصل غموض، وفي مط : أنا.

٢. كذا في الأصل النوبي، وفي مط النوني

وكانت عليه جبّة صوف مصرية فأعطاه إياها فلبسها وركب دابة العلام
وترك القاهرة مع الخدم وقال :

- « يا مولاي قف بمكانك حتّى أعود إليك. »
فلم يطل أبو الهيجاء حتّى عاد فقال له القاهرة :
- « ما وراءك ؟ »

فقال : « صرت إلى باب النبى ^(١) فلمنى جعفر البواب فقلت له :
- « أفتح الباب. »

فقال : « لا يمكننى لأنّ وراءه من الرّجالة والجيش من لا يُحصى لأنّه قد
جىء برأس نازوك إلى ها هنا. »
ثمّ قال للقاهر :

- « هذا أمر من السماء فعد بنا. »

ودخلا الفردوس فجالا فيه ثمّ خرجا إلى القرب من القلّاية ثمّ دخلا
الصحن الحسنى الصغير ثمّ دخلا إلى دار الأترجة وخفّ من معهما من الخدم
وبأخّر هناك فائق وجه القصعة وقال لمن وقف بوقوفه من الخدم :
- « ادخلوا إليهما فافرغوا من عدوّ مولاكم. »

فدخل نحو عشرة منهم بعضهم بنسى وبعضهم [324] بدبايس فلما رأهم
أبو الهيجاء صاح بهم وحرد سيفه ونزع الحبة الصوف التى كانت عليه، فلقها
على يده وأسرع نحوهم فأنجفلوا من بين يديه ودهشوا وسقط بعضهم فى
البركة وغشيهم فرموه صرورة، فرجع ودخل بيت ساج فى بستان دار
الأترجة، فلما حصل فى البيت خرج من كان فى البركة من الخدم وصاروا
إلى قرب البيت وأحس بهم فخرج إليهم بسيفه فركلوا بين يديه إلى جانب من

الصحن وفتحوا باباً من زاوية هذا الصحن فدخل منه خمارجويه^(١) أحد أكابر الغلمان بسيفين ودرقتين وأقبل على الخدم وقال لهم :

- «أين هو يا أصحابنا؟»

فقالوا :

- «هو في البيت الساج»

فقال لهم :

- «تحرّشوا به حتى يخرج.»

فشنموه فخرج كالجمل الهنّج وقال :

- «يآل تغلب أقتل بين الحيطان، أين الكميت أين الدهماء؟»

فرماه خمارجويه بسهم أصابه تحت ثدييه وأتبعه بسهم آخر فأصاب رعوته ورماه بسهم ثالث وقد اضطرب فشكّ فخدييه.

قال بشرى وهو الحاكي لهذه الصورة عن مشاهدته : فقد رأيت أبا الهيجاء وقد حُرب السهم الذي [325] شكّ فخدييه فقطعه وجذب السهم الذي أصابه تحت ثدييه فانتزعه ورمى به ومضى نحو البيت فسقط قبل أن يصل إليه على وجهه فأسرع إليه أحد الأسودين فحُرب يده اليمنى فقطعها وفيها السيف وأخذ السيف وغشيه الأسود الآخر فحزّ رأسه فأسرع بعض الخدم فانتزع الرأس من يد الأسود ومضى مبادراً به .

وكان الرجال لما انتهوا إلى دار مونس وسمع زعقائهم قال :

- «ما الذي يريدون؟»

فقبل له :

- «يريدون المقتدر بالله.»

١ خمارجويه: كذا في الأصل، وفي مطبوعات كمارجويه.

فقال : «سلموه إليهم».

فلما قيل للمفتدر :

- «امض معهم إلى الدار حتى تعود إلى أمرك».

خاف أن يكون حيلة عليه فامتنع فحمل حملاً على رقاب الرجال من دار مونس إلى الطيَّار ومن الطيَّار إلى درجة الصحن التسميتي حين وضع رجله في الدار صار إلى دار زيدان القهرمانة وقال :

- «ما فعل أبو الهيجاء؟»

فقبل : «هو في دار الأترجة».

فدعا بدواة فأبطأ بها العلمان ولم يزل يطلبها حتى جاءوه بها فكشِب له أماناً بخطه ودفعها إلى بعض الخدم وقال :

- «ويلك بادر به ثلثا يحدث عليه حادثة».

فلقى الحادِمَ الحادِمَ الذي معه الرأس فصاد معه فلما رآه قال له :

- «ويحك [326] ما وراءك؟»

قال : «عمر الله أمير المؤمنين».

فقال : «ويلك من قتله؟»

فخبره مفلح الأسود فقال :

- «لا أدري من قتله ولا يعرف قاتله فإن أحلاط الرجال قاتلوه».

قال : «فأنا لله».

وأقبل يكررها وقال :

- «ما كان يدخل إلي في هذه الأيام وأنا في دار مونس من يسألني^(١)

ويظهر لي الغم حتى كأنه بعض أهلي سواء. هذا إلى ما له ولأهله من

١. يسألني ... والعبارة في مخط: يسألني ويظهر لي الغم

الحقوق.»

وظهر فيه من الكآبة أمر عظيم.

فبينما هو كذلك إذ ارتفعت ضجة فتعل عن أمر أبي الهيجاء وقال :

« ما هذا؟ »

فجاءه خادم يمدو وقال :

« محمّد » - يعنى القاهر بالله .

وقد أخذ وجىء به .

فأحضر القاهر بالله فأجلسه بين يديه واستدناه ثمّ جذبته إليه وقبل جبينه

وهال له :

« يا أخى أنت لا ذنب لك وقد علمت أنّك قُهرت . »

والقاهر بارك يقول : « نفسى نفسى الله الله يا أمير المؤمنين . »

فدعّا كرّر ذلك قال له :

« وحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم لا جرى^(١) عليك سوء متى أهدأ

ولا وصل أحد إلى مكروهك وأنا حى . ولأحرصنّ على انصرافك إلى منزلك

من دار ابن طاهر في هذه الليلة فطب نفساً ولا تجزع . »

وأخرج رأس نازوك ورأس أبي الهيجاء وشهرا [327] في الشوارع ونودى

عليهما :

« هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته . »

سكون الهيج ورجوع الخلافة إلى المقتدر

وسكن الهيج وعاد أبو على ابن مفلح إلى ورائته وكسب عن المقتدر بالله

برجوع الخلافة إليه وتجديد البيعة له إلى الولاية في النواحي.

ولما تمكن المقتدر من دار الخلافة وأقرّ أباً عليّ ابن مقلّة علي ورارسه أطلق للهند البيعة. أمّا للرخالة فسّت نواب وزيادة دينار لكلّ راجل، وأمّا الفرسان فثلث رزق وزيادة ثلاثة دنائير لكلّ فارس ولما نفذت الأموال في ذلك أخرج ما في الخرائن من الكسوة وغيرها فباع ذلك ثمّ أطلق لهم بها العهد بالأشربة^(١) علي وكيل نصبه المقتدر وهو عليّ بن العباس النوبختي وأشهد علي نفسه بتوكيله إيّاه في البيع، وشرط للمبتاعين في كتب الأشربة أن يُحمّلوا في حقّ بيت المال فيما اشتروه علي معاملة الفطائع المشورة، ثمّ بيع منهم بالصلة فضل ما بين المعاملتين في أملاك الرعيّة وهو فضل ما بين الأستان^(٢) والفطيمة ووقعت لهم الشهادة بذلك عليّ عليّ بن العباس وحسبت عليهم الضياع والأملاك بأرخص الأثمان

فحكى ثابت بن سنان أنّه حضر مجلس [328] الوزير أبي عليّ ابن مقلّة ولم يكن له شغل غير الموقع للجد ببيع الضياع وفصل ما بين المعاملتين بالصلة ولا كان لأصحاب الدواوين عمل غير إخراج العبر لما يباع. وكان الناس مجتمعين عليه وهم يوقع إذ استؤذن لعليّ بن عيسى عليه فأذن له. فلما رآه قام له قياماً تاماً وأجلسه معه عليّ دسته وأقبل عليه وترك ما كان فيه، فلمّا سأله عن خبره رأى الناس منكبين عليه فقال له - «يشغل الوزير أيده الله بشغله».

وأقبل أبو عليّ ابن مقلّة على الناس يوقع لهم، فلمح عليّ بن عيسى خرجاً قد أخرج بعيرة ضياع جبريل والد بختيشوع فوجد الثمن بالإضافة إلى ما اشترى تزرأ يسيراً فقال :

١. في مط: بالأشربة.

٢. في الأصل الاستار وفي مط ومد: الاستان.

- «لا إله إلا الله، بلغ الأمر إلى هذا؟»

فترك ابن مقلة ما كان في يده وأقبل عليه فقال :

- «حدثني شيخنا أبو القاسم رحمه الله -يعني عيسى بن داود- أن المتوكل على الله لما غصب على بختيشوع المتطّيب أنفذ إلى داره لإحصاء ما في خزينته فوجد في خزانته كسوته رقعة فيها ثبت ما اشتراه من الضياع وهو بيضة عشر آلاف ألف درهم فقد آل أمرها إلى أن تباع بهذا القدر النزر، فصجبا جميعاً من ذلك وعاد ابن مقلة إلى شغله وقام عليّ بن عيسى ليصرف [329] فقام له الورير أبو عليّ كما قام لدحوله.

وفي هذه السنة حلع على أبي عليّ ابن مقلة وكُتِبَ وكُتِبَ إلى جميع السواحى

وفيها قُتِلَ أبو عمر قصاء القصاة وكُتِبَ عهده.

وفيها أوقع القرمطي بالحاجّ في البيت الحرام بعكة وقتل أميرها.

ذكر الخبر عن إيقاع القرمطي بالحاجّ وتخريبه مكة

كان منصور الديلمي تذرّق بالحاجّ في هذه السنة فسلموا في طريقهم فلما وصلوا إلى مكة وافاهم أبو طاهر الهجرى إلى مكة يوم التروية فقتل الحاجّ في المسجد الحرام وفي فجاج^(١) مكة وفي البيت قتلاً ذريعاً، وقلع الحجر الأسود، وقتل ابن محلب^(٢) أمير مكة وعزى البيت وقلع الباب وأصعد رجلاً من أصحابه ليقلع المرزاب فتردى الرجل على رأسه ومات، وأخذ أموال

١. في مط: ومن يحاج بدل «وفي فجاج».

٢. كذا في الأصل ومط محلب في مد. محلب.

الناس وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن باقيهم في مصارعهم في المسعود الحرام وغيره من غير أن يصلّي عليهم، وأخذ أسلاب أهل مكة وانصرف إلى بلده وحمل معه الحجر الأسود.

وفيها قلّد اب رائق شرطه بتعداد مكان بازوك.

ودخلت سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة [330]

وشعب الفرسان وتهّدوا بأمور عظيمة، فأحضر المقتدر قوّادهم وحاطبهم بجميل ووعدهم بإطلاق أرزاقهم في الشهر الجديد، فابصرفوا وسكنوا وشعب الرجال فاطلقت أرزاقهم.

وفي شوال مها خلع المقتدر على الأمير هارون ابنه وركب معه الوزير والجيش وكانت ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران إليه. وفي ذي القعدة مها خلع المقتدر على ابنه الأمير أبى العباس وركب معه الوزير، مونس المظفر وجميع الجند وكان مرسوماً بولاية المغرب ومونس يخلفه عليه.

ونبها صرف ابن رائق عن الشرطه وقتلها أبو بكر محمد بن ياقوت. وفي هذه السنة كان هلاك الرجال المصافيّة

ذكر السبب في هلاكهم

كان قد عظم الأمر في تسحب^(١) الرجال المصافيّة وأدلوأ بسأئهم كانوا

١. في مط تشحب

السبب في ردّ المقتدر إلى الخلافة بعد ما حُلِعَ ونقل مالهم واحتدّت مطالبتهم وكثر شعبهم وزاد نعتيهم وبلغ مالهم في كلّ شهر من شهور الأهلّة مائة وثلاثين ألف دينار. فاتفق أن شعب الفرسان وطالبوا بأوراقهم وساوشهم^(١) الرّجالة فقتل منهم جماعة وأصحّ [331] السلطان على الفرسان بأنّ المال منصرف إلى الرّحالة، فحاربوهم حتّى طردوهم من دار السلطان، وركب محمّد بن ياقوت فنادى فيهم ألاّ يقيموا ببغداد وكان من وحد منهم بعد النداء قبض عليه وأودع حبس الجرائم.

وهُدّمت دور عرفاء الرّحالة وركب في ذلك ابن ياقوت وجدد النداء فيهم ثمّ ظفر بنفر منهم فضربوا وشهّروا وقُبِضت أملاك الرّجالة المصافيّة وهُدّمت دورهم.

ثمّ هاجح السودان بباب عتار فركب محمّد بن ياقوت والقوادر الحجريّة فأوقموا بهم وضربوا الصّنع بالنار. وكانت لأبي سعيد بن حمدان فيهم نكايّة مشهورة وهربوا متفرّقين ثمّ اجتمع منهم جماعة من البيضان من رّحالة المصافيّة وغيرهم فكثّر عددهم وانحدروا إلى واسط ورأسوا على أنفسهم رجلاً من الفرسان يعرف بنصر السّاجي وطردو عمال السلطان بواسط، فاحذر إليهم مونس ووقع بهم بواسط وقتلهم فلم يرتفع لهم راية بعد ذلك.

وفيها قبض على الوزير أبي عليّ ابن مقلّة

ذكر السبب في القبض عليه

كان المقتدر متّهماً لابن مقلّة لمعاينة [332] مونس المظفر وكان مستوحشاً من مونس يظهر له الجميل، وانحرف عنه ياقوت لجميل مونس

١ في مط ومان سهم يدل «وناوشهم»

إليه. واتفق أن خرج موسى المظفر إلى أوانا^(١) متنزهاً وانحدر أبو عليّ ابن مقلّة إلى دار السلطان فتغنم المقتدر بالله فيه عيبة موسى فقبض عليه. وكان محمّد بن ياقوت معادياً له، فلما قبض عليه أنفذ إلى داره بالليل من أحرقتها^(٢).

وكان المقتدر قد عمل على أن يستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله فرح موسى من أوانا ودخل بغداد وراسل المقتدر بالله بكرامته للحسين ابن القاسم وسأله ردّ أبي عليّ ابن مقلّة، فاغتاظ المقتدر وعزم على قتل ابن مقلّة وكان السفير عليّ بن عيسى. فكان يداريه إلى أن سكه وقال
«ما ذنب وزيرك في شفاعته موسى له؟»
ولم يزل به حتى انصرف عن رأيه.

وكان المقتدر من محبته لأن يستوزر^(٣) الحسين بن القاسم، استحضره وبيّته عنده وخلق عليه ووعدّه أن يصل في غد تلك الليلة بحضرة الناس ويخلق عليه الوزارة. فلما اتصل ذلك بموسى غلط عليه أن يتفرّد المقتدر بهذا التدبير ولا يشاوره فيه وقد كان طعن عليه قديماً وقال:
«لا يصلح للوزارة.»

فتردّت الرسائل بينه وبين [333] المقتدر على لسان عليّ بن عيسى، فاستشار المقتدر عليّ بن عيسى. فأشار برّد أبي عليّ ابن مقلّة موافقة لمونس وذلك بعد أن سأله أن يتقلّدها هو فامتنع فقال المقتدر:
«هذا غير ممكن، فاذكر سواه.»

فذكر سليمان بن الحسن وأشار به أو عبد الرحمن بن عيسى. فمال

١. أوانا: بلدة من دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (مراد الإطلاح)

٢. في مط. أحرقتها

٣. في مط. لا يستوزر، بدل «لأن يستوزر»

المقتدر إلى سليمان لما كان قدّمه من الطعن على ابن مقلّة وما ظهر من عداوته له، فأمره بإحضاره وانصرف الحسين بن القاسم من دار السلطان واستتر

وكانت ملّة وزارة أبي عليّ محمّد ابن عليّ ابن مقلّة سنتين وأربعة أشهر.

ذكر ما جرى في أمر الوزارة بعد أبي عليّ
وتقلّد سليمان بن الحسن لها

أحضر سليمان بن الحسن يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى دار السلطان ولم يوصله المقتدر بالله إليه في ذلك اليوم وعاد من غد وهو يوم الخميس فوصل وخلع عليه. وتقدّم المقتدر إلى عليّ بن عيسى بالإشراف على سائر الأمور من الأعمال والدواوين وبمعاونة سليمان وآلّا يترأخى في ذلك فصار يصل مع سليمان إلى المقتدر ولا يقلّد سليمان أحداً ولا يصرفه ولا يعمل شيئاً إلّا بموافقة عليّ بن عيسى. [334]

وفيها قبض عليّ البريديين وصودروا
ذكر الخبر عن ذلك

حكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال: كان أبي يكتب لأحمد بن نصر القشوري وكان أحمد يطمع أن يُحَلَّ مكان أبيه نصر ويُستحجب. قال: فبينما^(١) نحن بين يدي أحمد بن نصر بالأهواز - وكان يتولّى أعمال المعاونة بها - إذ ورد عليه توقيع من المقتدر بالله بخطه مع ركايتي يعرفه سرّاً يقول فيه:

« يا أحمد قد عرفت ذنبك الذي جنيته وحرمت به نفسك رأيي، وقد تيسر لك تلافيه بامتنال أمرى فيما أضمته توقيعى هذا، اقبض على البريديين الثلاثة وحصلهم فى دارك، وإيتاك أن تفرح عنهم إلا بتوقيع يرد عليك بخط كهذا الخط الذى فى هذا التوقيع وثق منى بالعود لك إذا فعلت ذلك إلى ما يرفع منك ويصلح حالك ويعيد منزلتك. »

قال : فأقرأنى أحمد بن نصر هذا التوقيع وسجد شكراً لله على ثقة المقدر به وعبر فى الوقت إلى دار أبى عبد الله وأنفذ حاجبه أبا يعقوب إلى دار أبى يوسف وأنفذ أحمد بن مقبل إلى دار أبى الحسين فوجدوهم قد خرجوا قبل ركوبه بلحظة وركبوا طياراتهم. وكان الخبر قد سبق إليهم فأطهروا أنفسهم يريدون مسجد [335] الرضا المتصل بالشاذروان بالأهواز فأتبعهم وعرف أنهم ساروا إلى البصرة، فقامت قيامته من ذلك.

وأنفذ أبا يعقوب والعلمان وراءهم، فاتفق أن عصفت الريح على البريديين فمعتهم عن السير ولحقهم الطلب فأخذوا.

وبذل أبو عبد الله لأبى يعقوب خمسين ألف دينار على أن يفرح عنهم فما أجابه، ثم سأل أن يفرج عن أحد أحويه ويقبل منه عشرين ألف دينار فأبى، وردتهم وحصلوا فى دار أحمد بن نصر ولم تمض خمسة أيام حتى ارتفعت ضجة. فقال أبى أحمد بن نصر

« أخرج فاعرف ما سبب هذه الصجة. »

قال : وكان سلم إليهم داره الشطية واعتزل فى حجرة، فخرجت مبادراً فرأى أبوعبد الله فقال :

« قل له وبشره أن العرج قد أتى وأن هذا كتاب الوزير بالإطلاق وإقرارى وأن أنظر فى الأعمال. »

وأعطانى الكتاب وبادرت به إلى أحمد بن نصر فقرأه وخرج إليه وإلى

أخويه وقال :

- « هذه نعمة يلزمني فيها الشكر والصدقة والوفاء بالندر ولكن هذا خطئ أمير المؤمنين إليّ بما رسمه وأريد خطأ مثله بما ينقصه. »

فتعيرت وجوه الأخوة من ذلك واضطربوا حتى ظهر على وجوههم ما في صوبهم ثم أخذوا في مداراته ومسألته الرفق. [336]

فلما كان من العد شغب الرجال بالأهوار تعصباً لهم وقالوا :

- « لا بد من إطلاقهم. »

وحملوا السلاح وكان مع أحمد بن نصر طوائف من البصرية وعدة كثيرة من السودان والعلماء الحميرية فجمعهم ثم حلف بالطلاق أنه إن هجم على داره أحد منهم قتلهم وأخذ رؤوس الثلاثة وحملها إلى الحليفة. وقال :

- « هذا كتاب مزور وإلا فلم لا يقع ^(١) تثبت وإنما ضربتم عني الرجال وراستهم في حمل السلاح وأخذكم من منزلي لئلا ^(٢) يظهر ما زورتهم وتعقبون الخروج والهرب. »

فدعوا رؤا الصدوقه عندروا ووضعوا جنوبهم له وادسلوا الرجال فسي الإنصراف بعد أن حلفوا أنهم تبرعوا بالتعصب لهم وأقاموا بمكانهم.

ووافى بعد عشرة أيام ابن موسى دانجو بتوقيع مثل ذلك التوقيع وذلك الخط فسلمهم وحملهم وعلم أنهم كانوا زوروا واحتالوا وتأكدت الوحشة بينهم وبين أحمد بن نصر القشوري ولم يزالوا عليها حتى فرق بينهم الدهر.

ولما ورد البريديون الحضرة نواظروا على المصادرة فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسي وكان في الوقت عدواً لهم :

- « بكرت إلى أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي وقلت له . الأهواز

١ في مط. لا يقع، بدل «لا يقع».

٢ في مط. لا

[337] خطبة القاسم إليك وهي دارك ودار أخيك وأنتم تتصرفون فيها منذ ستين سنة فلم تركتموها لهؤلاء الفعلة الصنعة^(١) وهلا سعت على سحقهم وسحبهم حتى لا يبقى لهم جناح يطفرون به؟
فقال: «يا أبا زكريا ما الذي قدّره في مصادرتهم التي تؤدّهم إلى هذه الحال؟»

فقلت معظماً^(٢): «ثلاثمائة ألف دينار يزهد الله به نفوسهم»
فقال لي:

- «يا أح قم بنا حتى نعبث إلى دار الوزير»
وكان يومئذ أبو القاسم سليمان بن الحسن. فخرجت معه فنزلنا الطييار فلما وصلنا وتوسطنا السار وجدنا أبا القاسم الكلوزاني في جانب منها والبريديين بين يديه والكتاب. فقال لي أبو جعفر:
- «تري أن نقضى حقّه ونعرج عليه ونعرف الصورة من أمرهم فنبنى ما نخطب الوزير به بحسبه^(٣)؟»

فقلت: «صواب»

فعدلنا إلى أبي القاسم وحلّسنا عنده فقال لأبي جعفر:
- «قد فصلنا أمر أصحابها وأنت وجه الحضرة وتاجها وخزنها وهم أخوتك وما أحقّك بمعتوثتهم؟»

فقال: «إنّ أيسر ما يكون لهم أيّدهم الله مشاركتهم في المحنة فأما المعونة فما أقتع من نفسي بها فعلام انفصل أمرهم؟»
فقال: «على تسعة آلاف ألف درهم».

١ في مط: العمل الصنعة، بدل «الفعلة الصنعة»

٢ في مط: فقلت معظماً: ...

٣ به يحسبه: كذا في الاصل، وفي مط: فحسب.

قال أبو زكريا: [338] فنظر إلى أبو جعفر وقد بُهت. ونهضا فقال: «يا أبا زكريا هذا خلاف ما كان عندك.»

فقلت: «هذا الأمر يُراد والله ما يصكون هذا المال فإنني أعرف بمكاسيهم ولكن لأبي^(١) عبد الله نفس أبيّة وهمة عليّة فعرفت نفسه على سبطانه فأعطاه أكثر ممّا أطمع فيه وممّا سعى به أعداؤه مترصاً بالأيّام والأدواب ومتوقّعا الدوائر وإن يسمع الحليّة التزامه هذا المال أجليل فيستكثر قدره ويرغب في تجديد الصنيعة عنه وما كلّ أحد يغرّر هذا التغرير وما هذا آحر أمره وسيكون له شأن عظيم كما نأ الله شرّه»

قال أبو زكريا: وعدت مذ ذلك اليوم إلى مداراته وخدمته واستصلاحه.

مناظرة أبي علي بن مقلة

وتقدّم المقدر بالله إلى سليمان بن الحسن وأبي الحسن عليّ بن عيسى بمناظرة أبي عليّ بن مقلة فاختارا لذلك أحمد بن محمد بن صالح الفكري وأنفذه إلى دار السلطان فناظره ولم يزد على توبيخه ومواقفته على قبيح آثاره.

فالتمس أبو عليّ ابن مقلة أن يكون المناظر له عليّ بن عيسى. فاجتمع الوزير سليمان وعليّ بن عيسى على مناظرته في دار الحبيبة بحضرة ياقوت الحاجب، فاعلظ له سليمان في الخطاب [339] والنحطة والإحتقار ونسبه إلى التصريب بين اسلطان وأوليائه إلى أن قرّر عليّ بن عيسى أمره على مائتي ألف دينار على جمل^(٢)، يُعجل منه النصف ويؤدّي الباقي في سجوم المصادراب، وكانت تلك السجوم إمّا هي رسم لا يطالب من يؤخذ خطه بها.

١ في مط: أبا. بدل «لأبي».

٢ جُمِلَ: وفي الأصل: جميل، والكلمة ساقطة من مط، فأثبتناها كما أثبتت في مد.

فكتب مونس المطّفر إلى المقتدر يشفع لابن مقلّة ويسأله أن يعفيه من المصادرة وأن يكون معتقلاً في يد مرشد الحادم فأجابته إلى ذلك.

ودخلت سنة تسع عشرة وثلثمائة
وفي هذه السنة استوحش مونس المطّفر زياده استيحاش.

ذكر السبب في استيحاش مونس وخروجه

كان محمّد بن ياقوت منحرفاً عن سليمان ومائلاً إلى الحسين بن القاسم ومونس المطّفر، وأسبابه^(١) يميلون إلى سليمان لمكان عليّ بن عيسى وثقتهم به وينصرفون عن الحسين بن القاسم. وقوى أمر محمد بن ياقوت وقدّ مع الشرطه الحسبة [بيغداد]^(٢) واستنضمّ رجالاً وقويت بهم شوكته فشقّ ذلك على مونس وسأل المقتدر صرفه عن [340] الحسبة وتقليد ابن بطحاء ففعل ذلك

وتقدّم مونس إلى أصحابه بالإجماع إليه، فلما فعل ذلك جمع ياقوت وابنه الرجال في دار السلطان وفي دار محمّد بن ياقوت. وقيل لمونس إن محمّد بن ياقوت قد عمل على كبس داره بالليل وما قارقه أصحابه حتّى أخرجوه إلى باب الشماسيّة وخرجوا معه وصار إليه عليّ بن عيسى فعزّقه خطأ هذا الرأي وأشار عليه بأن يعود إلى داره فلم يقبل منه وأقام على أمره. وطالب بصرف محمّد بن ياقوت عن الحسبة والشرطه وياقوت عن الحجة وإيمادهما عن الحضرة، فوجّه المقتدر قاضي القضاة أبا عمر وابنه الحسن وابن أبي الشوارب وجماعة من شيوخ الهاشميين أصحاب المراتب

١. وفي مط اشباه

٢. الزيادة من مط.

إلى مونس برسالة يرفق فيها وبسأله الرجوع إلى داره، فقال قاضي القضاة:
 - «ألوجه أن يكتب رفعة بما حملناه من الرسالة نرجع إليها ونثنى الكلام
 على معانيها، فإننا جماعة والقول يخلف ولنسيان غير مأمون.»
 فقال الوزير:

- «وما معنى هذا؟»

فقال علي بن عيسى:

- «هذا هو الصواب.»

وكتب بذلك رفعة.

وقعد الوزير وعلي بن عيسى في دار السلطان ينتظران عود الجماعة،
 فعادوا وذكروا أنهم [341] لم يصلوا إلى مونس وأنهم أجلسوا في الحديدى
 وراسلهم مونس في إعلامه بما وردوا فيه فذكروه له فصار إليهم كتابه
 يخاطبونهم خطاباً جميلاً عنه.

فبيئاً^(١) هم كذلك إذ هجم الجيش على الحديدى فكادوا يفرقونه وقالوا:

- «لا نرضى إلا بإخراج ياقوت وابنيه»

وتكلموا بكلام قبيح فراح في آخر النهار الوزير سليمان بن الحسن وعلي
 بن عيسى ومن معهما من لخدم الحاضرة إلى باب الشماسية فشافوها مونساً
 بالرسالة فلم يبعد^(٢) عليهم وخرجوا من عنده فقبض عليهم عند مغيب
 الشمس وحبسهم في الحديدى.

فخرج ياقوت في تلك الليلة ونزل المدائن ومعه ابنه فلما كان من غد
 ذلك اليوم وعرفت المونسية أن ياقوتاً وابنيه قد خرجوا عن الحضرة أفرجوا

١. في الأصل ومط. فيينا والمثبت في مد: فيينا. وكلاهما صحيح، إلا أن الترجيح
 ليس من مرجع.

٢. كذا في الأصل ومط وممد فلم يبعد وفي حاشية مد: لم يبتد.

عن الوزير والجماعة وانصرفوا إلى منازلهم.

وقلّد المقتدر ياقوتاً أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان وكتب إلى أبي طاهر محمد بن عبد الصمد بالإنضمام إليه وانضم إليه وحاطبه بالأستاذية. وقلّد المطر بن ياقوت إصبهان وتقلّد ابنه رائق إبراهيم ومحمد. مكان ياقوت وأقام ياقوت بشيراز مدة وكان علي بن خلف [342] بن طناب^(١) متضمناً أموال الضباع وإخراج بها غنظافروا وتعاقدوا فقطعا الحمل عن السلطان إلى أن ملك علي بن يويه الديلمي فارس يوم السبت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وفيها دخلت قواغل الحاج من مكة سالمين مع مونس الوراقاني فاستبشر الناس بتمام الحج وانفتح الطريق وضربت له القباب ببغداد

وفيها قبض على الوزير سليمان بن الحسن

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن سليمان أخلاق إضاعة شديدة وكثرت عليه المطالبات وبلغ واتصت الرفاع ممن يلتزم الوزارة بالسعية فقبض على سليمان بن الحسن وأبى القاسم عميد الله بن محمد الكلوزاني فشق^(٢) من ذلك وجزع جزعاً عظيماً وحمل إلى دار السلطان.

وكان المقتدر شديد الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة فامتنع عليه مونس وأشار بتقليد الكلوزاني فاضطر المقتدر إلى تقليده. وكانت مدة وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين وأياماً.

١. طناب: كذا في الأصل؛ طناب وما في مطبوع في الثاني، والمعنى في مد: طناب

٢. فشق: كذا في مطبوع؛ فشق، والأصل غير واضح.

استحضار الكلوداني لتقليده الوزارة

واستحضر المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوداني من دار مونس يوم السبت لخمس بقين من رجب وخرج إليه [343] مفلح برسالة المقتدر بأنه قد قلّده وزارته ودواوينه ولم يوصله إليه وتقدّم إليه بأن ينحدر إليه يوم الإثنين ليخلع عليه. فحاف الكلوداني من حيلة تتمّ للحسين بن القاسم في تقلّده الوزارة لأنّه بلغه أنّ الحسين قد جدّ بعد القبض على سليمان وراسل مونساً المظفر وقال:

« لا يؤمن أن يحتجّ الخليفة في تأخّر الخلع على الكلوداني بأنّه لم تعد له الخلع. »

وأشار بأن يوجّه مونس بخلع من عنده إلى دار السلطان ليخضعها عليه، ففعل مونس ذلك وخلع المقتدر على أبي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوداني يوم الإثنين وخاصبه بتقليده الوزارة والدواوين وتقدّم إليه بأن يقلّده الحسين بن القاسم ديواناً جليلاً ليظهر ويحول عنه الأراجيف بالوزارة

ووصل عليّ بن عيسى بوصول الكلوداني فأمره المقتدر بحضرة الكلوداني بأن يجرى على عادته في الإشراف على الأمور والحضور معه وعرفه أنّه قد أفرده بالنظر في المطالمة دون الكلوداني فركب الكلوداني في الخلع من دار السلطان إلى داره فأخذ خطّ سليمان بن الحسن بعائتي ألف دينار.

وقدم أبو الفتح الفضل بن جعفر [344] من الشام وأبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله من بواسط جند قنسرين والعواصم وكان أبو الفتح مصرفاً إلى ناحية قومس فأشار مونس بتقليده ديوان السواد فقلّده الكلوداني مكرهاً وانقطعت بتقليده موادّ كانت تصل إلى الكلوداني وأبى الفياض من أرزاق قوم

لا يحضرون^(١) وتسييات بأسماء قوم لم يخلقوا وما كان يسبب للغلمان والوكلاء في الدار والحاشية برسم الفقهاء والكتاب وما كان يستطلق لهم من الورق والفراطيس ويباع ببعضه ما يحتاج إليه وأشياء تشبه هذه ولم تبسط يد^(٢) الكلوداني على قوم لعناية مونس المظفر بهم.

وكان أبو بكر ابن قرابة متحققاً بمفليح الأسود فأرسله مفليح إلى المقنن وجعله واسطة للمرافق التي أحلق بها الخلافة. وكان ابن قرابة ذكر له أن الوزراء كانوا يرفقون بها وأن الضمنا قد بذلوا أن يرفقوا به الخليفة ليصرفه في مهم نفقاته لشدة الإضاقة.

وكان ابن قرابة يُظهر للمقنن ولمفليح الأسود أنه يمشي أمر الوزارة وأن الوزراء لا يتم أمرهم من دونه وكان يلزم دار الكلوداني ويقرضه عن [345] بني البريدي وغيرهم بربح درهم في كل دينار فأقرضه مائتي ألف دينار مشي بها أمر الكلوداني وبعمال المصادرات.

مرداويج يملك الجبل بأسره

وفيها ورد الخبر بوقوعه كانت بين هارون بن غريب وبين مرداويج بنواحي همدان وأن هارون انهزم وملك مرداويج الجبل بأسره إلى حلوان^(٣) ونزل هارون بدير العاقول.

قصد لشكري الديلمي إصبهان

وفيها قصد لشكري الديلمي إصبهان وخاربه أحمد بن كيغلغ فانهزم أحمد

١. في الأصل ومد: لا يحضرون، وفي مد: لا يحضرون.

٢. في مط: ولم يبسط الكلوداني، بدل «ولم تبسط يد الكلوداني».

٣. في مط: حلوان.

وملك لشكري إصبهان وهذا لشكري من أصحاب أسفار بن شبرويه، فلما قصد هارون بن غريب ابن الخال أسفار استأمن إليه لشكري، ثم لما انهزم ابن الخال انهزم لشكري بانضمامه إلى قنسرين، فلما تأهب ابن الخال ثانياً وجّهت إليه العساكر من بغداد لحرب مرداويج أنفذ لشكري إلى نهاوند من الدينور مع جماعه من العلماء لحمل مال إليه ورسم أن يحمل المال إلى همدان ويقيم بها حتى يلحقه هناك فلما صار لشكري إلى نهاوند رأى يسار أهلها وكثرة أموالها وطمع فيهم وصادرهم على نحو ثلاثة آلاف ألف درهم واستخرجها في مدة أسبوع وأثبت جنداً ثم خرج إلى الكرج ففعل مثل ذلك.

[346]

وأتصل الخبر بابن الخال فطلبه فرحل من بين يديه وسار حتى وقع إلى صبهان والوالى عليها أبو العباس أحمد بن كيغلق.

ذكر اتفاق حسن لأحمد بن كيغلق

بعد هزيمته ودخول أصحاب لشكري إصبهان

حكى أبو الحسن المافروخي أنه كان بإصبهان في الوقت وأن أحمد بن كيغلق انهزم أقبح هزيمة ثم لحاً إلى بعض القرى في ثلاثين نفساً معه وراء حصنها

ودخل أصحاب لشكري إصبهان ونزلوا في الدور والحانات^(١) والحمامات وتأخر لشكري بنفسه عن العسكر ثم سار قليلاً ونزل عن دابته لإهراق ماء فرأى كوكبة أنكرها وقال :

« ما هذه ؟ »

١. كذا في الأصل ومد؛ الحانات وفي مطبوعات الحانات (بالحاء المهملة).

فَقِيلَ : « شَرْدُمَةُ مِنَ الْكَيْفَلْغِيَةِ » .

فَرَكِبَ فِي الْوَقْتِ يَرِيدُهَا فَلَمَّا قَرِبَ مِنْهَا أَسْرَعَ أَحْمَدُ بْنُ كَيْفَلْغٍ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهُ هُوَ فِتْنَاوِشَا وَكَادَ لَشَكْرَى يَسْتَأْسِرُهُ فَحَرَجَ أَهْلَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ فَزَعَقُوا بِهِ فَضَعُفَتْ نَفْسُ لَشَكْرَى وَتَقَارَبَ هُوَ وَأَحْمَدُ فَصْرَبَهُ أَحْمَدُ بِسَيْفِهِ ضَرْبَةً قَدُ الْمَعْطَرِ وَالْخَوْذَةِ وَنَزَلَ السَّيْفُ فِي رَأْسِهِ فَقَتَلَهُ وَخَرَّ لَشَكْرَى سَاقِطاً فَنَزَلَ أَحْمَدُ إِلَيْهِ وَخَرَّ رَأْسُهُ وَعَرَفَ أَصْحَابُهُ الْخَيْرَ فَطَارُوا [347] هَارِبِينَ وَكَانَ فَتْحاً طَرِيفاً وَاتِّفَاقاً عَجِيباً . وَكَانَتْ سَنَ^(١) أَحْمَدَ بْنِ كَيْفَلْغٍ يَوْمَئِذٍ تَحَاوِزُ سَبْعِينَ سَنَةً . وَفِيهَا صُرِفَ الْكَلُودَانِي عَنْ الْوَرَارَةِ وَقُلِّدَهَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ .

ذَكَرَ السَّبَبَ فِي تَقْلِيدِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ

الْوَرَارَةَ وَمَا تَمَّ لَهُ مِنَ الْحِيلَةِ فِيهَا

كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ زَنْجِيٍّ يَحْكِي فِي تَوْصُلِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ إِلَى الْوَرَارَةِ خَبِراً طَرِيفاً وَيَقُولُ : كَانَ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ يُعْرِفُ بِأَبِي الْجَمَالِ وَكَانَ لِي صَدِيقاً يَسْكُنُ^(٢) إِلَيَّ وَيَسْتَدْعِينِي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ مُسْتَقَرّاً فِيهِ وَبِشَاوَرَتِي فَالَزِمَنِي بِذَلِكَ حَقّاً وَحَرَمَةً فَاحْتَدَتُ فِي السَّعْيِ لَهُ وَالتَّوَصَّلَ بِكُلِّ سَبَبٍ وَحِيلَةٍ إِلَى أَنْ تَقْلُدَ الْوَرَارَةَ .

فَكَانَ مِنْ أَنْحَمَ مَا عَمِلْتُهُ أَبٌ رَحِلاً بِمَدِينَةِ السَّلَامِ يُعْرِفُ بِالدَّانِيَالِيِّ كَانَ يَلْزِمُنِي وَيَبِيتُ عِنْدِي وَيُخْرِجُ إِلَيَّ بَسْرَهُ^(٣) وَيَحْدِثُنِي أَنَّهُ يَطْهَرُ كِتَاباً يَنْسِبُهَا إِلَى دَانِيَالٍ بِخَطِّ قَدِيمٍ وَيُودِعُ تِلْكَ الْكُتُبَ أَسْمَاءَ قَوْمٍ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ عَلَى حُرُوفٍ مَقْطَعَةٍ إِذَا جُمِعَتْ فَهَمَّتْ وَاسْتَوَى لَهُ بِذَلِكَ جَاهٌ وَقَامَتْ لَهُ بِهِ سَوْقٌ .

١ . فِي مَطْنٍ .

٢ . وَفِي مَطْنٍ . فَشَكِي .

٣ . وَفِي مَطْنٍ : وَيُخْرِجُ إِلَيَّ بَسْرِي .

ووصلت إليه جملة من القاضي أبي عمر وابنه أبي حسين ووجوه الدولة وغلب على مفلح واختص به [348] لأنه عرفه أنه وجد في الكتب أنه من ولد جعفر بن أبي طالب فجاز ذلك عليه ووصل إليه منه بر كثير.

فافتح لي أن سألته إثبات فصل في كتب يكتبها بشرح ما أسأله فأجابني إلى ذلك فوصفت به الحسين بن القاسم واقتصرت من وصفه على ذكر قامته وآثار الجدرى في وجهه والعلامة التي في شفته العليا وخفة الشعر هناك وأنه إن وزر للثاني عشر من خلفاء بني العبّاس استقامت أموره كلها وعلا على أعدائه وافتتحت البلاد على يده وعمرت الدنيا في أيامه.

ودفعت النسخة إلى الدانيالي وواقفني على عمل دفتر يذكر فيها أشياء ويحل هذا الباب في تضاعيفها فسألته تقديم ذلك ولم أزل أطلبه حتى أعلمني أنه لا يستوى على ما يريد حتى لا يشك في قديمه وعتيقه في أقل من عشرين يوماً وأنه يحتاج أن يجعله في الثين أياماً ثم يجعله في الحف ويمشي فيه أياماً وأنه يصفر ويعتق.

فلما بلغ المبلغ الذي قدر صار إلي وهو معه وأرانيه فوصت على الفصل ورأيت دفترًا لو لا ما عرفته من الأهل فيه لحلفت على أنه قديم [349] لا شك فيه.

ومضى بذلك إلى مفلح فقره عليه في جملة أشياء قرأها، فقال له مفلح :
- «أعد عليّ هذا الفصل».

فأعاده. ومضى مفلح إلى المقندر بالله فذكر له ذلك فطلب الدفتر منه فأحضره إياه فقال له :

- «من تعرف بهذه الصفة؟»

وأقبل المقندر يكررها فذكر مفلح أنه لا يعرف أحداً بها وحرص المقندر على أن يعرف إنساناً يوافق هذه الصفة صفته. فقال مفلح :

- «لست أعرف بهذه الصفة إلا الحسين بن القاسم الذي يقال له: أبو الجمال».

فقال له المقتدر:

- «إن جاءك صاحب له برقة فخذها منه وإن حثك رسالة فعرّفها واكنم^(١) ما يحرق في أمره ولا تعلم أحداً به».

وخرج مفلح إلى الدانيالى فقال له:

- «هل تعرف أحداً بهذه الصفة؟»

فأنكر أن يعرف ذلك وقال:

- «إنما قرأت ما وجدته في كتب دانيال ولا علم لي بغير ذلك».

وانصرف إلى فحدثني بهذا الحديث فقممت من فوري إلى الحسين بن القاسم فأعدته عليه فسرّ به غابة السرور وابتهج نهاية الإبتهاج وظهر في وجهه استبشار عظيم وقال لي:

- «اعلم أن أبا بشر الكاتب [350] كان أمس عند مفلح برسالة لي إليه

فانصرف كاسف البال طاهر الإلتخال معمولاً بما شاهدته من إعراضه عني».

فمئني ذلك. فقلت:

- «الآن يتبين لنا صدق الدانيالى من كذبه. ابعت بأبي بشر في غد إلى

مفلح برسالة منك فأبّه سينبش له فيما يعامله به صحتة ما حكاه من بطلانه».

فدعا أبا بشر النصراني كاتبه وحمله إليه رسالة ووكد عليه في البكور

إليه. فلما كان من غد آخر النهار مضيت إليه أتعرّف خبره وما جرى، فدعا

أبا بشر وقال له:

- «أعد عليه خبرك».

فأعلمني أنه دخل إليه وفي مجلسه جماعة فرفعه عليهم فاجلسه إلى جانبه وأقبل عليه يحدثه ثم استدناه وسأله سرّاً عن خير الحسين بن القاسم واستمع رسالته وقال :

« تقرأ عليه سلامي وتعرفه تكفلي بأمره وقيامي به. »

وكلاماً في هذا المعنى. وأن ينفذ إليه رقعته^(١) ليوصيها وينوب عنه. قال لي أبو بشر : وانصرفت وأنا في نهاية قوة النفس والثقة بالله عز وجل وبتمام ما يسفر فيه. فأعلمت الحسين أن الرجل قد صدق فيما ذكره وقد بان لنا أثره.

قال : [351] ثم إن الداني طالبنى بالمكافأة فطّبت نفسي واستمهلت إلى أن تقلد الحسين الوزارة فأذكرته حق الرجل فقلده الحسبة ببغداد وأجرى له مائة دينار في كل شهر واختص به وكان يحضر مجلسه فيجلسه إلى جانب مسورته. ثم مضت أيام فقال :

« لا يقنعني ما أجرى لي »

وسأل زيادة. فكلمت الحسين بن القاسم في أمره فأجرى له مائة دينار أخرى تسبب برسم الفقهاء.

وكان ما ذكرته من حديث الداني من أوكد الأسباب في تقليد الحسين الوزارة مع كثرة الكارهيين له والمعارضين في أمره.

وأضاف إلى هذا الخبر^(٢) الذي أخبر به أبو القاسم ابن لزنجي أن الكلوداني عمل عملاً لما يحتاج إليه من مهم النفقات وأخذ خط صاحبي ديوان الجيش والنفقات بأعمال آخر مفردة عملوها لما يحتاج إليه بزيادة

١. في مط : رقعة ، والأصل مطموس غير واضح بعد الحرف الثاني.

٢. والمبارة في مط. وأيضاً فهذا الخبر الذي

مائتي ألف دينار على ما عمل هو حتى تبين^(١) للمقتدر بالله وقوع الاحتياط منه فيما عمل واقتصر عليه فكان العجز سبعمئة ألف دينار وعرض ذلك على المقتدر وقال له :

- « ليس لي معول إلا على ما يطلقه أمير المؤمنين [352] لأنفقته. »

فقطم ذلك على المقتدر. فلما بلغ الحسين بن القاسم خبر العمل الذي عمله الكلوداني كتب رقعة إلى المقتدر يضمن فيها القيام بجميع النفقات من غير أن يطلب منه شيئاً وأنه يستخرج سوى ذلك ألف ألف دينار يكون في بيت مال الخاصة.

فأخذ المقتدر رقعته إلى الكلوداني وقال :

- « هذه رقعة فلان ولست أسومك إلا استظهار بالمال وما أريد منك إلا القيام بالنفقات فقط. »

فقال الكلوداني :

- « قد يجوز أن يتم لهذا الرجل ما لم يتم لي. »

وسأله تقليد من^(٢) ضمن هذا الضمان بأعفاء من الأمر فلما وقف المقتدر على تبليغ الكلوداني وحصل في نفسه ما بذله الحسين بن القاسم عمل على أن يستوزره وأعلم شدة كراهية مونس المظفر لذلك فراسله على يد مصلح بأن يجتهد في إصلاح أعدائه فاستدأ الحسين يسي رائق فكان^(٣) يمضي بنفسه إلى كاتبهم إبراهيم النصرائي ويضمن لهم الصمانات حتى صلحوا له ثم فعل ذلك بأبي نصر الوليد بن جابر كاتب شفيع ثم فعل مثله باصطف بن يعقوب كاتب مونس وقال له :

١. في مط: ينس المقتدر. بدل «تبين للمقتدر».

٢. في مط: في بدل «س».

٣. في مط: فقال. بدل «فكان».

«إِنْ تَقَلَّدْتُ الْوِزَارَةَ فَأَنْتَ قَلَّدْتِهَا.»

فأشار عليه بملازمة أبي علي يحيى بن عبد الله الطبري كاتب يلبق بفعل ذلك. وكان يلبق قد سمع أنه منهم في دينه شرير فجمع أبو علي الطبري بينه وبين يلبق حتى حلف له الحسين بكلّ يمين يحلف مسلم ومعاهد إته مكنوب عليه في كلّ ما يطعن به عليه في دينه أولاً ثم في عداوته لمونس وخاصته وأصحابه لا ينوي لأحد من الناس سوء ولا يأخذ الأموال إلا من بقايا صحبة علي تجار بلا^(١) كسروا مال السلطان من أثمان العلات ومن ضمناء قد ربحوا ربحاً عظيماً.

وضمن الحسين ليلبق ضياعاً جليلاً كذلك لكاتبه فسمي له يلبق وسأل مونساً في أمره وسأل موسى المعتذر فتقرّرت الوزارة له وبلغ ذلك الكلوداني فواصل الاستعفاء.

وأنفق أن دخل خمسمائة فارس كانوا مقيمين بالجبل في ماء الكوفة وحلوان وهذه نواح لم يتعلّب عليها مرداويج وكانت أرزاقهم قد تأخرت فطالبوا الكلوداني وأمرهم الكلوداني بالرجوع ليقف فيهم هناك فلم يسمعوا ورجعوه بالآجر وهو يصرف في طيّاره فجعل ذلك حجة وأغلق بابه وحلف علي أنه لا ينظر في أعمال [354] الوزارة.

فكانت مدة وزارته شهرين وثلاثة أيام

وزارة الحسين بن القاسم

وكتب المعتذر إلى الحسين بن القاسم توقيعاً بتقليد الوزارة وركب إليه وجوه الكتاب والعمال والقواد وبلغ ذلك أبا المتح المفضل بن جعفر فصار إليه

مع قاضي القضاة أبي عمر محمد بن يوسف وبينه والقاضي ابن أبي الشوارب وكتب عن المقتدر بخبر نقله الوزارة إلى خراسان وجميع السراحي والأطراف وكان تقلده للوزارة يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان فعدل عن الجلوس للتهنئة وتشاغل بالنظر في أمر المال وما يحتاج إليه في نفقة العيد ولرمة الفضل بن جعفر وهشام بن عبد الله لأنهما كانا يتوليان ديوان المشرق ورماعه وديوان بيت المال وأخذ خطوط عدة من العمال^(١) والضمان بسبعين ألف دينار.

وصار إليه علي بن عيسى آخر النهار فهأه وقد كان الحسين شرط لنفسه ألا يظفر علي بن عيسى في شيء من الأمور ولا يجلس للمظالم فأجيب إلى ذلك. وتبسط كاتب بني رائق وكل من كان سعى له في الوزارة في طلب الأموال حتى قبضوا على شذاعة وردت من الأهوار [355] فيها مال الأهواز وإصبيان وفارس. فكتب الحسين الوزير إلى المقتدر يشكو هذه الحال فلم ينكر كل الإنكار. فوقع الاتفاق بين الحسين وبين أبي رائق علي أن يأخذوا من المال النصف ويصرفوا عن الباقي ففعلوا ذلك.

وكانت دمية جارية المقيند^٢ حطية عنده وكانت توصل رقاع الحسين إلى مولايها وتقوم بأمره فحمل إليها جملة عظيمة من المال وبعث إلى أبيها وهو الأمير أبو أحمد إسحاق أيضاً جملة. واستأذن المقتدر أن يستكتب له ابنه القاسم بن الحسين فأذن له في ذلك وضمن لدمنة أن تحمل إلى أبيها^(٣) في كل يوم مائة دينار وتدفع عن صرفه.

واختص به بنو البريدي وأبو بكر ابن قرابة وغدّم له جملة من المال عن الصماء بربح درهم في كل دينار على رسمه. واختص به من القواد جعفر

١. في مطب العلماء. بدل «العمال».

٢. في مطب إلى أبيها.

بن ورقاء وأبو عبد الله محمد بن خلف النيرمانى وقيل له أعمال الحرب والخراج والضباع يخلوان ومرج الفلعه وماء الكوفة وألسه القباء والسيف والمنطقة وتسمى بالأمانة وخطب بها وضمن أن يجمع الرجال ويفتح أعمال كور [356] المشرق ويتزعمها من يد مرداويج.

وكان قد احتجج أموال السلطان من بقايا ضمان كانت^(١) عليه فى أيام سليمان بن الحسن لأعمال الضباع والخراج الخاصة والعامة وكانت جملة عظيمة. وكان تقلد كرمان فى بعض الأوقات واستخرج من مالها شيئاً كثيراً فحملها وانصرف فكتب صارقه أنه ما أنفق منها درهماً واحداً وأنفقت له أشياء تجرى هذا المجرى.

وتجرد الحسين بن القاسم لإخراج على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن إلى مصر والشام فراسل المقتدر على بن عيسى فى ذلك ودفع عنه موسى المظفر وقال :

« هذا شيخ يرجع إلى رأيه ويُعضد بمكانه. »

إلى أن تقرّر أمره على أن يخرج إلى الصافية فخرج وأبتدأ مونس فى الإستباحتين والتكر فى يوم السبت لثلاث خلون من ذى الحجة.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك ما بلعه من اجتماع الوزير الحسين بن القاسم مع جماعة من الفؤاد على التدبير عليه. وبلغ الحسين تنكر مونس له وأنه عزم على كبسه بجماعة من خواصه

١. فى مط. كاتب، بدل « كانت ».

فى الليل للقبض عليه [357] فنقل فى مدة عشرة أيام فى نحو عشرة مواضع وكان لا يعرف له دار ولا موضع يلقاه فيه أحد وكان لا تلقاه أصحاب الدواوين إلا إذا طلبهم ثم ختم الأمر بأن أقام فى دار الخليفة. وراسل مونس المطر المقتدر بالله فى صرف الحسين بن القاسم عن الوزارة فأحابه إلى صرفه والتقدم إليه بلروم مزله فلم يسق مونس بذلك وطالب بالقبض عليه ونفيه إلى عُمان فامتنع المقتدر من ذلك وترددت بينهما فيه رسائل.

وأوقع الحسين بن القاسم للمقتدر أن مونساً قد عمل على أخذ الأمير أبى العباس من داره بالمخزم والخروج به إلى مصر والشام ليعقد له الأمر فى الخلافة هناك وأشار يرد الأمير أبى العباس إلى داره من دار الخلافة ففعل المقتدر ذلك. ووقف الأمير أبو العباس على ما فعله الحسين ابن القاسم فحقد عليه فى نفسه إلى أن أفضت إليه الخلافة فأنزل به من المكروه ما سنشرحه فى موضعه إن شاء الله.

وكتب الحسين بن القاسم إلى هارون بن غريب وهو بدير^(١) العاقول بعد هزيمته من بين يدي مرداويج بالمبادرة إلى الحضرة فرادت وحشة مونس بهذه الأحوال وصح عنه أن الحسين بن القاسم [358] فى تدبير عليه فخرج من داره الخمس خلون من المخزم وجلس فى حديدى وامتد إلى باب الشماسية وخرج أكثر رجاله وضربوا مضاربهم هناك.

وكتب مونس إلى المقتدر بأن مفلحاً الأسود مطابق للحسين بن القاسم فى التدبير عليه وأن نفسه لا تسكن إلا بإنفاذ مفلح إليه ليعلمه أجل الأعمال ويخرج. فكتب المقتدر بأن مفلحاً حادماً يتق به فى خدمته وأنه ليس ممن

١. وفى موطأ: بدير للماتول. قال فى الراصد: بين مذات كسرى والتعانية، كان، وأنا الآن فسقد بعدت دجلة عند وكان عنده بلد عامر وأسواق أيام عمارة النهروان، وأظنه من شرقى دجلة.

يَدْخُلُ نَفْسَهُ فِيمَا ظَنَّهُ بِهِ وَيَبْلُغُ مُوَسَّأً أَنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ جَمَعَ الرِّجَالَ وَالْعُلَمَاءَ
الْحَجَرِيَّةَ فِي دَارِ السُّلْطَانِ وَأَنَّهُ قَدْ اِهْتَبَأَ بِالنَّفَقَةِ فِيهِمْ وَأَنَّ هَارُونَ بْنُ عَرِيبٍ قَدْ
قَرَّبَ مِنْ بَغْدَادَ فَأُظْهِرَ الْعَصَبُ وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَوَجَّهَ بِبَشْرَى خَادِمِهِ لِيُؤَدِّيَ
رِسَالَةَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ. فَلَمَّا حَصَلَ بِبَشْرَى فِي دَارِ السُّلْطَانِ بِحَضْرَةِ الْحُسَيْنِ ابْنِ
الْقَاسِمِ قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ :

« هَاتِ الرِّقْعَةَ الَّتِي مَعَكَ. »

فَقَالَ لَهُ :

« لَيْسَ مَعِيَ رِقْعَةٌ وَأِنَّمَا مَعِيَ رِسَالَةٌ. »

قَالَ : « فَتَذَكَّرْهَا. »

فَقَالَ : « قَدْ أَمَرْتُ أَلَّا أَذْكُرَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ. »

فَوَجَّهَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَعَرَّفَهُ ذَلِكَ فَوَجَّهَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى بَشْرَى
يَأْمُرُهُ أَنْ يُؤَدِّيَ الرِّسَالَةَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَمَالَ بِبَشْرَى :

« حَتَّى أَمْضِيَ وَأَسْأَلِ صَاحِبِي [359] فِي ذَلِكَ وَأَعُودُ »

فَشَتَمَهُ الْحُسَيْنُ وَشَتَمَ صَاحِبَهُ وَأَمَرَ بِهِ فُقُبْضَ عَلَيْهِ وَضُرِبَ بِالْمِقَارِعِ وَقَالَ :

« لَا أَرْفَعُ عَنْكَ الضَّرْبَ أَوْ تَكْتُبُ خَطِّكَ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. »

فَكُتِبَ وَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْخَبِيرِ ثُمَّ وَجَّهَ لِلْوَقْتِ إِلَى دَارِهِ وَقُبْضَ عَلَى امْرَأَتِهِ
وَصَادَرَهَا وَحَمَلَهَا فِيهَا.

وَلَمَّا بَلَغَ مُوَسَّأً مَا جَرَى عَلَى خَادِمِهِ بِبَشْرَى اِمْتَدَّ وَأَصْعَدَ وَمَعَهُ مَنْ كَانَ
بِرِسْمِهِ مِنْ قَوَّادِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَكُتِبَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ إِلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ
الْقَوَّادِ وَالْعُلَمَاءِ بِالْإِنْصِرَافِ عَنْهُ وَالْمَصِيرِ إِلَى بَابِ السُّلْطَانِ، فَاِنْصَرَفَ عَنْهُ
جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَمَضَى مُوَسَّأٌ فِي حَوَاصِّهِ وَغُلَمَائِهِ مُسْرِعاً إِلَى الْمَوْصِلِ وَوَقَعَ
الْحُسَيْنُ بِقُبْضِ أَمْلَاقِ مُوَسَّأٍ وَضِيَاعِهِ وَضِيَاعِ أَصْبَاحِهِ وَأَفْرَدَ لَهَا دِيواناً سَمَّاهُ

ديوان المخالفين وردّه إلى معتمد بن جنى^(١).

وراد معلى الحسين بن القاسم عند المقتدر وأنفذ إليه طعاماً من بين يديه وأمر بأن يكفى ويلقب عميد الدولة وأن يضرب لقبه على الدنانير والدراهم، ففعل ذلك وخبع عليه يوم الاثنين لأربع بقين من المحرم وأنشأ في ذلك كتاباً نفذ إلى جميع الأعمال والأطراف.

وصرف قوماً وفلّد قوماً فكان فيمن قلّد [360] أبو يوسف بمقوب بن محمد البريدى وذلك بمسئلته ققلده أعمال البصرة من الخراج والضيايع والمراكب وسائر وجوه الجبايات بها فضمنه ذلك بمقدار نفقات البصرة وفضل له بعده ثلاثون ألف دينار وقّع بتسبيها على مال الأهوار.

فلما وقف أبو الفتح الفضل بن جعفر على ذلك استعظم ألا ينفى ارتفاع البصرة بنفقاتها حتى يحتاج إلى أن يسبّب على غيرها وتقدّم بإخراج الجماعات والحسابات إليه وتقدّم إلى كل واحد من أصحاب المجالس أن يخرج إليه ما عنده من ارتفاع البصرة لثلاث سنين وأخرجت الجماعات إليه وهو ينظر فيها وفي أعمال كتاب المجالس ويضيف من عمل إلى عمل ويعمل بيده من صلاة العداة إلى بعد العتمة إلى أن انتظم العمل على ما أراد. ثم أحضر أبا يوسف البريدى وواقفه^(٢) عليه ولم يتهياً له إنكار شيء مما أخرجته فأعطاه خطّه بالقيام بجميع ما يجب للأولياء وأن ينبت لحفظ السور ألف رجل زيادة على رسم من يحفظه ومن ينضمّ إليه وسائر النفقات الراتبية ويحمل إليه بعد ذلك كلّ ستين ألف دينار إلى بيت المال [36١] بالحضرة.

فصار الفضل بن جعفر بالخطّ إلى الوزير الحسين بن القاسم متبيحاً به وعرضه عليه وعرفه ما جرى بيده وبين ابن البريدى حتى تفرّر على ما كتب

١. جنى: ما فى مط مهمل تماماً.

٢. واقفة: كذا فى الأصل. وفى مط: واقفه.

به خطه. فلم يقع ذلك من الحسين بن القاسم الموقع الذي قدره الفضل وتبين منه تكرّهاً له وظنّ أنّه كالتوبيخ والتفريع وكالزيادة على عمله. فلمّا تبين الفضل الصورة راسل المعتز بما فعله فوق ذلك عنده أحسن موقع وشاع^(١) ما عمله في الدواوين وساقله الرؤساء والكتاب بينهم.

وانتقل ذلك بالحسين فغلظ عليه وأراد أن يضعه. فوافقه ابن جبير على مهاجرة في المجلس والعضّ منه ففعل ابن جبير ذلك حتّى تكلم بما لم تجر العادة بعنقه والحسين ممسك عن الجميع لا يكفّ أحدهما عن الآخر، فلمّا تبين أبو الفتح ذلك وعرف الغرض نهض عن المجلس وقال - «ليس المكلّم لى أنت بل المكلّم غيرك».

فلمّا ولّى خارجاً عرف الحسين الخطأ فيما جرى فقال لأبي عبد الله بن

زنجى :

- «إنّ أبا الفتح صديقك وهو يطيعك وما أحبّ أن يخرج على هذه الجملة فأحبّ أن تلحقه وترضيه وتردّه».

فبادر إليه أبو عبد الله وما زال يرفق به حتّى [362] ردّه واعتذر إليه الحسين من خطاب ابن جبير له. وانصرف وهو مستوحش واستتر عند أبي بكر ابن قرابة وبني دهرانه شاغراً إلى أن يشس الحسين من ظهوره فقلّد أبا القاسم الكلوداني الديوان ولم يزل أبو الفتح يسعى له في طلب الوزارة حتّى تمّ له كما سنذكره.

ولمّا لم يعد^(٢) مونس إلى بغداد وجّه الحسين إلى ابن مقلّة فصادره وكان معتقلاً فأعطى خطه بمئتي ألف دينار وأنفذ إلى عليّ بن عيسى وهو بالصابية

١. شاع. كذا في الأصل. وفي مط: شاع.

٢. في الأصل ومط. ولما بعد

يستحضره وأطعم المقتدر من^(١) جهته في مائتي ألف دينار. فلما وصل الرسول إلى الصافية وجد بها هارون بن غريب وكان هارون شديد العناية بعلي بن عيسى فمنعه من حمله وقال:

«أنا أخاطب أمير المؤمنين في أمره.»

فلما وقف الحسين على عناية هارون بعلي بن عيسى أمسك عنه. ولما وصل هارون بن غريب إلى دار السلطان وصل إليه في خلوة وانصرف إلى داره فقصده الوزير وأبنا رائق^(٢) ومحمد بن ياقوت ومفلح وشفيح وعظم أمره فخاطب المقتدر في أمر علي بن عيسى فأعفاه من المصادرة وخاطبه في أمر أبي علي ابن مقله فحط من مصادراته خمسين ألف دينار وأمر بحمله إليه. ثم لم يستصوب ذلك [363] وخاف أن يكاتب موسى أو يرأسه فسأل ابن مقله هارون أن يعاود الخطاب في بابه ويستحلفه بأيمان مغلفة ألا يكاتب ولا يرأس موسى ولا أحداً من أسبابه ففعل ذلك وحمل إليه.

قال: فحدثنا أبو علي ابن مقله في وراثته للمراضى^(٣) أنه أخذ في استماعة الناس وأدى المال كله بما وصل إليه من المال من الجهات وفضل له عشرون ألف دينار وأنه اشترى بها ضواغاً باسم عبد الله بن علي النقي^(٤) ووقفها على الطالبين.

وكتب إلى الحسين إلى ياقوت بالقبض على الخصيبي وحمله وكان بشيراز فبادر خليفته علي بن محمد بن روح بالخبر إليه فخرج من يومه من بشيراز

١ في مط: في جهته.

٢ رائق كذا في الأصل ومد. وفي مط: رائق وهو مصحيف، كما هو سيهود من مط في أكثر المواضع.

٣ في مط: المراضى.

٤ في مط: المقرى، بدل «النقي».

مستتراً حتّى وافى بغداد واستتر عند أبي بكر ابن قرابة وكان الفضل بن جعفر مستتراً عنده أيضاً فلم يعلم أحدهما خبر صاحبه وعدم محمد بن ياقوت من الأهواز وقُبض على محمد بن المعتضد بالله وعلى أبي أحمد ابن المكتفى بالله وحذرا إلى دار السلطان وأعتقلا فيها ولم تقصر السيّدة فى التوسعة على محمد بن المعتضد وفى إكرامه وأهدت إليه عدّة من الجوارى.

وابتدأ أمر الحسين الوزير بالاضطراب [364]

ذكر السبب فى ذلك

اشتدّت الإضافة فباع الحسين من الضياع نحو خمسمائة ألف دينار واستسلف من مال سنة عشرين وثلاثمائة شطره قبل افتتاحها بشهور ولم يبق له وحده حيلة لتعمام نفقات سنة تسع عشرة وثلاثمائة الخراجيّة. وعرف هارون بن غريب ذلك فصدق المقتدر عنه فعزم على تقليد الخصيبى الوزارة وكتب له أمناً، فظهر فحوطب فى تقلّد الوزارة فذكر أنّه لم يبق للسلطان فى النواحي من مال سنة تسع عشرة شيء وقد بقى منها نحو ثلاثة أشهر وأنّ الحسين قد استسلف من مال سنة عشرين قطعة وافرة وأنّه لا يعزّ السلطان من نفسه فأشار عليه هارون أن يتقلّد أزمّة الدواوين من قبل المقتدر وتكون دواوين الأصول فى يد الحسين ليضبط الأموال مستأنفاً فرضى الحسين بذلك وتقلّد الخصيبى دواوين الأزمّة وأجرى عليه وعلى كتابه ألفى وسبعمائة دينار فى كلّ شهر. وخلع المقتدر على الحسين ليزول عنه الأرجاف^(١)

ثم إنّ الحسين بن القاسم عمل أعمالاً أخذ فيها [365] خطوط أصحاب الدواوين الأصول والأزمّة بصحتها وفيها ارتفاع الأموال من النواحي وما

١ فى مط الأرجاف، بدل «الأرجاف»

يُرجى حصوله منها وقدّر النعمات تقديراً متقارباً للإرتفاع، فسكن بذلك قلب
المقتدر فسلم المقتدر ذلك العمل إلى الحصيبي وأمر بتتبعه، فوجد الحصيبي
الحسين بن القاسم قد احتال بأن أضاف إلى ما يقدر حصوله من التراخي
أموال نواح قد خرجت عن يد السلطان بتغلب من تغلب عليها مثل الديلم
على أعمال الريّ والجبل ومونس على أعمال الموصل والشام منذ أربع سنين
وذلك جمعة عظيمة، وأسقط من التمتع الزهادات التي زادها هو للجنود
والعاشية وغيرهم ولم يسقط من الأموال التي يقدر حصولها من السواحي
ارتفاع ما باع من الضياع، فعمل الحصيبي عملاً عرضه على المقتدر فأمر
المقتدر أن يوافق عليه الوزير^(١) فاجتمع الكتاب وأمره المقتدر بمناظرتهم
فلما خاطبوه أخذ في التشنيع عليهم وأنهم سمعوا به وقال :

« في أيّ شيء غالطت السلطان؟ أليس هذه خطوط الضمّاء؟ »

فقالوا : « معاذ الله أن يقول [366] أحد في الوزير ذلك ولكن العمل أخرج
بما اضطر الوزير أيّده الله إلى التسييب به على مال ستة وعشرين وثلاثمائة
من الأموال المستحقّة في سنة تسع عشرة وقد رفع الضمّاء إلى ديوان الرمام
أعمالاً لما أطلقوه من مال ستة وعشرين وما كانوا ضمنوا إطلاقه من مال هذه
التسييبات عند إدراك العلّات ولهذا أحضرنا. »

فقال الحصيبي :

« أفتعلم كم مبلغه؟ »

فقال : « نعم. »

وأحضر عملاً كان عمله بمبلغ ذلك فوجد أنّ الذي سبّب على مال السواد
والأهواز وفارس لسنة عشرين وثلاثمائة قبل اعتيادها بشهور، أربعون ألف

١. وفي مطبوع القرير، بدل « الوزير »

ألف درهم وأن الذي يبقى إلى آخر سنة عشرين على الضمنا إلى افتتاح سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وعشرون ألف ألف درهم وقد كان قيل في العمل إن هذا ما لم يجز به في قديم الدهر ولا حديثه رسم بمثله. فلما وقف الحسين على ذلك استعظمه وأراد أن يقطع المجلس بالمشاغبة^(١) وقال:

« يكتب في الأعمال التي عملت ما لم يعملها أحد من الوزراء قط ثم يعرض عليّ. »

فقال هشام:

« هذا غلط كتب علي سبيل السهو وليس مما يزيد في المال ولا ينقص منه. »

وضرب علي تلك الحكاية وقال:

« إنما أحضرنا لننظر في أمر المال [367] وصدق الوزير عنه »

فعدل إلى الخصمى بهاتره فترك الحجة فنهض الخصمى عن المجلس لقا ظهرت الحجة على الحسين وصار مع الضمنا ومع أبي جعفر ابن شيرزاد إلى هارون بن غريب فشرحوا له ما جرى. وأعد المجلس كهيته^(٢) إلى المقتدر ثم شافه الخصمى بمنله الحسين بحضرة المقتدر فأنحل أمر الحسين وقبض عليه فكانت وزارته سبعة أشهر

وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر

واستوزر أبو الفتح الفضل بن جعفر وخُلع عليه يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر فركب في البخلع وركب معه القواد وخواص المقتدر

١. في مط: الساعة.

٢. في مط: لهنة.

وسلم المقتدر الحسين بن القاسم إلى الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر فأجمل عشرته وقرر أمره على أربعين ألف دينار فلما أذاها استأذن الوزير أبو الفتح المقتدر في تقيد الإشراف على مصر والشام فأذن له في ذلك. ثم ظهر أنه أراد أن ينقّب الموضع الذي كان فيه. وقال الخصيبى^(١) :
 - «هذا رجل في جنبه للسلطان مال عظيم وليس يصلح أن يخرج وأن يدبر شيئاً من الأعمال.»

فتأخر أمره وصودر أيضاً ثم تسلمه الوزير فبقى عنده مدة ثم أبعده إلى البصرة وأقام له في كل شهر خمسة آلاف درهم.

مناظرة عن مرداويج

وفي هذه السنة حضر من ناظر عن مرداويج بن زيار^(٢) والنمى [368] أن يقاطع عن الأعمال التي غلب عليها من أعمال المشرق وتكفل هارون بن غريب بأمره ففتره على أن يسلم إلى السلطان أعمال ماه الكوفة وهمذان ويقلد باقي الأعمال ويحمل عنها مالاً وكتب له العهد وأمنه إليه اللواء ومعه حلع.

المقتدر بهم بتقليد ابن مقلة الوزارة

ثم إن المقتدر هم بتقليد أبي على ابن مقلة الوزارة وبلغ ذلك هارون بن غريب فكره ذلك لميل أبي على إلى موسى فاجتمع مع الوزير أبي الفتح وألما أبا عبد الله البريدى مائة ألف دينار وسلم ابن مقلة إليه فعمشى أمر الوزير أبي الفتح وحمل ابن مقلة إلى شيراز مع رشيق الأيسر.

١ في مط: الخصيبى، بدل «الخصيبى». في عدة في مواضع.

٢ كذا في الأصل: زيار. وفي مط: زياد.

موت أبي عمر القاضي

وقبها مات أبو عمر القاضي فأغرى أبو بكر ابن قرابة بورثته إغراء شديداً وقال للمقتدر :

« يبيع لابنه أن يحمل مائة ألف دينار فأنه من وراثتها وإلا حضر من يشاء قضاء النضاة ويوفر هذا المال من جهته. »

فرسم المقتدر لهارون بن الخال أن يقد كائنه وللوزير أن يضم إليه ثقتَه حتى يصيرا مع ابن قرابة إلى أبي الحسين ابن أبي عمر ويخاطبه بحضرتهما. فمضى أبو بكر ابن قرابة ومعه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو علي أحمد بن نصر البازيار. فلما حصلوا عند أبي الحسين القاضي وجدوا عنده عالماً من الناس معرين له فعزّوه وجلسوا وأمسكوا [369] كما يحسن أن يعمل في المصائب. فقال ابن قرابة :

« ما لهذا حضرنا، قم يا أبا الحسين معنا حتى نخلو. »

فهمض واستوى عليه ابن قرابة استيفاءً شديداً فقال أبو الحسين.

« إن نعمي ونعمتي والدي من أمير المؤمنين المقتدر ولست أدخر دونه شيئاً. »

وسأل أن يمهّل يومه حتى يحصل أمره ويكر فيصدق عنه. وكان شهر رمضان فلما جنّه الليل قصد أبا بكر ابن قرابة وقت الإفطار فاستأذن عليه ودخل والمائدة بين يديه فدعاه إلى الإفطار فغسل يده وسقى وأكل ومصيبته طرية وأنها ليومه ولكنه ليستكنى شره. فلما انقضى الإفطار قال له :

« يا سيدي قد جنتك مستسلماً إليك، قد يرنى بما تراه. »

فقال له :

« قم فامض بسلام وما بك حاجة إلى أن توصيني ولا تفكر في أمرك

فأثنى أفصله وأعمل فيه ما يرضيك.»

وكان على مائدة أبي بكر ابن قرابة أبو عهد الله وأبو يوسف ابنا البريدي. فلما فرغوا من الأكل قرب البريديان من القاضي أبي الحسين كالمتوحشين به ووصعا مشاركتهما إياه واستصوبا قصده أبا بكر وإفطاره معه وقالوا له :
- «أنت مقبل.»

وعرض عليه أبو يوسف ثلاثة آلاف دينار وقال :
- «إن احتجت إليها فخذها وقد نفسك وإن أوجبت الصورة أن تستر [370] فأعقها في استنارك فلن ينقذ حتى يأتيك الفرج.»

ولم يحتج أبو الحسين إلى الاستنار وتعطف عليه المقتدر بالله وعاونه البريديون وإخوانه أحسن معاونة فقلده قضاء القضاة ففوت نفسه ومشى أمره.

ثم إن المقتدر وصف لابن قرابة الإضافة^(١) فقال له :
- «يا أمير المؤمنين لم لا يماونك هارون بن الخال وعنده أزاج مملوءة مالا؟»

فأعاد المقتدر ذلك على ابن الخال فقال :
- «يا أمير المؤمنين إن كنت أملك ما قال فلست أبيعك به لأنني أسلم بسلامتك وفي جيشك أنفقت وأليك معاده. وابن قرابة معه من المال ما لا يحتاج أبداً إليه وأنا أستخرج لك منه خمسمائة ألف دينار وليس بينه وبين أمير المؤمنين الذي يجمعني وإياه، فلم يترك عليه وأنا أودعها^(٢) من ماله إليك؟»

فقال له :

١. كذا في الأصل ومد : الإضافة. وفي مط : الإضافة.

٢. في مط : وأنا أورد بها، بدل : وأنا أودعها

«إذهب فتسلمه».

فقبض عليه وجرى عليه من المكروه ما أتقى به على التلف حتى قُتل
المقتدر بالله فتخلص ولا عجب من أمر الله.
وكان قد وقّع الوزير أبو الفتح بأن يُعمل لابن قرابة عمل بما صار إليه من
الربح في الأموال التي قدّمها عن الضمائم وبقياً مصادرتة في أيام عبد الله
الحاقاني وما يجب عليه من الفصل فيما ابتاعه من الضياع فأخرج عليه من
هذه الجهات [371] ألف ألف دينار فصَحَّ له من هذه الجملة تسعون ألف
دينار.

ثم شغل الوزير وهارون بورود الخبر عيهما بالحداد مونس من الموصل
وكان هارون قيده وسلمه إلى حاجبه وعدة من غلمائه ليخرجوه إلى واسط
فقتل المقتدر في ذلك اليوم فهرب من كان موثقاً به وبقي معه غلامان كان
هو اشتراهما لابن لخال فغنيا به وصاراً معه إلى فرضة جعفر وأدخلاه إلى
مسجد وأحضرا حذاءً وحلاً قيوده وأطلقاه فمشى إلى منزله بسوقه غالب^(١)
وذهب لهما خمسمائة ديناراً.

استشارة في الأمر الواضح وعاقبة المستشار

وحكى ثابت بن سنان في كتابه أن أبه سنان بن ثابت كانت بينه وبين
أبي بكر ابن قرابة مودة فصرنا إليه لنهئته بحلاصه فقال لوالدي:
«يا أبا سعيد قد اجتمع لي نيك المحبة والعقل وجودة الرأي وأريد أن
أستشيرك في أمري».
فقال له أبي:

١. شوقيه غالب: هي من محالّ بغداد (مرامد الإطلاع)

« قل فأتى أمحضك ^(١) النصيحة. »

فقال : « أنت تعلم أتى كنت في بحار من التخليط وكانت عليّ تبعات فيما كنت أدخل فيه وأقدمه من مالى عن الضمائم لم يكن على أحد مثلاً ، وقد غسلت هذه المكبة وما أذيت ^(٢) فيها من المصادرة دون ما كنت فيه وقد حصل لى الآن ما يرتفع منه عشرون ألف دينار حائلة وحصل لى من البساتين [372] والمستغلات بعد ذلك ما ليس لأحد مثله ولى من الفرش والآلات والبلور والمخروط والصينى والجوهر والطيب والكسوة ما ليس لأحد مثله ومن الرقيق والخدم الروقة ^(٣) والغلمان والكراع ما ليس لأحد مثله ، ولى بعد ذلك كله ثلاثمائة ألف دينار صامت لا احتاج إليها وبينى وبين هذا الوزير - يعنى أبا على ابن مقله وقد كان القاهر استوزره وهو بفارس - مودة وكيدة فهل ترى لى إذا قدم أن أقصر على لقائه فى الأوقات لعمارة الحال بينى وبينه ولا أداخله ولا أعاود ما كنت فيه أو أعاود وأرجع إلى التخليط. »

فقال له والدى :

« ما رأيت أعجب من هذه المشاورة وإنما يشاور فى المشكل من الأمر هأما الواضح فيستغنى فيه عن الرأى . انظر - أعزك الله - فإن كان ذلك التخليط أضر لك ما تحب فارجع إليه وإن كان إنما أضر ما تكره وعرضك لزوال المهجة وزوال العمة فلا تعاود . ومع هذا فإن الإنسان إنما يكذب ويكدر ويتعرض للمكاره ليحصل له بعض ما حصل لك فاحمد الله وتمتع بالنعمة وقد حصل لك من الجاه ما يحرسها واربح ^(٤) الصيانة وحسن العافية ^(٥) . »

١. فى مط. أمحضك ، بدل « أمحضك ».

٢. فى مط. أنت.

٣. فى مط. والروقة.

٤. كذا فى الأصل ومد ، واربح ، وفى مط. واربح.

فسمع ذلك كله [و] قال :

« قد علمت والله أنك قد نصحت وبالفيت ولكن لي نفساً مشؤومة لا
تصبر [373] وسأعاود ما كنت فيه. »

فقال له والدي :

« خار الله لك. »

وانصرفنا فقال لي والدي :

« يا بني ما رأيت قط أجهل من هذا الرجل ولا يموت مثله إلا مقتولاً أو
فقيراً بأسوأ حال »

فكان الأمر على ما قدر وأذاه التحليط إلى أن قبض عليه القاهر فأزال
نعمته وقبض أملاكه وهتمت داره وأراد قتله حتى رآل أمر القاهر. ثم عسار
أيضاً إلى التحليط ومضى إلى البريديين لنا خالفوا السلطان، ثم مضى إلى أبي
الحسين أحمد بن بويه لنا غلب على الأهواز، ثم وقع أسيراً لك انصرف
الأمير أبو الحسين من نهر ديبالى وصودر حتى لم يبق له بقية واضطر إلى أن
يخدم ناصر الدولة أبا محمد بن حمدان برزق مائة دينار فى كل شهر
فكثرت فى عينه وكأى يفتق منها كل يوم. ومات بالموصل، ونعوذ بالله من
الجهل والإدبار.

ودخلت سنة عشرين وثلاثمائة

وفيهما انحدر مونس من الموصل إلى بغداد وقتل المقتدر بالله

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك ما ذكرناه من استيحاء مونس. فلما تم له الإنصراف
إلى الموصل كتب الحسين بن القاسم إلى داود وسعيد ابني [374] حمدان

والحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مونس ودفعه عن الموصل فبأنه عاص.

وكان مونس يكتب في طريقه إلى رؤساء العرب في ديار ربيعة بأن السلطان أنفذه لمحاربة بني حمدان يريد بذلك أن يقعدهم عنهم فامتنع داود من لقاء مونس لإحسانه إليه فإنه كان عظيماً جداً، فما زال أهله به حتى فتؤوا^(١) رأيه وقالوا له .

« نحن بعدما غسلنا قسح ما عمله الحسين بن حمدان ثم ما عمله أبو الهيجاء بالأمس نريد أن نعمل لنا حديثاً ثالثاً. »

وما زالوا به حتى استجاب على تكرره شديد وقال :

- « يا قوم ! بأي وجه ألقى مونساً مع إحسانه العظيم إليّ ؟ »

وكان يعددها ثم يقول :

- « والله ما آمن أن يحيثني سهم عائر^(٢) فيقع في هذا الموضع مني - يعني

حلقه - فيقتلني. »

قال : فوالله ما هو إلا أن لقيه مونس حتى أماء السهم العائر فوقع في

موضع إصبه^(٣) فذهب ولم يقتل غيره .

وكان بنو حمدان في ثلاثين ألفاً ومونس في ثمانمائة رجل فانهمزوا وقتل

داود

وكان مونس إذا قيل له :

- « قد أقبل داود لمحاربتك، »

يمحِب ويقول :

١ من قولهم غشأ القدر، أي سَكَنَ حليانها، وقولهم غشأ الغضب، أي سَكَنَ حدته وفي مط - تنوا، بدل «فتؤوا» .

٢ في مط : منهم غابر، بدل «سهم عائر»

«يا قوم يلقاني داود وفي حجري طهر»^(١) ولي عليه من الحق ما ليس لوالده.»

خروج مونس وقصده بغداد

فتمّا ملك مونس أموال بني حمدان وغلاتهم وضياعهم [375] واستولى على أعمال الموصل خرج إليه الناس من الأوبياء أرسالاً وكثروا عنده فحملوه على الخروج من الموصل وقصد^(٢) بغداد وكان أقام بالموصل تسعة أشهر.

فانحدر مونس وبلغ الجند بالحضرة ذلك فشفهوا وطلبوا بالرزق فساطق المقتدر المال وجلس في الجوسق وأنفق فيهم وأخرج مضرباً له يسمى مضرب الدم إلى باب الشّمسية.

ورأى مونس وأصحابه إلى باب الشّمسية وكان المعتدر قد وجه أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافياً البصري في خيل إلى سز من رأى ثم أخذ أبا بكر محمد بن ياقوت في ألى فارس ومعه الفلمان الحجريّة [إلى المشوق]^(٣) ثم أخذ مونساً الورقاني على سبيل الإطلاع، فلما قرب مونس أقبلوا يراجعون حتى اجتمعت الجماعة بعكرا، فلما قرب مونس من عكرا إنكفأت الجماعة مع محمد بن ياقوت إلى البردان، فلما نزل مونس عكرا انكفأت^(٤) الجماعة إلى باب الشّمسية فعمسكروا هناك، واصطربت الأمور وتقاعد الضملاء

١. في مط، طهر

٢. في مط، نص، بدل «قصد»

٣. ما بين المعقوفتين، خفاقة من مد، ولا يوجد لا في الأصل ولا في مط والمشوق قصر عظيم بالعانب العربي من سامراً دون تكريت هو الآن يسكنه الفلاحون وغيرهم، وهو عظيم مكن، عثره المعتد بالله (مراد الإطلاع)

٤. في مط، «انكفأت»، وهو تصحيف مع إسقاط سطر من «انكفأت» الأولى إلى «انكفأت» الثانية»

والعمال يحمل الأموال.

واجتهد المقندر بهرون أن يشخص إلى حرب مونس فتفاعد واحتج بأن معظم أصحابه ممن انضم إليه من رجال مونس أو ممن كان معه في وقت محاربتهم مرداويج [376] في المشرق أو من استأمن إليه من عسكر الديلم وقد عرف محاربتهم وأنهم يهزمون ولا يشتون للحرب وليس يثق بأحد منهم لأنه يعلم أنهم يستأمنون ويسلمونه ودافع بالخروج إلى أن حارب أصحاب مونس بباب الشساسية بإزاء عسكر محمد بن ياقوت، فجاء محمد بن ياقوت إلى الوزير الفضل بن جعفر فأنحدر^(١) إلى المقندر ومعهما إبا رائق ومفلح فشرح محمد بن ياقوت الصورة وقال له.

- «إن الرجال لا يقاتلون إلا بأموال وإن أخرج استغنى عن القتال واستأمن أكثر رجال مونس ودفعت الضرورة مونساً إلى الهرب أو الاستار.» وقال له:

- «إن الوزير أطلق مالاً لم يعم»

وسأله أن يحتال ماني ألف دينار من جهته وجهة والدته ليصرف في المهمة. فعرفه أنه لم يبق له ولا للسيدة حيلة في مال يطلق وتقدم الشدائد والطائرات ليعبر هو وحرمة إلى واسط ويسلم البلد إلى مونس ويكتب من واسط إليهم من بالبصرة والأهواز وفارس يستنجدهم ويستحضرهم لقتال مونس ودفعه.

فقال له محمد بن ياقوت:

- «أتق الله يا أمير المؤمنين في جماعة غلمانك وخدمك ولا تسلم بغداد

بغير حرب.»

١ في مط: فأنحدر، بدل «فأنحدر»

وجعل يفتأه^(١) عن رأيه [377] ويشير بأن يخرج بنفسه إلى المعسكر حتى يراه الناس ويقاتلون وقال له :

« إن رآك رجال مونس أحجموا عن محاربتك. »

فقال له المقتدر :

« أنت والله رسول إبليس. »

ثم أمر هارون على لسان الوزير الفصل بن جعفر أن يخرج ووبّخه فبضى إليه ووافقه^(٢) على أن يخرج يوم الأربعاء لثلاث يمين من شوال إلى دار السلطان.

وركب المقتدر وهم معه وعليه البردة التي توارثها الخلفاء وبيده العنقوبتين وبين يديه الأمير أبو عليّ ابن المقتدر والأنصار ومعهم المصاحف المنشورة والقراء يقرأون القرآن وحوله جميع رجاله بالسلاح وحلفه جميع القواد مع الوزير واشتقّ بغداد إلى الشّمسية وكثر دعاء الناس له جداً وسار في الشارع الأعظم إلى المعسكر، فلما وصل إليه أشير عليه أن يقوم إلى موضع عال بعيد عن موضع الحرب.

واشتدت الحرب بين أصحاب مونس وأصحاب المقتدر بالله وكان مونس مقيماً بالراشدية لم يحضر الحرب ونبت محمد بن ياقوت وهارون بن غريب واشتبكت الحرب وأبو العلاء سعيد بن حمدان إلى المقتدر بالله برسالة هارون بن غريب ومحمد بن ياقوت بأن يحضر الحرب، وقال له :

« إن [378] رآك أصحاب مونس استأمنوا. »

فلم يبرح من موضعه ومضى أبو العلاء ووافاه صافي البصري فقال له مثل هذا التول فلم يسمع منه.

١ في مط : هناء (كذا)

٢ في الأصل : وافقه (بتقديم الفاء). وفي مط ومدد : وافقه (بتقديم الفاء)

ثم حضر محمد بن أحمد القراريطي كاتب محمد بن ياقوت فاستدعى الوصول إلى المقتدر بالله فأوصل إليه وهو واقف على ظهر دابته فقبل الأرض وقال له :

« يا أمير المؤمنين، القواد وعبدك محمد بن ياقوت يقول : يا مولانا أمير المؤمنين الله الله سر بنمساك إلى الموضع فإن الناس إذا رأوك انملوا. »
فسم يبرح وبقي واقفاً على دابته وخلفه الوزير أبو الفتح ومصلح الأسود وجماعة من الخلمان الخاصة.

فهم على تلك الحال إذ واقف رساله القواد المحاربين فتقدم بعضها بأن ينادى بين يديه :

« من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير. »
فنودي بذلك. ثم جاءته رقعة فسلمت إليه فقرأها ثم استدعى مفلحاً والقراريطي فسارهما^(١) ثم استدعى الوزير فسارّه وأجابه بشيء ما سمع به. ثم وردت رقعة أخرى فقرأها ثم وافته الرسائل علانية من القواد تؤدى إليه ويسمع الناس أن الرجال في الحرب يقولون .

« نريد أن نرى مولانا حتى نرمى بأنفسنا على هؤلاء الكلاب. »
ولم يزل [379] القراريطي وغيره يسهلون عليه ويسألونه المسير حتى سار مع مفلح وكتبه بفتح السين

وتخلف المصل بن جعفر عنه وسار نحو الشط^(٢) وانكشف أصحاب المقتدر وانهمزوا من قبل أن يصل المقتدر إلى موضع المعركة وكان آخر من أبت وحارب حرباً شديداً محمد بن ياقوت واستؤسر أحمد بن كيغلاغ وجماعة من القواد.

١. في مط. قشاورهما

٢. في مط. النبط.

ولقي عليّ بن يسيق المقتدر وهو في الطريق لم يصل إلى المعركة في صحراء ميسطة، فلما وقعت عينه عليه ترجل وعليه سلاحه وقال - «مولاي أمير المؤمنين» -

بربري من أصحاب مونس يقتل المقتدر
وقتل الأرض ثم قتل دكبته، ووافى البربر من أصحاب مونس فأحاطوا
بالمقتدر وضربه رجل منهم من خلفه ضربة سقط منها إلى الأرض وقال :
- «ويحكم أنا الخليفة» -
فقال البربري :
- «إياك أطلب» -

وأضجعه فذبحه بالسيف. وكان معه رجل من خلفاء الحخاب طرح نفسه
عليه فذبح أيضاً ووقع رأس المقتدر على سيف ثم على خشبة وسلب ثيابه
حتى سراويله وترك مكشوف العورة إلى أن مرّ به رجل من الأكرّة فستر
عورته بحشيش ثم حفر له في الموضع ودفن حتى عفا أثره. [380]
ونزل يلبق وعي ابنه في المضارب وأنهذ للوقت إلى دار السلطان من
يعفظها وانحدر مونس من الراشدية إلى الشّاسية فبات^(١) بها ومضى عبد
الواحد بن المقتدر ومملّح وهارون بن عريب ومحمّد بن ياقوب وابنا رائق
على الظهر إلى المدائن.

فكان ما فعله مونس من ضربه وجه المقتدر بالسيف وقتله إياه ودخوله
بغداد على تلك أسبيل سبياً لجرأة الأعداء وطمعهم فيما لم تكن أنفسهم
تحدّثهم^(٢) به من العلبة على الحصرة، وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة مذ

١. في مط : مات. بدل «مات».

٢. في مط : تحدّثهم.

ذلك وتفاقم حتى انتهى إلى ما نشرحه فيما بعد إن شاء الله.

تبذير المقتدر

وحكى ثابت حكاية في تبذير لمقتدر للأموال ما رأيت أن أثبتته مشروحاً
لئلا يغتر أحد من الملوك ومدبري أمر المملكة بكثرة الأموال فيترك تنميته
ويعدل عن التعب به إلى الراحة البسيرة فإنه حينئذ يتبذد^(١) ولا يلحق
ويكون مثله مثل البتق الذي ينفجر بمقدار سعة الدرهم ثم يتسع فلا يضبط.
قال صاحب الكتاب: ولقد وعظت أنا بذلك بعض مدبري الملك فأكثر
عليه فتبسم تبسم المدلل بكثرة الذخائر والأموال [381] فما أتت عليه سنتان^(٢)
حتى رأيت أنه في موضع الرحمة لا ينفعه الرحمة، وسأشرح خبره وحاله إذا
انتهيت إليه بمشيئة الله.^(٣)

فأما المقتدر فإنه أتلف ثيماً وسبعين ألف دينار سوى ما أسفقه في
موضعه وأخرجه في وجوهه وهذا أكثر مما جمعه الرشيد وخلفه. ولم يكن
في ولد العباس من جمع أكثر مما جمعه الرشيد، فإن القاسم بن عبيد الله قال
للمعتز وقد سأله عن مقدار ما خلفه واحد واحد^(٤) من ولد العباس من المال:
«إنه لم يكن فيهم من خلف أكثر مما خلفه هارون الرشيد فإنه خلف
في بيت المال ثمانية وأربعين ألف دينار». وهذه نسخة لما أثبتته بعض كتاب أبي الحسن ابن الفرات لقاً وزره

١ يتبذد: كذا في الأصل ومط، والمثبت في مد يتبذر، خلافاً للأصل.

٢ من «ولقد وعظت» إلى قوله «سنتان» ساقط في مط.

٣ انظر إلى حرص مسكويه على الإعتبار بالتاريخ، واستخراج تجاربه الواقعية وإلى مستوى صلته
بأعظم زمانه.

٤ كذا في الأصل: واحد واحد (بال تكرار) ولا تكرار في مط.

المقتدر بالله.

« بسم الله الرحمن الرحيم. انذى كان فى بيت مال^(١) الخاصة
 لمّا تقلد المقتدر الخلافة أربعة عشر ألف ألف دينار، وافتتح أبو
 الحسن ابن الفرات أعمال فارس وكرمان سنة تسع وتسعين
 ومائتين فارتفع من مال الخراج والضياح العامة والمعروف
 بالأمراء فى كل سنة ثلاثة وعشرون ألف ألف درهم وثمانمائة
 ألف درهم، منها من مال فارس ثمانية عشر ألف ألف درهم،
 ومن مال كerman خمسة آلاف ألف درهم، [382] يكون ذلك فى
 مدة إحدى وعشرين سنة آخرها سنة عشرين وثمانمائة
 الخراجية بعد وضع ثمانمائة ألف درهم كانت تنكسر فى كل
 سنة من مال البقايا أربعمائة ألف ألف درهم وثلاثة وثمانين ألف
 درهم.

« وإذا وضع من ذلك ما كان يحمله من يتغلب^(٢) على فارس
 وكرمان إلى بيت مال العامة بالحضرة وهو نحو أربعة آلاف ألف
 درهم فى السنة ومبعضه فى هذه السنين ثلاثة وثمانين ألف ألف
 درهم وكان الباقي بعد ذلك أربعمائة ألف ألف درهم قيمتها
 ثمانية وعشرون ألف ألف دينار.

« ومن أموال مصر والشام فى هذه السنين زيادة على ما كان
 يحسن منها فى أيام المحتضد: ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف
 دينار.

١. فى مط: المال

٢. فى مط: معك، بدل «من يتغلب»

«وأخذ المقدر من أموال علي بن محمد بن الفرات في مصادره ومصادرات كتّابه وأسبابه: أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار، منها في الدفعة الأولى: ألفي ألف وثلاثمائة ألف دينار، وفي الدفعة الثانية: ألف ألف ومائة ألف دينار، وفي الثالثة مع ما أخذ من زوجة الحسن دولة: تسعمائة ألف دينار.

«وما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الإقطاع وإلغار^(١) في مدة سبع عشرة سنة مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر بلحاشية حساباً [383] في السنة مائتي وخمسين ألف دينار: أربعة آلاف ألف ومائتي وخمسون ألف دينار.

«وما صحّ مما أخذ لأبي عبد الله الحصّاص الجوهري دون ما كان يذكره وهو يتكثر به من العين: ألفي ألف دينار.

«وبحصل من ضياع العباس بن الحسن بعد قتله في مدة أربع وعشرين سنة حساباً في السنة مائة وعشرين ألف دينار: ألفي ألف ومائة ألف دينار.

«وما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه ومع ما يرتفع من ضياعه إلى أر دقت علي ولده ألفي ألف ومائتي ألف دينار.

«وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن علي المادرائيين في أيام وزارة أبي علي الخاقاني ووزرات ابن

١. في نسخة الأبعاد، بدل «الإلغار».

الفرات الثلاث وأيام أبي القاسم الخافاني وأبي العباس الحصيني^(١)
وأبي الحسن علي بن عيسى الثانية وأبي علي بن مقله: ألف
ألف وثلاثمائة ألف دينار.

«وما أخذ من أموال علي بن عيسى وابن الحواري وسائر
الكتاب ووجوه القتال المصادرين: ألفي ألف دينار.
«وما أخذ من تركة الراسبي، خمسمائة ألف دينار.

«وما أخذ من تركة إبراهيم المسمى: ثلاثمائة ألف دينار.
«وما حصل من ثمن المبيع في أيام الورراء وازداده الفضل
بن جعفر: ثلاثة ألف ألف دينار.

«وما حصل من أموال أم موسى [384] وأخيها وأختها
وأسيابها: ألف ألف دينار.

«فصار اجمع من العين: ثمانية وستين ألف ألف وأربعمائة
وثلاثين ألف دينار، وضع^(٢) من ذلك لارتفاع ما خرج من المبيع
منذ سنة سبع عشرة وثلاثمائة إلى آخر سنة عشرين وثلاثمائة
حساباً في السنة على التقريب تسعمائة ألف دينار: ثلاثة ألف
آلاف وتسعمائة ألف دينار».

الباقى بعد ذلك مما حصل في خزنة المعتذر رثداً على ما كان يحصل إلى
بيت مال الخاجة في أيام المعتضد والمكشفي من أموال الضياع والخراج
بالسواد والأهواز والمشرق والمغرب: أربعة وستين ألف ألف وتسعمائة
وثلاثين ألف دينار.

١. كذا في الأصل ومد، الحصيني، وفي مط: الحصيني

٢. في مط: ومع، يدل «وضع»

وقد كان كل واحد من المعنضد والمكفي يستفضل في كل سنة من سبى^(١) خلافته من أموال السواحى بعد الذي تُصرف في أعطيات الرجال والعلماء والخدم والحشم وجميع الفقهاء الحادثة مع ما كان يحصله في بيت مال الحاصّة: ألف ألف دينار.

وكان سبيل المقتدر أن يستفص منها فيكون مبلغه في خمسة وعشرين سنة: خمسة وعشرين ألف ألف دينار فيكون جملة ما يجب أن يحضر في بيت مال الحاصّة للمقتدر بالله في هذه السنين إلى آخر سنة عشرين: [385] تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانمائة ألف وثلاني ألف دينار

خرج من ذلك ما يسى يجرى مجرى التبدير وهو ما أُطلق في البيعة ثلاث^(٢) دفعات وما أنفق على فتح فارس وكرمان: بضعة عشر ألف^(٣) ألف دينار وبقي^(٤) بعد ذلك ما ندر وأُتلف: ثبف وسبعون ألف ألف دينار «
وكانت مدة وزارة أبي الفتح الفصل بن جعفر للمصدر خمسة أشهر وسبعة وعشرين يوماً.

١. في مط من سبى

٢. في مط - ثلاثة

٣. في مط: آلاف ألف.

٤. من هنا إلى «سبعون ألف ألف دينار» بقط في مط وأمثال ذلك وغيره كثيرة في مط

خلافة القاهرة بالله

أبي منصور محمد بن المعتضد سنة عشرين وثلاثمائة

لَمَّا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى بَيْنِ يَدَيْ مُونِسَ بَكِي وَقَالَ :
- « قَتَلْنَاهُ وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّ^(١) كُنَّا فَاغْلٌ مَا يَكُونُ أَنْ تُظْهِرُوا بِأَنْ ذَلِكَ جَرَى
بَعِيرُ قَصْدِ مَسْكَمٍ وَلَا أَمْرَ بِهِ وَأَنْ تَنْصَبُوا فِي الْخِلَافَةِ بِهِ أَبَا الْعَبَّاسِ فَإِنَّهُ تَرْبِيَتِي
وَإِذَا جَلَسَ فِي الْخِلَافَةِ سَمِعَتْ نَفْسَ جَدَّتِهِ وَالِدَةِ لِمُعْزِرٍ وَإِخْوَتِهِ وَغُلَمَانِ
أَيُّهُ بِإِحْرَاجِ الْمَالِ. »

فَعَارِضُ هَذَا الرَّأْيِ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّوْبَخْتِي لَحِينَهُ^(٢) وَمَا
سَبَقَ لَهُ فِي حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ :

- « بَعْدَ الْكَثَرِ سَتَرْجِحُنَا مَعَهُ وَالِدَةُ وَحَالَتُهُ وَخَدَمُ فَنَعُودُ إِلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ؟ »
وَمَا زَالَ بِمُونِسَ [386] وَأَسْبَابَهُ حَتَّى فُتِنَا رَأْيَهُمْ^(٣) عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ وَعَدَلَ
بِهِ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ لِيَنْتَمِ الْمَقْدَارُ مِنْ جَزْيِ^(٤) قَتْلِهِ عَلَى يَدِهِ .
وَحَصَرَ فَائِقُ وَجْهَ الْفَصْعَةِ الْخُرْمِي فَذَكَرَ لِمُونِسَ أَنَّ وَالِدَةَ الْمُقْتَدِرِ لَمَّا بَلَغَهَا

١ في مط : لَيَقْتُلَنَّ .

٢ لَحِينَهُ : كَدٌّ فِي الْأَصْلِ وَمَطٌّ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَمَا فِي مَدِّ لَحْسَتِهِ

٣ في مط : فَنُشَارَاهُمْ ، وَهُوَ كَصَحِيفٍ قَبِيحٍ

٤ صِبْطُ الْعِبَارَةِ مِنَ الْأَصْلِ

قبل ابنها أرادت الهرب وأنه وكل بها وتوثق منها، وذكر أن محمد بن المعتمد ومحمد بن المكتفي معتزلان في يده، فوجه به مونس وأمره بإحضارهما وأصعد بهما إلى دار مونس بعد أن أطلق بشري خادمه وأبتداً مونس بخطاب محمد بن المكتفي فامتنع من قبول الأمر وقال :
- «عنى أحق به.»

فخاطب حينئذ محمد بن المعتمد فاستجاب واستخلف لمونس المظفر وليلق ولعلئ ابنه وليحيى بن عبد الله الطبري كاتب يلق. فلما وثقوا منه بالآيمان والعهد بايعوه وبايعه من حضر من القضاة والمواد ولقب : «الماهر بالله». وكان ذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال. وأشار مونس بأن يستوزر له علي بن عيسى ووصف سلامته واستقامة أموره ومذهبه ودينه فقال يلق وابنه :

- «الحال الحاصرة لا تحتمل أخلاق علي بن عيسى وأنه يحتاج إلى من هو أسمح منه وأوسع أخلاقاً.»

فأشار بأبي علي ابن [387] مقله وأن يستخلف له إلى أن يقدم من فارس أبو القاسم الكلوداني. فأمضى مونس ذلك وكتب إلى أبي علي ابن مقله بالإسراع، وأبى ياقوت بحمله وتعميله.

وانحدر القاهر إلى دار الخلافة وصعد الدرجة. وانحدر مونس وأسيابه إلى دورهم وصرف محمد بن المكتفي إلى داره في دار ابن طاهر واستحجب القاهر بالله علي بن يلق واستكتب علي بن يلق أبا علي الحسن بن هارون. ووجه مونس المظفر فاستقدم علي بن عيسى من الصافية فراسله القاهر علي يد الحسن بن هارون واستدعاه فلقى مونساً ثم انحدر إلى القاهر فوصل إليه وخاطبه بجميل وذلك قبل ورود ابن مقله.

واستحضر مونس أبا القاسم الكلوداني وانحدر معه إلى دار السلطان

ولوصله إلى القاهر فعرفه أنه قد استوزر أبا عليّ ابن مقلّة واستخلفه له إلى أن يقدم وأمره أن ينتقل^(١) إلى دار مفلح ليقرّب عليه إذا طلبه ففعل ولقيه أصحاب الدواوين وهنأوه وأمر ونهى.

تشاغل القاهر بالبحث عمّن استتر

وتشاغل القاهر بالبحث عمّن استتر من أولاد المقتدر وحُرّمه وبمناطرة والدته وكانت في علّة عظيمة من فساد مراح وإنداء [388] استسقاء ولما وقفت على ما لحق ابنها من القتل وأنه لم يُدمن جزعت جزعاً شديداً ولطمت رأسها ووجهها ومنعت من الطعام والمشرب حتّى كادت تنلف ورفق بها رفقاً كثيراً إلى أن اغتدت بيسير من الخبز والملح وشربت الماء. ثم دعاها القاهر فقررها بالرفق مرّة وبالتهديد مرّة فحلفت له على أنه لا مال لها ولا جوهر إلا صناديق فيها صباغات وثياب وفرش وطيب وأن هذه الصناديق في دار تتصل بالدار التي كانت يسكنها من دار السلطان ووقفته على ملك الدار وتلك الصناديق وقالت :

« لو كانت عندي مال لما سلّمت ولدي للقتل »

فضربها حينئذ يده وعلّقها بفرد زجل وأسرف في ضربها على المواضع الغامضة من بدنها^(٢) ولم يرغ بها إحسانها وقت اعتقال المقتدر إياه ولما أوقع بها المكروه لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعاً.

فلما كان مستهلّ ذي القعدة حضر يلبق وعليّ ابنه ومعهما أبو القاسم الكلوزائي دار السلطان فأوصلهم إلى حضرته فطالبوه بحمل مال إلى مونس المطرّ ليُنْفَق في صلة البيعة وحدثهم بما فعله بوالدة المقتدر [389] وأنه

١. في مط: يقتل، بدل «ينتقل»

٢. في مط: يديها، بدل «بدنها»

ضربها بيده مائة مفرقة ضرب التقرير على المواضع العاضة من بدنها فما
أقرت بدهم واحد غير ما كانت أقرت به عفواً وقال لهم:
- «هي بين أيديكم».

ثم أدخلهم إلى الدار التي فيها الصناديق فإذا فيها ثياب وشى وديباج
رومي^(١) وتستري مثقلة بالذهب ومرش أرمني^(٢) وخز رقم وديباج وصناديق
فيها ثياب فاخرة وصياغات يسيرة ذهب وصياغات كثيرة فضة وطيب كثير
من عود هندي وعنبر ومسك وكافور ونمائل كافور^(٣) قيمة ذلك نحو مائة
وثلاثين ألف دينار وقيمة النمائل نحو ثلاثمائة ألف درهم فتسلم أكثر ذلك
مونس المظفر ليبيع فتركوا بعضه ليعلم به القاهر.

وصودر جميع أسباب المقتدر وطهر الفضل بن جعفر فسمى به مونس
ويليق وابنه وخاطبوا فيه القاهر فقال:

- «هذا كان وزير المقتدر ولا بد من مصادرته».

فبذل عشرين ألف دينار عاجلة فقال مونس:

«أنا أزن هذا المال عنه فإنه ثقة عفيف كاتب دين».

ورسم أن يملأ ديوان الصياغ المقبوضة عن والدته المقتدر وديوان أولاد
المقتدر وما قبض عنهم وعن سائر الأسباب وأكرم كل إكرام وصار إلى
[390] الكلودسي فقام له لما حضر ولما انصرف ووقع له القاهر بجميع تلك
الدواوين التي ذكرتها فتسلم الدواوين ولم يؤثر فيها شيئاً لأنه لم يستحسن
وكان بالأمس وزير المقتدر أن يتقلد اليوم ديوان المقبوضات عن والدته
وأولاده وأسبابه فاستحضر الكلوداني هشاماً وتقلده ذلك أزمته وتقلد أبا محمد

١ في مط: شعبي، بدل «رومي».

٢ كذا في الأصل ومط: أرمني، والمثبت في مد: أدمني، خلافاً للأصل.

٣ نمائل كافور، كذا في الأصل ومط ومد.

المادرائي ديون الأصول فكانت مدة ولاية الفضل هذه الدواوين سبعة عشر يوماً.

وكانت مصادرة أبي بكر ابن ياقوت قد اشتهرت وأنه لم يؤد منها إلا سبعين ألف دينار فطولب بتمامها. وأخرج القاهر والدة المقتدر لتشهد على نفسها القضاة والعدول بأنها قد حلت وقوفها ووكلت في بيعها علي بن العباس النوبختي وبوظرت على ذلك فامتنعت منه وذكرت أنها وقفته على مكة والثغور على الضعفى^(١) والمساكين ولا أستحل حلها فأما أملاكى الطبق فقد وكتت علي بن العباس في بيعها

فهض القاضي عمر بن محمد والشهود إلى حضرة القاهر فأشهدهم على نفسه بأنه قد حل وقوفها ووكل في بيعها علي بن العباس النوبختي وفي بيع سوى ذلك من الضياع الخاصة والقراتية والعباسية [391] والمستحقة والمرجعة وما يجرى مجراها في سائر الواحي ووكل أبا طالب السويضى وإسحاق بن إسماعيل وأبا الفرح جليخت في بيع المستغلات بالحضرة المقبوضة وما أمكهم بيعة من فصل ما بين الممملتين ورأى أسباب مونس أنه لا يتم البيع إلا بأن يبتدئوا بالسراء منهم فابتاعوا أشياء بنحو خمسمائة ألف دينار.

وزارة ابن مقله

وقدم أبو علي ابن مقله من شيراز في يوم النحر وكان كتب إلى القاهر بالله ويسأله أن يجلس له في الليل لأنه كان اختار لنفسه أن يساه بطلان الجدى وفيه أحد التسعين والآخر في وسط السماء فوصل في الوقت الذي

١ الضعفى كذا في الأصل ومط في مد الصعاء. خلافاً للأصل. وكلاهما بمعنى واحد.

قَدْرَهُ وَصَادَفَ الْفَاهِرَ يَنْظُرُهُ فَلَقِيَهُ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ أَعَدَّتْ لَهُ دَارُ هَارُونَ
بْنِ الْمُقْتَدِرِ وَفُرْشَتٌ مَدْحَلُهَا وَوَقَعَ فِيهَا بِتَقْلِيدِ قَوْمٍ وَخُلِعَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدِّ خُلْعُ
الْوَرَارَةِ وَصَارَ إِلَى مَوْنَسِ الْمُظْفَرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَانْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ.

وَحَضَرَ النَّاسَ لِلْمَهْنَةِ وَرَاحَ إِلَيْهِ فِي آخِرِ النَّهَارِ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى فَلَمْ يَقُمْ لَهُ
وَاسْتَعْبَحَ النَّاسَ لَهُ ذَلِكَ وَصَارَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرُ ابْنُ قِرَابَةَ وَوَفَى بِوَعْدِهِ فِي
مَدَاحِلَتِهِ بِتِيَّاهِ وَالْعُودِ إِلَى السَّحْلِيطِ كَمَا كُنَّا شَرَحْنَاهُ مِنْ أَمْرِهِ.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثُمِائَةَ [392]

كَانَ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ مَقْلَةٍ عَاتِباً عَلَى الْكَلُودَانِي وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ خَيْرَ أَحَدٍ
مِنْ إِخْوَتِهِ وَوَلَدِهِ وَحَرَمِهِ وَأَسْبَابِهِ بَعْدَ تَقْلِيدِهِ خِلَافَتِهِ وَلَا صَارَ إِلَى دَارِهِ وَلَا
فَلَدَ أَحَدًا مِنْ أَسْبَابِهِ شَيْئاً مِنَ الْأَعْمَالِ وَلَا نَفَقَدَ حَرَمَهُ وَوَلَدَهُ بِشَيْءٍ، وَأَعْظَمَ
مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ ثَوَابَةِ اسْتَأْذَنَ أَبَا الْقَاسِمِ الْكَلُودَانِي فِي وَقْتِ
خِلَافَتِهِ أَبَا عَلِيٍّ فِي ذِكْرِ كُنْيَتِهِ عَلَى الْكُتُبِ النَّافِذَةِ إِلَى الْعَمَّالِ فَلَمْ يَأْذِنْ لَهُ
فَقَبِضَ عَلَى الْكَلُودَانِي وَأَسْبَابِهِ وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا وَتَّخَهُ بِهِ وَأَخَذَ خَطَّهُ بِمِائَتِي
أَلْفِ دِينَارٍ وَنَفَلَهُ مَعَ كَابِيهِ وَأَسْبَابِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ابْنِ قِرَابَةَ ثُمَّ قَبِضَ عَلَى
جَمَاعَةٍ مِنَ الْعَمَّالِ وَكُتَّابِ الدَّوَاوِينِ وَقَبِضَ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
النُّوَيْخِيِّ وَعَلَى بَنِي الْبَرِيدِيِّ وَضَمَّنَ أَعْمَالَهُمْ مِنْ مُحَمَّدَ بْنِ خُلْفِ السَّيْرِمَانِي
بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ وَزِيَادَةَ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَضَمَّنَ أَيْضاً أَنْ يُصَادِرَهُمْ عَلَى
سِتْمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَتَسَلَّمَهُمْ وَحَمَلَهُمْ إِلَى دَارِهِ وَجَمَعَ ذَلِكَ بِتَوْسِطِ ابْنِ قِرَابَةَ
فَاعْتَلَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ حُلْفٍ فِي دَارِهِ وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ.

وَجَمَعَ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ مَقْلَةٍ لِمُحَمَّدَ بْنِ حُلْفٍ مَعَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ أَعْمَالُ الْمَعَاوِنِ
فَخَافَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وَبَنُو الْبَرِيدِيِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَمَّا يَعْرِفُونَهُ مِنْ شِدَّةِ

إقدام محمد بن خلف وتهوره^(١) فأما أبو عبد الله البريدي [393] فإنه دأرى محمد بن خلف ورفق به وأوهمه أنه يعمل من قبله ويقوم بمال النواحي وبالنزادة التي بذلها وأن بطيعه في المال كله ويعمل بما يأمره فيه ولا يحالعه فرقه من بين الجماعة وأوقع بأخويه وعلق عليهما الجرار المملوؤة ودهقهما^(٢) فلم يذعبا بشيء وصيَّق على إسحاق بن إسماعيل ولم يوقع به مكروهاً.

وكانت بين أبي جعفر ابن شيرزاد وبين إسحاق بن إسماعيل مودة وكيدة فحاطب أبو جعفر الوزير أبا علي في لقاء إسحاق وقال :
- «أحتاج أن أواقفه على ما سئب لصاحبي هارون بن غريب عليه فسي أيام المقتدر وما أطلقه حتى لا يحيل عليّ بما لم يطلقه» .
فوجه معه يحاجب من حجاب الوزارة فأوصله إلى إسحاق فلما وقعت عين إسحاق عليه قال له :

- « يا سيدي الله الله في أمري يادر إلى الأستاذ المظفر ولا تفارقه حتى يحصلني من يد هذا الجحور »

فمضى أبو جعفر إلى مونس ولم يزل يسأله حتى دعا يلبق وأمره أن يمضي إلى أبي عليّ ابن مقله ويحاطبه في أمره فإن أطلقه وإلا انتزع من يد محمد بن خلف وحمله إليه فمضى يلبق إلى ابن مقله فحاطبه فم يحد ابن مقله بدأ من الاستجابة لتقريب أمر إسحاق .

فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام عن أبي سعيد ابن قديرة أن السبب فيما لحقهم عتب أبي بكر ابن قرابة [394] عليهم لتأخيرهم مالا كان له عليهم وهو الذي قدمه عنهم فتماعدوا عن الوفاء له فعاهد محمد بن خلف يوم

١ كذا في الأصل ومط تهوره والمثبت في مد تهوره، خلافاً للأصل.

٢ دهنه ضربه، دهق الشيء كسره

تضمنهم من أبي عليّ ابن مقلّة بستمائة ألف دينار على أن يستوفي له من جماعتهم ما قدمه عنهم ويردّه عليه. قلنا حصلوا في يد محمّد بن خلف اسخرج من أبي عبد الله وأخويه عشرين ألف دينار وأنفذ قبض بعض الصيارف يدرب عون إلى أبي بكر ابن قرابة بها وجعل ذلك من دينه عليهم وجدّ بهم

واستسلم له أبو يوسف وأبو الحسين ولحقهما منه مكاره عظيمة وأطعمه أبو عبد الله إطماعاً لم يصحّ ورفق به. قلنا كان في اليوم الثالث ركب محمّد بن حلف إلى أبي عليّ ابن مقلّة فقال له أبو عليّ :
- «يا أبا عبد الله غررتنا والقوم في يدك ففدت مخاريقهم عليك ودهبت بريحك.»

فخجل محمّد واعتاظ وقال :

- «عد حملت من جهنم عشرين ألف دينار وإتما ضمنت المال في مدّة ثلاثة أشهر فأنت عتب للوزير عليّ حتى يخاطبني بهذا الخطاب البشع.»
فقال الوزير :

- «ما سمعت بهذا إلا منك فإلى من سلّمت المال؟»

قال : - «إلى ~~البحر~~ قرابة»

فدعا بأبي قرابة وسأله ^(١) عما ذكر محمّد بن خلف فقال :

- «أنفذتها الوزير هذا الحطّ ووالله ما قبضت [395] ماله من الصيرفي وزعم أنّه من دين لي عليهم ولو قال أنّه من الحمل لأنّ هيت حاله في الوقت وإذا قد بدا له فهاهي الرقعة بارك الله له فيها.»
وسلّمهما إلى محمّد بن حلف فقال محمّد :

١ كذا في الأصل ومط. وسأله والمتب في مد. وهنأ له، خلافاً للأصل.

« لا والله ما جعلتها من دينك وكيف يجوز أن أقدم مالك على مال السلطان؟ »

فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وبلغ أبا عبد الله البريدي خبر المجلس لمسرى عنه واجتهد في أن يكتب رقعة إلى ابن قرابة يسأله فيها المصير إليه فلم يجد دواة ولا من يحملها واتفق أن أتى أبو سعيد ابن فديدة غلامه أحمد ليشاهد حاله فاستأمن إليه أبو عبد الله ورغبه في الإصطناع والإحسان ووعدته أن يغنيه إذا أوصل رقعة له إلى ابن قرابة فاستجاب له الغلام واحمال له في حوزة جعل فيها كُرْسُفًا^١ وأحضره قلما صغيراً وقطعة من كاعذ فكاتب أبا بكر ابن قرابة وحلف له إنه إن أحذه إليه وقاه ماله عن آخره وخدمه أحسن خدمة.

فبكر أبو بكر ابن قرابة إلى محمد بن خلف وأظهر له أنه قد قصده لمعاتبته حتى استوفى المفاوضه معه. ثم قل له .

« أحرص ابن البريدي إليّ فإنه يستقيم إلى كلامي حتى أقرر مصادره وأعرف ما عنده [396] في دبي »

فأخرج إليه أبا عبد الله فقال أبو عبد الله :

« أول إقبالي إن قلت لمحمد بن خلف : لم يبق من السحر إلا السرار فيفضل الأمير ويحلي لنا مجلسنا. »

فهض محمد بن خلف من مجلسه وسلمه إليّ برقعته وقال :

« أنا داخل إلى دار الحرم. »

فخطبنا وجلس مجلسه وقعدت مقعده فنألت وقلت :

« هذا مجلس كان لي فأنتل إليه وقد عاد إلي. »

١ في مطبوع كرسف القطن لينة النواة.

فاستصلحت أبا بكر ابن قرابة ووعدني بتخليصي ووفى ومضى ففصل أمرنا وصمن الوفاء عتاً.

فلما كان في اليوم الثاني رضى عتاً أبو عليّ ابن مقلّة واستدعاني وبخوتي فدهانا محمد بن خلف وسكّن مدّاً^(١) وأنفذنا إليه فلما أردت الخروج قلت لمحمد بن خلف:

«أيها الأمير، أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل خادمك ومونس يعتني به وسيُفقد الساعة من يأخذه فدعني حتى أستصلحه لك وأعقد بينك وبينه عهداً ويميناً.»

فقال: «أفعل.»

فخلوت بإسحاق بن إسماعيل وقلت له:

«قد سخرتُ من هذا النفس^(٢) وأنا منصرف فعاهده واحلف له ثم قل له: بهذا الآن عهد ولا بدّ من صدقك ابن مقلّة يبعثك ويتهمك بأنك تطلب الوزارة وإنما أراد أن يستقر لك الأعداء ويأخذ أموالاً بيدك ثم يحملنا على أن نضمتك وقد ضمتك أسو عبدالله البريدي [397] بثثمائة ألف دينار وحدّثني بهذا فلا تركب أتيماً فإن كان الوزير سأل عنك وقد حماك منه الحليفة وإن طيبك فأما يريد أن يسلمك إليه.»

ثم انعطفت إلى محمد بن خلف وقلت:

«قد فرغتُ من القصة والرجل يخدم الأمير كما يريد.»

وخرجنا فأعاد عليه إسحاق ما سمعه مني فأصرف قبل العصر بعدى.

فلما جلس محمد بن خلف في منزله ولم يركب إلى أبي عليّ ابن مقلّة مضى أبو عبدالله البريدي إلى ابن مقلّة وقال له:

١. كذا في الأصل: متاً. في مد: هنا وفي مط: وتمكن متاً. بدل «وسكّن متاً».

٢. في مط: البلس، بدل «النفس».

«قد عرفت من دار محمد أنه يطلب الوزارة وأن رسله منبشون إلى أسباب مونس وإلى القاهرة فلا تدعه يقيم في الهند».

وكان ابن مقله جباناً فطلبه وكان ذلك القول لأول قد تقدم إلى محمد بن خلف، فوثب بخدم ابن مقله وغلماؤه وحاجبه وخصريهم وحصلهم في بيت وقفل الباب عليهم وسور السطوح وهرب فلم يظهر إلا في وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بلقاهر بالله.

وكان أبو عبد الله البريدي مقيماً بالأهواز وعرف محمد بن خلف من بعد أن الحيلة تمت عنده، فقال لمن بلغ أيا عبد الله البريدي:

«ظننت بك ظناً جميلاً ولم أعلم أنك في الحيلة على وكنت قد صدفت

عني فلم أقبل.» [398]

فقال أبو عبد الله البريدي لأبي علي الكاتب:

«اكتب إلى فائق العلام بأن يقول لمحمد بن خلف: هذه الحيلة يجوز أن تخفى عليك، فقد حفي مثلها على من هو أكبر منك ولكن أعظم من ذلك أنه كان لنا من الموضع الذي خبنا فيه طرق إلى دور حرمك وذهبت عليك ولم تعرفها فاحترس منها في المستقبل».

وتوسط أبو بكر ابن قرابة أمور الجماعة وفصلها مع ابن مقله فوقع ابن مقله بإعادة ابني البريديين إلى أعمالهم واستقامت أمورهم. ولما بطل ضمان محمد بن خلف ما كان ضمه من ضمانات البريديين وإسحاق بن إسماعيل صرف أيضاً عن أعمال المعاونة في هذه النواحي وطلبه ابن مقله وكان من وثوبه برسله وحاجبه واستتاره ما ذكرناه.

ووجه ابن مقله إلى دار محمد بن خلف من^(١) فتح الباب عن خدمه

١ من فتح: في الأصل ومد: ثم فتح والتصحيح من مط.

وغثمانه وحاجبه وانصرفوا.

بين ابن مقله وأبي الخطاب

وكان أبو عليّ ابن مقله يعادي أبا الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات ولم يكن يجد إلى القبض عليه طريقاً ديهوانياً لأنه كان ترك التصرف عشرين سنة ولزم منزله وفع بدخل ضيعته وكان سب عداوة أبي عليّ له أنه كان استسعه أيام نكته فاعتذر بالإضافة ولم يسعه [399]

ثم إن أبا الخطاب طهر أولاده فتجمل كما يتجمل مثله ودعا أولاد أبي عليّ ابن مقله فشاهدوا مروّة تامة وآلات جديدة وصياغات كثيرة وكان بعضها عارية فانصرفوا وحدثوا أباهم الحديث وعظموا وكثروا وصار أبو الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات إلى الوزير أبي عليّ ابن مقله على رسمه يوم الموكب للسلام عليه فقبض عليه.

فحكى أبو الفرج بن أبي هشام أن أبا زكريا يحيى بن أبي سعيد السوسي حدثه أنه كان حاضراً حين قبض على أبي الخطاب وأن الوزير أبا عليّ أخذ إليه وسائط وأنه كان فيهم وطالب بثلاثمائة ألف دينار وأن أبا الخطاب قال :

«بماذا يتعلّى الوزير عليّ وقد تركت التصرف منذ عشرين سنة ولما تصرفت كنت عميقاً سليماً ما أذيت أحداً ولي عليّ الوزير حقوق وليس يحسن به أن يتناساها مع اشتهاؤه بالكرم ويسقبح

بى أن أهججه بخطوط له عندى قبل هذه الحال العالية^(١) فقولوا له : أيها الورير أبو علي، ذكرتك بما لو طالتك برعايتها أو بالمجازاة على ما أسلفك فى أوقات انحراف الزمان عنك أو سألنك ولاية أو إمارة أو إحساناً فى معاملة فى ضيعة أو إرفاداً [400] وهل من الجميل ألا أحد عندك إذا رفهتك من هذا كله سلامة فى نفسى فيما قد ركبته متى ما إذا صدقت نفسك خفت العقوبة من الله عز وجل ثم قسبح الأحدثوة من الناس.

- «أما ما ظننته عندي، فما الأمر كما وقع لك لأن هذا المال إن كان موروثاً عن أبي رحمه الله فليست وارثه وحدي ولو كان لاقتسمناه ونحن عدة فلم يكن بد من أن يشيع ويعرف خبره وإن ظننته من كسبي فتصرفي وما وصل إلي منه معروف وما لحقت عنك نزارته ومن بحضرتك من أصحاب الدواوين يشهدون لي بأني ما حظيت ببعض مؤهتي^(٢) وإن ظننته من استغلاك فما اسمعله يقسوم بين الورثة وإن رجعت إليهم بالمسألة لم تعد ما يحصني في زمان تصرفي إلا بعض ما اضيق لي مؤنني ومروتي.

- «وقد حلف الورراء والأكابر أولاداً مثلي في كفايتي ودوني فنعرضوا لمواقف واستشرفوا لرتب وراسلوا وروسلوا فهل رأيتني إلا في طريق التسلم وراصباً بامتداد ستر الله تعالى والزهد في هذه الدنيا، فأني شيء، يقول الله تبارك اسمه، ثم لعباده إذا

١. في مط.، العالية (بالعين المهملة)

٢. كذا في الأصل ومط. مؤنني وفي مد: مروءتي.

أسأت إلى؟

فلما أعيد هذا الكلام على ابن مقله من غير جهتها فإنه كان [401] أنفذ من يتسمع، خجس وتبلد وتحير ثم قال:

«هذا يدل على بالفراثة وأمر المؤمنين ليس يمكنكى من رعاية حقوق أمثاله وأنا أنفذه إلى الخصيبى فإنه أعرف بدوائه.»

فقمنا وجئت إلى الخصيبى فحدثته بما جرى فى المجلس وقلت له:
«أعيزك بالله أن تتصب للنشر^(١) على الناس وأن يقال: إنَّ النعم تُزال بك وأنت وزير ابن وزير وقد رفع الله قدرك من ذلك وأجلك بمصاعتك وعفافك وأبوتك.»

فقال: «أحسن الله جزاءك ستعلم أتى أردّه إليه بعد أن أعذر باليسير إليه.»
ثم إنَّ أبا عليّ ابن مقله استدعى الخصيبى وسلمه إليه بعد أن اضطرّه إلى كتب خطّه بثلاثمائة ألف دينار يصحّحها فى مئة عشرين يوماً. فأحضر له الخصيبى صاحب الشرطة وجردّه وضربه عشر دور وحلّج تخليعاً يسيراً. ثم ضربه بالمقارع، فأقام على أنه لا مال له وأن ضياعه قد وقفها ولا يمكنه بيعها. فاستغنى الخصيبى منه وردّه إلى دار ابن مقله فحبسه ثم سلّمه إلى المعروف بابن الجعفرى النقيب وأحضر له غلاماً من غلمان القاهر وذكر له أنه قد أمر بضرب عنقه إن لم يؤدّ قدراً من المال.

فما زال يعلنهم إلى آخر الوقت ولم يؤدّ [402] شيئاً. فلما حضر الوقت أحضره السيف وشدّ رأسه وعينه. فقال له أبو الخطاب:

«وجهنى رحمك الله إلى القبلة.»

١. فى مغل: للنشر، بدل والتشّر.

فوجّهه.

ثمّ قال له:

«يرفئ^(١)».

وتشاهد.

فبادر بالخير ابن الجعفرى إلى ابن مقلّة فقال ابن مقلّة:

«لا يجوز أن يكون بعد هذا شيء».

وقال مونس المظفر لابن مقلّة:

«أى طريق على رجل لم يعمل عملاً منذ آخر سنة تسع وتسعين

وماثنين؟»

فأخذ ابن مقلّة وسلّمه إلى حاجبه وأمره أن يعتقله. فأقدم فيه يومين وحضر أبو يوسف البريدى فشكا إليه ابن مقلّة ما أقام عليه أبو الخطاب من التجلّد ووسطه بينه وبينه. فصار إليه أبو يوسف وقرّر أمره على عشرة آلاف دينار فحلف أبو الخطاب ألا يؤدّى منها درهماً ولو قُتل أو يطلق إلى منزله. فوجه إليه ابن مقلّة بخلعة من سياهه وحمله على دابة بعركب واستدعاه ووثب إليه حتّى كاد أن يقوم له ثمّ قال له:

«كُتِر على الحليفة فى أمرك وعزيز على ما لحقك فامض مصاحباً إلى

منزلك».

فبصرف وأدّى المال فى مده عشرة أيام وأطلق ضياعه وأملاكه.

وأحضّر ابن مقلّة إسحاق بن إسماعيل وأخذ خطّه بأن يحمل [403] فى

كل شهر من شهور الأهلّة مثل ما كان يحملّه إلى المعتدر بالله لخريطته على

سبيل المرفق وهو ألفا دينار وأخذ خط أبي عبد الله البريدي بحمل ثلاثة آلاف دينار هي كل شهر على هذه السبيل وخط أبي يوسف وأبي الحسين أخويه بألف وخمسمائة دينار في كل شهر.

ذكر ما جرى في أمر الذين هربوا من قواد المقتدر
وما آل أمرهم إليه

كتب هارون بن غريب إلى أبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد من واسط بأن يقطع أمره على مصادره ثلثمائة ألف دينار على أن يطلق له ضياعه المثلث في سائر النواحي ومستعلاته دون الإجازات والوقوف التي كانت في يده وعلى أن يؤدي حقوق بيت المال على الرسوم القديمة ويرتجع إقطاعاته وعنى به مونس المطفر وأسبابه وكتب له القاهر أماباً وقيلت مصادره التي بدلها وفقد أعمال المعاون بماء الكوفة وماسبدان ومهرجانقذق. وخرج عبد الواحد بن المقتدر ومحمد بن ياقوب الباهلي وابنا رائق وسرور ومفلح من وسط مفارقين [404] لهارون بن غريب من واسط إلى السوس وجنديسابور فأفسدوا أمر الأعمال هناك وعاثوا وخربوا وسدوا أيديهم إلى البناء والتجارة ثم خرجوا على الظهر إلى سوق الأهواز. فلما طال مقامهم بالأهواز شخص يلقى الجيش معه نحوهم فلقبه هارون بن غريب بـجرجرايا ثم نفذ لحرب القوم.

فأما ما حكاه أبو الفرج ابن أبي هشام عن مشاهدة وعيان فإنه قال: إن الهاريين من قواد المقتدر مع عبد الواحد ابنه دخلوا سوق الأهواز من طريق الطيب وما دخلوا السوس ولا جنديسابور واستبد محمد بن ياقوت بالأمور على ابني رائق والجماعة.

وفقد أبا إسحاق الفراء على كاتبه النظر فاستخرج وأسر ونهى وكسنت

الأموال تنصب إلى ابن باقوت ويُعطى منها ابننا رائق وغيرهما ما يريد فتغيرت له القلوب واعتمدوا الخلاف عليه.

وتحقق أبو عبدالله البريدى بأبى علىّ ابن مقلّة. وكانت الكتب ترد عليه من الأهواز بجميع ما يجرى فأشار بأن يتلاحق أمرهم وقال:

«إنّ القوم سخاذلون وابن ياقوت مسيدٌ عليهم وعلوبهم شتى وإنّ ابني رائق صديقاً فإن أخرج إليهم جيش اختلفت كلمتهم [405] وإن تركوا قويت شوكتهم بأموال الأهواز وعقدوا لعبد الواحد الخلافة وطلبوا الحضرة.»

فأنهد أبو علىّ ابن مقلّة أبا عبدالله البريدى إلى موسى حتّى شافهه بذلك كلّه فقال موسى:

«قد ترى الحيرة فى مال البيعة وقد استحقّ الناس رزقه لأنّ الحادثة بالمعتدر منذ ثلاثة أشهر فمن أين المال؟»
فقال أبو عبدالله البريدى:

«أنا أضمنه ويسبب علىّ وأفدّم بالحضرة ثلاثين ألف دينار وأصنع^(١) بالسوس خمسين ألف دينار وبسبتر عشرين ألف دينار والباقي بالأهواز.»
وأحضر صاحب ديوان الجيش وعمل جريدة لمن تجرّد مع يلىق وأجمل ما لهم فبلغ مائتي وخمسين ألف دينار فحمل أبو عبدالله الثلاثين ألف الدينار التى ضمن تعجيلها بالحضرة وخوطف القواد وتكاثر العساكر مع يلىق وأبو عبدالله البريدى معه.

وخرج بدر الخرشنى^(٢) فى الماء وكوتب أحمد بن نصر القشورى وكان يتقلّد البصرة أن يسير معه فدنا تحصّلت الجيوش بواسطة تغيّرت القلوب على محمّد بن ياقوت وتبيّن ذلك فقال للجماعة:

١ فى مط: أضح

٢ فى مط: الحرشى

«أنا واحد منكم ولست أخالفكم في رأي ولكن الوجه أن نجتمع بتستر [406] فإنها حصينة منيعة وندير أمرنا بما يوفق الله عز وجل له ولا نحارب.»

وواقعهم على مال يعطيهم وساروا للوقت إلى عسكر مكرم وأفرجوا عن قصة الأهوار فعمل القراريطى بها ما لا يعمل الدمشق وفتح الدكاكين بالليل وبعث إليها البعير وحمل منها أمتة النجار وصادر الأسود والأبيض. ولما ورد الخبر ينزل يلبق السوس نفذت الجماعة إلى تستر وورد البريدى وسلك طريق القراريطى وزاد وما زال يحتال حتى وقى الخمسين الألف الدينار ثم وافى يلبق والحيوش جسر تستر فوجده مقطوعاً وحال بينه وبين تستر دجيل.

فحكى عن أبي عبد الله البريدى بعد ذلك أنه قال: هممت بالتغلب ووصعت في نفسي الإمرة وتدير الرجال منذ ذلك لئلا رأيت انحلال يسبق وسقوط ابن الطبرى كاتبه لآتى رأيتهما متحلفين سافطين. وكان الشارد قد طار وضج يلبق واضطرب رجاله فهم بالإنصراف فتبته أبو عبد الله البريدى وما زال يهرده إلى القواد ويهرهم ويهاديهم ويسكنهم ويكاتب ابى رائق بالموادة ويشهر عليهم بمفارقة ابن ياقوت ويذكر لهما سوء أخلاقه وشدة عجبه ونطاولة [407] عليهما حتى اسنحبا إلى تقلد البصرة والإنصراف عن تستر.

فما عرف ابن ياقوت الخبر حتى ضربها بالهوق بكرة ورحلا فلم يكن له بهما يدان لأنه لو كاشفهما لعبر العسكر الذى يازانه إليه وقتل أو أسر. ولما توجه ابنا رائق إلى البصرة استأذن مفلح وشور في العبور بعيد الواحد إلى يلبق وعالوا لمحمد بن ياقوت:

«قد ضعفت نفوسنا وأنت معصم برجالك ونحن فلا عدة لنا ولأصحابنا

(ألا غلماننا.)

فرد الاختيار إليهم، كذبوا وتوثقوا لنفوسهم من يلبى وعبروا إليه وتحير محمد بن ياقوت فراسل يلبى في أن يحلف بسلامة يثته إذا لقيه ليحبر إليه ويفاوضه ويعود إلى معسكره. فأجابه وحلف له على ذلك وعبر إليه محمد بن ياقوت بذراعه بيضاء وعمامة وجُمَشَك^(١) في رجله ومعه غلام واحد وقت العصر فقام له يلبى وتفردا وتطاولا حديثاً ما عُرِف في الوقت.

واشتعلت النيران في ثياب البريدى وتردد دُفْعَات إلى ابن الطبرى يشير بالقبض على ابن ياقوت وراسل ابن الطبرى يلبى بذلك وقال له :
- «البريدى خليفة الوزير وثقة الأستاذ مونس يشير بذلك ولست أقول أنا شيئاً».

فقال يلبى :

- «ما كنت بالذى أخفر أمانى [408] وأحسنت فى يمينى ولو ذهبت نفسى».

وحضر وقت الصلاة فقام محمد بن ياقوت تحت الفازة فى موضع فسيح فأذن وأقام وتقدم للصلاة يلبى وأكثر العسكر وراءه ولما استتم المكتوبة انتنى إلى يلبى معانقاً له فقام إليه رودع كل واحد منهما صاحبه وعاد محمد بن ياقوت إلى عسكره^(٢) وظهر السر وكان تبعاتيهما أولاً ثم تحالفا وتعاقدا واصطلحا على أن يسير إلى الحصرة بشروط الأمان على أن يكون بينهما فى المسير منزل فمَنَزَل.

ورحل محمد بن ياقوت بعد ثلاثة أيام من تستر إلى عسكر مُكْرَم ودخل

١ فى مط . حمل . بلك «جُمَشَك» بضم الجيم كما ضبط فى الأصل . أصلها القمارسى : جُمَشَك (= جُمَشَك) ، أى العدة .

٢ فى مط . معسكره .

يلقى تُسْتَرُ فعمل بها البريدي أعظم ممّا عمل القرائطي بكثير لأنّ الناس توقّوا منه، فلمّا رأوا أصحاب السلطان أنسوا. فأنى البريدي عليهم وكبس اليهود وهم معظم التجار وتجاوز كلّ قبيح ووفى بالمائة الألف الدينار.

وسار يلقى إلى الأهواز وأهلها هاربون من محمّد بن ياقوت فسلموا لأنّهم مضوا إلى البصرة. وابتلى بالبريدي^(١) أهل عسكر مكرم وتُسْتَرُ. فأيسر ما عمل أن ركب إلى دور الصيارف فأخذ ما وجد من الأموال لهم وللمن يضاربهم وخسف بالسواد حتّى صحّح ليلقى مائتى ألف دينار [409] وبقيت على البريديّ خمسون ألف دينار وعنى به ابن الطبرى لأنّ البريديّ خدمه خدمة تامّة حتّى أنّه كان يحضر أبواب البيع في البلدان ويحلس على غاشيته ينتظر خروجه، فإذا خرج سأله أن يعطيه برشائه فإذا أعطاه قبله وجعله في كفه وأشهد له بضائع ارتفاعها عشرة آلاف دينار فكان ذلك سبب عناية ابن طبرى به.

وحاطب له يلقى وقال له

- «أبو عبد الله ثقة وسحمل هذه الخمسين الألف الدينار فيما يخصّ الأمير - وكان ماله في الجملة - وقد خدم ويضّ وجه الأمير فيما خدم ودبر ويدد شمل هؤلاء، وإنّه لأحقّ بمجلس أبى على ابن مقلّة منه وأنمذ في التدبير والأمر»^(٢)

فأجابه يلقى إلى ما سأل وخلف غلاماً عند البريدي يقال له ايتاخ.

ورحل ابن ياقوت إلى شاززان^(٣) وتبعه يلقى ودخلوا مدينة السلام وأطلعت أملاك ابنى رائق ومحمّد بن ياقوت ومفلح وشورور دون إقطاعاتهم وأطلق لعبد لواحد بعض أملاكه القديمة وأعمى هو ووالدته من المصادرة

١. كداسى الأصل ومط. بالبريدي. وما فى مد البريديّ

٢. شاززان بكيدة بين السوس والطيب من أعمال خورستان (مراد الإطلاع)

وعادت يد ابن البريسى إلى عمالة الأهواز واستقامت الأمور وخلع القاهرة على يلق وطرقه وسوره [410] بطوفين وسوارين مرصعين بالجواهر. وخرج أمر القاهرة يبيع دار المخرم التي كانت برسم الوزارة وكانت قديماً لسليمان بن وهب فقطعت وبيعت من جماعة من الناس بحال عظيم لأن ذرعها يشتمل على أكثر من ثلاثمائة ألف ذراع وصرف ثمنها في مال الصلة لبيعة القاهرة بالله.

وورد الخبر بموت تكين الخاصة بمصر فأشار الوزير أبو عليّ ابن مقلة بأماذ عليّ بن عيسى إليها للإشراف عليها فابتدأ بالاستعداد للخروج، ثم صار إلى أبي عليّ ابن مقلة في بعض العشايا وصادفه خالياً فعرفه كبر سنه وضعف حركته ونقصان قوته وأنه لا يستشفع إليه بغير كرمه ولا يوسط بينه وبينه أحداً غيره وحلف على موالاته أيماناً أكدها وسأله إعفائه من الشخوص وتدليل له وانكبّ على يده ليفتلها فمنعه من ذلك وخاطبه بمعرفته بحقه وعلمه بمكانه فأعفاه من الشخوص فانصرف عليّ بن عيسى شاكراً.

وورد كتاب محمد بن تكين يخطب مكان أبيه فأجيب إلى ذلك وحمل إليه الخلع والتهد. وكتب القاهرة رقعة بخطه إلى أبي عليّ ابن مقلة بالنكبة وزيادة في التشريف ولرسه ومسه [411] أن يكتب بذلك إلى الأمصار والأعمال كلها، فعزل ذلك ثم حمل إليه خلعة بعد خلعة للمنادمة وحمل إليه صينية فضة مذهبة فيها نذ^(١) وعنبر وغالية ومسك وصينية أخرى فيها رطلية بؤر فيها شراب مطبوخ عتيق وقدر بلور وكوز ومغسل فضة. وشغب الجند بمصر على محمد بن تكين فقَاتلهم وهزموه^(٢).

١ النذ: عود يُصَفَّر به (فارسية).

٢ في مط: وهزموا

استباحش مونس ويليق وابنه وابن مقله من القاهر
وفي هذه السنة استوحش مونس المظفر ويليق وعلي ابنه والوزير أبو
علي ابن مقله من القاهر بالله فضتقوا عليه وعلي أسبابه.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك انحراف الوزير أبي علي ابن مقله عن محمد بن
ياقوت فمكّن في قلب مونس المظفر ويليق وعلي ابنه أنه في تدبير عليهم
مع القاهر بالله وأن عيسى المنتطب يرسل للقاهر إليه فوجه مونس بعلي بن
يليق إلى دار السلطان وسأل عن عيسى فعرف أنه بحضرة القاهر فهجم عليه
غللمان علي بن يليق فوجدوه واقفاً بحضرة القاهر فقبضوا عليه وأخرجوه إليه
فنفاه من وقته إلى الموصل.

واجتمع رأى مونس ويليق وابنه والوزير أبي علي الإيقاع بمحمد بن
ياقوت والنداء في أصحابه [412] ألا يصموا ببغداد.

فلما كان يوم الأربعاء لليلة حلت من جمادى الآخرة خرج علي بن يليق
في الجيش ومعه طريف السبكي للإيقاع بمحمد بن ياقوت وبلغ محمد ابن
ياقوت ذلك فأنكشف من معسكره من ميدان الأشنان وطلبه علي بن يليق
فلم يقف علي خبره وذلك أنه دخل إلى بغداد واستتر بها وتفرق رجاله
وانصرف علي ابن يليق من فوره إلى دار السلطان وأوقع التشدد على القاهر
ووكّل بالدار أحمد بن زيرك وأمره أن يفتش كل من يدخل ويخرج من
الرجال والنساء والخدم ويفتش كل ما يدخل إلى القاهر ففعل أحمد بن زيرك
ما أمره به حتى بلغ الأمر به أن فتش بنأ حمل إلى القاهر وأدخل يده فيه
لئلا يكون فيه رقعة.

ونقل علي بن يليق المحبوسين في دار السلطان إلى داره من والدته
المقتدر وغيرها ومنع القاهرة أرزقي حشمه وأكثر ما كان يُقام له، وطالب علي
بن يليق القاهرة أن يسلم إليه ما بقي عنده من الفرش وأمتعة والدته المقتدر
وابن الخال، فسلم ذلك إليه وبيع وحُصل ثمنه في بيت المال وأُطلق للجند.
وباع أبو علي ابن مقله من الضياع وأملاك السلطان لتمام [413] الصلة للبيعة
بألفي ألف وأربعمائة ألف دينار مع ما باعه الكلوداني أيام خلافته إياه قبل
قدومه من شيراز.

ومكثت والدته المقتدر عند والدته علي بن يليق مكرمة مرقمة مدة عشرة
أيام وماتت لست خلون من جمادى الآخرة لزيادة العلة عليها ولما جرى
عليها من مكاره القاهرة فحملت إلى تربتها بالرصافة ودُفنت فيها.
وفيها هم علي بن يليق والحسن بن هرون كاتبه بلعن معاوية بن أبي
سفيان على المنابر فاضطربت العامة من ذلك وتقدم علي بن يليق ببعض
على البرهاري^(١) رئيس الحنبليّة فنذر به وهرب وقبض على جماعة من
كبار أصحابه وجعلوا في زورى مطبق وأحدروا إلى البصرة.

تدبير ابن مقله وحيلة القاهرة

وفيها نفذت حيلة القاهرة على مونس المطر وانعكس ما دبره الوزير أبو
علي ابن معنة من نصب على القاهرة حتى قبض على مونس ويديق وابنه
وهرب أبو علي بن مقله والحسن بن هارون

ذكر انعكاس هذا التدبير

لما ضيق على بن يليق القاهرة وعومل بما ذكرناه أخذ القاهرة في

الحيلة على مونس وأصحابه وبعده فساد تبة طريف السبكري وبشري^(١) يليق وابنه [414] ومناقبهما إيتاهما على مراتبهما الجليلة ثم علم أن مونساً ويلقب أكثر اعتمادهما إنما هو على الساجية وكأنا وعداهم بالموصل إذا دخلا بغداد أن يجعلاهم برسم الحجريّة وأنهما ما وفيا لهم بذلك وأنّ نياتهم متعيرة لهما. فراسل القاهر الساجية وهزّ بهم على مونس ويلقب وضمن لهما أن ينقلهم إلى رسم الحجريّة - وكان الساجية يقبضون في كلّ ستين يوماً برسم المماليك، والحجريّة يقبضون في كلّ خمسين يوماً - وأن يلحقهم في النسر والعلوفة بالحجريّة.

وكان بين اختيار الفهرماتة وبين أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله معرفة قديمة وبينها وبين والدته مخالطة، فأشارت على القاهر بمكاتبتها أن يعده بوزارته لتعاونه على التدبير على مونس وأصحابه وأشارت على محمد بن القاسم بأن يكاتب القاهر ويصدقّه عن تدبير أبي عليّ ابن مقله وابن يليق عليه. وكانت اختيار هذه تخرج من دار السلطان إلى دار القاهر القديمة التي في دار ابن طاهر وتظهر أن خروجها في حوائج حرم القاهر وولده، فإذا كان بالليل صارت إلى محمد بن القاسم ولقيته.

وبلغ أبا عليّ ابن مقله أن القاهر قد جدّ في التدبير عليه وعلى مونس ويلقب وأبنته [415] والحسن بن هارون وحملهم على الحدّ والمبادرة إلى خلعهم من الخلافة وأنفق رأيهم على تقليدها أبا أحمد ابن المكتفي بالله وواقفوا شاذمرو^(٢) حماة إبراهيم بن خفيف صاحب ديوان النفقات وكانت متحصة بأبي أحمد على ما دبّروه وعقدوا الأمر سرّاً لأبي أحمد ابن المكتفي بالله وحلف له يليق وابنه وأبو عليّ ابن مقله والحسن بن هارون ثم كشفوا ما

١. في مط: تسري، بدل «بشري»

٢. في مط: سده مرو.

فعلوه لمونس فقال لهم مونس

- «لست أشك في شر القاهر وقد أسرفتم في الإستهانة به وأخطأتم في تفليده الأمر فلا تعجلوا الآن وترفقوا حتى تؤنسوه ويأنس ويبسط إليكم ثم حينئذ تقبضون عليه.»

فقال علي بن يلبق وانحسن بن هارون

- «الحاجة إلينا والدار في أيدينا وما نحتاج أن نستعين بأحد في القبض عليه لأنه بمنزلة طائر في قفص.»

وعملوا على معاجلته

فاتفق أن ركب يلبق إلى الميدان فصدمه خادماً له فسقط وأعيى ولزم منزله وتمكن علي بن يلبق من متابعة ابن مقله وحسنوا الأمر عند مونس وهؤنوه عليه وعلى يلبق حتى أذنا فيه. فلما كان يوم السبت سلخ رجب انصرف أبو علي ابن مقله من دار السلطان واجتمع إليه كتابه وأخوه ومن جرى عادته بمواكنته [416] وفيهم أبو بكر ابن قرابة فمما فرغ من طعامه التفت إلى أبي بكر ابن قرابة فقال له :

- «قد وافى صديقك القرمطي إليّ انكوفة في ثلاثة آلاف راحلة ومعه صاحبه فلان ودخل لكوفة ونادى بأنه قد آمن الرعيّة سوى أصحاب المعروف بمحمد الملقب بالقاهر»

فقال ابن قرابة .

- «أيها الوزير هذا باطل لأن ابن بسر^(١) الكوفي جارٍ واليوم كان عندي وقد وقعت عليه أطيّار بأخبار السلامة.»

فقال أبو علي :

١ كذا في الأصل: بسر وفي مط بشر

- «سبحان الله أنت وابن يسر أعرف من صاحب المعونة بالكوفة وقد سقط من عنده طائر على أبي الحسن ابن يلبق وقد جاءني سعيد بن حمدان ومعه رجل من الأعراب قد قتل نفسه وقطع عذة من الأفراس فخبير عن معاينة ومشاهدة.»

وكان ابن مثلة عد واطأ سعيد بن حمدان عنى ذلك. ثم دعا بالدواة وثبت قرطاس وكتب بخطه إلى الفهر رقعة يقول فيها :

«إن القرمطى الهجرى المعروف بأبى طاهر قد وافى الكوفة فى ثلاثة آلاف راحلة فتزلها وسط عى من عامل الخراج وعلى عى بن يلبق من عامل المعونة طائران بكتابين بتاريخ يوما هذا بزوله ونرول أصحابه بها وأنى أنا ويلقى ستربا ذلك عن الفؤاد [417] والجند وخواص الدولة لئلا يذيع الخبر وتصعب قلوب الأولياء وقد اتفقت مع مونس على إحراج عى بن يلبق مع أكثر فؤاده وقؤاد أبيه إلى نواحي الكوفة لدفع القرمطى عن الرخيل منها إلى بغداد وهو يخرج فى سحر غد مائراً إلى صرصر من حيث لا يصر بباب بغداد مضرباً حتى يبحق به الرجال وقد وجه القباء فى عشية يوما وقد واقفت على بن يلبق على الرواح إلى دار مولانا أمير المؤمنين ليصل إليه ويودعه وعملت على التأخر لئلا يشيع الخبر بحضورى فى غير وقت حضور منى الدار ويفسد التدبير فى خروج عى بن يلبق بكرة غد، وأنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ليقف عليه ويسكن إلى ما دبرته وينعم بإيصال عى بن يلبق إذا حضر

العشيّة إن شاء الله.»

وأنفذ الرقعة ونام.

فكتب القاهرة في جوابها :

«وإنّه استصوب فعله وبأنّه يوصل ابن يلبق إذا حضر.»

ولمّا انتبه ابن مقلّة من النوم لم ينتظر ورود جواب رقعته إلى القاهرة وأعاد إليه رقعة ثانية بمثل ما كتب به فتمّت وصلت الثانية إلى القاهرة ولم تكن الحال تقتضيها لنفوذ جوابه عن الأولى اسراب وحاف أن تكون حيلة عليه. ثمّ نّم إليه [418] الخبر من جهة طريف السبكى بما عمل عليه عليّ بن يلبق من القبض عليه إذا أوصله إليه فأخذ القاهرة حذره وراسل الساجيّة بالحضور وعرفهم أنّ عليّ بن يلبق يحضر لحيلة يوقعها، فحضروا متفرّقين. فلما كان بعد العصر حضر عليّ بن يلبق وفي رأسه نيز ومعه عدد يسير من غلمان به سلاح خفيف في طيّاره، وأخذ جماعة من غلمان به سلاح إلى دار السلطان وصعد من طيّاره في الروشن وراسل القاهرة بسأله إيصاله إليه فدفعه القاهرة إلى أن حضر الساجيّة كلّهم بالسلاح فبرزوا إليه وشتموه وعملوا على القبض عليه وحامى عنه غلمان به وحاجبه ابن حسدقوى^(١) وحالوا بينه وبينهم وبأدى بهم وطرح نفسه من الروس إلى الطيّار وغير واستتر من ليلته.

وبلغ ابن مقلّة الخبر فاستتر من ليلته واستتر الحسن بن هارون وأبو بكر بن فزارة وانحدر يلبق إلى دار السلطان وانحدر بانحداره جميع من حصر دار مونس من الفؤاد وفدّر يلبق أنّه يمسح القاهرة ويعتذر لابنه فلما حصل

فى الدار قُبض عليه وحبس وقبض على أحمد بن زيرك وعلى يمين الأعور^(١) صاحب الشرطة وحصل التجيش [419] كله فى دار السلطان. فراسل حينئذ القاهر مونساً وسأله الإتحدار إليه ليشاوره فيما يعمل وقال له . « أنت عندى كالوالد وما أحب أن أعمل شيئاً ولا أمضى عزمًا إلا عن رأيك »

فاعتذر مونس بنفل الحركة عليه وألح القاهر فى طلبه وسأله الحمل على نفسه فاستفتح له طريق السبكرى البأخر وحمله على الإتحدار. فلما حصل فى الدار قبض^(٢) عليه وحبس.

فكانت وزارة على ابن مقله للقاهر تسعة أشهر وثلاثة أيام.

وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم

ووجه القاهر إلى أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله فاستحضره يوم الأحد مستهلاً شعبان نقيبته وقلده ودارته ودوايرته وحلج عليه من غد وهو يوم الإثنين خلع الوزارة.

ووجه القاهر من يومه بمن استقدم عيسى المتطبب من الموصل وطرحته النار فى دار أبى على ابن مقبة بباب البستان وأحرقت ووقع النهب ببغداد وظهر محمد بن باقوت وصل إلى دار السلطان وخدم فى الحجة يومه ذاك ثم وقف على كراهية طريف السبكرى والساجية والحجرية فاحتال إلى أن تم له الهرب واستتر وانحدر إلى أبيه وهو بفارس [420] فلم يتجاوز كورة أرجان ولا لقي أباه.

١. فى مط: ابن الأعور، بدل « يمين الأعور »

٢. فى مط: قنص، بدل « قبض ».

وكان جلس في الماء بزي أصحاب لمحابر^(١) وركب البحر ووافى
مهرزيان وجاء ليلاً إلى أركان فنزل على أبي العباس ابن دينار وحمل إليه
أبوه مالا وكسوة ودواب وكانت له على فارس تسبيبات فاستوفاه ولحق به
رجاله، وكاتبه القاهرة بما يسكته منه وأعلمه أنه عجل على نفسه واستوحش
وقلده المماون بكور الأهوار فأمام بازجان حتى اعتل وكان يفسد مزاجه ثم
انتقل إلى رامهرمز.

وكان القاهرة قد كاتب مرداويج بالإفراج عن إصبيان ليعنده الرئ والجبيل
ويصير في جملة الأولياء ويحول عنه العصيان فأتى^(٢) له، وكاتب وشمكير
بالإنصراف عن إصبيان فانصرف وبنيت شاذرة سبعة عشر يوماً خالية من
مدبر. وكاتب القاهرة محمد ابن ياقوت بتقليده إصبيان وأمره أن يسير إليها
وكان ذلك عقب هزيمة المظفر بن ياقوت وبعد انصراف علي بن بويه من
إصبيان. فأخذ محمد بن ياقوت في التأهب فبقي هو كذلك إذ ورد عليه
الخبر بخلع القاهرة فانتكت أمره.

ولما استتر علي بن يلق وهرب محمد بن ياقوت استحب القاهرة سلامة
الطولوني وطلب المهتزين وطلب أبا العباس أحمد بن [421] حافان الشرطة
ببغداد وطلب أبا أحمد ابن المكتفي فوحده مستتراً في دار عبد الله بن الصبح
فقبض عليه وتقدم القاهرة بأن يقام في كتح باب ويسد عليه بالحصص والأجر
وهو حي، ففعل، وأمر بنهب دور بني مهلة ودار الحسن بن هارون ودار أبي
بكر ابن قرابة.

ووحده علي بن يلق مستتراً بقرب باب المقبرة وكبس وأحد من تنور كان
دخله لما أحس بالكابس وأطبق على نفسه بغطاء التنور وقد كان خفي أمره

١. في مط: المغاور.

٢. قاسم كذا في الأصل ومط والمثبت في مد فأتى.

وخرج من كان يفتش عنه حين لم يجده. فاتفق أن تأخر بعض الرجال لطلب شيء يأخذه من الدار فانتهى إلى التنور وطلب فيه خبزاً يابساً، فلما كشفه وجد علي بن يلبق فصاح حتى رجع القوم وأخذوه وحملوه إلى دار السلطان وضرب بحصرة القاهر ضرباً مبرحاً فأقر بعشرة آلاف دينار فوجدت وصُححت في بيت المال ثم أعيد الضرب عليه فلم يوجد له غيرها وخُبس. وكان الحسين بن عبيد الله مستتراً فراسله أخوه الوزير محمد بن القاسم بن عبيد الله وسأله أن يظهر ويعينه حتى يقلده ديوان السواد وديوان الجيش وديوان النفقات ويستخلف له الكلوزاني وإبراهيم بن خفيف وعثمان بن سعيد [422] وحلف له بحضرة السفير الذي كان بينهما بالله العظيم وبسائر أيمان البيعة بعق ممالكه وبطلاق نسائه على صحة ضميره له وبأن باطنه له مثل ظاهره فيما بذله له، وكتب له بذلك رقعة بخطه أشهد فيها الله على نفسه وتسلم ذلك السفير وحمله إلى الحسين فأعاد عليه ما جرى ولم يزل محمد يتوَقَّع أخاه إلى آخر النهار.

فحكى ابن أخيه لقاسم بن الحسين أن عمه الوزير أبا جعفر صار في الليلة إلى الحسين أخيه وليس معه غلام فضايله في الظهور وسأله معاونته بنفسه وأعاد عليه تلك الأيمان حتى وعده بالرواح إليه وعرف الحسين أصحابه فاجتمعوا بالعشي له وركبوا بركوبه وصار إلى أخيه وكان الوزير أخوه قد أعد له زورقاً مطبقاً. فلما حصل عنده أمر بتحصيله في الزورق. فوقفت^(١) والدته على خبره فجاءت حتى وقفت له على شاطئ دجلة في الموضع الذي ينزل منه إلى طيارة وهناك خلق من الناس، فاستغاثت إليه وكشفت شعرها بين يديه وأظهرت نديها^(٢) وحلفت بكل حق لها عليه أن

١. في مط. فوقفت.

٢. في مط. وأظهرت يديها، بدل «وأظهرت نديها».

بطلق ابنها، فلم يلتفت إليها ولا يفكر فيها وجلس في طياره وانحدر إلى دار السلطان فلم يبق أحد ممن حضر [423] إلا استقبح فعنه ودعا عليه وذهب. فعُكِيَ للقاهر أنه إنما طلب أخاه الحسين ونفاه إلى الرقة لما كان يعتقد من مذهب ابن أبي العزاقر^(١) وأنه خاف منه على الدولة. فوُكِّل القاهر بدور بني بسطام لما كان يُذكر عنهما في اعتقادهما لدين ابن أبي العزاهر.

ذكر مقتل مونس ويليق وعلّي ابنه

اضطرب رجال مونس ويليق وشموا وشغب معهم سائر الجيش وخرجوا إلى الصحراء ثم قصدوا دار الوزير أبي جعفر محمد بن الفاسم وأحرقوا روشنه ونادوا بذكر مونس فكان ذلك سبب القتل لمونس. ودخل القاهر إلى الموضع الذي كان فيه مونس ويليق وابنه معقلين فدُبح علّي بن يليق بحضرته ووجه برأسه إلى أبيه^(٢)

فلما رآه جزع وهكى بكاء عظيماً ثم دُبح يليق ووجه برأسه ورأس أبيه إلى مونس. فلما رآهما لعن قاتلهما فأمر به فحُرَّ برحلته إلى البالوعة ودُبح كما يُدبح النساء والقاهر يراه وأُحرِحت الرؤوس الثلاثة في ثلاث طُغَمَات^(٣) إلى الميدان حتّى شاهدها الناس وطيف برأس علّي بن يليق في جانبي بغداد ثم رُدَّ إلى دار السلطان وحُجِّل مع سائر الرؤوس في خزانة الرؤوس [424] على الرسم.

قال ثابت: فحدثنا سلامة الطولوني الحاجب أنه لما أخرج إليه رأس مونس ليصلحه فرغ الدماغ منه ووزنه فكان ستة أرطال وسمعت أنا ذلك من

١ في مط أبي العزاهر، بدل «أبي العزاقر»

٢ في مط ابنه.

٣ في مط طاسات والطس الطشت أصلها الفارسي تُشْت

الجُننى^(١) وكان حاضره.

ومما جرى فى ذلك أنه كبس جماعة من الفرسان والرجالة أبا بكر ابن نباته العدل الدقاق فى درب الريحان وأظهروا أن السلطان وجههم لطلب الحسن بن هارون وأخذوا من منزله ثلاثين ألف دينار وطرحوا منديلاً على رأس واحد منهم وأخرجوه وأظهروا أنه الحسن بن هارون. فركب أحمد بن خاقان فى طلب القوم فظفر بواحد منهم وقرّره فأقرّ على جماعة ظفر ببعضهم ووجد اليسير من المال وقتل من وُجد من هؤلاء الكتّاسين

القاهر يأمر بتحريم القيان والخمر

وفىها خرج أمر القاهر بتحريم القيان والخمر وسائر الأبهة وقبض على من عُرف بالعناء من الرجال والمخانيث والحوارى المفتيات فَنُفى بعضهم إلى البصرة وبعضهم إلى الكوفة وبيع الجوارى على أنهم سواذج. وكان القاهر مع ذلك مولعاً بشرب الخمر ولا يكاد يصحو من السكر ويسمع الماء ويستتار من جوارى القيان من ~~الزينة~~.

وسعى بأبي عبد الله ابن ممنة [425] فوجد وقبض عليه ووُجد عنده خطوط أخيه أبي على فى رفاع، فحمل إلى دار الوزير أبي جعفر فسأله عمن كان يوصل إليه الرفاع فذكر أن أبا عبد الله محمد بن عيّدوس الجهشيارى كان ينفذها إليه فقبض عليه وعلى أخيه وسئلا عتاً يعرفان من خبر أبي على بن ممنة، فعلفا أنهما لا يعرفان له خبراً منذ استتر وعرف القاهر أنهما من قواد السلطان وسُهل أمرهما فأطلقا ولم يستترا وكانا يركبان فى أيام المواكب إلى دار السلطان.

وقبض الوزير أبو جعفر على أبي جعفر محمد بن شيرزاد واحتج عليه بأنه قد تقلد أعمالاً جليلة وابتاع من المبيع ضياعاً كثيرة وأن ارتفاعه قد بلغ ألف ألف درهم في السنة. فتوسط بينه وبينه إسحاق بن إسماعيل وأخذ خطه بعشرين ألف دينار وأطلق إلى منزله من يومه.

ذكر السبب في تقليد أبي العباس الخصيصي الوزارة

كان بنو البريدي بعد استتار ابن مقله والجماعه استتروا فقد الوزير مكابهم على أعمالهم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي فتوسط إسحاق بن إسماعيل أمرهم فأخذ لهم [426] أمناً من الوزير حتى ظهروا. ثم أشار إسحاق على الوزير أبي جعفر بأن يحاطب القاهر في أمر بني البريدي ويعرفه أن الوجه رتبهم إلى ضمانهم بالبصرة والأهواز، فقبل الوزير مشورته وخاطب الحليفة وعرفه أنه دائم لمحمد بن القاسم الكرخي لتقصيره في أمر استخراج الأموال وحملها وأن البريديين أهوم بذلك، وأطمعته في أن يرداد عليهم في مقدار مال الضمان فوعده القاهر وقال :

«حتى أنظر في ذلك»

واستدعى القاهر عيسى المصططب وأعاد عليه ما جرى، وكان عيسى كارهاً للوزير محمد بن القاسم لأنه لم يكن له مدخل في تقليده الوزارة لغيبته بالموصل فطعن على هذا الرأي وعلى الوزير أبي جعفر وأشار بتقليد الخصيصي الوزارة. فأمر القاهر بلقاء الخصيصي ومساكنته عما عنده في أمر البريديين وغيرهم، فصار إليه وتقرر الأمر معه وضمن استخراج أموال جديلة. وكتب إلى القاهر على يد عيسى أنه متى ظهر أنه تقلد الوزارة استتر من عنده لأموال النش وعد باستخراجها وأن الوجه أن يتقدم إلى الوزير بالقبض

على جماعة سقاهم على مهل، فإذا قبض عليهم وجهه القاهر فحمدهم إلى داره وانتزعهم من يد الوزير فتركهم معتقلين أياماً ثم قبض على الوزير محمد بن الفاسم. ففعل القاهر ذلك [427] وتقدم إلى سابور الحادم بالمصير إلى دار الوزير والقبض على بني البريدي وإسحاق بن إسماعيل. فوجه سابور بنقة له إلى دار الوزير لينظر هل يجد فيها بني البريدي وإسحاق بن إسماعيل فيرجع إليه بالخبر. وكان بنو البريدي قد نصبوا أصحاب أخبار على سابور وسلامة وأصحاب القاهر فبلغهم ما تقدم به سابور إلى الرجل الذي وجه به يتعرف أخبارهم فاستتروا.

وكان سابور قد قال لثقافته:

- «إن الحليفة أمرني بتفتيش دار إسحاق لأنه قد بلغه أن جواريه قد سترن جماعة من جوارى القيان.»

وأمرهم أن يستعدوا للركوب معه فيبلغ الخبر إسحاق من وقته ولم يقع له أن ذلك لمكروه يراد به فقال لجواريه:

- «إن صار إليكم سابور بطلب المعصيات فلا تمنوه ودعوه يقتل.»

وانحدر هو إلى دار الوزير وصار سابور إلى دار الوزير أبي جعفر فوجد إسحاق بحضرتة فقبض عليه وحمله إلى دار السجن^(١).

ووجه القاهر بمن كبس دور الكريديين فلم يوجدوا وكُست دور إسحاق في النوبختية وعسى شاطئ دجلة وتهارب حرمه وولده وسلموا وقبض على أحمد بن علي الكوفي كاتبه.

واستحضر القاهر عيسى بن عيسى وعرفه أنه ليس [428] لوزيره نظر في أعمال واسط وسقى الفرات وكانت في ضمان إسحاق وقلده هذه الأعمال

١ في مط السلطان. بدل «السجن»

واعتمد في تدبير المعاون فيها عليه ووقع^(١) له بخطه فتعلّمه على بن عيسى. وورد الخبر بموت أبي علي أحمد بن محمد بن رسم بإصبهان وأن المظفر بن باقوت مَدَّ يده إلى ماله ودوابه فحازها لنفسه. وكان المظفر إليه أعمال المعاون بإصبهان فتكرّر القاهرة له ولأبيه ولأخيه.

وسمى بأبي يوسف البريدى فكُتِبَ عليه وأُخذ وحُمِلَ إلى دار الوزير محمد بن القاسم فأجمل عشرته وكتب القاهرة إلى الوزير بأن يقرّر معه مصادرتة ومصادرة أخويه فأحضره الوزير وخاطبه وسامه أن يقرّر الأمر معه في مصادرتهم فقال له أبو يوسف.

«إذا ومننا بأن الأمر لك وأنت مقرّر على الوزارة فقرّرنا الأمر معك فأما ونحن نتحقق أن الوزارة لغيرك فلا يحوز فصل الأمر معك.»

فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة انكشف القمر وقبض القاهرة على الوزير محمد بن القاسم وأُخذ إليه ساجور الخادم فأخذه وأخذ من وُجد في داره وفيهم أبو يوسف البريدى وغيره فعملهم إلى دار السلطان

فكانت [429] مَدَّةَ وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان للقاهرة ثلاثة أشهر وأثنى عشر يوماً.

إحضار للوزارة أو للحبس

ووجه القاهرة إلى إسحاق بن علي القنّاي^(٢) وأحضره وأحضر معه عبد الوهاب بن عبد الله الخافاني على أن يفلد أحدهما الوزارة والآخر

١ في مط. وقطع له

٢ القنّاي كد، في الأصل ومط. وعلى مد- القنّائي. وجاء في الفهارس المسبقة بصورة الأصل القنّائي، بإرجاعه إلى عدة صفحات من الأصل، وهو خطأ.

الدواوين. فلما حضرا قبل القواد أيديهما وجلس بين أيديهما سلامة الحاجب فلم يلبث أن خرجت رسالة القاهر بالقبض عليهما وإدخالهما الحبوس^(١) الغامضة ثم وجه القاهر إلى سليمان بن الحسن واستعضره للوزارة وحضر هي طياره وعلقاه القواد والناس وقبلوا يده وجلس الأستاذون بين يديه في دار السلطان ووجه القاهر من قبض عليه وأدخله الحبوس الغامضة ووجه إلى الفضل بن جعفر للوزارة وقد ظهر ما عمله بالحقاقاني وبسليمان فاستتر الفضل ولم يتقرر الوزارة لأحد في ذلك اليوم.

وزارة الخصيبى

فلما كان من العدة تقدم القاهر إلى عيسى المتطّيب أن يحضر الخصيبى يوم الخميس ويأمره بالنأهب للوزارة وأن يحضر بسواد وسف ومنطقه فراسده عيسى بذلك فحضر كما رُسم له دخل عليه خلع الوزارة وركب فيها إلى داره ولقيه الناس فهتّوه [430] ونظر في الدواوين وقبّلها من استصلحه ونصب ديواناً للمع و'حضر الناس وناظرهم وأكرمهم لفضل ما بين المعاملين خمسين ألف دينار وكسب لهم شروطاً ووقع لهم فيها بالإمضاء وصادر الناس وقبض على الخلق

وتوسّط عيسى وسلامة الحاجب أمر البريديين بعد مكاره عظيمة لحقت أبا يوسف على اثني عشر ألف ألف درهم وكُتبت الأمانات لأحمد وعلى ابني البريدى بخطّ الحليفة والوزير وأشهدا القضاة والعدول فيها عسى أنفسهما فظهر.

فحكى أبو زكريا السوسى وأبو سعيد ابن قديدة أن أبا عبد الله البريدى

حضر عند أبي العباس الحصيني بطليسان وعمامة وخفّ وهما معه فاستحلاه المجلس فأخلاه له فعاتبه عتاباً طويلاً ودكره بحقوق كثيره وصروب من الخدمة خدمه بها في أوقات مختلفة عند نكبات كانت للحصيني وقال له في آخر كلامه :

«إنما أعددتك بجميع هذا للدنيا لا للآخرة وأنت معدور في أمر المال لأنك تزعم أنه بأمر الخليفة وطاعته واجبه وفي ضريك أبا يوسف لأنه تمانين^(١) عليك لم ذكرت أم أبي يوسف وهي أمي ولم استحسنيت قذفها^(٢) أما استحققت عليك بجميع [431] حقوقى هذه أن تصونها عن الذكر بالنسيح لأجلي؟»

فمجل الحصيني وقال :

«صدقت، كان يجب أن أفعل ذلك ولكن لم أضبط نفسي عند الغبط وأما معتذر إليك ودع ما مضى. الخليفة مقيم على أنه لا يذ من ألف ألف دينار وقد وصفك لأمر المؤمنين وقلت : أبو يوسف حرج الصدر وأبو عبد الله أخوه رحب الصدر ولا يحالف أمير المؤمنين ولو لا ذلك لنقل أبا يوسف إليه ولما أمنت عليه فأحب أن تكفيني أمركما فعسى حياتي ممّا مضى واكتب خطك بزياده ألفي ألف درهم»

فقال أبو عبد الله :

«لقد أعيتني أيتها الوزير وما قصرت وأحسن العذر والى لافي.»

فقال له :

«بحياتى لما كتبت.»

١. كذا في الأصل تمانين. وهي مط. تمانين.

٢. في مط. قبصها، بدل «قذفها».

فقال . « أكتب وأنا آمن أيها الوزير ممّا أقول والله ما أملك ولا إخواني هذا المال فإن عطف الله بقلب الحليمه وقلبك علينا نصرقتنا وأديننا وإن حُرمتنا ذلك استدفعنا القتل إلى مدّة فإن الله قد أجرى عادتنا بالكفاية ونحن نرجو تفصّله . »

فقال الحصيبى ولم يكن فى المجلس إلّا أبو زكريا وابن قديده مستخرج الحصيبى :

« يا أبا عبد الله وقد قسمت ووفيت الرأى [حقّه] ^(١) »

وضحك وأخذ خطّه بألفى ألف درهم زيادة وانصرف . [432]

وكان أبو عبد الله البريدى قد تحقق بأبى بكر محمد بن رائق وتناهى أبو بكر فى إكرامه ووافقه أبو بكر على أن يتجنّب تسبيحاته وتسبيحات رجاله على الأهواز ويخرج إليها ويتغلّب عليها . وشخص هو عن البصرة لئلا يتم هذا الرأى بمقامه عنده فينسب إليه قلماً وافى واسطاً وجد بها أبا الحسن عيسى بن عيسى وقد عمر واسطاً فقدها عليه القاهر . - لأنّه كان من قبله لا من قبل الوزير . - ثلاثة عشر ألف ألف درهم . وأشهد على أبى عبد الله البريدى بالضمان واستخلف أبو عبد الله أبا الحسن محمد بن حمد بن حمدون الواسطى وأقام مدّة خمسين يوماً بالعمانيّة ينظر فى أعمال الموققى ثم مضى إلى بغداد وركب يوماً هو وأخوه إلى سوق الثلاثاء ينظرون خروج الحصيبى فراسله عيسى المتطبّب بأنّ القاهر قد عزم على القبض عليهم فاحططوا عن دوائهم وعيّنوا زعيمهم واستتروا فما ظهروا حتّى خلع القاهر من الخلافة وتقلّدها الراضى بالله .

١. ما بين المعقوفين رداه من مط . مكان بياض كان هنا فى الأصل .

ظهور عليّ بن بويه

وفى يوم الاثنين لأربع حلون من ذى الحجة من هذه السنة ورد كتاب عليّ بن حلف بن طساب إلى الحصيني يذكر فيه مصير رجل من وجوه قواد الديلم الذين كانوا مع مرداويج إلى نواحي أَرْجَان يقال له عليّ بن بويه [433] وأنّ هذا الرجل كان ضمناً لنواحي ماء البصرة فانكسر عليه مال لمرداويج ففرغ منه وعصى عليه وصار في أربعمائة من الديلم إلى أَرْجَان^(١) وتغلب عليها

ذكر السبب في ظهور عليّ بن بويه

والإتفاقات التي اتفقت له حتى ملك ما ملك

كان أبو الحسن عليّ بن بويه وأخوه أبو عليّ الحسن بن بويه من قواد ماكان بن كاكي ولم يزل الحال بين ماكان وبين مرداويج جميلاً منذ اتفقا على قصد أسفار بن شيرويه وبصرافه عن قلعة سميران بالطرم وكانا يتهاديان ويتلاطمان إلى أن قتل مرداويج أسفار كما كتبنا أخبارهما فيما تقدّم وملك نواحي الريّ والجبل واستعلى أمره وقوى بالمال والرجال.

وقصد ماكان نواحي آمل وطبرستان فملكها وامسّد إلى نيسابور عند انصراف نصر بن أحمد صاحب خراسان عنها واشتغاله بأخويه الخارجيين عليه. فلما فرغ من استصلاح خراسان عاد إلى نيسابور وورسل ماكان يسأله أن يعود إلى مكانه وأن يفرج عن نيسابور ويلطف له ويستبقى الحال بينهما. فعزل ماكان ذلك وعاد إلى جرجان وطبرستان.

١. أَرْجَان، أو أَرَعَان كما يستبهم العجم، مدينة كبيرة كثيرة النخيل، بها نخل وزيتون ومواكبه الجروم والصرود، وهي من كورة فارس (مراد الإطلاع)

وابتدأت الحال^(١) تتقدح بينه وبين مرداويج على طريق التحاسد والتباغض فاستدعى [434] مرداويج خلفاءه بالجبل وإصيهان وسائر نواحيه وجميع حيوشه وسار إلى ماكان فثبت له ماكان واستظهر عليه مرداويج وهزمه وملك طبرستان ورتب فيها بلقسم بن بلحسن^(٢) وكان اسفهلاره ومدبر جيشه وكان رجلاً نجداً جيداً الرأي في الحرب. ثم مضى إلى جرجان وكان فيها من قبل ماكان شيردیل بن سلار وباعلى بن تركى، فهربا جميعاً وملكها مرداويج ورتب فيها سُرخاب بن بلوس على خلافة بلقسم بن بلحسن لأن سُرخاب حال ولد بلقسم فجمع بلقسم جرجان وطبرستان وعاد إلى إصيهان ظافراً غانماً. ثم قصد ماكان أبا الفضل التائر مستجداً له فأكرمه وعظمه، ثم سار معه بنفسه إلى طبرستان وبها بلقسم بن بابجین وكان مستعداً لهما فبرز إليهما وتحاربوا فانهزم التائر وماكان جميعاً

فأما التائر فعاد إلى بلده بالديلم وأما ماكان فامتد على طريق الساحل مفلولاً ضعيفاً حتى ورد جرجان ثم منها إلى نيسابور فاصداً بها أبا على أحمد بن محمد بن معنح صاحب جيش خراسان فدخل في طاعته واستنجد به وأقام بلقسم بن بلحسن بجرجان إلى أن بلغه مسير أبى على أحمد بن محمد بن محتاج إليه مع ماكان فكتب إلى مرداويج يستمده [435] فأمدّه بأكثر عسكره ووجوه أصحابه وبلغ في تقوته. ووافى ابن محتاج وماكان فبرز إليهما وواقعهما فظهر عليهما وهزمهما فانصرفا إلى نيسابور.

ثم كثر ماكان كثرة أخرى على نواحي الدامغان طامعاً في أن يستولى عليها

١ الحال كذا في الأصل ومط، وهو صحيح، فلا لزوم لما جاء في حواشي مدحيث قال «الملك نار»

٢ بلحسن: ما في الأصل؛ بلقسم بن بلحسن. وفي كتاب العمون أبو القاسم بن أبى الحسن (حواشي مد).

وكان فيها من قبل مرداويج الجيش^(١) بن اوميندور فسار إليه بملقم بن بانجين حتى اجتمعا على دفع ماكان، فانهزم ثانياً وفس من هذه الأعمال فأنفذه صاحب خراسان إلى كرمان وقتله إياها وكان بها أبو علي محمد بن الياس بن اليسع ووقعه وهزم أبا علي وملك كرمان على طاعة صاحب خراسان

فأتى أبو الحسن علي بن بويه وأخوه أبو علي الحسن فابهما عند هزيمة ماكان الأولى وضعفه انحازا إلى مرداويج بعد أن استأذناه وقالوا:
- «إِنَّ الْأَصْلَحَ لَكَ مَقَارِفَتَنَا إِيَّاكَ لَتَخَفَ عَنْكَ مَوْوَنَتُنَا وَيَقَعُ كُلُّنَا عَلَى غَيْرِكَ
فَإِذَا تَمَكَّنْتَ عَاوَدْنَاكَ.»

فأذن لهما واقتدى بعلي بن بويه جماعة من القواد لما صار علي بن بويه وأخوه أبو علي إلى مرداويج فقبلهما وأكرمهما وحلح عليهما وقتل كل واحد من قواد ماكان ناحية من نواحي الجبل أمّا علي بن بويه فإنه تملد الكرج، وأمّا اللشكري بن مردى فإنه رده إلى عمله وكان مصدداً...^(٢) وأمّا [436] سليمان بن سركله فإنه قتله همدان وكذلك سائر القواد.

ذكر سبب تم به^(٣) لعلي بن بويه ولايته

وصرف الباقر بأجمعهم قبل وصولهم إلى أعمالهم

كان السبب في ارتفاع علي بن بويه وبلوغه ما بلغ سماحة كثيرة كانت في طبعه وسعة صدره واقترب بهذا الحلق الشريف خلق آخر أشرف منه وهي شجاعة مائة كانت له وأتصل بجميع ذلك اتصالات محمودة ومولد

١ كنا في الأصل ومد: الجيش وفي مد: الحسن

٢ هنا كلمة غامضة لم نتأكد من قراءتها، وفي في مد: ديثارند، وفي مط: نهاوند.

٣ في مط ذكر السبب في سرية أ

سعيد^(١).

فمن ذلك أنه لما قُلت الكرج وفلّد الجماعة المستأنسة معه الواحى النسي ذكرناها وكنيت لهم العهود ووردوا الرئ وبها وشمكير وأبو عبد الله الحسين بن محمد المنقّب بالعميد - وهو والد أبي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة - وكان ناظراً فى الأمور بالرئ فعرّضت عليه بعة حسنة كانت لعلى بن بويه أراد بيعها والاستمانة بثمنها وكان ثمنها ثلاثة آلاف درهم فيبيعها مائتا دينار، فاشترها وحمل المال إليه فطهر لعلى بن بويه أنها تُشترى لأبى عبد الله العميد فمادها إليه وحلف ألا يأخذ ثمنها، ثم باع ذلك بملاطفات كثيرة إلى أن غمره بالبز ثم أوجب^(٢) الرأى عند مرداويج أن يتعقب ما أمر به من تولية [437] أولئك الفؤاد.

وكتب إلى أخيه وشمكير وإلى أبى عبد الله العميد بمنعهم من الخروج من الرئ وإن كان بعضهم خرج شح من بقى. وكانت الكتب تصدر أولاً إلى العميد فيقف عليها ثم تُعرض على وشمكير جملها. فحين وقف على الكتاب تقدّم إلى على بن بويه سرّاً أن يبادر إلى عمله، فسار سر وقته وساعته وطوى المنزلة وأصبح العميد من المد فأظهر الكذب فلسفاً عرضها على وشمكير كان قد صار على بن بويه على مسافة بعيدة فسمع من لم يكرج من أولئك الفؤاد وفاز على بن بويه بالولاية التى كانت سبب ملكه وتمكّنه وليس يُعرف لجميع ذلك بعد قضاء الله عز وجل سبب إلا سخفاء وسعة صدره.

فلما وصل إلى الكرج ابتدأ بالإحسان إلى الرجال وملاطفة عامل البلد فكان العامل يكتب بشكره وصبطه الناحية وحمايته وأثنى أن افتتح قلاعاً

١. فى مط. سعد.

٢. والعبارة فى مط. إلى أن غمره تاليه بما أوجب!

كانت في أيدي الحرّمية في تلك الأطراف ووقع بين أربابها خلاف فسانحار بعضهم إليه وأظهره على دخائر حليله صرفها كلّها إلى استمالة الرجال واستعطاف القلوب. فلما عاد مرداويج إلى الرّى سبّب أموال جماعة من قوّاده [438] على ناحية الكرج وفيهم إبراهيم بن سياره^(١) المعروف بكاسك وجماعة أكبر منهم، فاسمالهم عليّ بن بويه وأفضل عليهم حتّى وجهت الجماعة طاعته

فانصل ذلك بمرداويج فأوحشه ذلك وندم على إخراج أولئك القوّاد الأكابر إليه وكاتبه بالمصير إليه وكاتب القوّاد بمثل ذلك فدافعه وتعلّل عليه ورفق به إلى أن أخذ العهد والموائيق عليهم. وعلم استيحاء الجماعة وخوفهم من غدر مرداويج وسطوته، فحينئذ خرج بهم عن الكرج وجمع أكثر ما قدر عليه من المال واستأمن إليه من جرباذقان شيرزاد أحد قوّاد الديلم في أربعين رجلاً فمويت نفسه وعرض رجاله فكسّوا ثلثمائة رجل وكسراً، لكّهم أعيان ونخب مستطهرين بالآلات والعدد، وتوجّه إلى إصبهان وبها أبو المتح ابن ياقوت في نحو عشرة آلاف وأبو عليّ ابن رستم بلى الخراج، فقدّم إليهما كتباً جميلة وعزّفهما أنّه ينحاز إليهما داخلاً في طاعة السلطان فدافعا عن ذلك.

وكان أبو عليّ بن رستم أشدّ الناس كرهاً له وإنكاراً لقدومه، واتفق موت أبي عليّ ابن رستم، وبرز أبو المتح ابن ياقوت [439] حتّى صار من إصبهان على ثلاثة فراسخ. وكان في أصحاب ابن ياقوت ديلم وجيل^(٢) كثير مقدارهم ستمائة رجل وكانوا يسمعون فضل عليّ بن بويه وعطاءه وسعة صدره فاستأمنوا إليه، وواقعوه الواقعة وانهرم ابن ياقوت لما ضعف باستئمان

١ سياره: كذا في الأصل ومط، ومد.

٢ في مط: وجيل كثير

هؤلاء. ولما ظهر له من ثبات الديلم واضطراب أصحابه ومضى نحو فارس. وملك علي بن بويه إصبهان ففوى شأنه وكبر في عيون الناس لأنه هزم بمائتين من أصحابه ألوفاً وألوفاً من أصحاب السلطان. وبلغ ذلك مرداويج فأقلقه ودبر في أمرهم تدبيراً لم يتم له.

ذكر حيلة مرداويج التي لم تتم له

أشفق مرداويج أن يستأمن أصحابه إلى علي بن بويه بما يسمعون من إقباله ولما انتشر من صيته وفيض عطائه، ولأن سيرة مرداويج كانت سيرة صعبة لا يسكن إليها أحد ولا يصبر عليها من له نفس آية، فرأى أن يرسل علي بن بويه بعتاب وتأنيس ويرفق به ويستدعي جوابه. وضمن ضمانات له يرغب في مثلها. ووجه في أثره أخاه وشمكير في عسكر عظيم كثيف قوى. فعلم علي بن بويه أن الرسالة لا تشبه التأهب له [440] فدر به فرجل عن إصبهان بعد أن حباها شهراً وتوجه إلى أرجان وبها أبو بكر ابن ياقوت فانهزم بين يديه إلى رامهرمز من غير حرب ودخلها علي بن بويه واستخرج منها أموالاً قوى بها.

ووردت عليه كتب أبي طالب زيد بن علي النوبندجاني يستدعيه ويشير عليه بالمسير إلى شيراز ويهون عنده أمر ياقوت وأصحابه لتهوره في حباية الأموال وكثرة مؤنثته ومؤنة جنده وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وخورهم، فأشفق علي بن بويه أن يلقي ياقوتاً مع صيته وكثرة رجاله وأمواله وحصول ابنه أبي بكر بن ياقوت من ورائه، فأبى علي بن أبي طالب وتمنع عليه ولم يقبل مشورته، فشجعه أبو طالب وأعلمه أنه إن توقف لم يأمن أن يتفق بين ياقوت ومرداويج أمر يجتمعان به عليه وإن أعداءه كثير، ومتى اجتمعوا عليه لم يبق لهم وتمكوا بطول الزمان من التدبير عليه، وربما لحق

مدد السلطان فتجتمع الجيوش من كل وجه، والصواب لمن كان في مثل صورته أن يبادر ويعاجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الإحتشاد وإنشاء التدابير عليه ولم يزل يرسل علي بن بويه ويهون عليه الخطب إن يبادر ويعظمه إن توانى [441] وتأخر إلى أن سار نحو النوبندجان وسببه مقدمة ياقوت وهي في نحو ألفي رجل وفيهم وجوه أصحابه وشجعانهم مثل المعروف بكورمرد^(١) الخراساني وابن خرکوش^(٢) وكانا شديدين مذكورين بالبأس ومعهما أشباههما من أهل البجدة.

فوافاهم علي بن بويه إلى النوبندجان فلم يثبتوا وانهرموا إلى كرکان وجاءهم ياقوت وأصحابه إلى هذا الموضع فصب أبو طالب النوبندجاني وكلاءه وثقاته لخدمة علي بن بويه وتنحى بنفسه إلى ضيعة له معالطة لياقوت وراسل ياقوتاً أن الخوف الذي شمله والبأس أنجأه إلى الهرب والتباعد واستشاره فيما يعمل وهو مع ذلك مجتهد في نصيحة علي بن بويه وإرشاده إلى صواب الرأي وإهداء الأخبار إليه ودلالته على المسالك والطرق وأقام لمؤنته وإبرله من يزبح علته في الجميع حتى أضافه وجميع عسكره أربعين يوماً ولزمته مؤونة عظيمة يذكر أن مئنتها ألف دينار. وأنفذ علي بن بويه أحياه أب علي إلى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالاً عظيمة وأثار ذخائر جليلة كانت للأكاسرة يتوارثها قوم هناك، فزاد [442] استخراجهم علي استخراج أخيه.

وأخذ ياقوت عسكراً ضخماً إلى الحسن بن بويه فواقعهم بالفر اليسير الذين معه فهزمهم وصار موعوراً إلى أخيه علي بن بويه. ثم اتفق أن تم عليه مواطأة ياقوت ووشمكير ومرداويج، وبلغه من ذلك ما أوجب أن يسير إلى

١. في مط: بكور مرر الخراساني.

٢. في مط: خرکوس

كرمان. فتوجه من النوبندجان إلى اصطخر ومنها إلى البيضاء وياقوت يتبعه بجميع عسكره ويقفوا أثره. وانتهى بعلي بن بويه المسير إلى قنطرة كان الطريق عليها إلى كرمان، فسبقه ياقوت إلى القنطرة وحال بينه وبين عبورها واضطره إلى الحرب.

ودخلت سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة

وبتدأت الحرب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين، وأصبحوا يوم الأربعاء على أشد ما تكون الحرب. فاستدعى علي بن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم أنه يترجل معهم ويقاتل كأحدهم ووعدهم ومناهم واستوثق منهم الأيمان في الثبات والجهاد والجد.

ذكر اتفاق جيد اتفق لعلي بن بويه

ورديء جداً على ياقوت

مع تدبير سيئ وتسرع من ياقوت غير صواب

أما التدبير السيئ الذي استعمله ياقوت وتسرع فيه فإنه استأمن إليه من أصحاب علي بن بويه [443] رجلاً من وجوه الديلم فحين وقفت عينه عليهما أمر بصرب أعناقهم وتيقن الديلم أنه لا أمان لهم عنده، فشحذ ذلك بصائرهم وجاهدوه جهاد المستغلين.

وأما الإتفاق الذي اتفق عليه، فإنه باكر الحرب يوم الخميس وقدم على مصافه رجالة كثيره من أصحابه يحاربون بمزاريق النفط والثيران، فانتقلت الريح واشتدت للوقت فاحرق شيء من مصاف ياقوت وأكب الديلم على أولئك الرجالة فقتلوهم وانهزم الفرسان وزحف الديلم على تعريتهم.

ذكر تدبير دبره ياقوت في حال الهزيمة فلم ينفذ له

واحترز منها علي بن بويه فظفر

لما أشرف الديلم على سواد ياقوت عبد هزيمته وهزيمة أصحابه طلب
نشراً^(١) من الأرض عالياً في طريقه فصعد إليها وركّز عليها رايته، فاجتمع
إليه نحو من أربعة آلاف رجل. وظن أن الديلم يستسرعون إلى خزائنهم
ويشتغلون بالهلب فيضطرب نصامهم ويكتر عليهم - وهذه لعمرى مكيدة طال
ما صارت سبباً لظفر قوم بعد هزيمتهم - فقال لإصحابه :

- « لا تفزعوا وتأهبوا للكرّة فإنّها الظفر لا محالة. »

وأحسّ علي بن بويه بذلك فبرز أمام مصافّه ونادى أصحابه وقال لهم :
- « لا تبعدوا ولا تنفضوا تعينكم فإنّ الخصم [444] واقف ينتظر اشتغالكم

بالهلب ثم يعطف عليكم ولم يبق له غير هذه المكيدة. »

وأعلمهم أنّ العيمة لا تقوت. فلما رأى ياقوت ثباتهم وامتناعهم من
التهرب واحترازهم من مكيدته مضى على وجهه منهرماً وملك علي بن بويه
جميع ذلك السواد. ووجد لياقوت^(٢) حناديق فيها برانس وقيود وما أشبه ذلك
كان أعدّها للأسارى فأشار جماعة من فؤاد علي بن بويه بأن يجعل ذلك
لأسارى رجال ياقوت وأن يجعل البرانس على رؤوسهم والقيود في أرجلهم
ويشهر بهم في المعسكر ثم في البلد. فأبى ذلك علي بن بويه وقال :

- « بل نعدل عن هذا إلى العفو عمّن أظفرنا الله بهم من أعدائنا ونشكر الله

على هذه النعمة، فإنّه أدعى للمزيد وأبعد من البغى والطغيان. »

ثم امتدّ إلى الزرقان^(٣) يوم الجمعة وبني الدينكان يوم السبت وتولّت

١. النشز والنشارة: المكان المرصع

٢. كذا في مط ومد الزرقان وفي الأصل شيء من القمص

المستأمنة والشحنة وأكابر الناس إليه وتتابعوا فتقبل الجميع وأحسن إليهم قولاً وفعلًا وصح عن كل من بلغه عنه فحش في الخطاب أو إساءة في عمل، وأحسن في سيرته حتى اطمأن إليه الناس وأمنه أعداؤه. وعسكر بظاهر شيراز ونادى فيها بيت العدل [445] وأمان الناس من جميع ما يكرهون، وأمر العامة بالانتشار في معائشهم والخروج إلى مصالحهم آمنين، ففعل الناس ذلك.

ثم اضطُرَّ بعد ذلك إلى سيرة أخرى لكثرة مطالبات الجند واقتراحاتهم وبلغ من أمره ما سنكتبه في موضعه بمشيئة الله وعونه.

ورود خبر دخول أصحاب مرداويج إصبهان

وفيها ورد كتاب أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي وكان يتقلد أعمال الحراج والصناع بالبصرة والأهواز بتاريخ يوم الثلاثاء لأربع خلون من المحرم بأن الكتب وردت عليه بدخول أصحاب مرداويج إصبهان وأنه خرج من جملة مرداويج قائد حليل كان يتقلد ماء البصرة وفاز بمال جليل وهرب إلى أرجان يقال له علي بن بويه وأنه كتب إليه أنه في طاعة السلطان وهو يستأذن الوزير في ورود الحضرة أو النفوذ إلى شيراز لينضم إلى ياقوت مولى أمير المؤمنين

حرق مراكب القرامطة

وفي هذه السنة صار أصحاب أبي طاهر القرمطي إلى نواحي توج^(١) وسينز^(٢) في مراكب وخرجوا منها إلى البلد، فلما بعدوا من المراكب أحرقها

١ مدينة بفارس قريبة من كازرون (مراد الإطلاع).

٢ سينز بلد على ساحل بحر فارس أقرب إلى البصرة من سيرا ف برب جنابة (مراد الإطلاع).

صاحب لياقوت كان يتنقّد البلد. ثمّ اجتمع مع أهل البلد وأوقع بالقرامطة وقتل منهم وأسر ثمانين رجلاً فيهم رجل يُعرف بابن العمر^(١) [446] فقدم رسول محمّد بن ياقوت بهؤلاء الأسارى فأدخلهم مشهّرين، فوضع على رأس ابن العمر منهم قروناً وكانوا على جمال بدراربع وديباج ويرانس حتّى دخلوا دار السلطان فاعتقلوا بها.

وفيها قتل القاهرة إسحاق بن إسماعيل
وأبا السرايا نصر ابن حمدان
ذكر السبب في ذلك

كان السبب في قتله إسحاق أنّه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة^(٢) قبل الخلافة وكانت موصوفة بالجمال والعناء فزايده إسحاق بن إسماعيل فيها واشتراها. وسبب قتله أبا السرايا أنّه كان أراد شراء جارية أخرى قبل الخلافة فاشتراها أبو السرايا.

فحكى ثابت عن خادم حصر قتلها قال: جاء الداهر فوقف على رأس بشر كانت في موضع ذكره ثمّ استحضر إسحاق فأحضر وهو مقيد فأمر بطرحه في تلك البئر فرمى بها فيها بقبده وهو حيّ. ثمّ أمر بإحصار أبي السرايا فأحضرناه وهو مقيد فأمر بطرحه في تلك البئر فما زال أبو السرايا يتضرّع إليه ويسأله العفو وهو لا يلتفت إليه وتعلّق بسعف نخلة كانت بقرب البئر فأمرنا بضرب يده فضربناها فحلّى عن السعفة^(٣) ودفعناه [447] في

١ في مط. ابن العم (في كلا الموضعين).

٢ لكه مصحف «برتبة» في مط. شراء الجارية الزينة من الخلافة، بسند: «شراء الجارية المعروفة برتبة» ومد كالأصل

٣ وزاد في مط. ووقعناه عن سعفة

البئر ثم أمر بطم البئر فطرحنا عليهما الشراب حتى أمتلأت وهو واقف. فسبحان الله العظيم ما أعجب أمر المقادير أراد موسى لما قُتل المسند أن ينصب في الخلافة أبا العباس بن المقتدر فما زال إسحاق بن إسماعيل مجتهداً قائماً قاعداً إلى أن عدل بها إلى الغدير بالله وهو لا يعلم أنه إنما يسعى في حتف نفسه ليتّم الأمر المقدور

وفيها حضر دار سلامة الحاجب أبو بكر بن مقسم وقيل أنه ابتدع قراءة لم تُعرف للقرآن وأحضر ابن مجاهد والقضاة وناظروه فاعترف بالخطأ وتاب فأحرقت كتبه.

وهيها خرج رجل من الصغد يُعرف بأبي علي محمد بن إلياس واجتاز بكرمان حتى بلغ باب اصطخر وأظهر لياقوت أنه يريد أن يستأمن إليه ثم عرف لياقوت أن ذلك حيلة منه فخرج إليه لياقوت فلم يتب له ابن إلياس وانكفاً راجعاً إلى كرمان وصار إليه من قبل صاحب خراسان ما كان بن كاكي الديلمي فواقعته وانهزم ابن إلياس وصار إلى أعمال فارس فواقعته لياقوت وانهزم ابن إلياس

وفيها استوحش الحجرية والساجية من القاهرة

فدبروا عليه وتمّ لهم القبض عليه. [448]

ذكر السبب في القبض على القاهرة

كان السبب في ذلك أن أبا علي ابن مقله كان يرسل الساجية والحجرية في استناره ويضربهم على القاهرة ويوحشهم منه والحسن بن هارون يفعل

مثل ذلك ويلفاهم بالليل وهو يتزيّا بزى السّؤال وفى يده زَبِيل^(١) وفى وقت بزى النساء إلى أن شحذ نيتهم وجمع كلمتهم على قصد القاهر والملك به وحذرهم منه وعزّفهم أنّه قد بنى لهم المطامير. واحتال من جهة منجم كان لسيما حتّى أنّه أن يقول لسيما من جهة النجوم أنّه يخاف عليه من القاهر ويحذّره منه. وأعطى الحسن بن هارون هذا المنجم مائتي دينار فملاً عينه حتّى مكّن فى نفس سيما الخوف من القاهر وكان سيما يقبل منه ويستحسن إصاباته ثمّ دسّ إليه من جهة منامات يدعيها أشياء حتّى اشتدّ خوف سيما من القاهر.

فلما كان يوم الإثنين لأربع خلون من شهر ربيع الآخر وقع بين الغلمان الحجرية وبين العلمان الساجية خلاف وذكر الساجية أنّ القاهر يريد أن يفتك بسيما وهو رئيس الساجية وخرج سيما من دار السلطان مبادراً إلى داره واجتمع إليه الساجية بأسرهم والقوادر فى السلاح [449] وأقاموا عنده إلى آخر النهار، ثمّ انصرفوا وبأكره فاجتمع قوادر الساجية مع قوادر الحجرية وحالفوا أن يكون كلمتهم واحدة ثمّ سحلفوا باقى الحجرية والساجية. وتصل ذلك بالقاهر وبالنوزير وبالحاجب. فوجههم من يسألهم عمّا أوحشهم فقالوا:

- «قد صحّ عندنا أنّ القاهر عزم على القبض على سيما وعلى حبسها^(٢)

فى مطامير قد بناها جيتة

وكان الفصل بن جعفر يتولّى بناء مطامير من ماله ويحتسبها من مال مصادرة عليه فعرف القاهر ما يقولونه فتقدّم إلى سلامة بالحروج إليهم وحلف القاهر له على أنّه لم يفعل ذلك ولا همّ به وإنّما بنى حمامات رومية للحرم، وخرج سلامة لذلك.

١. الزبيل الرزيل

٢. فى مط جيشا. بدل «حيثا»

وخلا الخصيبي وعيسى المتطبب بالقاهر فذكرا له أن الآفة في هذا كله الفضل بن جعفر وأنه هو الذي قال للساجية والحريرة ذلك لأنه شيء لم يعرفه غيره. وكان سلامة أشار بالفصل حتى أعفى من المصادرة عناية به واقتصر منه على ما ينفعه على اسطامير. فتقدم القاهر بالقبض على الفضل بن جعفر وطالبه الوزير الخصيبي بحضرة عيسى بثلاثمائة ألف دينار فقال الفضل:

- «لو كنت ذا مال لكانت لي صياح ودور [450] وخدم ومسروعة بحسبها.»

فاغاط الخصيبي وظن أنه قد عرض به وخاطبه بمحاطبة فيها جفاء فاستوفى الفصل عليه الجواب. فهم الوزير الخصيبي أن يوقع به فقال ساهور الخادم:

- «أمرت بصبائه وألا يلحقه مكروه.»

ورده إلى دار السلطان وخبس في الموضع الذي كان إسحاق بن إسماعيل محبوباً فيه.

وورد يوم الثلاثاء لحمس خلون من جمادى الأولى^(١) كتاب أبي جعفر الكرخي وكتاب أبي يوسف عبد الرحمن بن محمد الذي كان يكتب للسيدة بأن أصحاب ابن رائق كيسوا^١ الأهواز وأنهم استولوا على سائر عمل الأهواز وصار كل من يتقلد معاون في أعمال الأهواز من قبله سوى محمد بن ياقوت فإنه كان يتقلد معاون بالسوس وجنديسابور فم ينفذ لابن رائق لأنه نظيره فكتب الخصيبي رقعة بما ورد عليه من ذلك إلى القاهر. وكان القاهر قد ابتدأ بشرب فدعا بسلامة وأقرأ الكتاب وقال له:

١. من «خلون» إلى «الأخرى» مطبوس في الأصل. وما أثبتناه هو من مط. وفي مد: «بقي من جمادى الأولى»

- «امض إلى الحصيبى واجتمع معه على التدبير فى ذلك.»
وعاود شربه فمضى سلامة وعيسى معه إلى الحصيبى وأظالا عنده إلى
نصف الليل ولم يتفرر لهم رأى على شىء. فأنصرف [451] سلامة إلى منزله
لعلمه بأن القاهر قد سكر ولا فضل فيه باقى ليلته وصدر نهار^(١) الغد، وبكر
سلامة إلى الحصيبى فوجد عدة عيسى المتطبب وبلغهم خبر الساجية
والحجرية واجتماعهم لقصد دار السلطان. فتقدم الحصيبى إلى عيسى بأن
يأدر إلى دار السلطان ويعرف القاهر الخبر ليتحرز وإن وجده نائماً أنه،
فمضى عيسى واجتهد فى إنباه القاهر فلم تكن فيه حيلة وقيل له: كان يشرب
إلى أن طلعت الشمس وأنه لو أنه^(٢) لما فهم عنه ما يقوله شئ سكره.
وكانت الحجرية والساجية قد اجتمعوا عند سيما وتحالفوا على اجتماع
الكلمه فى كبس دار الخليفة والقبض على القاهر فقال لهم سيما.
- «إن كان قد صح عزمكم على هذا فقوموا بنا الساعة حتى يمضيه.»
فقالوا:

- «بل تؤخره إلى غد فهو يوم الموكب ويظهر لنا فتقض عليه»

فقال لهم سيما:

- «إن تفرقتم الساعة وخرموا إلى ساعة أخرى اتصل الخبر به فتحجز

ودبر علينا فأهلكنا كلكم»

فقبلوا رأيه وركبوا معه إلى دار السلطان بالسلاح فرتب سيما على كل
باب من أبوابها غلاماً من الساجية وغلاماً من الحجرية ومعهما قطعة وافر
[452] منهما فلما أحكم أمر الأبواب كلها وقف على باب العامة وأمر
بالهجوم فهجموا كلهم من جميع الأبواب فى وقت واحد، وبلغ سلامة

١. فى مط صدر بها، بدل «صدر نهار».

٢. فى مط انتبه، بدل «أنبه»

والخصيبى وهما مجتمعان فى دار الخصيبى فخرج الخصيبى فى زى امرأة واستتر وانحدر سلامة إلى مشرعة الساج واستتر.

ولما دخل الساجية والحجرية الدار لم يدخلها سيما وأقام بمكانه من باب العامة إلى أن قبض على الفاهر فلما قبض عليه دخل.

ولما علم الفاهر بحصول العلمان فى الدار اتبه من سكره وأفاق وهرب إلى سطح حمام فى دور الحرم فاستتر فيه ولما دخل العلمان إلى السجس الذى كان فيه ولم يجدوه وأخذوا من كان بالقرب [منه] مثل زيرك الخادم وعيسى المتطرب واختيار الفهرمانه فوكلوا بهم ووقع فى أيديهم خادم صغير فضربوه باطبرزيئات حتى دأهم على موضعه فدخلوا فوجدوه على سطح الحمام على رأسه مندبل ديبقى^(١) وفى يده سيف محرّد واجتهدوا به على سبيل الرفق أن ينزل إليهم وقالوا:

«نحن عبيدك وما نريد بك سوءاً وإنما نترثق لأنفسنا.»

فأقام على الإسماع من النزول إلى أن فوق إليه واحد منهم بسهم [453] وقال:

«إن لم تنزل وضعت~~ه~~ فى نحرى.»

فنزل حينئذ وقبضوا عليه. وكان ذلك ضحوة نهار يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. وصاروا به إلى موضع الحبوس وقصدوا البيت الذى فيه طريف السبكرى ففتحوه ووجدوا فيه طريفاً^(٢) فكسروا قيده وأطلقوه وأدخلوا القاهرة إلى^(٣) موضعه وحبسوه فيه ووكلوا بالباب جماعة من الساجية والحجرية ووقع النهب ببغداد وانقضت خلافة الفاهر بالله.

١ فى مط. ويقي. بدل: «ديبقى»

٢ فى مط: طريفاً، بدل «طريفاً»

٣ فى مط: وأدخلوا القاهرة إلى القاهرة وهو سهو من الكاتب.

خلافة الراضى بالله
أبى العباس محمد بن المقتدر
فى سنة الثنتين وعشرين وثلاثمائة

واستدلّ العلمان الساجيّة والحجرية حين قبضوا على القاهر على الموضع الذى فيه أبو العباس ابن المقتدر فدلّهم عليه خليفة لوزير الخادم. ففتحوا عنه الباب ودخلوا عليه وسلّموا عليه^(١) بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على السرير وباع له قواد الساجيّة والحجرية وطريف السبكرى ويدر الخرشنى ولقب: الراضى بالله.

وتقدّم بإحضار علىّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وأحضرا، فوصلا إليه وشاورهما واعتمد عليهما فيما يعمل. فعرفه علىّ بن عيسى أنّ سبيله أن يعقد لواء لنفسه على الرسم فى ذلك [454] فاستحضر اللواء وعفده بيده، ثم أمر بالإحتفاظ به^(٢) وأشار عليه بتسلّم الخلافة، فسلمها من كان فى يده وهو خاتم فضّة قصّة من حديد صينى وعليه كتابة ثلاثة أسطر:

«محمّد رسول الله».

وأشار عليه بتسلّم خاتم الخلافة من القاهر بالله. فوخته إليه لراضى، ثم

١. وسلموا عليه العبارة سقطت من مط.

٢. فى مط: الإحتفاظ، بدون «به».

فتح عنه الباب وطالبه بخاتمه فسلمه وكان فضة ياقوتاً أحمر وعليه منقوش :
 - « بالله محمد الإمام القاهر بالله أمير المؤمنين يتق. »
 وصار به إلى الراضى فأمر أن يسلم إلى حادق من حذاق الخراة ليمحو
 ذلك النقش منه. ففعل ذلك ونقش له خاتم آخر عليه :
 - « الراضى بالله »

وتقدم على بن عيسى بأن يحضر القاضي أبو الحسين عمر بن محمد.
 والقاضي أبو محمد ابن أبي الشوارب، والقاضي أبو طالب البهلول، وجماعة
 من الشهود وممن يقرب من دار السلطان فحضروا. فحكى القاضي أبو
 الحسن محمد بن صالح الهاشمي ابن أم شيبان أنه لما استدعى القاضي أبو
 الحسين عبد القبض على القاهر بالله وجم جميع أطرافه وأخذ معه خمسين
 ديناراً في حجرة سراويله استظهاراً واستحله في داره ومضى وانصرف بعد
 أن مضى أكثر الليل إلى [455] منزله قال : فقال لي :

- « أنا أعرف ضيق صدرك وتطلعك إلى معرفة^(١) حديثنا فاسمعه : أعلم أنني
 مضيت فأدخلت إلى حجرة فيها القاهر بالله ومعي ثلاثة من الشهود وطريف
 السبكري. فقال له طريف : تقول ب سيدي »
 وكثر ذلك لجماعتهم فقال :
 - « أصبحوا »

ثم التفت إلي فقال :

- « ألسنت تعرفني ؟ »

فقلت : « بلى . »

فقال : « أنا أبو منصور محمد بن المعتضد بالله رحمه الله عليه ثم القاهر

بالله يبعثني في عنقك وأعناق أهلي وسائر الأولياء ولست أهرّثكم منها ولا أهلكم^(١) بوجه ولا سبب، فانهضوا.

فلما قلنا بعدنا عدلت طريقها ولمتها ملاماً كثيراً وقلت:

- «أى رأى كان إحضارنا إلى رجل لم يوطأ ولم يؤخذ خطه ويشهد عليه الكتاب والجند؟ كان ينبغي أن تعدّم ذلك ثم تحضرنا له.»

وعُدل بنا إلى عليّ بن عيسى فسألنا عما جرى فحدثنا به فقطب وجهه ثم قال:

- «يُخلع ولا يفكر فيه فإن أفعاله مشهورة وأعماله معروفة وما يستحقه غير خاف.»

فقلت له:

- «بنا لا تعقد الدول وإنما يتم بأصحاب السيوف ونصلح نحن ونراد لشهادة واستيثاق وقد سمعت من الرجل ما حدثتك به ولم يكن الرأى أن يجمع بيننا وبينه إلا بعد إحكام أمره.» [456]

فتغاضب وحضر وقت الصلاة فقمنا.

فقال القاضي أبو الحسن محمد بن صالح:

فسمعت ذلك منه ويكرّنا إلى دار السلطان فقبل له: إن القاهر سعل البارحة. فلما حضر أبو عليّ ابن مقلّة السندعيّا وكنت مع القاضي أبي الحسين وثلاثة من الشهود واجتمعنا بحضرة الراضى بالله فأومأ إلى مفلح الأسود فأحضر ثلاثة من إخوانه فأجلسهم عن يمينه وأخرج أبو عليّ ابن مقلّة قرطاساً من كتفه وشره فاستحلفهم على البيعة ثم أومأ الراضى إلى مفلح إيماءً ثانياً فأحضر اثنان آخران من إخوانه فأجلسهما عن شماله وأخذت

البيعة عليهما ثم أعطى أبو علي القرطاس الفاضى أبا الحسين فأخذ عليه البيعة وكتبها خطوطاً فى ذلك القرطاس على من باع وانصرفنا وكان سيما أشار بسمل الفاهر تلك الليلة فستر الراضى ذلك عن علي بن عيسى واستحضرا بختيشوع بن يحيى المتطبب وسأله عمن يحسن أن يسمل فذكر له رجلاً فأحضره وسمل الفاهر.

وما زال علي بن عيسى يوم الأربعاء إلى الليل يأخذ البيعة للراضى بالله على القضاء والقواد وكتاب السواوين والعلماء وطالبه الراضى أن يتقلد الوزارة [457] فامتنع وذكر أنه لا يفى بالأمر، فأشار سيما بأبي علي بن معلقة. قال : - « هو يضمن أن يقوم بسائر الأمور. »

فقال علي بن عيسى :

« قد أشرت به على أمير المؤمنين وما يصلح للوقت غيره. »

وكان عمن بن عيسى يسأل فى الفضل بن جعفر فأطلق بمسأله ووقع الراضى إلى أبي علي ابن معلقة^(١) فبكر يوم الخميس لسبع حلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وحضر علي بن عيسى وأخوه عبد الرحمن ووقفنا بين يديه يستحمان من يحضر ويأخذان البيعة عليه وتأخر الفضل بن جعفر والحسن^(٢) بن هارون وخلع على أبي علي ابن معلقة خلع الوزارة وركب معه سيما وطريف السبكى وسائر القواد والعلماء والخدم الخاصة وطهر الحسن بن هارون وأبو بكر ابن قرابة وصاروا إلى أبي علي ابن معلقة ثم انصرفوا إلى منازلهم

واستأنف أبو علي ابن معلقة سيرة عمه وقال :

- « قد عاهد الله فى استتارى ألا أسىء إلى أحد وندرت ندوراً. »

١ فى الكلمة: وهو فى دار ابن عبدوس الجعشيارى

٢ فى مط والمسين.

فوفى وأطلق كل من كان في حبس القاهر من كتب وجندى وأطلق عيسى المتطّيب وإسحاق بن عليّ القنّائي وكان الراشدي أنفذهم إليه. ثمّ تعقّب الرأي في عيسى المتطّيب فصادره. [458]

وكان القاهر قد اعترف بوديعة أودعها إياه من العين والورق والطيب، فاستخرج كله منه. وسأل في أمر أبي العباس الخصمي فكتب له أمان وقّع لراشدي فيه بخطه وتسلمه الوزير أبو عليّ وأنفذه في درج رقعة^(١) منه بخطه إلى الخصمي وخاطبه أجمل مخاطبة وظهر الخصمي فقلده دواوين الضياع الخاصّة والمستحدثة والعباسيّة والفراتيّة والمقبوضة عن أم موسى ونذير وشفيع اللؤلؤي وضياع المخالفين وضياع البرّ وضياع الجذّة والدة العقندر وديواني زمام المشرق والمغرب وأجرى عليه نفسه سوى أرزاق كتّابه في هذه الدواوين ألف دينار في كلّ شهر وقلّد الراشدي بدرّاً الحُرشنى الشرطه بمدينة السلام.

ولنا تقلّد الراشدي الخلافة وردت كتب أبي جعفر الكرخي وأبي يوسف كاتب السيّده بتخلصهما من الأهواز إلى نواحي دور الراسبي هارين من محمّد بن رائق وكاتب بنو البريدي يسترون في أنهار الأهواز نهر سعد نهر. ووصى الخبر إلى ابن رائق وهو بالباسين: أن القاهر خلع من الخلافة وتقلّدها الراشدي بالله وإنّه قد تدبّر للحجبة. فرجع منكفئاً إلى واسط ولم يدخل [459] البصرة ورجع الكرخي إلى البصرة ثمّ عاد إلى غيلة^(٢) بالأهواز فنظر وعمل إلى أن ضنّ ابن مقلّة بنو البريدي أعمال الأهواز.

١. في مط: رقعة، بدن «رقعة»

٢. في مط: عمله، بدل «غيلة». وفي المراءد: والغيلة بكسر أوّله وسكون ثانيه: موضع في شعر الأعشى

ذكر ابتداء أمر أبي الحسن

علي بن بويه الديلمي

كُنَّا كُنْبَنَا فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ بُوَيْهٍ لَحِقَ بِمَرْدَاوِيحٍ وَهُوَ فِي
 حَدُودِ طَبْرِسْتَانَ فَقَوَّدهُ وَضَمَّ رِجَالاً إِلَيْهِ فَلَمَّا أَفْذَهُ إِلَى الرِّىِّ - وَكَانَ أَحْوَهَ
 وَشَمَكِيرَ بِهَا - اتَّفَقَ أَنَّ عَامِلَ الْكَرْجِ طَمَعَ فِي مَالِهَا فَأَتَمَذَّ عَلِيٌّ بِنِ بُوَيْهٍ لِيَنْتَلَفِيَ
 أَمْرَ الْكَرْجِ ^(١) وَمَعَهُ دُونَ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَقَامَ بِهَا وَتَلَفَّقَ إِلَيْهِ مِنَ
 الْأَطْرَافِ دَيْلِمٍ فَصَارَ فِي نَحْوِ ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ فَأَنْكَرَ مَرْدَاوِيحُ أَمْرَهُ وَكَاتَبَهُ
 بِالْإِنْصِرَافِ فَتَأَخَّرَ، وَرُوِّسِلَ فَتَعَلَّلَ، وَكَانَ قَدْ اسْتَخْرَجَ مِنْ مَالِ الْكَرْجِ نَحْوَ
 خَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ وَفَوْقَهَا فِي مَدَّةٍ بِسِيرَةٍ وَاسْتَوْحِشَ مَرْدَاوِيحُ وَهَدَّاهُ فَفَزَعَ وَأَخَذَ
 مَرْدَاوِيحُ وَوَشَمَكِيرَ فِي تَدْبِيرِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ.

وَكَانَ عَلِيٌّ بْنَ بُوَيْهٍ قَدْ اسْتَخْلَفَ بِحَضْرَةِ وَشَمَكِيرَ وَهُوَ بِالرِّىِّ عَدَّ خُرُوجَهُ
 أَحْمَدَ حَاجِبَهُ - وَهُوَ وَالِدُ أَبِي إِسْحَاقَ الطَّبْرِيَّ الشَّاهِدَ - فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَكَتَبَ
 إِلَيْهِ أَحْمَدُ بِمَا فِيهِ مَرْدَاوِيحُ وَوَشَمَكِيرَ مِنَ الْخَوْضِ فِي سَيِّئَتِهِ ^(٢) وَكَانَ
 مَرْدَاوِيحُ قَدْ صَارَ إِلَى عِنْدِ أَحِبِّهِ بِالرِّىِّ بِهَذَا السَّبَبِ وَلِتَسْرِيْبِ الْجَبُوشِ إِلَيْهِ
 فَخَرَجَ مِنَ الْكَرْجِ إِلَى إِصْهَانَ خَائِفاً [460] لِيَسْتَأْمِنَ إِلَى الْمُطَقَّرِ بْنِ يَاقُوتَ
 وَكَانَ عِنْدَ الْمُطَقَّرِ بْنِ يَاقُوتَ فِي الْوَقْتِ سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الدَّيْلِمِ وَوَجْهَهُمْ
 فَنَاحِصَرَهُ ^(٣) وَالِدَ الْحَسَنِ الدَّيْلَمِيِّ الَّذِي كَانَ يَبْغِدَادَ وَنَظَرَ فِي الشَّرْطَةِ بِهَا. فَلَمَّا
 قَرَّبَ مِنْ إِصْهَانَ خَرَجَ إِلَيْهِ الْمُطَقَّرُ لِيَمْنَعَهُ وَمَعَهُ نَحْوُ أَرْبَعَةِ أَلْفٍ رَجُلٍ
 فَتَخَاذَلَ أَصْحَابُهُ وَوَقَعَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنَ الدَّيْلِمِ خِلَافٌ. لِأَنَّ فَنَاحِصَرَهُ كَانَ لَهُ

١. فِي مَط: الْكَرْجُ. يَدُلُّ «الْكَرْجُ»

٢. فِي مَط: فِي سَبِيحِهِ يَدُلُّ «سَبِيحُهُ»

٣. فِي مَط: فَنَاحِصَرُوهُ، وَهُوَ أَصَحُّ حَسَبَ أَصْلِهِ الْفَارْسِي

عدو من الديلم يضاده فتقاعد المولودون أيضاً وانفترقت كلمتهم وانهمزم المطفر
بن ياقوت إلى فارس وبها أبوه ياقوت واستأمن إلى علي بن بويه نحو من
أربعمئة رجل من الديلم فصارت عدته سبعمائة رجل وملك إصبهان وهو
في ثلاثمئة رجل.

وبلغ الحبر مرداويج مسير أخاه وشمكير لطالبه في الوقت فلما قرب
إصبهان رحل عنها علي بن بويه وصار إلى أرجان وكان قد تهنىها لحصوله
بين ياقوت وهو بفارس وبين ابنه محمد وهو برامهرمز فنصور^(١) عنده
بالمهانة واضطراب الرأي والرجال فدخل أرجان واستوطنها وكاتب ياقوت
واستخرج من مال أرجان خراجاً نحو ألف درهم ووصل مع ذلك إلى
ودائع وطم أمره للمسير إلى كرمان وبها ماكان بن كاكي الديلمي ليستأمن
إليه فلم يجبه ياقوت عن كتابه ولم يقبله [461] فكاتبه علي بن بويه
وخاطبه بالإمارة والتعبّد وعرفه أنه يسأله أحد الأمرين: إمّا أن يقبله، أو
يأذن له في المصير إلى باب السلطان. فلما لم يقبله ياقوت وسار إليه مع ابنه
المطفر ليحاربه سار علي بن بويه إلى النويندجان وقدّر أن تكون الحرب بها
وقدّم كتبه إليه وطسب منه الأمان واستعفاء من الحرب فحذّره ياقوت وحشى
أن يقتاله وكان قيل له: **إنّ علي بن بويه يريد الحيلة عليه** لمحصل بفارس
ويخدعه عنها.

وكان علي بن بويه قد حصل أيام مقامه بكزرون وبلد سابور - وذلك
عند خروجه من أرجان - نحو خمسمائة ألف دينار مع كنوز كثيرة وجدها
فقويت شوكته وزاد رجاله. فلما صار إلى النويندجان قام بأمره أبو طالب
زيد بن علي ويكفل بنققاته فلزمه عليه في كلّ يوم خمسمائة دينار وأقام

١ كذا في الأصل: فنورا. والصيغ في مد فنور. والعبارة في مط: فنور وعنده بالمهانة.

عنده مدة. فلما خرج إليه ياقوت تهيّبه هيبة شديدة وذلك أن جيش ياقوت كانوا سبعة عشر ألف رجل من جميع الأصناف ساجية وحجرية والرجالة المصافية وغيرهم من الديلم وأصناف العسكر وعلى بن بويه في ثمانمائة رجل. فسأله أن يفرج له عن الطريق لينصرف عنه ويجتاز إلى حيث يجتاز. فمنعه [462] ياقوت وطمع فيه لقلّة عدده ولوقور ما وصل إليه من المال. فلم يثبت له على بن بويه وسار إلى البيضاء فمنعه ياقوت وواقعه على ياب اصطخر يومين فكانت لياقوت فاشتدّ طمع ياقوت فيه وراد تهبّ على بن بويه وحقّق^(١) عليه المسألة في الإفراج له لينصرف عنه فامتنع عليه فلما كان يوم الخميس لاثني عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة إثنين وعشرين وثلاثمائة واقعه مستقلاً.

فحدثني من شهد الرقعة من الديلم أنه ترجّل ستّة نفر من الديلم وصفوا تراسهم وتقدّموا رجعاً واستأخروا من واجههم من أصحاب ياقوت فاشتملوا وتقدّموا وحمل أبو الحسين أحمد بن بويه في نسحو ثلاثين رجلاً فانهزم ياقوت وجميع من معه وذلك وقت الظهر من ذلك اليوم وانصرف إلى شیراز. فقدر على بن بويه أن يصرفه مكيدة منه لا هزيمة فتوقّف في موضعه ولم يتبعه إلى وقت العصر، فلما صبح عنده أنها هزيمة سار إلى شیراز فنزل أول منزل قريب يقال لها الرقان على ستّة فراسخ من شیراز وبكر منها يوم السبت فنزل قرية يقال لها: الدينكان، وعنده أنه سيجارب عن البلد ويدفع عنه لأنّ الجيش الذي انهزم عنه كانوا قد انصرفوا [463] عنه موفورين لم يجاربه ولا وقفوا بين يديه، فنزل على فرسخ من شیراز في مضاربه، وبلغه أن ياقوتاً وعلى بن حلف بن طساب قد خرجا عن شیراز والبلد شاغرين خال.

١ الحرف الثاني غير واضح في الأصل. في مط: حنق. وما في مط: حنق

فوجه بجماعة من الديلم وأحلاط من الجند إلى شيراز للمقام بها وضبطها فبادر إليهم العامة بشيراز مع جماعة من الرجلة السودان وماليك للثناء^(١). وكان الديلم قد تفرقوا في الأسواق فقتلوا منهم نحو سبعين رجلاً. فبلغ على بن بويه ذلك ووجه بأخيه أبى الحسين أحمد وكان إذ ذاك تسع عشرة سنة وهو أمرد وهو حينئذ صحيح البدن وأنفذ معه ثمانين رجلاً من الديلم فقتل من السودان نحو ألف رجل ونادى في البلد ألا يقيم فيه أحد من أصحاب ياقوت ولا من الحند وأن من وُجد بعد النداء فقد أباح دمه وماله. فلم يبق في البلد أحد منهم.

اتفاقات عجيبة مساعدة

لعلى بن بويه بعد دخوله شيراز
وانفتاح وجوه الذخائر والودائع له

ودخل على بن بويه شيراز واعتقت له بها ضروب من الاتفاقات عجيبة كانت سبباً لنبات ملكه غنمها أن أصحابه اجتمعوا وطالبوه بالمال ونظر فإذا القدر لذي معه لا يرضيهم وأشرى أمره على الإنحلال فاشتغل قلبه واغتم غمّاً شديداً فبينما [464] هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس ياقوت من داره وقد خلّا فيه كلفكرة والتدبير، إذ رأى حية قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعاً آخر منه وخاف أن تسقط عليه وهو نائم فدعا بالمرّاشين وأمرهم بإحضار سلم وإخراج تلك الحية ففعلوا. ولما سعدوا وبحثوا عنها، وجدوا ذلك السقف يفضى إلى غرفة بين سمين، فعرّفوه ذلك، فأمرهم بفتحها ففُتح ووجد فيها عدة صناديق من المال والصيغات

خمسمائة ألف، فاستوى جالساً وحُمِلَ إلى بين يديه ذلك المال فُسِّرَ به وأُعِفَّ في رجاله وثبت أمره بعد أن أشفى على الإنحلال.

وحكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي أن علي بن بويه أراد قطع ثياب وسأل عن خيَّاط حاذق فَوَصَفَ له خيَّاط لياقوت فأمر بإحضاره وكان أطروشاً ووقع له أنه قد سعى به إليه في وديعة كانت لياقوت وأنه طلبه بهذا السبب. فلما خاطبه حلف أنه ليس عنده إلا اثنا عشر صندوقاً لا يدري ما فيها. فعجب علي بن بويه من جوابه ووجهه معه بمن حملها. فوجد فيها أمراً عظيماً من المال والثياب.

والذي كان يكتب لعلي بن بويه في ذلك الوقت رجل نصراني [465] من أهل الري يُعرف بأبي سعد إسرائيل بن موسى ثم قُتِلَ بعد مدة بسبب سنفرده له خيراً، واستكتب مكانه أبا العباس أحمد بن محمد القمي المعروف بالحنَّاط.

وسفر الأمير أبو الحسن علي بن بويه بعد تمكنه من البلد في أن يعاطع السلطان عنه ويتعلمه من قبل الراضي، فأجيب إلى ذلك وفتح منه بما يذل وهو في كل سنة بعد جمع المون والمقات الراتبة والحادثة ثمانية آلاف ألف درهم خالصة للمحصل.

وكتب إلى الوزير أبي علي ابن مقلة يحلف له بأغلظ الأيمان على موالاته الوزير أبي علي ابن مقلة وأبيه الحسين ومعاضدتهما وما يقال في هذا المعنى وأكدته. فأنفذ إليه الوزير أبو علي بالحلج واللواء في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ورسم للرسول وهو أبو عيسى يحيى بن إبراهيم المالكي الكاتب ألا يسلم اللواء والحلج إلا بعد أن يتسلم المال ووقف عليه. فلما قرب المالكي من البلد تلقاه علي بن بويه على بعد وسار معه إلى ظاهر شيراز وطالبه بأن يسلم إليه اللواء والخلع فعرفه ما رسم له وأنه لا يمكنه

من ذلك إلا بعد تسلّم المال الذي وُوقِف عليه فخاضته عليّ بن بويه وأرهبه^(١) حتّى سلّم إليه الخلع ولبسها ودخل بها إلى شيراز وبين يديه اللواء. وأقام المالكي مدة يطالب [466] بالمال فلم يدفع إليه شيئاً بته وحصل على المواعيد والمطل والتوقف ثمّ اعتلّ المالكي ومات بشيراز وحُمل تابوته إلى بغداد في ستة ثلاث وعشرين.

وانفتح لعلّ بن بويه وجوه الذخائر والودائع ووزير [٥] [٢] أبو سعد النصراني فضمن له بقايا مال السنة أبو الفصل العباس بن فسانحس وابن مرداس وأبو طالب زيد بن عليّ وغيرهم من وجوه البلد بأربعة آلاف ألف درهم، واستخرجت له الذخائر وانفتحت له كنوز وودائع عمرو بن الليث ويعقوب بن الليث وياقوت وأبه وعليّ بن خلف ورجال السلطان وكثرت أموال عليّ بن بويه وعمرت خزائنه واستأنم إليه رجال ماكان بن كاكى من كرمان وكثر جمعه واستفحل أمره وانتهى خبره إلى مرداويج فعامت قيامته ووافى إصيهان وبها وشمكير أحوه لأنّه لما خلع القاهر من الخلافة وتأسّخر محمد بن ياقوت عنها وبقيت سبعة عشر يوماً خالية أعاد مرداويج أخاه إليها. فلما استقرّ بها ورد مرداويج ليدبير عليّ بن بويه عند استعصائه عليه ردّ أخاه وشمكير إلى الرى لحلافته عليها

وانفذ شرح بن ليلي اسهسلارة مع حاجبه الشابشتى ومعهما ألفان وأربعمائة رجل من الجبل^(٢) والديلم ووجوه القواد من بكران وإسماعيل الجبلى [467] إلى الأهوار، وكن غرضه أن يملكها فيأخذ الطريقى عليّ بن بويه ويعجز بينه وبين السلطان حتّى إذا قصده بعد ملكه الأهواز لم يكن

١. كذا في الأصل: وأرهبه. في مد: وأرهبه وفي مط: وأرهبه

٢. في الأصل: وزير. وما بين المعقوفين ردناه من مط.

٣. في مط: الجبل، وهو خطأ.

له منفذ إلا إلى تخوم كرمان والتهيز^(١) ومكران وأرض خراسان.
ولما نزلت عساكر الجيل ايدج خاف ياقوت أن يحصل بينهم وبين علي بن بويه، فوافى الأهواز ومعه ابنه وقتله السلطان أعمال الحرب والمعاون بها وارتسم أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي بكتابة ياقوت مضافة إلى ما إليه من أعمال الخراج والضياح بالأهواز وصار أخوه أبو الحسين يحلف أحياه وياقوتاً بالحضرة وحصل رجال مرداويج برامهرم في غرة شوال من سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وصلوا العهد بها وخطبوا لمرداويج وساروا إلى الأهواز فعسكر ياقوت بعطرة أربق وقطعها والماء الذي تحت هذه القسطة حاد الجرية فأقام رجال مرداويج بإزاء ياقوت أربعين يوماً لا يمكنهم العبور إليه وسار ياقوت إلى بغداد على طريق دور الراسبي وسار علي بن خلف بن طناب في البحر من ساحل مهرويان إلى البصرة. ورحل جيش مرداويج عن قنطرة أربق وضمن لهم طائفة من العتارين أن يعبروا بهم نحو المسرقان بعسكر مكرم حتى يصير الطريق بينهم وبين الأهواز جديداً فعدلوا إليها.

واجتمع البريدي [468] وياقوت فتشاوروا وحرر الرأي على إنفاد مونس غلام ياقوت في أربعة آلاف رجل إلى عسكر مكرم لدفعهم عن عبور المسرقان وكانا حسب أن القوم بعد منازلة^(٢) أربعين يوماً قد ضجروا وانصرفوا وأنهم لا يلتئون بعسكر مكرم إلا يومين أو ثلاثة فلمّا حصلوا بها عملوا أطوافاً^(٣) من خشب وشاشا^(٤) من قصب وغير منهم خمسون رجلاً

١. تهيز (بكسر الأول) بليده على ساحل بحر مكران وبينها وبين «كبير» مدينة مكران خمس

مراحل. (مراد الإطلاع)

٢. منازلة: كذا في الأصل ومط. وما في مد: منزلة.

٣. قطع من خشب مشدود بعضها إلى بعض يركب عليها.

٤. في مط. وشاشا

عليها فانهرم مونس لوجهه وعاد إلى مولاه فأخبره الخبر. وكان قد ورد إليه مدد من بغداد وخيل عظيمة فرحل لوفته من فطرة أريق بعد اجتماع الجبل إليه بيومين وصاروا بأجمعهم إلى قرية الريح وهم بالحفيفة قد حصلوا من أمرهم على الريح. وصار ياقوت ومن تبعه وهم عدة وافرة كثيرة إلى باذاورد حومتها إلى واسط فأفرح له محمّد بن رائق عن غريبها فنزل بهسكته وعرف عليّ بن بويه حصول عسكر مرداويج بالأهواز وشرح ما جرى وتعلّق لكتاب مرداويج واستصلحه وأقام الخطبة وواقفه^(١) على مال وأنفذ إليه رهيبة فسكن مرداويج وفلّد عليّ بن بويه أرجان بعد انصراف ياقوت وعليّ بن خلف عنها إبراهيم بن كسك.

واستقرت كتابة ياقوت لأبي عبد الله البريدي [469] فورد الخبر وهو بالبصرة في بستان المؤمّا يريد السير في طيّاره إلى واسط هتّل مرداويج في الحمام بإصفيهان فأنفذ للوقت أبا عبد الله بن جسي الجرجرائي إلى الأهواز بحلّاقته عليها وقال له .

« اقصد ظاهر البلد بل أقم على فرسخ منه فإذا صبح عندك خروج الحيل والديلم فادخله واثبت عند دجولك لفرسان والرّجالة فيأتي أنفذ من واسط أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الحسّاني في ألف رجل لضبط البلد وكور الأهواز. »

ثمّ وافى أبو عليّ غلام جوذاب كاتب البريدي في طريق الماء وترتب ابن أبي طاهر بالأهواز وأبو أحمد الحسّاني^(٢) بعسكر مكرم. ووافى إبراهيم بن كاسك من أرجان إلى رامهرمز طمعاً في الأهواز لما خلت فكاتبه عليّ بن بويه بالتوقف وآلا يبرحها حتّى يمده بالجيش فمن قبل ورود الجيش عليه

١ في مط: وواقفة.

٢ في مط: السجستاني

من فارس ما وافى ياقوت إلى عسكر مكرم على طريق السوس فلما بلغ إبراهيم بن كاسك خبره رحل من رامهرمز إلى أرجان.

وكانت مع ياقوت قطعة من الديلم والأتراك والخراسانية فظن أنهم يهتدون وأنه مستظهر بهم ووافاه أبو عبد الله البريدي والتقى بعسكر مكرم وأنفق فيه وفي رجايه ثلاثمائة ألف دينار على يد ابن بلوى وابن سريح^(١) المنفقين وسفرهم إلى أرجان [470] ووافاه علي بن بويه وحاربه بها فانهزم ياقوت هزيمة ثانية لم يفلح بعدها ولا شد منها هزماً ولم ينقعه عدد العجم والديلم ولا عجب من أمر الله وتبعه علي بن بويه إلى رامهرمز وخيف على الأهوار منه فراسله أبو عبد الله البريدي في الصلح فاستجاب له وكاتب الوزير أبا علي ابن مقلة فيما قرره من الصلح فعرضه على الراضى بالله فأمضاء فانصرف علي بن بويه^(٢) إلى شيراز وعقدت فارس على علي بن بويه بما ذكرناه ونفذ إليه أبو عيسى المالكي باللواء ولعهد وكان من أمره ما قدمت ذكره.

وقتل أبو الحسن علي بن بويه أبا سعد إسرائيل كاتبه

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن أبا سعد كان مكيناً عند علي بن بويه يترآك به ويكرمه جداً وكان يقود الجيش وله غلمان أتراك ولبس القباء والسيف والمطعمه وكان قد حارب في وقت ياقوتاً فهزمه. فكان أبو العباس الحنطاط التقي يضرب عليه دائماً ويجتهد في إفساد رأي صاحبه فيه فلا يقبل منه وينهاه عن ذكره فلا ينتهي إلى أن قال يوماً وقد أكثر عليه في الإغراء به :

١. في مط: وابن سريح

٢. في مط: فانصرف علي من يومه، بدل «فانصرف علي بن بويه»

« يا هذا إنَّ هذا الرجل صعبني وحالي صغيرة وقد بلغت ما ترى ولست أدري هل [471] ما وصلت إليه بدولته أم بدولتي وليس إلى تغيير أمره طريق فأياك أن تعاودني فيه. »

فما أغنى ذلك منه ولا انتهى عن الوفيعة فيه وثلبه.

وكان بين أبي سعد هذا وبين حاجب لسي بن بويه يقال له - خُطْلُخ - وإليه مع المحبة رئاسة الجيش - عداوة فانفق أن دعى أبو سعد دعوة عظيمة دعا فيها علي بن بويه والقواد وأنفق فيها في الخلع والحملان ما له قدر كثير ودعا خُطْلُخ فلم يستجب إلى المصير إليه واجتهد به فلم يكن فيه حيلة وأصبح أبو سعد من غد يوم الدعوة فأقام على أمره ودعا من يأنس به واثبه خُطْلُخ من نومه وهو مختاظ يزعم أنه لا بد له من أن يركب إلى أبي سعد فيقتله لأنه رأى في نومه أبا سعد يريد قتله فاجتهد به خواصه في أن يؤخر ذلك فامتنع وحمل في حقه دشنيا وركب وقيل لأبي سعد أن خُطْلُخ قد ركب على أن يجيئه فأكر ذلك لأنه كان دعاه فامتنع فلم يعرف لمجيئه إليه بغير استدعاء وجهاً. فاستعد ليستظهر وقال لعديانه :

« تأهبوا بالطهرريسات وكونوا مهتشرين في المجالس حوله فإن أنكر من خُطْلُخ أمراً صاح بهم فخرجوا ووضعوا عليه. »

وحضر خُطْلُخ فتلقاه أبو سعد وجاء حتى جلس [472] وأخذ يستجني ويعرئ إلى أن ضرب يده إلى حقه وأخرج الدشني فصاح أبو سعد بالعلماء فخرجوا بالدهابيس والطبرزيات ووضعوا على خُطْلُخ ووقع في رأسه دَبُوس فدوَّخه وسقط وقدر أنه مات وحمل إلى منزله فعاش يومين ومات.

فيأدر أبو العباس الحطاط إلى الأمير في الوقت فوجده نائماً فقل للعسمان :
- « أبهوه. »

فلم يجبروا،^(١) فصاح وجلب إلى أن أنهه ودخل إليه وقال له :

- «إن أبا سعد قتل حاجبك خطئ».

فلم يصدقه وانتهره فقال :

- «وجه وانظر».

فورد عليه الخبر بصدقه فاستعظم ذلك ووجم ساعة ودخل أبو سعد فلم يظهر له أنه أنكر شيئاً ولا أنه استوحش وسأله عن السبب فيما فعله فعرفه الصورة واستشهد من حضر فاستصوب ما فعله. وخاف أبو سعد ووجد أبو العباس الحنّاط فرصته وأقبل يقول :

- «هو ذا يأخذ البيعة على القواد وهو خارج عليك لا محالة».

فوجه الأمير إلى أبي سعد فأنسه غاية التأيس وحلف له أيماناً مؤكدة على ثقته به وأنه لا يلحقه سوء من جهته وأفق أن أخرج أبو سعد صاديقه من البيوت إلى صحن داره ليسترها استظهاراً وخلا بموسى فيأته يشاوره^(٢) فمضى الحنّاط إلى الأمير عليّ بن بويه [473] فقال له :

«قد استحلف أبو سعد قوادك وآخر من استحلفه موسى قيادة وما هو

قد أخرج صاديقه وهو خارج الساعة».

فوجه الأمير بمن عرف خبره فرأى الرسول الصناديق وموسى قيادة خارجاً من عنده فعاد إليه بالخبر فلم يشك الأمير حينئذ في صحة قول الحنّاط فقبض عليه وعلى جميع ماله من سائر الأصناف واعتقله. وكان في الإعتقال إلى أن ورد بعض قواد الأتراك من بعض أعمال فارس فواطأه الحنّاط على الدخول مع أصحابه وهم خمسون رجلاً مخرّقي الثياب مسودّي

١ في مط: فلم يجبروا

٢ في مط: فصاره شاوه (كنا)، بدل «قيادة يشاوره» وفيهاده يحتمل أن يكون معرباً أصالة الفارسي. بيانه، أي الراجل.

الوجوه يضجّون بما جرى على خطيخ من أبي سعد ويتهددون إن لم يقتل أبو سعد. فعزل القائد ذلك ودخل والأمير على شرب فأمر بقتل أبي سعد ثم وقعت الندامة عند الصحو وبعد فوت الأمر واستكتب الأمير بعده أبا العباس الحنّاط وبقي معه إلى أن مات الأمير عليّ بن بويه.

عود إلى ذكر الأحوال الجارية بمدينة السلام

ونعود إلى ذكر الأحوال الجارية بمدينة السلام. لما حصل محمد بن ياقوت بالحضرة وحصلت له الحجة ورئاسة الجيش أدخل يده في تدبير أعمال الخراج والضيايع وظهر فيما يظفر فيه الوزراء وطالب أصحاب الدواوين بحضور مجلسه وألا يقبلوا توقيعاً بولاية [474] ولا صرف ولا غير ذلك من سائر الأحوال إلا بعد أن يوقع فيه بخطه. وتحلّد أبو عيسى واحتمل ذلك وألزم نفسه المصير إليه فإذا صار إليه دفعته صار هو إليه دفعة واحدة فكان أبو علي كالمتعطل لا يعمل شيئاً ملازماً لمنزله ويجهته أبو إسحاق القناري على كاتب محمد بن ياقوت فيطالعه بما يجري وما يعمل.

وفي هذه السنة قُتل هارون بن غريب الخال.

ذكر سبب قتله

كان سبب ذلك أنّه لما بلغ هارون بن غريب تقليد الراشدين بالخلافة وكان مقيماً بالديور - وهي قصبة أعمال ماء الكوفة - وهو متقلّد أعمال معاون بها ويماسيدان^(١) ومهرجانقذق وحلوان وتدبّر أعمال الخراج والضيايع بها - وهي النواحي التي كانت بقيت في يد السلطان من نواحي المشرق بعد

١ في مط ماسدان، وهو خطأ

الذى غلب عليه مرداويج - رأى أنه أحقّ بالدولة من كلّ أحد. فكانت جميع القوّاد بالحضرة وأنه إن صار إلى الحضرة وتقلّد رئاسة الجيش وتدير الأمور أطلق لهم أوراقهم على السام ولم يؤخّر عنهم شيئاً منها. وسار إلى بغداد حتّى وافى خاتمين فعلط ذلك على الوزير أبي عليّ ابن مقلّة وعلى محمّد ابن ياقوت وعلى الحجريّة والساجيّة والمونسيّة وحاطبوا [475] بأجمعهم فقال الراضى :

«أنا كاره له، فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه إن أحوح إلى ذلك.»
فلما كان يوم السبت لسبع خلون من جمادى الآخرة استحضر أبو بكر ابن ياقوت أبا جعفر بن شيرزاد وأوصله إلى الراضى بالله حتّى حمّله رسالة إلى هارون بن عريب بأن يرجع إلى الدينور وكتب معه كتاباً فنفذ من وقته ووجد هارون قد صار إلى جسر الهروان وأدى الرسالة وأوصل الكتاب فأجاب هارون بأنه قد انضمّ إليه من الرجال من لا يكفيهم مال عمله. وعاد أبو جعفر بالجواب وأداه إلى الراضى بالله بحضرة الوزير أبي عليّ والحاجب أبي بكر محمّد بن ياقوت، فبدّلوا له أن يقلّدوه أعمال طريق خراسان كلّها ويكون مالها مصروفاً إليه زائداً على ما يأخذه وقال الراضى بالله :

«سيله أن يقتصر على بعض من معه من الرجال.»

فنفذ أبو جعفر ومعه أبو إسحاق القراريطى بهذا الجواب. فلما أدّى إليه الرسالة امتنع وقال :

«إنّ الرجال لا يقنعون بهذه الزيادة.»

ثمّ قال :

«ومن جعل ابن ياقوت أحقّ بالحجبة والرئاسة متى ؟ الناس يعلمون أنه كان في آخر أيّام المفتدر يجلس بين يديّ ويمتثل أمرى. ومن جعله أخصّ

بالحليفة مني؟ وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه^(١) وابن ياقوت ابن غلام من غلمانته. [476]

فقال القراريطي:

«لو كنت تراعى ما بينك وبينه من القرابة لما عصيته»

فقال: «لو لا أنك رسول لأوقمت بك قم فأنصرف»

ووضع هارون يده في الإستخراج، فاستخرج أموال طريق خراسان وقبض على عمال السلطان وحبس المال بعسف وخبث وظلم وتهور وكسان الوقت قريباً من الإفتتاح. فلما اشتدت شوكتة شخص محمد بن ياقوت من بغداد في سائر الجيوش بالحضرة ونزل في المضارب بنهر بين يافاذ أبي جعفر محمد بن شهرزاد دفعة ثانية برسالة جميلة ووعدته أن يوافقه^(٢) على عدة الرجال الذين يتقرر الأمر معه على كوبهم في حملته وينظر في جرائدهم وأرزاقهم لسنة خراجية. فإن وفي مال أعماله بماله ومالههم رجع إلى الديور وإلا سبب له بالباقي على أعمال طساسيج الهروانات ونفذ إليه بهذه الرسالة يوم الإثنين.

وقد وقعت طلائع عسكر هارون على طلائع عسكر محمد بن ياقوت وأصحاب هارون هم المستظهرون وكثر مضى الحند من عسكر محمد ابن ياقوت إلى هارون بن غريب مستأمنة إليه فتيين أبو جعفر من هارون أنه اتهمه بالحيل إلى محمد بن ياقوت وابن مقله. فلما رأى منه ذلك استأذنه في الإنصراف بالجواب فقال:

«إني أخاف عليك [477] منه أن يحتملك وإئتما بيننا وبين الواقعة وانكشاف الأمر بيننا ليلة واحدة.»

١. في مط: وأنا نسيب أمير المؤمنين ومرتبته، بدل «وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه»

٢. في مط: أن يوافقه

تراحف العسكرين

فبتنا كان في يوم الثلاثاء لست بقين من جمادى الآخرة تراحف العسكران وكان السبأ من أصحاب هارون واشتد القتال واستظهر أصحاب هارون لأن عددهم أصعاف عدد ابن ياقوت واهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت وطمع من العلمان الحجريّة ونهب أصحاب هارون أكثر سواد ابن ياقوت ونكسوه من دواتهم وأخذوا فيهم الجراحات وقتلوا منهم عدة. فركب حينئذ محمد بن ياقوت وسار حتى عبر قنطرة نهريين ولم تزل الحرب غليظة إلى أن قارب انتصاف النهار وركب هارون بن غريب مبادراً وسار منفرداً عن أصحابه على شاطئ نهريين يريد قنطرته لَمَّا بلغه أنّ ابن ياقوت قد عبر القنطرة وقدّر أنّه يقتله أو يأسره فتطّرب به فرسه فسقط منه في ساقيه فلحقه يمين غلامه فضربه حتى أشخنه بالطبرزيّات ثم سلّ سيفه لينبجه فقال له هارون :

- «يا عبد السوء أنت تفعل هذا وتقول بيديك^(١) قتلى أي شيء أذنبت به إليك؟»

فقال له :

- «نعم أنا أفعل بك هذا»

وحزّ رأسه وركعه وكثر، فتبدّد وحال هارون ودخل بعضهم من طرق آخر إلى بغداد ونهب سواد هارون وأصحابه وأسرهم. [478] وسار محمد بن ياقوت إلى موضع جثة هارون فأمر بحملها إلى مضره فحملت وأمر بتكفينه ودفنه وأنفذ يمين يحفظ دار هارون من النهب ودخل بغداد وبين يديه رأس هارون وعدة من قوّاده. فأمر الراضي بنصب الرؤوس على باب العامة وخلع على ابن ياقوت وطوق وسور.

١. في مط. ببدل. بدل «بيديك»

ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

تقليد الراضى ابنه المشرق والمغرب

وفيها قلد الراضى ابنه الأمير أبا جعفر وأبا الفضل المشرق والمغرب
واستكتب لهما أبا الحسين علي بن أبي علي ابن مقله وخلع على أبي
الحسين لذلك يوم الإثنين لحسن خلون من المحرم واستخلف أبو الحسين
على كتابتهما أبا الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وكُتبت به الكتب.

قتل مرداويج في الحما بإصيهان

وفيها ورد الخبر بغداد بأن غلمان مرداويج بن زيار الجبلى قتلوه فسي
الحما بإصيهان فتبجح محمد بن باقوت وزعم أن التدبير في ذلك كان له
وأنه كاتب غلاماً كان له واستأمن إلى مرداويج بصمة عشر كتاباً مع فيوج
ذكرهم وسأهم من حيث لا يعلم أحد وأظهر كتباً من العلام إليه في هذا
المعنى وأشأ كتباً قرئ بعضها في المسجد الجامع بهذا الخبر ولشرح وكتب
إلى أصحاب الأطراف وأعلمهم [479] أن التدبير كان له وكل ذلك كذب فإنا
سمعنا من شرح الصورة ما اقتضاه الأمر من أوله إلى آخره ما نعلم أنه لم
يكن من تدبيره

ذكر السبب في قتل مرداويج

وذكر ليلة الوقود المعروفة بالسُّدُق

قال الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه^(١) أدام الله نعمته: حدثني

١ في مط. محمد بن مسكويه، بريادة «ين» وهو خطأ كما حققناه في تصديرتنا لهذا الكتاب.

الأستاذ الرئيس حقاً أبو الفضل ابن العميد رحمه الله أنه لقا حضرت ليلة
الوعد التي تُعرف بالسَّدَق كان تقدّم^(١) مرداويج قبل ذلك بمدة طويلة أن
تجمع له الأحطاب من الجبال والنواحي البعيدة وأن ينقل له في الوادي
المعروف بزرين رود وما قرب من الغياص والمختطب. فكان يجمع ذلك من
كل وجه وأمر يجمع النفط والنفّاطين والرزاقات ومن يُحسن معالحتها وللعب
بها وتقدّم بإعداد الشموع العظام المجلّسة ولم يبق جبل مشرف على جرين
إصهان ولا تلّ ظاهر إلا عُيِّنَ عليه الأحطاب والشوك وعمل على مسافة
بعيدة من مجلسه بحيث لا يمكن أن يتأذى بالوقود كهينة صور عظيمة من
الأجذاع وضُيِّت^(٢) بالحديد الكثير حتى تماسكت وحشيت بالشوك والفصب
وصيدت له الغريار والحدأ وعلّق [480] بمناقرها وأرجلها الجوز المسحشوّ
مشاقة ونمطاً وعمل بمجلسه الخاصّ تماثيل من الشمع وأساطين عظام منه
لم ير مثلاً ليكون الوقود في ساعة واحدة على الجبال ورؤوس اليفاعات
وفي الصحراء وفي المجلس على الطيور التي تُطلق. ثمّ عمل له سماط عظيم
في الصحراء التي يرد إليها من داره وجمع فيه من الحيوانات والبحر والعم
ألوف كثيرة وزيّ واحتشد لها بها لم تجر العادة بمثلها فتمت فرغ من جميع
ذلك وضربت مضارب قريباً من السماط وحضر الوقت الذي ينبغي أن يجلس
فيه مع القوم لطعام ثمّ للشرب خرّج من منزله وطاف على سماطه وعلى
الآلات التي ذكرتها للوقود فاستحقرها كلّها واستصغر شأنها وذلك^(٣) لأجل
سعة الصحراء ولأنّ البصر إذا امتدّ في قضاء واسع ثمّ انقلب عنه إلى هذه
الأشياء المصنوعة استحقرها وإن كانت عظيمة.

١. الأصل مهمل في الأول في مط: تقدم. في مد: يقدم

٢. كذا في الأصل: ضيّبت في مط: صيّبت.

٣. كذا في الأصل ومط: وذلك. وفي مد: (قال) وذلك، يريادة «قال» ولا لزوم لها

فأغماظ وتداخله من النخوة والجبرية ما سكت معه ولم يتكلم بحرف ودخل إلى خركاه في خيمة عظيمه واصطجع ثم حوّل وجهه إلى خلاف الباب والتفت بكسائه لتلاً يكلمه أحد. واجتمع الأمراء والكبار والقواد وسائر الجنود والظفارة ولم يجسر على خطابه أحد ولا على [481] تحريكه وأبطأ على الناس خروجه حتى فات الوقت.

وأخذ الناس في الإرجاف به فتحدثوا سراً وهمساً وخيفت الفتنة. فحينئذ مشى العميد حول الخركاه ودمدم بكلامه المقتضى للحواب فلم يتكلم بحرف ولم يزل يدارى في الكلام ويدعو له إلى أن اضطره إلى الحلوس ثم دخل إليه فقل:

«أيها الأمير ما هذا الكسل في وقت النشاط وحضور الأولياء وفرح الصديق وانخزال العدو؟»

فقال: «يا أبا عبد الله وأيّ نشاط يحضرنى مع الإستخفاف والإستهانة وقصور الأمر؟ والله لقد افتضحت فضيحة لا يغسلها عني شيء أبداً»
قال [العميد] ^(١)، ودهشت ساعة ثم قلت:

«أيها الأمير وما ذلك؟»

فقال: «أما ترى نزارة ما أمرت به من الإستكثار منه وفلته ووتاحته ^(٢) من الطعام والسماط ^(٣) ثم من جميع آلات الوقود والأشياء المتصلة بها.»
فقلت: «والله أيها الأمير لقد عمل من هذه الأشياء ما لم يُسمع بمثله فضلاً عن أن يُرى، فقم إلى مجلس أنسك وعاود النظر.»

١. وفي مط. قال: وتحيّرت ودهشت في مد: قال العميد: ودهشت وفي صورتنا بالأصل بياض مكان «العميد»

٢. الموتاحة. الفتاة.

٣. السماط. ما يُسَط ليوضع عليه الضمام.

فأبى وليج إلى أن قلت :

- « فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ يَرْجِعُونَ بِكَيْتٍ وَكَيْتٍ ، فَاتَّقِ اللَّهَ أَرْكَبَ وَطْفَ طَوْفَةٍ لَتَرْوِلَ الْأَرَاجِيفُ ثُمَّ أَعْمَلْ مَا يَدُلُّكَ فَإِنَّا سَعْنَدُ هُنَا . »

فزاده ما حكيت له من [482] أراجيف الناس به غيظاً وحسناً ، ثم قام فركب كارهاً متحاملاً وطاف مغضباً مغناظاً بقدر ما رآه الناس وانصرف إلى موضعه ولزم حالته الأولى وجمع الناس الذين دُصوا على خبط^(١) فأبى أكثرهم وانصرف من كان حاضراً وقالوا :
- « لَا نَأْسُ^(٢) إِلَّا يَأْسُ الْأَمِيرِ . »

وبقى في معسكره ثلاثاً لا يطهر ولا يرى إلا أنه يعلم أنه حاصل في قصر أبي علي ابن رستم ،

فلما كان اليوم الثالث تقدّم بإسراج الدواب ليعود من جرين إلى داره وهي التي كانت لأبي علي ابن رستم بالمدينة ولها باب إلى الصحراء وباب إلى المدينة فأسرج الغلمان واجتمعوا بالباب وذلك بعد الظهر فبعس نعسة وبام فأبطأ ودخل وقت العصر واتفق أن شغبت دواب الغلمان وارتفعت أصواتها وأصوات من يجرها ولم يمكن أن يفرق بينها لازدهامها بالباب ولأن أكثرها بأيدي غلمان الغلمان^(٣) ينتظرون ركوب الأمير فركب الغلمان يركوبه ، فقامت به مرداوح مذعوراً لما كان في نفسه من إقدام الناس عليه بالأراجيف وسأل من يليه عن السبب فلم يعرفوا صورة الأمر ، فقام بنفسه وأطلع على الدواب والشاكرية وإذا هم بأسرهم يصيحون لزجر الدواب والدواب قد سقط بعضها على بعض ولها [483] أصوات هائلة مسكرة فارتاع

١ في مط : على خبط ، باهمال الأول .

٢ كذلك في الأصل ومط : لا نأس ، في مد : لا نأمن ، خلافاً للأصل .

٣ في مط : غلمان (درن « غلمان ») .

ساعة حتى عرف حقيقة الأمر. ثم سكن فسأل عن أصحاب الدوابّ فقيل :
 هم العلمان الأتراك. فأمر أن تُحطّ السروج عن ظهور الدوابّ وتُجعل على
 ظهور العلمان مع جميع ألتها ويدفع الدوابّ بأرسانها إليهم ليقدوها بأنفسهم
 إلى الاصطبلات. ففعلوا ذلك وكانت صورة قبيحة يُطّير من مثلها ويُتشاءم
 بها

ثم ركب هو بنفسه مع خاصّته وهو يتوعّد العلمان حتى صار إلى منزله
 قرب العشاء وكانت طشة من مطرة بلّته. فلما دخل داره كانت كالغالية ليس
 فيها إلّا صبيان أصاغر^(١) وخادم أسود كان أستاذ أولئك العلمان. فدخل
 الحّمّام يغيّر ثيابه وقد كان قبل ذلك يطرش بعلمان أترك كبار فحقدوه ولكن
 لم يكونوا يحدون أعواناً. فلما فعل بالجماعة ما فعل اعتنموا الصورة واتهزوا
 بالفرصة وقال بعضهم لبعض :

« ما وجه صبرنا على هذا الشيطان ؟ »

فاتفقوا على الفتك به. ولما دخل الحّمّام سألوا العلام الذي يلي خدمته في
 الحّمّام ألا يحمل معه سلاحه - وكان رسمه أن يُدخل معه إلى الحّمّام دشنيّاً
 ملفوفاً في منديل - فقال العلام

« لا أجسر أن أتقدّم بين يديه وليس معي الدشنيّ. فاتفقوا على أن
 يكسروا حديدته [484] وتركوا الصاب في الحفن ثم يلفّ في المنديل حتى
 لا ينكر الصورة ويركه في زاوية الحّمّام على الرسم. ثم هجم عليه جماعة
 والخادم الأسود جالس على كرسيّ بهاب الحّمّام. فلما رأهم ثار في
 وجوههم وصاح بهم نصريه بعضهم بسيفه فانفاه بيده فطاحت من الذراع
 وسقط، وهجم القوم وارتفعت الضجّة فأحس مرداويج بالشرّ فبادر فسنده^(٢)

١. في الأصل ومد. صبيان الأصاغر وفي مط: الصبيان الأصاغر.

٢. في مط: فسند.

الباب من داخل سرير - وكان يجلس عليه - بعد أن طلب الدشتي فلم يجده ودفع العلمان الباب فتعذر عليهم فصعد نهر منهم إلى قسبة الحقام فكسر الجوامات ورموه بالنشاب فدخل البيت الحار وأخذ في مداراتهم وضمن لهم كل جميل فكأنهم تهيبوه ساعة ثم علموا أن الغاية التي يملعونها منه ليس يحوز أن يكون بعدها صلح. فحمل بعضهم على ناحية الباب الذي وراء السرير حتى كسروه ودخلوا عليه، فشق بعضهم جوفه بسكين معه وضرب هو وجه بعضهم بكرنيب فضة في يده فأثر فيه أثراً قبيحاً وخرجوا من عنده وعندهم أنه قد فرغوا منه فقال لهم رفقاؤهم الذين كانوا خارج الحقام: « ما صنعتكم؟ »

قالوا: « شققنا جوفه »

فقال أحدهم .

- « عودوا إليه [485] فحزوا رأسه . »

وإنما فعلوا ذلك لأنه كان أثقى في تلك الأيام أن بعض الفزاشيين في الدار شق بطنه بجراحة فحيط الجرح وعولج فسلم فخافوا أن يجرى ذلك المجرى فحزوا رأسه .

وقيل: إنه لما عاودوه قد جمع حشوة بطنه وردّها وقبض عليها بشماله وقاتل بكرتييه ساعة حتى فرغ منه، فلما طرخوا رأسه في الدار بادروا إلى الإصطبلات فأسرجوا الدواب وأوكعوا البغال واحتملوا من الخزائن ما أمكنهم من المال والسلاح ورحلوا.

وفي خلال ذلك تهيأ لبعض من في الدار تسوّر الحيطان، فدخلوا المدينة وقد جنّهم^(١) الليل فخبّروا الجند والقواد بما جرى وهم سكارى مسترقون

١. في مط: جهّم الليل (١)

واجتمع بعضهم وأوقدوا البيران وضربوا باليوقات وأسرجوا الدواب وأخذوا السلاح وساروا إلى الصحراء لينقلبوا إلى الباب الذي منه المدخل فإلى أن يفعلوا ذلك فأنهم العلمان ولم يحدوا غير غيمة أصغر لا ذنب لهم فقتلوا منهم عدة ثم كموا عنهم. وخشى أهل الرأي من حشمة أن تنتهب الحزائن. وأشار العميد بإحراقها وهدم الببان عليها فسلم [486] المال وأكثر الذخائر لأن المتهمين حصروا والدار والدخان نائرة في الموضع فلم يصلوا إلى شيء.

هروب ركن الدولة

وكان ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه وهينة عند مرداويج من جهة أخيه علي بن بويه عماد الدولة. فلما أحس بالصورة دارى الموكلين به وضمن لهم ضمانات كثيرة فساعدوه حتى هرب بعد ليلة من قتل مرداويج.

اتفاق عجيب اتفق له في هربه

لما خرج بقيوده إلى الصحراء وجلس ليكسرهما أقبلت بغال عليها تبين وعليها أصحابه فكسهم وركب هو ومن معه البغال وحثها حتى سلم ومات الطلب.

افتراق الأتراك فرقتين

فأما الأتراك فافترقوا فرقتين: أما فرقة فسلكوا نحو فارس مستأمنين إلى علي بن بويه وفيهم خُجج الذي سمله توزون لما ملك العراق. وأما فرقة فسلكت الجبل وهي الأكثر عدداً وفيهم بجكم الذي ملك الأمر بالعراق وتقلد إمارة الأمراء بها في أيام الرازي وسنذكر من أخباره ما يليق بهذا الكتاب.

ما كان من أمر أصحاب مرداويج

فأما ما جرى عليه أمر أصحاب مرداويج فإن أبا مخلد كان يتحدث - وكان من خدم مرداويج وصاحب دولته - أن تابوت مرداويج حمل إلى الرئ. وقال: [487] فما رأيت يوماً أعظم من اليوم الذي دخل فيه تابوته الرئ وذلك أن الحيل والديلم بأجمعهم ساروا مشاة حفاة معه أربعة فراسخ وذكر أنه كان أخوه وشمكير ماشياً معهم ثم مضوا من إصبهان على بكرة^(١) أبيهم معه إلى الرئ وكان الناس لا يشكون أنهم يستأمنون إلى علي بن يويه فبطل هذا الصن وقال:

«لم أر قط عسكرياً هلك صاحبه فوفى له رجاله وجنده بغير درهم ولا دينار ذلك الوفاء فإنهم صاروا إلى أخيه وشمكير على هذه الحال.»

وعرف شيرج أن إصبهان خالية - وكان بالأهواز من قبله - فسار للوقت إلى عسكر مكرم وستر الخبر وكن بها هرجام الجيلي فأسر إليه بالخبر وأخذه معه ثم سار إلى تستر وبها جيلي وكان وجهاً كبيراً فحذته وأخذه معه وقصد جند سابور وبها إساعيل الجيلي وكل واحد من هؤلاء نظير لشيرج، فأطلعه على الأمر وسار بمسيره فصارت الجماعة إلى السوس وبها عبد الله بن وهبان القصباني البصري عامل كور الأهواز من قبل مرداويج والشابشتي الحاجب وكان ثقة مرداويج وكان رتبهم مرداويج على ما ذكر أبو مخلد على أن يتوجه [488] شيرج إلى واسط ثم إلى بغداد وكان مرداويج ينتظر خروج الشتاء في سنة ثلاث وعشرين فيقصد أرجان أولاً ثم يناجز علي بن يويه فإذا فرغ منه عدل إلى الأهواز ثم منها إلى السوس وينفذ معظم خيله إلى

١ كنا في الأصل ومط: بكرة. وفي مد: مكبرة، وهو خطأ.

شيرج ليتقدمه إلى واسط.

نوايا مرداويج

وكان في نفسه أن يملك بغداد ويخذ التاج على رأسه ويعيد ملك الفرس فوجل بالقتل ففسد عسكره كله كما ذكرنا مع شيرج والشابشتي وابن وهبان من السوس إلى الرى على طريق سابرخواست والكمرج يريدون وشمكير أحاه ما عارضهم معارض ولا أقدم أحد على منابذتهم والإفساد عليهم. ولما حصلوا بها بايعوه واستوزر وشمكير ابن وهبان وشكر له حسن تصرفه لأخيه بالأهواز.

وكان مرداويج يوم قلده الأهواز أرزقه ألفي دينار في الشهر وقال له :
- «إن نصحت وأديت الأمانة استوزرتك بالحضرة وبصيت الرايات بين يديك إلى باب نصيبين، وإن خنتي وشرهت نفسك فإن كركرتك كبيرة ومعدتك عظيمة والحلاوات بالأهواز كثيرة فهذا دشني ترى انبساطه وحده والله لاشقن به بطنك هذه [489] الكبيرة.»
فقال له :

- «ستعلم أيها الأمير كيف أنصح وأؤذى الأمانة وأنى مستحق لاصطناعك.»

وكان هذا الرجل من أهل البصرة وله أب قصبانى وإنما قلده في أيام ابن الخال همدان. فلما انهزم ابن الحال من وقعة مرداويج وقصد الحضرة لانتزاع الرئاسة من محمد بن يعقوب وجرى عليه ما جرى حصل مرداويج بهمدان ووقع في يده ابن وهبان فعفا عنه واستعمله فتمق عليه.

وكانت كتب مرداويج ترد على ابن وهبان أن يُعَدَّ له ايوان كسرى منزلاً إذا تقدمه إلى الحضرة ويعمره ويعمده كهيتته قبل الإسلام وأنه معتقد للمقام

بواسطة إلى أن يُستتم ذلك وأنه يراه وشيخ مع من معها أكفاء لمن بالحضرة من ابن ياقوت والحجرية والساجية وسائر الأصناف وأنه مستعن عن أن يلتاقهم بنفسه.

وكان قد صاغ تاجاً عظيماً ورصمه بالجواهر، وذكر أبو محمد أنه رآه قبل الحادثة بأيام حالساً على سرير ذهب قد جعل عليه منضّة عظيمة وتفرد بالجلوس عليه وجعل دونه سرير فضّة وعليه فرش مبسوط ودون ذلك كراسي كبار مذهبة [490] وغير ذلك ليرتب أصحاب الأقدار^(١) مراتبهم في الإجلال. قال وكان الكافة من الناس بالبعد قياماً ينظرون إليه ما ينطقون إلا همساً إعظاماً له وإكباراً لقدره.

وفيها وقع بين أصحاب ياقوت ومحمد بن رائق شرّ فاقتلوا وقتل بينهم خلق.

وفيها قبض على المظفر ومحمد ابني ياقوت

بتدبير أبي عليّ بن مقلّة

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن أبا عليّ كان فلقاً من غلبة محمد بن ياقوت على سير الأمور ونظره في جباية الأموال وحضور أصحاب الدواوين مجلسه وتفرد به بما يعمله الوزراء وعطلته هو، إلى أن تمّ تدبيره عليه، فلما كان يوم الإثنين لست خلون من جمادى الأولى ركب القواد إلى دار السلطان على رسمهم في أيام المواكب وحضر الوزير أبو عليّ ابن مقلّة وأظهر الراضى أنه يريد أن يقلّد جماعة من القواد عدّة نواح من المملكة ويخضع عليهم، وحضر

١. كداسي الأصل ومط الأقدار وفي مد: الأوزار، وهو خطأ.

محمد بن ياقوت بلخدمة وأبو إسحاق القراريطي كاتبه معه وجلسوا على رسمهم في الصحن التسعيني. ثم خرج الخدم إلى محمد بن ياقوت فمرفوه أن الحليفة يطلبه فقام مبادراً. [491] فلما دخل عدل به إلى حجرة قد أعدت له وأخذ سيفه ومنطقته ووكل به. ثم خرج الخدم إلى أبي إسحاق القراريطي فمرفوه أن صاحبه يطلبه. فلما دخل عدل به إلى حجرة أخرى وخيس^(١).

ووجه بقوم إلى دار المظفر بن ياقوت فقبض عليه وحمل إلى دار السلطان وخيس مع أخيه وكان وجد قريباً من السكر لأنه كان يشرب ونفذت حيلة الوزير أبي علي عليهم وتقدم إلى العلمان الحجريّة والساجيّة أن يصيروا إلى دار السلطان وأن يضربوا مضاربهم في بابي الخاصة والعامة ليسحفظوا الدار وأمر مفلح الأسود أن يصير إلى دار محمد بن ياقوت^(٢) وخلع عليه وسلم القراريطي إلى الوزير أبي علي فأخذ خطّه بخمسمائة ألف دينار ثم تقرر أمره على ثلاثة آلاف ألف درهم.

وانحدر ياقوت من واسط إلى السوس بجميع أصحابه وكتب إلى الراصي بالله كتاباً في أمر ابنه يستعطفه فيه لهما ويرقي قلبه عليهما ويسأله الإحسان إليهما وتجديد الصنيعة عندهما وعده فيهما وأن يلحقهما ليعاونا على أمره ويكونان^(٣) معه في حروبه.

ولما زال أمر محمد بن ياقوت ونفذ أبو علي بالتدبير استخلف ابنه أبا الحسين [492] على جميع الدواوين والأعمال وصارت مكاتبة جميع أصحاب الدواوين له وأنفذهم الأعمال إليه. فصار يعزل ويولي ويحل ويعد وصار إليه أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي وطرح نفسه عليه وارتسم

١. في مط: جلس.

٢. سقط بعض الألفاظ من الأصل ومط.

٣. ويكونان كذا في الأصل ومط.

بكتابه وكان يكتب لأبي إسحاق القراريطي وكان مستولياً عليه فقبله أبو علي واختص به وبأبيه.

وشغب الجند وطالبوا بأرزاقهم وصاروا إلى دار الوزير أبي علي ونهبوا اصطبلاته وأخذوا من يأبى من كان في مجلسه ونكسوا جماعة ممن لقيهم من الكتاب عن دوابهم وأخذوها منهم فأطلق لهم أرزاقهم وسكوا.

وفيها قرى أمر أبي عبد الله البريدي واستفحل أمره
ذكر أسباب ذلك

كان أبو عبد الله البريدي ضامناً أعمال الخراج والضياح بالأهواز. فلما وافاها شرج بن ليلي الديلمي من قبل مرداويج خرج إلى البصرة بعد هزيمة ياقوت وغلامه مونس كما كتبناه قبل وأقام ينبر أسافل الأهواز إلى أن قرر له محمد كتابة ابنه. فخرج معه إلى واسط فبينما هو معه يدبر أمره إذ ورد [الخير] ^(١) بالقبض [493] على محمد والمظفر ابني ياقوت فارتاع ياقوت من ذلك ارتباعاً شديداً.

وكتب أبو علي ابن معلق إلى أبي عبد الله البريدي أن يسكنه ويعرفه أن الجند اضطربوا وتطربوا ^(٢) لهما وشعبوا مراراً كما بلغك. ثم أرسلوا للحليفة بأنه إن لم يقبض عليهما أحدثوا في الملك حادثة عظيمة واضطر إلى أن يرضيهم بمأضاه فيهما وأنه ينلاني أمرهما عن قرب وينفذهما إليه وأن الرأي أن يبدر هو لفتح فارس.

فخرج ياقوت من واسط على طريق السوس إلى عسكر مكرم وأخرج أبو عبد الله البريدي معه أبا الحسن ابن حميد البصري ليخلفه على كتابته وكان

١. ما بين المخطوطين رداء من مط.

٢. في مط وتطربوا.

صنيعته وأخرج أبا زكريا يحيى بن سعيد السوسي لخدمته في بلده، فدخل
ياقوت عسكر مكرم وهما معه، ثم وافى أبو عبدالله البريدي من طريق الماء
إلى الأهواز وورد بعده أبو يوسف أخوه وكان إليه السوس وجنديسابور شركة
بينه وبين أخيه أبي الحسين. وادّعى أنّ مال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة
احتله شريح بن ليلي وأنّ الواحي معطلة الإرتفاع في السنة التي بعدها
دأبذ أبو عليّ ابن معلة ابن عتيوبه^(١) لكشف ذلك [494] وطابقهما وكتب
بصدقهما.

فكانت هذه الفتنة نعمة على أبي عبدالله وأبي يوسف البريديين فإنّه
نحصل لهما بها ومما بعدها إلى وقت انهماهما من الأهواز على ما حدّث به
بو الفرج ابن أبي هشام أربعة آلاف ألف دينار حرجا بها على السلطان ثم
قصدا عسكر مكرم لإلحتماع مع ياقوت فوافياها وتلقاها في الموضع
المعروف بقوهة الهرين وسّراه إلى أرجان لفتح فارس.

خروج توقيع من الرازي بالله

وفيهما خرج توقيع الرازي بالله بأن تكون المخاطبة والمكانية من جميع
الناس لأبي الحسين عليّ بن محمد بن معلة بالوزارة وكان سنّه إذ ذاك ثمانى
عشرة سنة وأنّ يكون الساطر في الأمور صغيرها وكبيرها وتقدّم إلى جميع
أصحاب الدواوين بذلك وحلج على أبي الحسين خلج الوزارة وخطب بها
وحمل على شهرى وانصرف من دار السلطان على الظهر ومعه القواد
والجيش والخدم وأصحاب الدواوين.

وانصرف أبو عليّ في طيّره إلى مرله وصر إليه ابنه بالخلع وطرح له

١ عتيوبه كذا في الاصل. ما في مد مهمل تماماً

مصلّى في مجلس أبيه ودخل الناس معه وهنّوا أبا عليّ وأنشده الشعراء وأمر أبو الحسين ونهى ووقع [495] وصار طرح المصلّى في مجلس أبيه رسماً له. وخرج رسم أبيه إلى جميع أصحاب الدواوين ألاّ ينفذوا توقيعاً له إلاّ بعد عرضهم إيّاه على ابنه أبي الحسين واستيماره فيه وأخذ توقيعاً بسخطه فيه بامتناله

وشغب الفرسان شغباً بعد شغب وكانوا يأخذون دوابّ الناس من باب الوزير.

وفيها ركب بدر الخرشني فتادي في جانبى بغداد في أصحاب أبي محمّد البربهاري الحنبلية ألاّ يجتمع معهم نفسان في موضع واحد وحس جماعة منهم واستتر البربهاري وكان سبب ذلك كثرة تشرّطهم على الناس وإيقاعهم الفتن العتصلة.

وخرج توقيع الراضى بالله إلى الحنبلين بما نسخته :

- «بسم الله الرحمن الرحيم. من نفاق بإظهار الدين وتوثب على المسلمين وأكل به أموال المعاهدين كان قريباً من سخط ربّ العالمين وغضب الله وهو من الضالين. وقد تأمل أمير المؤمنين أمر جماعتكم وكشف له الخبرة عن مذهب صاحبكم [فوحده كإبليس اللعين] ^(١) زين ^(٢) لعزبه المحطور ويدلّى لهم حبل الغرور. فمن ذلك؛ تشاغلكم بالكلام في ربّ العزّة تباركت أسماؤه وفي نيّته والعرش [496] والكرسى، وطعنكم

١. يياض في الأصل وما بين المعقوفتين رداء من مط.

٢. في مط: يدتر، بدل «يزين»

على خير الأئمة ونسبكم شيعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكفر والضلال، وإرصادهم بالمكاره في الطرقات والمحال، ثم استدعواكم المسلمين إلى الدس بالبدع الطاهرة، والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن، ولا يعرضها فرائض الرحمن. وإنكاركم زياره قبور الأئمة صلوات الله عليهم، وتشنيعكم على زوارها بالإبداع، وإنكم مع إنكاركم ذلك تتلقفون وتجتمعون لقصد رجل من الصوام ليس بذى شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأمرون بزيارة قبره والخشوع لدى تربيته والتضرع عند حفرته.

- «فلعن الله رباً^(١) جعلكم على هذه المنكرات ما أُرِده^(٢)، وشيطاناً زينها لكم ما أغراه، وأمير المؤمنين يقسم الله قسماً جهداً ألتى يلزمه الوفاء به، لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم ليوسعكم صرباً وتشريداً وفتلاً وتبيداً وليستعملن السيف في رقابكم، والبنار في محالكم ومنازلكم فليبلغ الشاهد منكم العائب، فقد [407] أعذر من أنذر، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه يوكل وإليه نسب.»

شغب الجند

وفيهما شغب الجند وصاروا إلى دار الوزير فوقع الذهب في خزانة له فيها

١ رباً: كذا في الأصل. وما في مط: دماء (٢)

٢ في مط: ما أُرِده.

زجاج مخروط ويلور وصيني وغير ذلك فدخلوا الدار وشغبوا فيها وخرج
الوزيران عن دورهما وصارا إلى الجانب الغربي.

وكان الوزير أبو علي نفى الحصبي وسليمان بن الحسن إلى عمان وكاتب
صاحب عمان بحبسهما والتضييق عليهما فأطلقهما ووردا بعدد مستترين
عورد على الوزير من ذلك ما ألقه وكبس عليهما عذّة مواضع فلم يظفر بهما.

خروج ابن مقلة إلى الموصل

وفيها قتل الحسن بن عبدالله بن حمدان عمه أبا العلاء سعيد بن حمدان
وخرج لذلك أبو علي ابن مقلة إلى الموصل.

ذكر السبب في ذلك

كان أبو العلاء شرح في تصمّن الموصل وديار ربيعة فضمّن ذلك سرّاً
وخلع عليه وأظهر أنّه ينفذ^(١) إلى الموصل لموافقة ابن أخيه أبي محمد علي
ما عليه من مال الضمار ومطالبته بحمله وشخص في نحو خمسين غلاماً من
غلمانته. فدخل الموصل وعرف ابن أخيه خبر موافقته [498] فخرج نحوه
مظهراً لتلقيه وأعمد أن يحالفه الطريق فلا يراه ومضى أبو العلاء إلى دار أبي
محمد فنزلها وسأل عن خبره فعرف أنّه خرج ليلتقاه فجلس ينظره. فلما
علم أبو محمد أنّ عمه قد حصل في داره وجّه بغلمانته فدخلوا إلى أبي العلاء
إلى البيت الذي كان فيه فقبضوا عليه وقيدوه. ثمّ وجّه يقوم علوه بأسياقهم
وقتلوه ولم يقع بينه وبين ابن أخيه لقاء.

وورد الخبر بذلك إلى الرازي فأنكره وتقدّم إلى الوزير أبي علي بالنائب

١. ينفذ كذا في الأصل، وفي مط: يقتل. وهو خطأ

للمخروج إلى الموصل وإيقاع بالحسن بن عبد الله بن حمدان والنائب عنه بالحضرة. فذكر أن علي بن عيسى كتب إلى الحسن بن عبد الله بن حمدان بخطه عن أمير المؤمنين الرازي بالله بالإنفراج عن ضمانه وآلا يحمل شيئاً إلى الحضرة من ماله وأن يمنع من حمل الميرة إلى بغداد فأخذ أبو علي ابن مقلة خطه بذلك وأحضر جماعة من الشهود حتى شهدوا عليه.

وسلم الوزير الكتاب إلى ابن سنجلا ليعرضه على الرازي بالله. فلما كان من غد وهو يوم الأربعاء انحدر الوزير أبو علي إلى دار السلطان وانصرف إلى منزله. فوجه الرازي براغب وبشرى خادميه إلى علي بن عيسى فحملاه إلى الوزير [499] أبي علي فلم يوصله إليه واعتقله في حجرة من داره وراسله علي بن أحمد بن علي البوختي وعرفه ما أشهد به سهل بن هاشم على نفسه وأن الخليفة أنكر فعله. وما زالت المراسلات تتردد بينهما إلى أن أرمه أبو علي مصادرة خمسين ألف دينار على أن يجعل في باب أبي جعفر بن شيرزاد صاحب ديوان النفقات للأتراك عشرة آلاف دينار وتؤخذ منه عقار وضياع عشرة آلاف دينار فالتزم أبو الحسن ذلك.

فيقال: إن طلياً^١ الهاشمي كان قال لعلي بن عيسى عن الرازي بالله أن يكاتب الحسن بن عبد الله عنه ويتوسط بينهما على أن يحمل إليه سراً سبعين ألف دينار في نجوم؛ وشرط عليه الحسين أن يحميه ويمنع منه ومن تشعبات أمره ويقره على ضمانه ولا يقبل زيادة عليه فحمل بعض تلك النجوم وأخبر باقيها وأنكر الخليفة كل ما جرى في هذا الباب وذكر أنه لم يصل إليه شيء. وأخرج مضرب الوزير أبي علي وخرج على مقدمته ثقيط الصغير وابن بدر الشراي وجماعة من الحجيرة وغيرهم وخلف ابنه الوزير آبا الحسين

١. في مط: طلياً، بدل «طلياً»

بالحصرة في خدمة السلطان وتدير الأمور. وقبل شخوصه أطلق [500] أبا الحسن عليّ بن عيسى وأخرجه إلى ضيعته بالصافية وأحلفه عليّ أنّه لا يسعى في مكروهه ولا يتكلّم فيه بما يقدح في حاله ولا فيما يفسد أمره ولا يسعى في الوزارة لنفسه ولا لغيره من سائر الناس. فحلف وخرج من وقته إلى الصافية.

ولمّا قرب الوزير أبو عليّ من الموصل رحل عنها أبو محمّد وتبعه الوزير إلى أن صعد جبل التنين ودخل بلد الزوزان فعاد حينئذ أبو عليّ إلى الموصل وأقام بها يستخرج مال البلد ويستسلف من التجار المجهزين للمدقيق مالاّ على أن يطلق لهم به غلات البلد فاجتمع له من ذلك أربعمئة ألف دينار.

ولمّا طال مقام الوزير بالموصل احتال سهل بن هاشم كاتب أبي محمّد بن حمدان فبذل للوزير أبي الحسين ابن الوزير أبي عليّ عشرة آلاف دينار حتّى كتب إلى أبيه بأنّ الأمور بالحصرة قد اضطربت عليه وأنّه متى تأخّر وروده بالحصرة لم يأمن حدوث^(١) حادثة يُطل بها أمرهم.

فائرّع الوزير من ذلك وفلّد عليّ بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضباع بالموصل وديار ربيعة وفلّد أعمال معاون بها ما كرد الديلمي من الساجبة وتقدّم بتوفية التجار ما استسلفه منهم من المال. وانحدر [501] إلى الحصرة وخرّج لعلّقيه الأمير أبو الفضل وأصحاب الدواوين والقوّاد ولقى الخليفة وانصرف إلى منزله وخلع عليه من العد وعليّ ابنه خلع منادمة وحمل إليهما الطاف وشراب وطيب وبلّور.

وكان الوزير أبو عليّ كتب إلى الوزير ابنه قبل أن ينحدر من الموصل بإزالة التوكيل عن أبي الحسن عليّ بن عيسى وأن يكتب إليه أجمل خطاب

١. يونس (يونس): كذا في الأصل. وفي مطبوع يونس.

ويخيره بين الإنصراف إلى مدينة السلام وبين النقام بالصافية، فكتب إليه الوزير أبو الحسين بذلك.

وكان السبب فيما كتب به الوزير أبو عيسى من ذلك أنه كان كتب إلى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان كتاباً يدعو فيه إلى الطاعة ويبذل له الأمان فقبل الكتاب وقال للرسول:

- «ليس بيني وبين هذا الرجل عمل - معني ابن مقله - ولا أقبل ضمانه لأنه لا عهد له ولا وفاء ولا ذمة ولا أسمع منه شيئاً. اللهم إلا أن يتوسط أبو الحسن علي بن عيسى بيني وبينه ويضمن لي عنه فاسكن إلى ذلك وأقبله.»

وكان أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي مقبلاً بالحضرة في وقت خروج أبي عيسى ابن مقله إلى الموصل ولم يجلس الوزير أبي الحسين يظهر له المصيبة والموالة ويجتهد [502] في التخلص منه والسعد عنه إلى أن ورد كتاب أبي عبد الله البريدي يونس^(١) فيه من حمل مال إلى الحضرة في ذلك الوقت، فغلط علي الوزير أبو الحسين ذلك لأنه كان أعد ما يحمله لوجهه فأقرأ أبا عبد الله الكوفي كتاب البريدي فاستعظم ما فيه وأشار بأن يخرج هو إلى الأهواز ليواقف البريدي علي أمر الرجال الذين أحال بصرف المال إليهم ومرضهم ويطلق ما يحب لهم ثم يحمل إلى الحضرة مالا عظيماً ويحمل ساعة وصوله مائة ألف دينار.

فكتب الوزير أبو الحسين إلى أبي عبد الله البريدي بأنه لا يقبل في تأخير المال عنه عذره وقد أحوجه إلى إنفاذ أبي عبد الله أحمد بن علي الكوفي لمواقفته علي أمر المال ومطالبته بحمله ونقد الكتاب وتبعه أحمد بن علي إلى الأهواز. فلما حصل عند أبي عبد الله البريدي لم يمكنه مخالفته علي ما

يريد وكتب أنه لم يتمكن من عرض الرجال ولا الموافقة^(١) على أمر المال. وأقام عنده إلى أن نظر أبو بكر ابن رائق في الأمور بالحضرة.

واستوحش أبو عبد الله الكوفي من البريدي وخافه وأراد البعد منه وخاف بوادره فأطاعه في إفساد أمر الحسين بن عليّ النوبختي [503] مع ابن رائق. وكان الحسين بن عليّ من أعدى الناس للبريديين فقبل منه وأطلقه وواقفه على ما يعمل به ويبدله من المال لإزالة أمر الحسين بن عليّ النوبختي. وكان أبو عبد الله الكوفي عند مقامه عند أبي عبد الله البريدي يُصَفَّر^(٢) في نفسه أمر الحضرة ويصف له إدارها بسوء تدبير ابن مقله وإيطاله مال واسط والبصرة بابن رائق وبايقاعه بيني ياقوت وما دبر في أمر الحسن ابن عبد الله بن حمدان وباجتثائه أصل الخلافة دفعة واحدة وقال في ذلك وأكثر وقال في عرض ذلك :

- « هو الذي حرأ العلمان الحجريّة علي ابن ياقوت فهم بعد أشدّ جرأة عليه وأنّ هلاكه ليس يبعد. »

فوقع ذلك من البريدي أحسن موقع واختصّ الكوفي ولم يستكتبه بل كان يشاوره ويكرمه ويعاشره.

فذكر أبو الفرج ابن أبي هشام أنّ أبا عبد الله الكوفي قال له بواسط في أيام سيف الدولة :

- « ما مرّ لي عيش أطيب من عيشي مع البريدي فإني أقمت عنده نحو سنة غير متصرّف ولا داخل تحت نعمة ولا تعب بنظر في عمل ولقد عاشرتني أجمل عشرة ووصل إليّ منه عيناً وورقاً ومن [504] قيمة العروض التي أنفدها إليّ خمسة وثلاثون ألف دينار ولم أخرج من الأهواز إلّا وأنا مستقلّد

١. في مط: الموافقة.

٢. في مط: يضع، بدل «يصفّر».

كتابة ابن رائق وقد كفيت أمر ابن مقلّة بالقبض عليه وكان غير مأمون، والحمد لله الذي لم يخرجنا من الدنيا حتى دمر عليه كندميره على الدنيا. ألحق الله به به فإنه شر منه لأن ما كان في أبيه فهو فيه من وقاحة وقساوة وخسة وكان الأب على عيوبه ربما رحم وأكرم على حاشيته وأهل داره دون الغرباء ولكن هذا ناصر الدولة مجتهد في أن يغزّه ويحصله وإن حصل رجوت أن يسلمه، فإن في نفسه عليه وعلى ابنه العظائم.»

وأطلق الكوفي لسانه بهذا كله في مجلسه وليس بين يديه غيره وغير أبي عليّ ابن صفية كاتبه النصراني وأظهر أبو عبد الله البريدي بالأهواز كتاباً من أبي عليّ ابن مقلّة بخطه إليه يقول فيه :

- «الويل للكوفي العاص»^(١) متى أنفذته لي يصلحك لي فأفسدك عليّ وأطمعك وأصغيت بالشراء إليه والله لأقطع يديه ورجليه فأما أنت فأرجو ألاّ تُصّر عليّ كهر نعمتي وإحسانى إليك وأن تُسبب [505] بك الرؤية إلى رعاية حقوق اصطاعى لك فترصينى من نفسك وتعيننى فى مثل هذه الحالة الصعبة التى لم يدفع من مجلس مجلسى فى دولة من الدول إلى مثلها وأن تحيرنى ممّا قد أظلمت به حالى بحمله فتحمط به نعمتك التى احدهما فى يدي والأخرى فى يدك إن شاء الله»

ولما انحدر أبو عليّ ابن مقلّة من الموصل عاد أبو محمد عن ازوزان إليها وحارب ماكرد الديلمى وانهزم الحسن بن عبد الله ثم عاود محاربه وكانت الوقعة بينهما على باب الروم من أبواب هسبين فانهزم ماكرد إلى الرقة وانحدر منها فى القرات إلى بغداد وانحدر عليّ بن حلف بن طناب وتمكن

الحسن بن عبدالله من الموصل وديار ربيعة وكتب إلى السلطان يسأل الصنف عنه وأن يضمن نواحيه فأجيب إلى ذلك وضمها.

ووافى التجار الذين استسلف أبو عليّ مالهم ولم يوفوا العلات التي ابتاعوها فطالبوا أبا عليّ برّد أموالهم عليهم فدفعته الضرورة إلى أن يسبّب لهم على عتال السواد بعض مالهم ودافعهم ثمّ باع عليهم بالباقي ضياعاً سلطانية فلم يحصل لخرجته كبير فائدة بعد الذي ردّ على التجار [506] وبعد الذي أنفق على سفره والجيش الخارج معه.

اعتراض أبي طاهر القرمطي للحاجّ

وفي هذه السنة حجّ الناس فلما بلغوا القادسيّة اعتراضهم أبو طاهر القرمطي وكان مع الحاجّ من قبل السلطان ثلوث غلام المتهشم. فظنّ ثلوث أنّهم أعراب فحاربهم أهل القوافل شيئاً كثيراً وسأل عمر بن يحيى العلوي فيمن دخل القادسيّة فأمهم ثمّ تسلّوا من القادسيّة وبطل الحجّ في هذه السنة. وصار أبو طاهر إلى لكوفة وأقام بها.

انتقاض الكواكب

وفي تلك الليلة تبعها انتقضت الكواكب من أوّل الليل إلى آخره ببغداد والكوفة وما والاها انتقاضاً مسرعاً جداً لم يعهد مثله ولا ما يقاربها. وشعب الجند وصاروا إلى دار الوزير فنقبوا عدّة مواضع ولم يصلوا لأنّ غلمان الوزير دفعوهم ورموهم بالنشأب من فوق السور.

وفيها مات أبو بكر محمّد بن ياقوت في الحبس في دار السلطان بنفت الدم فأحضر القاضي أبو الحسين عمر بن محمّد ومعه جماعة وأخرج إليهم

محمد بن ياقوت حتى قُتِلوه ومدّوا لحبته وعلموا أنّه مات حتف أنفه ثمّ تسلم إلى أهله وباع الوزير ضياعه وأملاكه وقبض على أسباب محمد بن ياقوت كلّهم. [507]

استيذان غلمان مرداويج

وفي هذه السنة قلّد الوزير أعمال الجبل أبا عليّ الحسن بن هارون وخرج إليها فلمّا حصل بها استأمن إليه غلمان مرداويج الأتراك الذين قتلوه في الحماة قبلهم وكانوا ثلاثمائة غلام. فلمّا كان بعد مدّة شغبوا عليه وطالبوه بالأرزاق وقبضوا عليه وقبضوه ثمّ أطلقوه. ولما ورد الخبر بالقبض عليه قلّد الوزير مكانه أبا عبد الله محمد بن خلف النيرماني وبلغ ذلك الحسن بن هارون فحافه للعداوة بينهما واستتر وصار إلى بغداد مستتراً وأقام على استتاره مدّة ثمّ راسل الوزير أبا عليّ وقرّر أمره على مصادرة أوقعها بحمسة عشر ألف دينار فلمّا تقرّر أمره ظهر وأقام محمد بن خلف في الحبل مُدَيَّة^(١).

وأقل غلمان مرداويج وفيهم يحكم إلى جسر الهروان وراسلوا السلطان فأمرهم بدخول الحضرة فدخلوا وعسكروا بالمصلّى. واضطربت الحجريّة وظنّوا أنّها حيلة عليهم فاجتمعوا وصالبوا الوزير أبا عليّ بأن يرضيهم ويردّهم فاستدعى جماعة من وجوههم وواقفهم على أن ينضّوا إلى محمد بن عليّ غلام الراشدي ويقلّده الجبل ويطلق لهم أربعة عشر ألف دينار نفقات لهم ثمّ يسبّب ما لهم [508] على أعمال الجبل فقالوا:

«ننصرف ونعلم باقى أصحابنا ذلك.»

١ في الأصل رمط : ومدّ يده (بالضبط). وفي مدّ: مُدَيَّة وهو الصعيح

فلَمَّا انصرفوا لم يقنعوا وكان خبرهم قد اتَّصل بأبي بكر ابن رائق بواسط وهو متقلد أعمال المعاون بها وبالبصرة فكاتبهم فراسلهم واستدعاهم ووعدهم الإحسان. فمالوا إليه واختاروه وساروا إليه فقبلهم وأثبتهم وأسنى لهم بالزرق ورأس عليهم بجكم وسماء: بجكم الرائقى، ورفع منه وموله وأحسن إليه وأفرط في ذلك وضمَّ جميع العلمان إليه وتقدَّم إليه بأن يكاتب كل من بالجبل من الأتراك والديلم بالمصير إليه لينبهم فصار إليه عدَّة وافرء منهم فأثبتهم وضمَّهم إلى بجكم.

ودخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

عدَّة حوادث

وفيهما أطلق المظفر بن ياقوت من حبسه في دار السلطان إلى منزله بمسألة الوزير أبي عليّ فيه، وحلف الوزير بالأيمان الغليظة على أنه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له في مكروه.

وفيهما قلَّد الوزير محمد بن طنج أعمال المعاون بمصر مضافة إلى ما يتقلَّد من أعمال معاون الشام وأدخل الراضى القضاة والعدول حتَّى عزَّفهم تقليده محمد بن طنج وأمرهم بمكاتبة أصحابهم وخطائهم بذلك [509] لتلا ينازعه أحمد ابن كيلج فإنه كان يتولَّى مصر.

وفيهما قطع محمد بن رائق حمل مال ضمائه عن واسط والبصرة إلى الحضرة واحتجَّ باجتماع الجيش عنده وحاجته إلى صرف المال إليهم. وفيها تمَّت حيلة المظفر بن ياقوت حتَّى قبض على الوزير أبي عليّ ابن مملَّة لأنَّه صحَّ عنده أنه هو قتل أخاه وكان السبب في حبسهما وإزالة أمرهما.

ذكر هذه الحيلة على أبي عليّ ابن مقبة

ثم يزل يحبّ التشقى والأخذ بالثأر منذ أطلقه الوزير ولكنه يكتف ذلك إلى أن وافق الحجرية وضربهم عليه. وبلغ الوزير ذلك فأخذ يحضد ببدر الخرشني صاحب الشرطة فقوى أمر بدر وواقفه^(١) عليّ أن يستولي على دار السلطان فيحصل فيها ويمنع العلماء الحجرية منها لأنّه يلعن أنّهم قد عملوا على المصير إلى الدار والمقام ففعل بدر ذلك وحصل هو وأصحابه بالسلاح في الدار ومع العلماء الحجرية من دخولها ولم يظهر الوزير أنّ الذي فعله بدر كان عن رأيه. ثمّ جمع بين الساجية وبين بدر حتّى تحالفوا على معاونة بعضهم بعضاً.

فلما وقف المطرّ بن ياقوت على ذلك ضعفت نفسه وأشار [510] الحجرية بالخضوع للوزير والتدّل له ولم يزالوا يملطون للوزير ويستحققون بخدمته إلى أن أسس بهم وسألوه صرف بدر ويذبوا نه كلّ ما أراد من الطاعة والموالة له إلى أن انخدع وصرف بدرأ وأصحابه حتّى خلت دار السلطان منهم ومن الساجية تحالف الحجرية على أن تكون كلمتهم واحدة فصاروا بأجمعهم إلى دار السلطان وصربوا خيعة فيها وحولها وملكوها وصار الرازي في أيديهم وخرّبهم. فندم الوزير وعلم أنّ الحيلة تمّت عليه فتقدّم إلى بدر بأن يخرج إلى المصلّى في أصحابه من غير أن يعلم أحد أنّه فعل ذلك برأى الوزير وأمره فخرج بدر وأثبت زيادة من الرجالة.

وبلغ ذلك الحجرية فطالبوا الرازي بالله أن يخرج معهم إلى المسجد الجامع في داره فيصلى بالناس ليبره الناس معهم فيعلمون أنّه في حيزهم.

فخرج الراضى يوم الجمعة إلى المسجد الجامع الذى فى داره ومشى العلمان بأسرهم بين يديه وحوله بالسلاح رجالة وصلّى بالناس وصعد المنبر وخطب وقال فى خطبته :

- «اللهم إنّ هؤلاء العلمان بطائى وظهارتى فمن أرادهم بسوء فأرده به ومن كادهم فكده »

وقلّد بدر الخرشنى دمشق وأمره بالخروج إليها من المصلّى وألا [511] يدخل البدر.

وكان المطقر بن ياقوت فى هذا كَلِّه يُظهر للوزير أنّه مجتهد فى الصلح ويُظهر له الخضوع وهو فى الباطن يسعى فى حنقه^(١) وقد قوى أمره بما فعله الراضى. ثمّ إنّ الصلح تمّ بين بدر الخرشنى وبين الحجرية فدخل من المصلّى إلى منزله وأقرّ بدر على الشرطة.

فلما انقضت هذه النصة أشار الوزير على الراضى بالله سرّاً أن يخرج بنفسه ومعه الجيش والحجرية والساجية ليدفع محمّد بن رائق عن واسط والبصرة وقال له :

- «قد انغلقت عليك هذه البلدان وهى بلدان المال بما فعله محمّد بن رائق من الإمتناع من حمل مال ضمانه ومتى رأى غيره أنّ ذلك قد تمّ له واحتمل عليه تأسّى به فذهب مال الأهواز فبطلت المملكة. فعمل الرضى على ذلك وتقدّم إليه بالعمل عليه فافتتح الوزير الأمر مع ابن رائق بأن ينفذ إليه ينال الكبير من الحجرية وما كرد الديلمى من الساجية برسالة من الراضى بالله يأمره فيها أن يبعث بالحسين بن على التوبختى ليواقف على ما جرى على يده من ارتفاع واسط والبصرة.

١. فى حنقه: كذا فى الأصل. وفى مط: فى حنقته.

فلم يستجب ابن رائق إلى إنفاذ الحسين وذهب للرسولين مالا وأحسن إليهما وسألهما أن يتحملا له إلى الخليفة رساله [512] في السر وهي : أنه إن استدعى إلى الحصرة وقوض إليه التدبير قام بكل ما يحتاج إليه من نفقات السلطان وأرزاق الجند ومقتى الأمور أحسن تمثلة وكفى أمير المؤمنين العكر في شيء من أمره

فلما قدم الرسولان خلوا بالرازي بالله بعد تأدية الرسالة الطاهرة فأديا لرسالة السرية فلم ينشط الرازي لتسليم وزيره وأمسك.

ولما رأى الوزير امتناع ابن رائق من تسليم الحسين بن علي عمل على أن يكون ظاهر خروجه إلى الأهوار لا إليه ولا لقصد ودبر أن يُنفذ إليه القاضي أبا الحسين برسالة من الرازي ليعرفه ذلك وأنه لم يأمن أن يقع له أن الخروج إنما هو إليه فيستوحش وأنه أنفذ القاضي ليكشف ما في نفسه وعزمه، وتوثق له بما يمكن إليه.

فلما كان يوم الإثنين لأربع عشر ليلة بقيت من جمادى الأولى وانحدر الوزير إلى دار الرازي بالله ومعه القاضي أبو الحسين لموصله فيسمع من الرازي بالله الرسالة فلما حصل في دهليز التسعين قبل أن يصل إلى الخليفة وثب الغلمان الحبرية ومعهم المطقر بن ياقوت به فقبضوا عليه ووجهوا إلى الرازي بالله يعرفونه قبضهم [513] عليه إذ كان هو المفسد المضرب ويسألونه أن يستوزر غيره. فوجه إليهم يستصوب فعلهم ويعرفهم أنهم لو لم يفعلوا ذلك لفعله هو ورد الخيار إليهم فيمن يستوزره فذكروا^(١) علي بن عيسى ووصفوه بالأمانة والكفاءة وأنه ليس في الزمان مثله. فاستحضره الرازي بالله وحاطبه في نقد الورارة فامتنع وتكره ذلك فراجعه الرازي بالله

وخطابه الغلمان فيه وطال الحطب معه فأقام على الإمتناع فقالوا:

«فتشير بمن تراه.»

فأوصا إلى أخيه عبد الرحمن. فأبى الراضى بالله العظّم بن ياقوت إلى عبد الرحمن فأحضره وأوصله إلى الراضى وعزّقه أنّه قلّده وزارته ودواوينه وخلع عليه ودكّب في الخلع ومعه الجيش إلى داره وأحرقت دار أبي عليّ.

وزارة عبد الرحمن بن عيسى

لما قلّد عبد الرحمن غلب عليّ بن عيسى على التدبير فعلم أبو العباس الخصيبى وأبو القاسم سليمان بن الحسن وقد كنّا ذكرنا أمرهما وما كان من نفى^(١) عليّ بن مقلّة إياهما إلى عمان وتقدّمه إلى يوسف بن وجيه صاحب عمان بحبسهما وأنّ يوسف بن وجيه أطلقهما فصارا إلى بغداد واستترا بها إلى أن [514] قبض أبو عليّ ابن مقلّة.

فلما كان في هذا الوقت أكرمهما عبد الرحمن الوزير وكنا يصلان معه إلى الراضى بالله مع أبي جعفر محمّد بن القاسم الكرخى وأبى عليّ الحسن بن هارون وعليّ بن عيسى لا يباخر أيضاً عن الحضور معهم وسلم أبو عليّ ابن مقلّة إلى الوزير عبد الرحمن فضربه بالمقارع وأخذ حطّه بألف ألف دينار ثمّ سلّمه إلى أبي العباس الخصيبى فخرّب عليه من المكاره والضرب والرهق أمر عظيم وحضر أبو بكر ابن قرابة بعد مدّة فتوسّط أمره وضمن ما عليه وتسلمه وكان أدّى إلى الخصيبى نيفاً وخمسين ألف دينار.

وصرف بدر الحرشنى عن الشرطه لإنحراف الحجرة عنه وولى أعمال الماعون بإصبهان وفارس لأنّ الحجرة كرهوا مقامه بالحصره فحلّج عليه

١ كذا في الأصل ومط. نفى. ولى مد. نفى

وأخرج مضاربه إلى ميدان الإشتان^(١) وأنفذ إليه اللواء وضم إليه الحسن بن هارون لتدبير أمر الخراج بهذه التواحي ثم توقف عن إمضاء هذا الرأي فبطل خروجه.

وعجز عبد الرحمن عن تمشية الأمور وضاق المال حتى استعفى عبد الرحمن عن تمشية الأمور للرازي بالله ومن الوزارة وسأله أن يقرضه عشرة آلاف دينار إذ كانت وجوه المال قد تعذرت عليه فقبض عليه الرازي في هذه السنة وقلد وزارته الكرخي. [515]

ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي

لما قلد أبو جعفر الكرخي الوزارة وخُلع عليه وانصرف إلى منزله ومعه الحيش كُلف مناظرة علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وحُملا إلى داره وصادر علي بن عيسى على مائة ألف دينار وصادر أخاه علي سبعين ألف دينار وأهاما علي حال صيانة وبكرمة إلى أن أدى علي بن عيسى سبعين ألف دينار وأدى أخوه ثلاثين ألف دينار ثم صُرفا إلى منازلهما.

وكان الوزير أبو جعفر الكرخي قصيراً فاحتج بسبب قصره إلى أن يُنقص من ارتفاع سرير الملك فنقص منه أربع أصابع مضمومة.

وفيها قُتل ياقوب بعسكر مكرم.

ذكر مقتل ياقوت

قد ذكرنا أمر ياقوت في خروجه إلى أرجان لحرب علي بن بويه في قضته^(٢) وقصيصه ودبلحه وأتراكه وسائر حبله. وكان معه من الرجال السودا

١ كذا في الأصل: الإشتان. وفي مط. الأسان

٢ قضته وقصيصه: جميع خيله وجوده

ثلاثة آلاف رجل وانهرم من بين يدي علي بن بويه بباب أرجان بعسكره كله وكان على السافة في الهزيمة لأنه ثبت وسار علي بن بويه خلفه إلى رامهرمز وحصل ياقوت بعسكر مكرم في عريتها وقطع الجسر المعقود على المسرقان وأقام علي بن بويه برامهرمز إلى أن وقع الصلح بينه [516] وبين السلطان

وكتب أبو عبد الله البريدي إلى ياقوت أن يقيم بعسكر مكرم إلى أن يستريح ويقع التدبير لأمره من بعد وكان غرضه ألا يجمعه وإتياء بلد فقبل ياقوت وأتاه أبو يوسف البريدي متوجعاً بما جرى عليه من الهزيمة ومهيناً له بالسلامة وتوسط بينه وبين أخيه أبي عبد الله يجعل بها عسكره إلى أن يكتب إلى السلطان ويستأمره فيما يظن له ولرجال له وعرفه أن الرجال المقيمين بالأهواز فيهم كثرة ويطالبون بمالهم وهم البربر والشفعية والنازوكية والهلبيّة والهاروتية وكان أبو علي ابن معلقة ميّز هؤلاء وأهدهم إلى الأهواز لتحتف مؤونتهم من الحضرة وتتوفر أموال الساجية والحجرية. فذكر أبو يوسف أن هؤلاء لا يطلقون مالاً يخرج من الأهواز إلى سواهم وأنهم إن أحسوا شغبوا فاحتاح أبو عبد الله إلى مفارقة الأهواز إشفافاً على نفسه منهم. ثم تؤول الحال إلى حرب تقع بعد الهزيمة الأرجانية ولا يدري كيف تكون الحال فيها وأن السلطان مع ذلك مطالب بحمل مال إليه [517] وقال له :
« إن رجالك مع سوء أثرهم وقبح بلاتهم وهزيمتهم دفعة إذا أعطوا اليسير قنعوا به وصبروا عليه. »

فقبل ياقوت ذلك وسبب له بهذا المال على عسكر مكرم وتستر فأرضى ببعضه الحجرية وبعضه وجوه القواد وأفق في سودانه في المسجد الجامع بعسكر مكرم ثلاثة دراهم لكل رجل ومضى الأمر على ذلك شهوراً. وأنتح مال ستة أربع وعشرين وثلاثمائة فضح رجاله وطالبوه وقالوا :

«إنه لا صبر لهم على الصر وإن المنافسة على خيرات الدنيا في الطمع والجبلة لو كانوا أغنياء فكيف بهم مع اختلالهم وأنهم لا يرضون أن يقض نظراؤهم بالأهواز على الإدرار ويحرموا هم^(١) وأن يتجزعوا الأسف والحسرات وأنهم قد سئموا الفتر ومعاناة المجاعة.»

وقد كان استأمن من أصحاب علي بن بويه إلى ياقوت طاهر الجيلي وكان ممن يرشح نفسه للأمور الكبار ويرى أنه نظير لشيرج وطبقته واجتمع إليه نحو ثمانمائة رجل من العجم. فشغب علي ياقوت ثم رحل مع أصحابه وانصرف عنه وقدّر أنه يملك ماء البصرة وماء^(٢) الكوفة فكسبه علي بن بويه ثم سجنه فنجأ بنفسه مع بعض غلمانه [518] وأبو جعفر الصيمري كاتبه في الأسر وخلصه الحنّاط فخرج إلى كرمان فكان سبباً لإقباله واتصاله بالأمير أبي الحسين أحمد بن بويه فضعف نفس ياقوت بحروج طاهر الحيلي وأصحابه واستطال باقي رجاله عليه وخاف أن يعمدوا لبعض قواده الرئاسة وينصرفوا عنه فكاتب أبا عبد الله البريدي بالصورة وأعلمه أنه كاتبه ومدير أمره وأنه قد فوّض إليه الرأي والتدبير في رجاله ليمضي عليه وعليهم ما يستصويه.

ذكر الخديعة التي نفذت علي ياقوت

كان ياقوت وانثأ برجل سافط يعرف بأبي بكر السيلي بجريه مجرى الأب وينحط إلى رأيه وقوله مع صعة في السيلي وخساسة في همته وقدره. فاستصلحه أبو عبد الله البريدي ووسّع عليه فكان السيلي رسول ياقوت إلى أبي عبد الله بما قد ذكرته فكتب أبو عبد الله لبريدي أن عسكره قد حسدوا

١. كذا في الأصل: ويحرموا هم. وفي مط ويحرموهم. وهو خطأ.

٢. ماء البصرة وماء الكوفة. كذا في الأصل وفي مط: مال البصرة ومال الكوفة وهو خطأ.

وفيه من ينبغي أن يُمَيَّز ويُخرج لأنَّ عليَّ بن خلف بن طباب خائنه وقطع
أموالاً باسم هؤلاء القوم وراد قوم زيادات كثيرة وأنَّ الصواب أن ينفدوا إليه
ليعرفهم أنَّ هذه الزيادات تموتهم الأصول السلطانية ويشافهم بأنَّ الصواب أن
يسقطوها ليتوقَّر عليهم الأصول [519] وقال :

- «إنما يتم هذا بالأهواز لأنهم يردونها أقواجاً ورمراً فإن أساءوا آدابهم
وامتنعوا قُوموا بالجيش^(١) المقيمين بالأهواز وأنهم إن خوطبوا بهذا الكلام
وهم بعسكر مكرم تظاهروا وتضافروا وتعاقدوا فلم يتم عليهم ردُّهم من
الكثير إلى القليل.»

وأكثر في هذا المعنى حتَّى قال :

- «يا أبا بكر سبيل العرض أن يقع بحيث الهيبة والخوف لا بحيث الحكم
والإستطالة.»

فما قال له النبي :

- «الهيبة حيث يكون الأمير لا أُنْت ولا كانت له منه لأن يرده عليه
شيئاً.»

وسأل^(٢) أبي عبد الله البريدي أن يُنفذ إليه أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا
أحمد الجستاني لبشاورهما في التقرير ويعترف منهما منازل الرجال
واستدعى أبا بكر النقيب الذي كان مع أبي طاهر محمد بن عبد الصمد ليعرف
منه أحوالهم. وأنفذ إليه ياقوت من الشمس وتقدَّم إلى رجاله بالخروج
للعرض. فلما حصلوا عند البريدي استصلح الرجال لنفسه وانتخب منهم من
أراد ووعدهم أن يجريهم مجرى من معه بالأهواز فأجابوه وصاروا إلى
عسكره وردوا الأردال إلى ياقوت بعد أن أسقط زياداتهم. فلما استتمَّ العرض

١ بالجيش: كما في الأصل. وفي مط: بالمجس. وهو خطأ.

٢ وسأل: كما في الأصل وفي مط سبيل.

وجد نصف الياقوتية قد انحازوا [520] عنه. فقبل لياقوت ذلك ووَبَّخَ وعُدِّلَ فقال :

- «قد اجتمع لى بمقام من أقام بالأهواز حمة المطالبة عني وحصولهم مع كاتبى وليس يصلح ابن البريدى لما أصلح له فأحافه وإن احتجبت أو احتجج إلى حرب فالجماعة بالضرورة يعودون إليّ وهم عُدَّة لى عنده.»
وعاد رجال ياقوت إليه فقالوا له :

- «ما حصلنا من الغرض إلّا على أن خرج شطرنا وهيض جناحنا وضعفت شوكتنا فاكذب إلى البريدى أن يحمل ما قرره لنا»
فكتب ياقوت بذلك فأجابه أبو عبد الله بأنه يحتال ويحمل.

ثم زاد الإلحاح على ياقوت فخرج بنفسه إلى الأهواز فى ثلاثمائة رجل وقتل العُدَّة ثلثاً يستوحش البريدى وقدّر أنّه إلى كاتبه يمضى. فلتقاه أبو عبد الله البريدى بالسواد الأعظم وأخرج معه كل من بالأهواز من الجيش فلما رأى ياقوتاً رجلاً^(١) له وانكبّ ياقوت عليه حتى كاد ينزل عن دابته ثم سار وأنزله داره وخدمه بنمسه وقام بين يديه إلى أن طعم وغسل يده فناوله الماورد^(٢) والمندبل وبخره بيدم فهو فى ذلك قبل أن يفاوضه، إذ ارتفعت ضجة عظيمة وشغب الجند وقالوا :

- «إنما وافى ياقوت^(٣) إلى البريدى»

فقال البريدى : [521]

- «أيتها الأمير الله الله أخرج وبادر وإلا قتلنا جميعاً.»
فخرج ياقوت من وقته خائفاً يترقب من طريق يخالف طريق المشعبيين وعاد إلى عسكر مكرم كما بدأ منها.

١. فى مط : يدخل، بدل «ترجل».

٢. الماورد: كذا فى الأصل وفى مط : الماء ورد

ثم ورد عليه كتاب البريدى بأن الرجال بالأهواز قد استوحشوا منه وأن الوجه أن يخرج إلى تستر فإن بينها وبين الأهواز ستة عشر فرسخاً. وعسكر مكرم فهي على ثمانية فراسخ وإذا فأت الدار رال الإستيحاء وسبب له على عامل تستر بخمسين ألف دينار فخرج إليها. فقال له مونس - وكان مونس هذا تربية ياقوت وقتته -:

- «أيها الأمير، إن البريدى يحزّ مفاصلنا مفصلاً مفصلاً ويسخر منا وأنت مغترّ به وقد حاز شطر رجالنا ووجه قوادنا إلى نفسه وضمن لنا اليسير من المقرّر وليس يطلق ذلك أيضاً ليستأمن إليه الباقون ثم يأتي على أنفسنا وقد اتصلت كتب الحمرية إليك بأنه لم يبق لهم شيخ غيرك. فإما دخلت بغداد وجميع من بها يسلم لك الرئاسة وأولهم محمد بن رائق بالضرورة لسنك وأنت نظير أبيه. وإما خرجت إلى الأهواز حتى تطرد البريدى عنها وتقيم أنت بها فإننا وإن كانت عدتنا بسيرة دون عدته فهو كاتب ونحن في خمسمائة [522] رجل وهو في عشرة آلاف رجل وقد أحصيت من عدما فوجدتهم نحو خمسة آلاف رجل وفيهم كفاية والعسكر بصاحبه وأنت أنت وقد قال عدوك على ابن بويه: لو كان في عسكر ياقوت مائة رجل مثله ما قاومته. فالله الله يا مولاي، لم تضيع نفسك وتضيعنا؟»

فقال: «تأظروا أفكر»

فخرج مونس معصياً من عنده وركب في ثلاثة آلاف رجل شاذاً عن مولاه ياقوت ووافى عسكر مكرم يريد الأهواز وقال لنا: - «لا أعصى مولاي، فإنه اشتراى ورباني واصطعنى ولكنى أفتح الأهواز وأسلمها إليه.»

فما استقرّ بعسكر مكرم ثلاث ساعات من النهار حتى ورد كتاب ياقوت على درك - وكان رالى الشرطة بعسكر مكرم - يعرفه أن مونساً غلامه خرج

بنير إذنه وشرح له صورته وسأله أن يجتمع معه ويخوفه الله عز وجل ويحذره كفر نعمته ويستوقفه إلى أن يلحق به. فعبر درك من شرقى عسكر مكرم إلى غربيها ووعظ مونساً وعظاً كثيراً وخاطبه خطاباً بليغاً وكان درك شيخاً مقدماً إلا أن السرى قد أخذت منه وحضر بحصوره أصحابه. فقال لمونس خادم كان معه مكيناً منه وكان معقلاً:

- «يا موسى إن مولاك [523] قبض على أبيه وهما تاجان ودرتان فلم يستحل أن يعصى مولا ولا يكفر نعمته^(١) وسألهما ولم يحارب فيهما ولا طلب بهما أفانت تعصى مولاك فترسل يدك عن طاعته؟ أما تخاف العقوبة؟ وإن تدخل في هذه الحرب ويطع بك فتخسر الدنيا والآخرة ولا سيما وقد بذل أن يوافقك ويساعدك على ما تريد. انتظر ريث ورود كتابنا وورود جوابه.»

هأقام موسى لما أخذه العذل والنأي من درك وأصحابه ووامى ياقوت في اليوم الثاني واجتمع مع غلمانه وواقى عسكر البريدى بأسره فنزلوا في صحراء خان طوق^(٢) ومعهم علام البريدى يرؤسهم ومعه القواد الكبار وأكبرهم أبو الفتح ابن أبي طاهر. ووقعت المنازلة بين ياقوت وأبى جعفر الجمال وتثبت ياقوت بعسكر مكرم عن المسير إلى الأهواز وتهيب الصورة وقال لمونس:

- «السلطان لنا على النية التي عرفناها وكان منه إلى ابني^(٣) ما لا يجوز أن يصلح لى أبداً وفارس فقد عرفت صورتنا بها ولا مذهب لنا في الدنيا ولا لنا موضع تأويه إلا هذا البلد والحرب سجال وقد كثر عسكر الرجل فإن

١. والمباراة في مط. فلم تستحل أن تعصى مولاك ولا تكفر نعمته.

٢. خان طوق: كذا في الأصل. وفي مط. خان طوف.

٣. ابني: كذا في الأصل ومد. وفي مط. أمر وهي المبارزة عموم.

نحن حاربناه وانهزمنا كنا بين الأسر والحمل إلى الحصرة وشهرتُ بها وأركب الفيل ثم يُطَنّ أنى كهرت [524] نعمة مولاي فيلعنى الناس وبين أن أقتل. والوجه المداراة والمقاربة لهذا الرجل وأن نعود إلى تستر ونصير منها إلى الجبل فإن استقام لنا بها أمر وإلا لحقنا بخراسان.

وشاع هذا الكلام فضعفت نفوس أصحابه وطالت الأيام في منازلة عسكر البريدي فكان كل يوم يستأن عدّة من أصحابه إلى البريدي فكان مونس يهكر إليه في كل يوم ويقول له :

- «يا مولاي مضى البارحة من أصحابنا ثلاثمائة أو أكثر أو أقل.»
فلا يزيد على أن يقول :

- «إلى كاتبنا يمضون وإذا كانت هذه تياتهم لنا فما الانتفاع بهم ؟ ولأن يبقى معنا أهل رجل فنمضى بهم إلى حيث نقصد أصلح من جميع هذا اللفيف الذى هم كل فى الرخاء وأعداء يوم اللقاء وقد جرّبناهم بباب فارس وباب أرجان»

فلم يزل كذلك حتى بقي لى ثمانمائة رجل.

فلما علم البريدي أنه قد استظهر الاستظهار التام راسله في المواعدة بأبي القاسم التنوخى القاضى وقال :

- «إني لك على العهد والميثاق.»

وأنه كاتبه وأن الإمارة لا تصلح له وأن السلوى والشقاء قد حصلّا به وصارت مطالبة الرجال عليه وأنه يلقى الموت صباح مساء ويخاف على نفسه منهم وأنه لا رغبة له فى ارتباطهم [525] وإنما جرّ سبب سبباً حتى احتموا عنده وأنه يصاهره حتى يزداد ثقة به.

ووكّل القاضى فى تزويج ابنته من أبى العباس أحمد بن ياقوت فوطاه القاضى أبو القاسم التنوخى وأدى إليه الرسالة وقبلها وانعقد الصهر ورحل

للوقت إلى تستر. ووافاه بعقب ذلك غلام للسلطان من الحبرية ومعه المظفر ابنه بكتاب إليه يذكر فيه أنه قد وهب ابنه هذا له ومن به عليه. فالتقيا بتستر فأشار عليه ابنه المظفر بالخروج إلى حضرة السلطان ليشكره على إنفاذه ويقبم بدير العاقول ويستأذنه فى الدخول. فإن أذن له فقد تم له ما يحب ووجد الحبرية مسرعين إليه. وإن لم يأذن له تقلد الموصل وديار ربيعة وخرج إليها. وإن منع من ذلك جعل مقصده الشام. فخالف ابنه ولم يرتض رأيه وقال :

- «أنا أأمل ما ذكرته فأقم عندى لتشاور.»

فاستغفاه من ذلك وسأله أن يأذن له فى المقام بعسكر مكرم فأذن له. فأطعم البريدى المظفر فى أن يجعله اسفهلار عسكره وأن يتدبر بتدبيره حتى فارق أباه واستأمن إليه فحصل فى بستانه المشهور [526] بالأهواز وأحاط بالبستان من يراعيه ويحفظه من حيث لا يعلم.

ولما استوثق البريدى لنفسه واستظهر، تخوف من الياقوتية الذين عنده وأن يرأسلوه بلون من الألوان المنكرة من التدبير عليه أو أن يتدخلهم التعصب له فيشغبوا عليه ويدعوا بشعار ياقوت.

وكتب إلى ياقوت بأن السطار قد أمره بالخروج عن تستر إلى الحضرة فى خمسة عشر يوماً أو الفوذ إلى الحبلى متفلاً لها وبأن يقصده إلى تستر ويخرجه منها قهراً فتحتر ودعا مونساً غلامه فقال له :

- «أى شيء ترى؟»

فقال له :

- «الآن وقد مضى ما مضى والله لا صاحبك إلى الحضرة ولا إلى الحبلى

أحد متر معك ولا لهم نفعات تهضم. فإن أردت أن تحضى فى عشرين غلاماً إلى السلطان فذاك إليك »

فأجاب البريدي عن كتابه بأنه يروى ويذكر له ما عنده بعد أن استمهله شهراً ليتأهب للسفر الذي يقصده. فعاد إليه من جواسيسه واحد كذبه فأخبره بأن الجيش وافى عسكر مكرم ونزلوا الدور وانبطوا في المدينة فأحضر غلامه مونساً وقال له :

- «ظفرنا والحمد لله بعدوتنا وكفر نعمتنا فنبير من تستر وقت عتمة ونصيح عسكر [527] مكرم والقوم غارتون في الدور فنكبهم ونشردهم ونمتد إلى لأهواز فلا يثبت لنا البريدي بل يكون هنك الهرب لوجهه.» فقال مونس :

- «أرجو أن يكون هذا صواباً.»

وسار ياقوت ووصل إلى عسكر مكرم وقد بدأت الشمس من مطلعها وامتد مشتقاً للبلد^(١) إلى ناعورة السبيل ونهر حارود فلم ير لرجال البريدي أثراً فحيم ونزل عند النهر ومضى يومه إلى آخره وهو متعجب من الغرور الذي غره جاسوسه.

فلما كان وقت العصر ظهرت الطلائع ثم أهل العسكر وأميرهم أبو جعفر الجمال فنزل على فرسخ من ياقوت وحجز الليل بين العسكرين وأصبح فكانت بينهم مناوشة ومباررة وأعدوا للحرب في اليوم الذي يليه لأن عسكر البريدي كان مستظراً عسكراً قد سيره البريدي على طريق دجيل ليدخل من ضفته كميناً على ياقوت حتى يصير وراءه. ثم أصبحوا في اليوم الثالث من ورود ياقوت عسكر مكرم فابتدأت الحرب منذ وقت طلوع الشمس إلى وقت انظر وثبت ياقوت ومعه مئة نصره مثل مونس وأندريون ومشرك وغيرهم في دون ألف رجل. فأعيا من بإزائه من أبي جعفر الجمال وغيره

١. للبلد. كنا في مط. وفي الكلمة طوض في الأصل وهي إلى كونها «البلد» أقرب منها إلى كونها «المبار» المقرومة في مد.

على كثرة عددهم حتى [528] كادت البريدية تنهزم.
وجاءت^(١) انظهر وقد بلغت القلوب الحناجر فطلع الكمين وهم ثلاثة
آلاف رجل جامين^(٢). فأبلس ياقوت وقال:
« لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ».

وأوماً مونس أن يقصدهم ويكفيه إياهم فعدل مونس مع ثلاثمائة رجل
إلهم وبقي ياقوت في خمسمائة رجل فما مضت ساعة حتى وافى منهزماً
فرمى ياقوت نفسه من دابته ونزع سلاحه وما عليه من ثيابه حتى بقي
بسراريل وقميص سينيزي. ثم أوى إلى رباط يُعرف برباط الحسين بن دبار
فاستند إليه ولو دخل الرباط واستتر فيه لأنستر أمره ولجنه الليل ولجأ أن
يسلم.

فجلس بحيث ذكرت وهو بقرب ناعورة السيل وغطى وجهه ومد يده
يسأل بيقدر فيه أنه من أرباب المعمر اعتر وهو يطلب هدية^(٣) فركب إليه قوم
من البربر ورأوه بهذه الصورة فطلبوه بكشف وجهه فامتنع وأوماً إليه أحدهم
بمزراق فقال :

« أنا ياقوت احملوني إلى البريدى ».

فاجتمعوا عليه وحروا رأسه وانهرم مونس ومشرق وأدريون إلى تستر
واتبعهم الأعراب والبربر فأسروهم ورددوهم. وأطلق أبو جعفر الجمال طائراً
بالخير إلى البريدى يستأذن [529] في رأس ياقوت. فرد إليه في الجواب مع
غلام يركض بأن يجمع الرأس والجثة ويدفن الجميع في الموضع الذي قُتل
فيه.

١ وجاءت : كذا في الأصل ومط.

٢ كذا في الأصل : جلتين. وفي مط. حاميين.

٣ في مط. صدقة، بدل «هدية».

طغيان البريدى بعد مقتل ياقوت

وقبض البريدى على المطفر ابنه مدة ثم أنقذه إلى الحصرة.

وطنى البريدى بعد ذلك وشهر نفسه بالعصيان وقد كانت نفسه ضعيفة فيما ارتكبه من أمر ياقوت ففجأها أخوه أبو يوسف حتى جهز إليه العساكر وقتله. فحكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى أنه سمع أبا يوسف البريدى يخاطب أبا عبد الله أخاه فقال أبو عبد الله :

- «يا أخى أحاف أن تتعصب الحجرية علينا فيقتلونا إن دخلنا الحصرة يوماً وفى العاجل لست آمن على أخى أبى الحسين وهو بالحصرة أن يقتل بشاره.»

فقال أبو يوسف :

- «أما أبو الحسين فنحن نكتب إليه بالخبر حتى يأخذ لنفسه ويستظهر، وأما الحجرية ودخولنا الحصرة، بعد أن وسمنا بمصادرة اثني عشر ألف ألف درهم، فهذه من ذلك. أبعد تحلصنا من القاهر ومن الخصيى السلجون وسلامة أرواحنا نحدث أنفسنا بدخول الحصرة؟ بلى سهدم منازلنا وإلى لعنة الله، ما نعود إلى الحصرة فنحتاج إليها وقد أدبرت^(١)، ودع يا أبا عبد الله ما اعتدت فإنك لا ترى مثله مع حلوقه الزمان [530] وإدبار الملك وفقر الخلافة. وقد كنا نتكسب من السلطان وهو اليوم مثلنا نحن بل نحن مكسب له يريد أن يجتاحنا ويأخذ مالنا ومتى لم نعتصم بهذه العساكر المجتمعة ونخرج ياقوتاً منها سقطنا ثم يطول علينا أن نجد من أئامنا يوماً. والله ما أشرت عليك بما نسمع إلا بعد أن استعددت له ما يعينى عليه وقد واقفتك

١ - وقد أدبرت، كذا فى الأصل مع غموض فيه وفى مد: وقد دبّرت وفى مط: وقد ارتدّت.

على هذا سرّاً وجرها وأبو زكريا ممن لا نحتشمه.»

قال أبو زكريا : وإنما أوما أبو يوسف بهذا القول إلى مال السوس وجنديسابور فإن أبا عبد الله كان أجمته عنده استظهاراً وأنسخ في النسخات وأرزاق الأولياء وما كان يعلل به السلطان على أموال كور الأهوار الباقية. وكان يحتذّب القطعة فالتقطعة منها ويجعل ذلك وراءه ولم يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ.

وما وهب قطّ لطارق ولا شاعر ولا ود نعمة شيئاً وكان عارفاً بمورود الأموال وجرحها وجميعها تجري على يده فإن شئت منها شيء عته إلى إسرائيل بن صالح وسهل بن نظير الحبذين لم يخف عليه مبلغه.

قال : واستخرج أبو عبد الله وأخوه أبو يوسف من كور الأهواز بعد تقليد الراضى إياهما لسي اثنتين وثلاث [531] وأربع وعشرين وثلاثمائة وإلى شعبان من سنة خمس - فإن بحكم هزمهم وأخرجهم عنها في هذا الشهر - ثمانية آلاف ألف دينار وجميع ما خرج عنها في جميع وجوه المقات دون أربعة آلاف ألف دينار **خاتمة**

وسمعت يعقوب الصيرفي اليهودي يقول : سمعت أبا عبد الله يقول :

- «نمضى إلى البصرة فإن تم لنا بها أمر فقد كُفينا وإن حزينا أمر^(١) لا نطيعه قصداً عُمان واستجرباً بصاحبها - يعنى يوسف بن وجيه - فإنه حرّ ودبرنا أمرنا فيما أن عبرنا إلى فارس واستجربنا بعلق بن بويه فإن دولة الديلم قوية والحضرة مدبرة، وإنا أن عبرنا إلى التيمز ومكران وقصدنا صاحب خراسان. فاطريق إليها جدد.»

عود إلى ذكر أخبار الحضرة وتدبير الوزراء لها

وعدا إلى ذكر أحوار الحضرة وتدبير الوزراء لها كان الوزير غير ناهض بالوزارة وما رالت الإصافة تزيد ومن هي يده مال من المعاملين يطمع^(١) وقطع ابن رائق الحمل من واسط والبصرة والبريديون من الأهواز وعني ابن بويه قد تغلب على فارس وابن الياس على كرمان فحيز أبو جعفر الكرخي واعتدت المطالبات عليه وانقطعت المؤدة عنه وبمضت هيئته فاستمر بعد ثلاثة أشهر [532] ونصف من وقت تقلده ووجد في حراته سائج لم تُفص^(٢) وما يحري هذا المعرى من العجز وهنة النفاذ في العمل

وزارة سليمان بن يحيى

ولما استتر الكرخي استحضر الراضي سليمان بن الحسن أبا القاسم فقلده الوزارة والدواوين. فكان في التحيز وبعطاع المواد عنه على مثل حال الكرخي فدفع الضرورة الراضي بالله إلى أن رسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط وأذكره بما ضمن من القيام بالنفقات وإزاحة علة الجيش والحشم ومسألته عما عنده من المقام على ذلك أو الإنصراف عنه. فتلقى أبو بكر محمد بن رائق الرسول بانجميل ووصله بألف دينار وأحاط عن الكتاب بأنه مقيم على ما ضمنه.

١. يطمع: كذا في الأصل. وفي مط. فطمع.

٢. سائج لم تُفص: كذا في الأصل وفي مط. سائج لم يفص وهو خطأ.

ذكر استيلاء ابن رائق على الخلافة

وسائر المعادلات

فأخذ إليه الراشدين ما كرد الديلمي من الساجية وعرفه أنه قلده الإمارة ورئاسة الجيش وجعله أمير الأمراء وردّه إليه تدبير أعمال الخراج والضيايع وأعمال معاون في جميع النواحي وفوض إليه تدبير المملكة وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في الممالك وبأن يُكنّى، وأخذ إليه الخلع واللواء مع ما كرد الديلمي وخادم من خدم السلطان وانحدر [533] إليه أصحاب الدواوين كلّهم وجميع قواد الساجية والحسن بن هارون، فلما حصلوا بواسطة قبض على الساجية وعلى الحسن بن هارون قبل أن يصلوا إليه وخسب الساجية ونهبت رحالاتهم وقيل للحجرية:

«إنما فعلنا ذلك بالساجية لتتوفر أموالكم.»

وورد الخبر بذلك إلى بغداد وكان قد بقي من الساجية ببغداد خلق فخرجوا إلى الموصل وإلى الشام، واسترحش الحجرية ببغداد لما جرى على الساجية بواسطة فقصدوا دار السلطان وأحرقوا بها وضرّبوا خيمهم حولها ووجه ابن رائق بمونس الأفلحى وبارس الحاجب إلى بغداد فضرّبوا خيمهم في باب الشماسية وقد تولّى الشرطة ببغداد. ثمّ أصدع محمد بن رائق من واسط يوم الجمعة لعشر بقرين من ذي الحجة ومعه بجكم. فرتب محمد بن رائق فوق الوزير وخلع عليه وركب إلى مضره في الحلبة وحمل إليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه عدّة أيام وخدمه في ذلك خدم السلطان.

وجتمع إليه الغلمان الحجرية وسلموا عليه وأمرهم بقلع خيمهم من دار السلطان والإنصراف إلى منازلهم ففعلوا.

وبطل منذ [534] يومئذ أمر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط وأن يحضر في أيام المواقب. وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمر كله وكذلك كل من تملأ الإمارة^(١) بعد ابن رائق إلى هذه الغاية وصارت أموال النواحي تحمل إلى خزائن الأمراء فيأمرون وينهون فيها ويفقون كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون وبطلت بيوت الأموال.

وفي هذه السنة ملك ابن الياس كرمان وصفت له بعد حروب جرت له مع جيش خراسان.

إفضاء أمر أحمد بن بويه إلى ملك العراق

وفي هذه السنة جرت الحادثة على أبي الحسين أحمد بن بويه وأصيب بيده ووقع بين السلي ثم تخلص وأفضى أمره إلى ملك العراق.

ذكر السبب في ذلك

لما تمكن علي بن بويه بفارس وتمكن أخوه الحسن بن بويه بإصيهان نظر في أمر أخيه الأصغر أبي الحسين أحمد بن بويه فتقرر الأمر بينهما مكانة وبراسنة علي أن يتوجه إلى كرمان فضم إليه علي بن بويه عسكرياً [535] فيه من كبار الذيلم ومذكور بها ألف وخمسمائة رجل ونحو خمسمائة رجل من الأتراك ومن يجرى مجراهم.

وكان يكتب لأبي الحسين في ذلك الوقت رجل يعرف بأبي الحسين أحمد بن محمد الرازي وكان معتمداً بإحدى عينيه ويعرف بكورذفير^(٢) ولم تكن له

١ في نسخة الأمان، بدل «الإمارة»

٢. كور. أي الاعمي دفير (= دبير) أي الكاتب، في اللغة الفارسية، أي الكاتب الأعمي وذلك

صناعة ولكنه كان واسع الصدر شجاعاً. فورد السيرجان واستخرج منها مالا وأنفقه في عسكره وكان إبراهيم بن سمحور الدواتي من قبل صاحب خراسان محاصراً لمحمد بن الياس بن اليسع الصعدي. فلما بلغ ابن سمحور خبر الديلم رجع إلى خراسان ونفس عن خاق محمد بن الياس فتخلص وانتهر الفرصة وخرج عن القلعة التي كان فيها إلى مدينة بم وهي على مفازة تتصل بسجستان. فسار أحمد بن بويه إليه فرحل إلى سجستان من غير حرب فابصرف من هناك وتوجه إلى جيرفت - وهي قصبه كرمان - واستخلف على بم بعض قواده. فلما أشرف على جيرفت^(١) تلقاه رسول علي بن الزنجي وكان رئيس القفص^(٢) والبلوص وهو المعروف بعلي بن كلوة^(٣). وكان هو وأسلافه متغلبين على تلك الأعمال إلا أنهم يجاملون كل سلطان يرد عليهم ويدعون له ويحملون إليه مالا [536] معلوماً ولا يطؤون بساطه. فبذل لأحمد بن بويه ذلك المال على الرسم. فأجابه بأن الأمر في هذا إلى أخيه علي بن بويه وأنه لا بد له من دخول جيرفت. فإذا دخلها كاتبه وراسله في ذلك وأمره أن يبعد عن البلد. فاستجاب ورحل إلى نحو عشرة فراسخ من البلد في موضع وعمر صعب المسلك.

وتردّت المراسلات بينهما إلى أن تقرّر الأمر بينهما على أن يُنفذ إليه رهينته ففعل وقاطعه عن البلد على ألف درهم يحملها في كل سنة وحمل في الوقت مائة ألف درهم منسوبة إلى الهدية وغير محسوبة من مال

→

حسب التفسير الوارد في النص.

١. في مط: حثروت وهو تصحيف.

٢. في مط: القفص، بدل «القفص».

٣. في الأصل ومط: علي كلويه (دون «بن») في هذا الموضع فقط.

المقاطعة، وأقام له الخطبة. ثم حمل شيئاً من مال التعجيل وسلك سبيل
الوفاء معه. فأشار كوردغير الكاتب على أحمد بن بويه بأن يسرى إليه ناقضاً
ما بينهما من العهود فإنه سيجده غير متحرّز وأصحابه غارّين لسكونهم إلى
وقوع الاتفاق وزوال الحلاف فيفور بأموالهم وذخائرهم ويستولى على
ديارهم ويتم له ما لا يتم لأحد قبله.

ذكر ما كان من عاقبة هذا الغدر والنكث

أصغى أبو الحسين أحمد بن بويه إلى كاتبه ووقع بوقاقه^(١) لحدائث سنّه
واشتراره [537] فحمل نفسه على مفارقة ما يجب عليه في الدين والمروءة
وجمع صناديد عسكره وخلف سواده وما يجرى مجراه وأسرى للوقت إلى
القوم وذلك عند صلاة العصر ليصحبهم بياباً.

وكان علي بن كلويه متيقظاً قد وضع عيونه عليه مسبق إليه الخبر فجمع
أصحابه ورتّبهم على مضى بين جبلين كن الطريق فيه. فلما توسّط أبو
الحسين في الليل مع أصحابه ثاروا به من جميع الحوائب فقتلوا وأسروا
رجال العسكر فلم يفلت منهم إلا اليسير. ووقعت بأبي الحسين أحمد بن بويه
ضربات كثيرة كانت ظاهرة فيه وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده
اليمنى وأُخِرَ بالصَّوْبِ في رأسه وسائر جسده وسقط بين القتلى. وورد
الخبر بذلك إلى جيرفت فهرب كاتبه كوردغير ومن تأخّر من أصحابه.

ولما أصبح علي بن كلويه أمر بتتبع القتلى والتماس أحمد بن بويه
فوجدوه حياً. إلا أنه قد أشفى على التلف. فحُمل إلى جيرفت وأقبل علي
بن كلويه على علاجه وخدمته وبلغ في ذلك كلّ مبلغ واعتذر إليه وأظهر العم

١. بوقاقه: كذا في الأصل. وفي مط: بوقاقه.

بما أصابه. واتصل الخير بعلي بن بويه فاشتد غمه وقبض على كورده فير
وأنفذ مكانه [538] أبا العباس وخَطْلُح حاجبه في ألفي رجل ليجعما ما بقي
من سواد معز الدولة - أعني أحمد بن بويه - بالسرجان ويضعا من بقي من
فل العسكر.

وأنفذ علي بن كلويه رساله وكتبه إلى علي بن بويه بالإعتذار مما جرى
ويوضح له الصورة ويبذل من نفسه الطامة ويذكر أنه ما فارقها ولا خرج
عنها. فأنفذ إليه علي بن بويه قاضي شيراز وأبا العباس الحنّاط وأبا الفضل
العبّاس بن فسانجس وجماعة من الوجوه وأجابه بالجميل وبسط عذره
وأمضى ما كان قرره وردّ رهبته وجدّد له عهداً وعقداً. فحينئذ أطلق علي
ابن كلويه أبا الحسين أحمد بن بويه وأطلق معه اسفهدوست وسائر من كان
أسيراً في يده بعد أن أجمل معاملتهم وخلع عليهم وحمل إليهم آلات وأطافاً.
فلما وصل أحمد بن بويه إلى السرجان وجد كتابه مقبوضاً عليه وقد جرى
عليه مكاره عظيمة أشرف منها على التلف فاستنقذه وبصره وبزّاه من الذنب
وشمع إلى أحيه فيه فسقعه وأطلقه.

وتأذى إلى أبي علي ابن الياس بما جرى على أبي الحسين وطمع فيه
وسار من سجستان حتى نزل البلد المعروف بخُباب فتوجّه إليه أبو الحسين
[539] واشتدّت الحرب بينهما أياماً، إلا أنّ عاقبة الأمر كانت لأبي الحسين.
فانهزم ابن الياس وعاد أبو الحسين ظافراً وتبعت نفسه التشفي من علي بن
كلويه وطلب النار عنده. فتوجّه إليه واستعدّ علي بن كلويه واحتشد ثم سار
إليه فلما صار بين العسكرين نحو من فرسخين نزل وعملوا على مباكره
الحرب فأسرى علي بن كلويه في جماعة من أصحابه وهم قوم رجالة
قادرون على العدو والمصاهرة فيه فوقع على عسكر أبي الحسين ليلًا.
وأتق أن تغيب السماء بمطر جسد واحتلّ الناس فلم يتعارفوا

إلّا باللعنات^(١). فأثروا في عسكر أبي الحسين وقتلوا ونهبوا وانصرفوا وبات عسكر أبي الحسين بقبه ليلتهم يتحارسون. فلما أصبحوا ساروا إلى القوم فأوقفوا بهم وقتلوا منهم عدّة وانهمز عليّ بن كلويه ورجع أبو الحسين وقد نفع بعض غلته إلّا أنّ في صدره بعد حزازات.

وكتب إلى أخيه عليّ بن بويه بالبشارة والظفر بآل أبياس وانهرامه ويعليّ ابن كلويه وهريه. فورد عليه الجواب بأن يقف حيث انتهى ولا يتجاوز. وأنفذ إليه امرزيان بن خُسْرَه الجبلي أحد قوّاده الكبار ليبادر به إلى حضرته ويمنعه [540] التلّوم والمراجعة وكتب سائر التّوَاد بمثل ذلك. فرجع إلى حضرته كارهاً لأنّه ما كان بلغ ما في نفسه من عليّ بن كلويه وأصحابه. فلما وصل إلى اصطخر أقام.

ذكر ما اتفق له من الخروج إلى

بلدان العراق حتّى ملكها

واتفق أنّ أبا عبد الله البريدي وافى فارس في البحر لاحقاً إلى عليّ بن بويه وذلك أنّ محمّد بن رائق وبجكم استطهرا عليه في عدّة حروب وانترعا الأهواز من يده وأشرفا على انتزاع البصرة منه. فخلف أخاه أبا يوسف وأبا الحسين عليّ بن محمّد بها، فلما ورد حضرة عليّ بن بويه مسترخياً به أكرمه وأحسن ضيافته وبذل له أبو عبد الله - إذا ضمّ إليه الرجال - أن يمكّنه من أعمال العراق ويصّحّ له أموالاً عظيمة من الأهواز ويسلم إليه ولدين له رهينة.

واستقدم عليّ بن بويه أخاه أبا الحسين من اصطخر فلما قرّب منه تلقّاه

١. في مد ومط. باللعنات. وما في الأصل يحصل أن يكون «باللعنات».

في جميع عسكره وقربه ورتبه فوق ما كان في نفسه تسلياً له عن مصيبتة
ثم أنهضه مع أبي عبد الله البريدي في عسكر قوي وعُدّة بائة وسار واتصل
حبره بمحمد بن رائق وبجكم. فأما بجكم فإنه عاد إلى الأهواز وكان مع ابن
رائق بعسكر أبي جعفر [541] محاصرين البصرة وأراد أن يمنع الديلم من
تورّد الأهواز وأما ابن رائق فعاد إلى واسط والتقى عسكر بجكم وعسكر
أبي الحسين بالقرب من رامهرمز وانحاز بجكم إلى عسكر مكرم بعد هروب
سندكرها إن شاء الله في سنة ست وعشرين.

ودخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

وفيه أشار أبو بكر محمد بن رائق على الرازي بالله أن ينحدر معه إلى
واسط ليقرب من الأهواز ويرأس البريدي فإن انقاد إلى ما يُراد منه وإلا...^(١)
عليه قصده. فاستجاب الرازي إلى ذلك وانحدر يوم السبت غرة المحرم
واضطربت الحجريّة وقالوا:

«هذه تُعمل علينا نُعمل بنا ما عمل بالساجيّة ونحن نُقيم ببغداد.»

فلم يلتفت ابن رائق إليهم واحداً منهم وتأخّر أكثرهم ثم انحدر الجميع.
فلما صاروا بواسط أعرضهم ابن رائق وبدأ بخلفاء الحخاب وكانوا نحو
خمسمائة حاجبٍ فاقترع منهم على ستين وأسقط الباقيين ونقص أوزاق^(٢)
من أكثر منهم وأخذ يعرض الحجريّة ويسقط منهم الدخلاء والبذاء والنساء
والتجار ومن لجأ إليهم فاضطربوا من ذلك ولم يستجيبوا إليه. ثم استجابوا
وعرضهم وأسقط منهم عدداً كثيراً ثم اضطربوا [542] وحملوا انسلح

١. هناك كلمة شبه مشطوبة لا تقرأ في مط: منه وإلا «قرب» عليه. وتغيّرت العبارة في مد تصحيحاً هكذا
منه، وإن مرق عليه.

٢. أوزاق. كذا في الأصل ومط. وفي مد: ابن رائق، بدل «أوزاق» وهو تصحيف لما في الأصل ومط.

فحاربهم ابن رائق يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم حرباً عظيمة فكانت على الحجرية فقتل بعضهم وأسّر بعضهم وانهزم الباقون إلى بغداد. فركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد وأوقع بالمنهرمين واستروا فهبت دورهم وأحرق بعضها وقبضت أملاكهم.

فلما فرغ ابن رائق من حرب الحجرية وقهرهم^(١) تقدّم بقتل من كان اعتقلهم من الساجية فقلّوا سوى صافى الخارن والحسن بن هارون. فلما فرغ من الساجية والحجرية عمل الراضى بالله وأبو بكر بن رائق على الشخصوس إلى الأهواز ودفع البريدى عنها وأخرجت المضارب إلى باديين^(٢) وبلغ البريدى ذلك فقلق قلقاً شديداً وألفذ إليه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو محمد الحسن بن إسماعيل الإسكافى برسالة من الراضى بالله ومن ابن رائق يعرفان أنه قد أحرّ الأموال واستبدّ بها وأفسد الجيوش وحسّن لها المروق وأنه ليس بطالبى يسارع على الملك ولا بجندى فيبغى الإمارة ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المتعلقة وأنه كان كاتباً صغيراً غرفع بعد خمول وعاملاً من أوسط العمال فاصطنع وأهل لجليل [543] الأعمال فطنى وكفر النعمة وحازى عن الإحسان بالسوء وخلع الطاعة وأنه إن سلّم الجند وحمل المال أقرّ على العمالة وإلا قصّد وعمل بما يستحقّ.

فوافيأه وأحبرأه بما تحمّلاه ونصيحاً له فمقد على نفسه كور الأهواز بثلثمائة وستين ألف دينار يحمل منها فى كلّ شهر من شهور الأهلّة ثلاثين ألف دينار وأن يسلم الجيش ممّن يؤمر بتسليمه إليه ممّن يؤمر عليهم ليخرج بهم إلى فارس للحرب إذ كانوا كارهين للعود إلى الحضرة لضيق الأموال بها

١. قهرهم: كذا فى الأصل. وفى مط: هزمهم.

٢. باديين. ما فى الأصل مهمل فى الأزل. فى مط: بارس. وفى مد. باديين. وباديين قرية كبيرة كالبلدة تحت واسط على صفة دجلته (مراد الاطلاع).

ولا اختلاف كلمة الأولياء فيها ولا بينهم لا يأمنون الأتراك والقرامطة.

وكاتبنا ابن رائق بذلك فعرضه على الرضى بالله وشاور فيه الحسين بن عليّ النوبختي فأنشأ بالآي قبل منه ذلك وأن يتم ما شرع فيه من قصده ما دام قلبه قد نخب وأن يخرج الأهواز من يده ولا يقار بها. وأشار أبو بكر ابن مقاتل بقبول ما بذله وإقراره في ولايته. فقال ابن رائق إلى الهوينا وقبل رأى ابن مقاتل وكان الرأي الصحيح مع السويختي وكتب إلى ابن شيرزاد وابن إسماعيل وأذن لهما في العقد والإشهار^(١) ففعلوا وانصرفا.

فأما المال فما حمل منه دينار [544] واحد. وأما الجيش فإنه أنفذ جعفر بن ورقاء لتسلمه واليهوض إلى فارس به فوافى جعفر بن ورقاء الأهواز وتلقاه أبو عبد الله البريدي في الجيش كله كوكبة بعد كوكبة حتى ملأ الأرض بهم واسودت منهم حافين بأبي عبد الله حوله فورد على جعفر بن ورقاء ما حثيره.

ثم أنفذت الخلع السلطانية إلى أبي عبد الله البريدي بالولاية وعماله الأهواز فلبسها في جامع لأهواز وانصرف إلى داره فمشى العسكر قوادهم وفرسانهم وصميمهم وعبيدهم ورجالتهم بخماتهم وراياتهم وأسلحتهم بين يديه. فمضى جعفر بن ورقاء وكان راكباً معه وانخزل وسقطت نفسه. فلما بلغ داره احتجبه وأحس القواد معه والناس، وكان يوماً عظيماً.

ثم أقام جعفر بن ورقاء أتيماً قدس عليه البريدي الرجال فشفوا وطالبوه بمال يفرق فيهم رزقة تامة لليهوض. فاستر واستجار بالبريدي فأخرجه وعاد إلى الحضرة.

وعني ابن رائق بأبي الحسين البريدي قبل هذه الحال حتى انحدر من

١. ويمكن أيضاً أن يقرأ ما في النسختين: الإشهاد وقرئ في مد: الإشهار، كما أئتمناه.

بعداد ولحق بأخويه، ولما تقرر أمر البريدي أصعد الراضى بالله وابن رائق إلى بغداد. ودخل أبو عبد الله الحسين بن عليّ كاتب الأمير ابن رائق بغداد. [545]

ذكر حيلة أبي بكر ابن مقاتل على الحسين بن عليّ النوبختي حتى عزله عن كتابة ابن رائق

وكان أبو بكر محمد بن مقاتل متمكناً من ابن رائق التمكن المشهور منحرفاً عن الحسين بن عليّ النوبختي بعد الموقعة الوكيدة. وكان هو أوصله إلى ابن رائق وأدخله في كتابته فلهاذا ولأن الحسين بن عليّ فوقه ومستقرّد باين رائق - وهو المدبّر للملك والذى بنى لابن رائق تلك الرتبة العظيمة والذى ساق إليه تلك النعمة وجمع له تلك الأموال التى كان مستطيراً بها من ضمان واسط والبصرة - أشار على ابن رائق أن يعتضد بأبى عبد الله البريدي وأن يستكتبه ليتفق الكلمة ويجتمع جيش الأهواز إلى جيشه وقال له :

- «أيها الأمير لك في ذلك جمال عظيم لأنه اليوم كالظير لك فإذا تواضع وصار تابعاً جازّ حكمك عليه وسيقال لك: إن البريدي عذر بالسلطان ويباقوت فكيف تكتف به؟ فالجواب عن هذا أنه ليس يجمعكما أرض فتسم حيلته عليك كما تمت عليّ ياقوت وأنت غير قادر عليه إلا بحرب وقد يجوز أن تظهر به أو^(١) يظهر هو. فإذا كنا قد انتهينا إلى هذه الحال معه فحطه من الإمارة إلى الكتابة وتصغيره تابعاً ثمّ جذب رجاله [546] وجيشه بالخدعة أو إنفاذه مع بجمكم لينسج لنا فارس وإصبهان أولى من دفعه عنا

١ ويمكن أن يقرأ «لوه» كما نراه في مد، لأن الكاتب وصل بين الألف والواو، شأنه في مثل هذه المواضع، ويؤيد قراءتنا ما في مط: أر.

سأل وإيجاشه فيحناط لنفسه ويخبب الرجال وقد حمل إلى الأمير مع هذا ثلاثين ألف دينار هدية هي قى منزلى.»

وقال له ابن رائق :

« ما كنت لأصرف الحسين بن عليّ مع نصحه لى وتبركى به ولو فتح لى فارس وإصبهان وساهما إلى خصوصاً وأهداهما لى دون غيرى.»
قال : «أيها الأمير فإن كرهت هذا فصمته واسطاً والبصرة.»
فقال : «هذا لفعلته إن أشار به أبو عبد الله الحسين بن عليّ.»
قال : «فتكتمه أيها الأمير خوذا فى الكتابة ولا تذكرها.»

وحضر أبو عبد الله الحسين بن عليّ بعد ذلك وعرض عليه هذا الرأى فصجّ منه وعدّد مساوئ البريدى وغدره وكفره الصنائع منذ ابتداء أمرهم وإلى أن كاشقوا بالعصيان، وأعاد حديث ياقوت. ثم ألفت إلى ابن مقاتل فقال :

« ما قضيت حقّ هذا الأمير ولا نصحته.»

ثم قال :

« أنا عليل أيها الأمير، فإن عشت وأما معك فهبها أن يتمّ عليك وإن مضى فحقّ حكم الله فنشدتك^(١) الله أن تأنس بالبريدى أو تسكن إليه بشيء من أصناف حيلهم.»

فدمعت عين ابن رائق وقال :

« بلى يحيلك الله [547] ويهلكه.»

وكن الحسين ابن عليّ عيلاً من حمى وسعال. ثم انصرف الحسين بن عليّ وابن مقاتل مقصّب. فقال لابن رائق :

١ فى مط : فسئل الله . يدل «فنشدتك الله»

«قد حمل الرجل إليك ثلاثين ألف دينار ولا بدّ من أن تعمل به جميلاً.
فاقبل أحمد بن عليّ الكوفي خليفة لنا بحضرتك ونائباً عنه إلى أن تسرى
رأيتك.»

فقال: «أنا هذا فنعم.»

وكتب ابن مقاتل إلى البريدي بما جرى وأنفذ أحمد بن عليّ الكوفي
وواقي حصرة أبي بكر محمد بن رائق بمدينة السلام وأخبط به نيابة عن أبي
عبد الله البريدي وثقل الحسين بن عليّ النوبختي فتأخّر عن الخدمة أياماً.
وكان له ابن أخ قد صاهره فهو يخلفه في مجلس ابن رائق ويوقع عنه. فقال
أبو بكر ابن مقاتل للأمير ابن رائق:

«حسن العهد من الإيمان وهو من الأمير أحسن لأنّه عائد بالسلامة
عليّ ولكن إضاعة الأمور ليس من الحزم والحسين بن عليّ ميّت فاطر
لنفسك فإنّ الأمور قد اختلّت.»

فقال: «يا هذا، الساعة والله سألت سنان بن ثابت عنه فقال: قد صلح
وخفّ النفط وأنت أكل الدراج.»

فقال: «سنان رجل عاقل ولا يجب أن يلقاك فيمن تُعرّ بما تكره^(١) ولا
سيما هو وزير الزمان ولكن صهره [548] وابن أخيه خليفته أحضره وحلفه
أن يصدقك.»

قال: «افعل.»

وانصرف ابن مقاتل ودعا عليّ بن أحمد ابن أخى الحسين بن عليّ وقال
له:

«قد مهدت لك كتبة الأمير وواقعتك عليّ تقلدك إياها وهي وزارة

١. وفي مط: فيمن تمد أحضر بما تكره. (خلط وتصعيف)

الحضرة وعمك ذاهب فبن سالك فعرفه أنه ميت لا محالة. فأتى أعود إليه وأناجزه فيخلق عليك قبل أن يطمع فيها غيرك.»

فاغتر^(١) علي بن أحمد وسأله محمد بن رائق من خد بعد أن أخلى نفسه عن خبر عمه. فكان جوابه أن بكى وقال:

- «أعظم الله أجرك أيها الأمير في أبي عبد الله عُدَّة من الأموات.»

ثم لطم وجهه. فقال ابن رائق:

- «لا حول ولا قوة إلا بالله أعرض علي به، لو فدى حتى ميئاً لفديته

بملكى كله.»

واستدعى ابن مقاتل فقال له:

- «كان الحق ملك قد يئسنا من الحسين بن علي، فإنا لله وإنا إليه

راجعون. فأتى شيء نعمل؟»

فقال: «هذا أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي نظير الحسين بن علي

وكانا صنيعتي إسحاق بن إسماعيل النوبختي، هو في نهاية الثقة والعفاف وهو

خصيص بأبي عبد الله البريدي وإن أنت استكثرت اجتمعت لك كفاية إلى

عفافه واستقصائهم وانضاب إلى ذلك كله حصول أولئك في جملتهم

وانقطاعهم [549] إليك وبعث علي أبي عبد الله نأ قد أجهنا إلى ما سأل من

كتابك واستخلفنا صاحب أبي عبد الله الكوفي.»

فقال: «استخر الله وافعل ولكن عهداً أبي عبد الله الكوفي عليك ألا

يعشني ويؤثر البريدي في حال من الأحوال.»

فقال: «أنا الضامن عن أبي عبد الله الكوفي كل ما شرطه الأمير.»

فاستكتبه فدبر الأمور كلها كما كان يدبرها الحسين بن علي وأسقط من

١. وفي مط: اعترف، بدل «اغتر».

الكتب التي تكتب عن ابن رائق وكتب: «فلان بن فلان». وكان الحسين بن عليّ يكتب ذلك على رسم الوزارة فكانت مدة سدير الحسين بن عليّ السوبختي لأمر المملوك ثلاثة أشهر وثمانية أيام.

وكتب أبو بكر ابن رائق إلى أبي عبد الله البريدي يعتدّ عليه بما احتال له حتى ذبح الحسين بن عليّ وساق الأمر إليه واستخلف له أبا عبد الله الكوفي فحمل إليه أبو عبد الله البريدي عشرة آلاف دينار وحمل^(١) إلى ابن رائق عشرين ألف دينار بعد الثلاثين ألف الدينار التي قدّمنا ذكرها. واستقلّ الحسين بن عليّ النوبختي وصحّ جسمه وعوفي فكتب ذلك عن ابن رائق وتمكّن البريديون حتى غلبوا على البصرة.

ذكر الخبر عما احتالوا به واتفق أيضاً لهم

لما مضى^(٢) شهر من استكتاب ابن رائق أبا عبد الله الكوفي [حتى] شرع لأبي يوسف البريدي في ضمان [550] البصرة وواسط فأشار عليّ بن رائق بذلك فقال:

- «لا أفعل ولا أتي به».

قال له:

- «ولمّا أتتها الأمير؟ أمّا واسط فأيا مدبرها وليس يرث لهم إليها ولا راجل، وعليّ توفية مالها. وأمّا البصرة فقد قرّرت أمرها على أربعة آلاف ألف درهم على أن يقيم لي بها ضمان ثقات».

١. سقط من مد من «وحمل» إلى «التي قدّمنا ذكرها»

٢ «لما» لا تقرأ في الأصل، وإنما قرأناها في ضوء ما في مط. وقرئت الكلمة في مد «لم» فأصبح الضبط: «لم يمض» كما احتجج إلى زيادة «حتى» بين المعقوفين وريدت فعلاً؛ «لم يمض شهر... [حتى]»...

وأشار أبو بكر بن مقاتل بمثل ذلك فأذن ابن رائق في العقد عليه ففقد أبو يوسف أبا الحسن ابن أسد أعمال الخراج بالبصرة وكان والي الحرب بها محمد بن يزيد فخرج أهل البصرة بأجمعهم إلى سوق الأهواز لتهنئة البريدي بالولاية وكان جمعهم عظيماً جداً. وكان أبو الحسين ابن عبد السلام الهاشمي وجه البصرة قد شذ عن ابن رائق لأنه قصر به وحط منه بالبصرة. فقصده أبا عبد الله البريدي وأبا يوسف أحياه فطرح نفسه كل مطرح عندهما وأشار إليهما بالغلبة على البصرة وإنفاذ العساكر إليها وذكر طاعة الخول وأهل الأنهار له. فأخذ أبو عبد الله في بناء الشذاءات والزيازب والطيارات والاستكثار منها حتى أجنمت له مائة قطعة في نهاية الوثاقة والجودة. فحين وافاه أهل البصرة [551] للتهنئة قريهم وأكرمهم ورفع منهم وقال:

- «قد أطع أبو الحسين بن عبد السلام على نيتي الجميلة فيكم ومحيتي لصلاحكم وإعداد آلة الماء للجيوش الدين أحصن بهم بلدكم من الترامطة وكنت مستعنياً عن ضمان البصرة إذ لا فائدة لي فيها وإنما استعصت لكم من ظم ابن رائق ومحمد بن يزيد خديغته لكم وتحملت في مالي أربعة آلاف دينار في كل شهر بإزاء ما كان يؤخذ من الشرطة والمأصير والشوك تخفيفاً عنكم وقد أزلت جميعها وهذا حظي برفعها عنكم.»

ووقع بذلك توفيقاً وسلمه إليهم وكثر الدعاء والضجيج بشكره. ثم قال لهم:

- «إنه سيبلغ هذا ابن رائق فينكره ويوحشه مني ويصير سبباً للعداوة بيني وبينه. والله ما أبالي أن يعاديني أخوأي أبو يوسف وأبو الحسين وأبني أبو القاسم في صلاحكم. لأنني أعلم أن فيكم بني هاشم وطالبيين وأولاد المهاجرين والأنصار، ومن حرمة الإسلام صيانكم وأنني لأقدر أن الله عز وجل يغفر لي كل ذنب بإزالة الأذية عنكم وسيروم ابن رائق رد ما قد أزلته

عنكم من هذا الحطام الذي كان يأخذه. فأين السواعد القويّة والنفوس [552] الأبيّة التي حاربت عليّ ابن أبي طالب صلوات الله عليه^(١). فمتى رام ابن رائق نقض ما عملت فاضربوا وجهه ووجوه أصحابه بتلك السواعد والسيوف وأنا من ورءكم.

ثم ذكر أهل البصرة بأنّهم مع عبد الرحمن بن الأشعث ومحمّد وإبراهيم إبنى عبد الله بن حسن وقال :

- «لتكن قلوبكم قويّة وآمالكم فسيحة ونفوسكم شديدة في مجاهدة عدوّكم».

ثم وقع للنفقة على المسجد الحامع بالبصرة بألفي دينار وقال :

- «بلغني أنّه خراب».

وعرّضت عليه الرقاع بالحاجات فوقّع بعطائط وظهر وصلات وتحفيف في المعاملات بألفي ألف درهم وأنصرفوا عنه وقد صاروا سيوفه. وسير إقبالاً غلامه وحاجبه وكانت له نوبة مع أبي جعفر الجُمّال^(٢) وضمّ إليه ألفي رجل وقال .

- «أقيموا بحصن مهدي إلى أن نكاتب إقبالاً الحاجب بالمسير بهم إلى البصرة».

واتصل بذلك بأن يزيد فقامت قيامته.

وفي هذه السنة قلّد محمّد بن رائق أبا الحسين بهجكم الشرطة بمدينة السلام وقلّد الحسين عمر بن محمّد قضاء القضاة مع الأعمال التي إليه. وأمر الغلمان الحبريّة المستترين ببيعداد فظهروا وصاروا إليه بالسلاح فعرضهم

١. في مط: عليه السلام. ووضع في مد علامة التعجب بعد «صلوات الله عليه» حيث يبدو أنّ سياق الكلام لا يلائم التصلية.

٢. وفي مط: الجمال (بالحاء المهملة).

وأَمْضَى مِنْ جَمَلَتِهِمْ نَحْوَ أَلْفَى رَجُلًا وَأَثْبَتَهُمْ بِرِزْقٍ مُسْتَأْنَفٍ [553] عَلَى مَا رَأَى
وَأَسْقَطَ الْبَاقِينَ وَأَخْرَجَ مِنْ أَمْضَاهُ وَقَرَّرَ رِزْقَهُ إِلَى الْجَبَلِ. فَلَمَّا صَارُوا بِطَرِيقِ
خُرَاسَانَ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى الْمَضَى إِلَى الْأَهْوَازِ فَمَضَوْا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ
فَقَبِلَهُمْ وَأَضْعَفَ أَرْزَاقَهُمْ وَخَاطَبَهُمْ بِالْثَرْتَى لَهُمْ مِمَّا جَرَى عَلَيْهِمْ مِنْ ابْنِ رَائِقٍ
وَالْتَعْجَبَ مِنْهُ وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ التَّامَّ وَأَظْهَرَ لِلسُّلْطَانِ وَابْنَ رَائِقٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
بِهِ طَافَةٌ لَمَّا صَارُوا إِلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَهُمْ وَأَنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى قَبُولِهِمْ وَجَعَلَهُمْ حِجَّةً فِي
قُطْعٍ مَا كَانَ وَوَقَفَ عَلَى حِمْلِهِ وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا مَعَ الْجَيْشِ وَمَنْعُوهُ مِنْ
حَمْلِ مَالِ الْبَلَدِ وَغَنَبَ عَلَى الْأَهْوَازِ وَالْبَصْرَةِ.

انقسام الدولة العباسية إلى دويلات

فصارت الدنيا في أيدي المتعللين وصاروا ملوك الطوائف وكل من حصل
في يده بلد ملكه ومنع ماله.

فصارب واسط والبصرة والأهواز في أيدي البريديين وفارس في يد علي
بن بويه وكرمان في يد أبي علي ابن إلياس^(١) وإصبهان والري والجبل في
يد أبي علي الحسن بن بويه ويد وشمكير يتنازعونها بينهما والموصل وديار
ربيعة وديار بكر في أيدي بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طنج
والمغرب وإفريقية في يد أبي تميم والإندلس في يد الأموي وخراسان في يد
نصر بن أحمد واليمامة والبحرين وهجر في يد أبي طاهر ابن أبي سعيد
[554] الجتائي وطبرستان وجرجان في يد الديلم، ولم يبق في يد السلطان
وابن رائق غير السواد والعراق.

ولما حصلت ديار مصر خالية قد حربت وضاع مالها عن كفاية السلطان

١ سقط من مخطوطة «وكرمان في يد أبي علي بن إلياس».

خرج عنها بدر الخرشني - وكان يتولى الحرب بها - وعاد إلى الحضرة. فلما خلت من صاحب معونة، قصدها عليّ بن حمدان فغلب عليها. وزاد في مرض أبي عبدالله الحسين بن عليّ النوبختي ما رآه من انتفاض كل ما كان نظمه وما تمّ عليه من الحيلة، فأل أمره إلى السلّ.

وفي هذه السنة انكشفت الوحشة

بين محمد بن رائق وبين البريديين

ذكر السبب في ذلك

اتفق أن وافى أبو طاهر الترمطي الكوفة فدخلها في شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين. فخرج ابن رائق من بغداد ونزل في بستان ابن أبي الشوارب بقنطرة الياسرية وأنفذ أبا بكر بن مقاتل برسالة إلى أبي طاهر الهجري. وكان أبو طاهر يطالب بأن يجعل إليه السلطان في كل سنة مالا وطعاما بنحو مائة وعشرين ألف دينار ليقوم في بلده. وبذل له ابن رائق بأن يجعل ما التمسه رزقاً لأصحابه على أن يكسر لهم السلطان جريدة ويسبق فيهم ويدخلوا في الطاعة ويستخدموا. وجرت خطوب [555] بينهما ومخاطبات انصرف معها أبو طاهر إلى بلده من حيث لم يتقرّر له أمر مع ابن رائق وبلغ ابن رائق إلى قصبة ابن هبيرة ثم عاد منها إلى واسط وكاشف البريدي واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات.

ذكر السبب في ذلك

كان ظن ابن رائق أنه إذا استوزر أبا الفتح جذب له الأموال من مصر والشام. فقدم أبو الصبح من الشام ولزم سليمان بن الحسن منزله وكان حمل

إليه الخلع قبل وصوله إلى بغداد فوصلت إليه وهو بهيت^(١) فلبسها. ثم دخل بغداد وأقرّ أبا القاسم الكلوذاني على ديوان السواد واستخلف بالحضرة أبا بكر عبد الله بن عليّ الغري وهو زوج أخته وكتب السلطان في استيزاره أبا الفتح كتاباً نفذ إلى أصحاب الأطراف.

ولما بلغ ابن رائق ما خاطب البريدي به أهل البصرة قلن وتغيّر للكوفي وأتبعه وهم بالقبض عليه، فحامي عنه أبو بكر ابن مقاتل، ثم رأى أنّه يغالط ابن البريدي بكتاب إليه. فقال للكوفي أنّه يلعبني أنّ صاحبك خاطب أهل البصرة بما أنا معرض عنه فإنه ربّما وقع التزيّد في مثله ولكن اكتب إليه :

- «إنّ الذي أنكرته قبورك الحجرية. فأما إذا تردهم وإمّا أن تطردهم [556] وإن استأذنوك في ناحية يقصدونها فاضم إليهم من رأيت من قوّادك وأخذهم إلى الجبل وهذا العسكر الذي أنقذته إلى حصن مهدي، فأنا أعلم أنّه لما اتّصل ورود الهجري إلى الكوفة استظهرت بأفاده لبعض من فيها عليه إن احتج إلى ذلك وقد استعسى الآن عنهم وفي مقامهم بالحصن مع الإستثناء عنهم تسليط الظنون السيئة عليك وإيجاد أعداءك سبيلاً إلى التضريب بيني وبينك.

- «وبلعبني إنّك قد كنت أنقذت أبا جعفر محمّداً غلامك إلى السوس - وكان قد أنقذه على الحميمة - وأمرته أن يقصد الطيب ويقيم بها إشفاقاً من أن يلحقني وهن من القرامطة فإن احتجج إليه لحمية واسط كان قريباً وإني لما وافيت كاتبته بالإنصراف فعاد إلى الأهواز، وهذا مشكور. فاعمل في أمر إقبال ومن أنقذته إلى حصن مهدي كهذا العمل، ثمّ أنا لك على الوفاء.»

١. هيت، سُتبت باسم بابها وهو هيت بن البندي، ويقال: البليدي بلدة على الفرات فوق الأنبار، ذات بعل كثير وعيرات واسعة (مرامد الإطلاّع)

فكتب الكوفي بهذا كله. فكان الجواب:

- «إن جيشه القديم متشبهون بالحجرية لأنهم أقاربهم وبين القوم وصل ورسم وبلدية ولا يمكن إخراجهم جملة واحدة ولكنه على الأيام يفرق شملهم، وإن الأخبار تواترت بأن القرمطي لما انصرف عن الكوفة قصد البصرة واستحار به أهلها فأنفذ [557] هذا العسكر إشفاقاً عليها وأنهم قد حصلوا بها».

وكان البريدي ساعة ورود الخبر عليه يترول ابن رائق واسط أنفذ إلى من يحصن مهدى بدحول البصرة فدخلوها بعد أن أنفذ من الحجرية قطعة واقرة لمعاضدتهم على دخولها. وأخرج محمد بن يزداد تكان^(١) الصفدي وتكسين - وكانا تركيين من شحنة البصرة - لحربهم ف وقعت بينهم وقعة في نهر الأمير انهزم بها الرائقية. ثم زاد محمد بن يزداد في عدتهم بالإثبات^(٢) وبغلمان نفسه. فكانت الوعدة الثانية بكسر أبان وبينها وبين الأبله فرسخ.

فانهزم الرائقية هزيمة ثانية ودخل إقبال وجيش البريدي البصرة. وأما محمد بن يزداد صاحب ابن رائق فإنه فتح باب البصرة وهرب على طريق البر إلى الكوفة.

وأما تكان وتكسين ورجال الماء من^(٣) الرائقية فإنهم اهتموا في زبازبهم إلى واسط.

وورد الخبر على ابن رائق بحصول إقبال غلام البريدي وأصحابه بالبصرة وجواب كتاب الكوفي في أيام متقاربة. فأنفذ رسولا إلى البريدي برسالة

١. ما في الأصل هنا: مهمل في الأول وفي الأسطر الالية. يكان (بالهاء). وفي مط: تكان (في كلا

الموضعين) وفي مد: مكان (في كلا الموضعين)

٢. بالإثبات (بكسر الهمزة): كذا في الأصل ومط.

٣. من: سقط من مد.

قَسَمَهَا بَيْنَ إِرْغَابٍ وَإِرْهَابٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ فَكَانَ مِنْ حَوَابِهِ - «إِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ رَدُّ رَجَالِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ، لِأَنَّ أَهْلَهَا قَدْ أُنْسُوا بِهِمْ وَاسْتَوْحَشُوا مِنْ قَبِيحِ [558] مَا عَامَلَهُمْ بِهِ ابْنُ يَزْدَادَ فِي أَيَّامِهِ لِأَنَّ الْقَرْمَطِيَّ طَامَعَ فِي الْبَلَدِ وَلَيْسَ بِأَمْنٍ مَتَى كَاتِبُهُمْ بِالْإِنْصِرَافِ أَنْ يَدْخُلَ الْقَرَامِطَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ ضَرُورَةً، لَثَلَا تَعُودُ الْمَعَامَلَةُ بَيْنَ أَهْلِهَا وَبَيْنَ ابْنِ يَزْدَادَ بَعْدَ أَنْ كَاشَفُوهُ.»

وَقَدْ كَانَ لِمَعْرَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي نَهَايَةِ الْإِسْتِيعَاشِ مِنْ ابْنِ رَاقٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ يَزْدَادَ، فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَزْدَادَ سَارَ بِهِمْ سِيرَةً سَدُومَ وَظَلَمَهُمْ فِي مَعَامِلَاتِهِمْ ظُلْمًا مَفْرَحًا وَسَامَهُمُ الْخُسْفَ وَكَانُوا قَدْ اعْتَادُوا الْعَزَّ وَقَدَّرُوا بِالْبَرِيدِيِّ خَيْرًا ثُمَّ رَأَوْا مِنْهُ وَمِنْ أَخَوَيْهِ مَا وَدَّوْا أَنَّهُمْ أَكَلُوا الْخُرْشَفَ وَالْخَرْنُوبَ وَصَبَرُوا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ رَاقٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ يَزْدَادَ وَمَعَامِلَتِهِ.

وَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ بِالْجَوَابِ كَانَ ابْنُ رَاقٍ قَدْ اسْتَدْعَى بَدْرًا الْخُرَشَنِيَّ وَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خُلْعًا سُلْطَانِيَّةً وَحَمَلَهُ، وَتَرَجَّحَ الرَّأْيُ فِي تَسْيِيرِ الْجِيُوشِ إِلَى الْأَهْوَازِ وَالْبَصْرَةِ ثُمَّ اسْتَقَرَّ الرَّأْيُ عَلَى أَنْ يَقْلُدَ بِحُكْمِ الْأَهْوَازِ بَعْدَ حَدِيثِ لِبِحْكَمِ فِي ذَلِكَ مَعَ ابْنِ مِفَازٍ سَنَذَكَرُهُ فِيمَا يَبْدُو أَنَّ شَاءَ اللَّهُ. وَخَلَعَ عَلَيْهِ ابْنُ رَاقٍ لَذَلِكَ وَسَيَّرَهُ وَبَدْرًا الْخُرَشَنِيَّ إِلَى الْأَهْوَازِ وَضَمَّ إِلَيْهِ ابْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرَّاسِيَّ دَلِيلًا وَمَعِينًا وَأَنْفَذَ حَاجِبَهُ فَاتَكَأَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ الرَّائِقِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْقَشُورِيِّ وَبِرْعَوْنًا وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقِيمُوا [559] بِالْجَامِدَةِ وَيَحْصِلَ جَيْشُ الْبَرِيدِيِّ بَيْنَ حَلَقَتَيْ الْبَطَانِ فَيُبَادِرَ بِحُكْمِهِ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ عَلَى بَدْرِ الْخُرَشَنِيَّ وَنَفَذَ أَمَامَهُ فَوَصَلَ إِلَى السُّوسِ وَأَخْرَجَ الْبَرِيدِيَّ مُحَمَّدًا عَلَامَهُ الْمَعْرُوفَ بِأَبِي جَعْفَرِ الْجَمَّالِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ رَجُلٍ بِأَتَمِّ آلَةٍ وَأَكْمَلِ سِلَاحٍ لِلْحَرْبِ.

فَرَقَعَتِ الْحَرْبُ بَطَاهِرَ السُّوسِ وَمَعَ بِحُكْمِ مَائَتَانِ وَتَسْعُونَ غِلَامًا مِنَ الْأَتْرَاقِ فَانْهَزَمَ الْبَرِيدِيَّةُ يَوْمَ تَزَوَّلَ بَدْرُ بِالطَّلِيبِ.

وَقَالَ بِحُكْمِهِ.

- «إنما بادرت وحملت على نفسي ما حملت ولاقيت هذه العدة العظيمة بهذه العدة اليسيرة لتلا يشركني بدل في المتح.»
وعاد أبو جعفر الجتال إلى أبي عبد الله البريدي فصفه بحقه وقال :
- «انهزمت مع عشرة آلاف من بين يدي ثلاثمائة غلام.»
فقال له :

- «أنت ظننت أنك تحارب ياقوتاً المدهر وحيشه المدابير. قد والله جاءك من لَت^(١) بجكم والأتراك خلاف ما عهدت من سودان باب عمان والمولدين.»

فقام إليه فلكنه بيده ثم قال له :

- «قد أنشدت أبا الخليل الديلمي ومن معي من العجم ومن كان يخلف بالأهواز في ثلاثة آلاف رجل إلى تستر فافد الساعة مع من صاحبك إليها حتى تجتمع معهم وتعاود الحرب.»

فقال : «افعل وسنعود إليك هذه الكزة بأخزي من الكزة الأولى لأن [560] هيبة بجكم قد تمكنت في نفوس أهل العسكر»

ونفذ للوقت في ثلاثة آلاف رجل ووافى بجكم إلى نهر تستر فطرح نفسه وغلمانه أنفسهم في الماء للعبور سياحة وكان الماء قليلاً فانهزم القوم بغير حرب وعادوا إلى أبي عبد الله فخرج في الوقت مع أخويه وجلسوا في طيار ومعهم حديد في ثلاثمائة ألف دينار كانت في خزائهم فغرقت بالنهران وغرق الطيار وأخرجهم العواصون وأخرج لبجكم بعض المال. فقال أبو عبد الله :

- «ما نجونا والله من الفرق بصالح أعمالنا ولكن لصاعقة يريدنا الله بهذه

١. اللَّت: القُدوم. الناس العظيمة (مارسية). لله دقة وثقه وسعفه. ومى سط: ابن (مهمل) بدل «لَت».

الدنيا،

فقال له أبو يوسف :

- «ويحك، ما تدع التناذر في هذه الحال.»

ثم وافوا البصرة ودخل بجكم الأهواز وكتب إلى ابن رائق بالفتح. ولما وصل أبو عبد الله إلى الأبلّة ومعه أخواه أنفذ إقبالاً غلامه إلى مطارا وأقام هو وأخواه في طياراتهم وأعدوا ثلاثة مراكب للهرب منها إلى عمان إن اتفق على إقبال بمطارا من الهزيمة مثل ما تمّ على أبي جعفر بالسوس. وأخرج أبو عبد الله البريدي أبا الحسن ابن عبد السلام لمعاينة إقبال، فانهزم الرائيّة وأسر برعوث وحمل به إلى البريدي فأطلقه، وكتب إلى ابن رائق كتاباً يستعلمه [561] فيه وأنفذه إليه مع برعوث ودخل البريديون الثلاثة إلى الدور فنزلوها وسكنوا واطعمانوا ولم يمكن بحكم أن يسير من الأهواز لخلو الأهواز من آلة الماء وشغب رجال بدر عليه هانصرف إلى واسط وملك بجكم الأهواز.

ولما عرف ابن رائق ما جرى على رجاله في الماء أنفذ أبا العباس أحمد بن خاقان وجومرد^(١) الرائيّ إلى المذار على الظهر لمحاربة البريدي وإخراج أصحابه وسير بدر الخرسني إلى البصرة في الماء في شذات مقبرة بناها بواسط. فانهزم لرائية من المذار وأسر أبو العباس ابن خاقان ورجع جومرد إلى واسط وأحسن البريدي إلى ابن خاقان واستحلفه ألا يعود لمحاربته ولا يشايح عليه وأطلقه.

واتصل خبر هذه الهزيمة بابن رائق فسار بنفسه من واسط إلى البصرة على الظهر وكتب إلى بجكم أن يلحق به إلى عسكر أبي جعفر. فاتفق أن سار

١. م: جومرد (أي: الفتى)

بدر الخرشني في الماء إلى نهر عمر ووافى إلى البصرة وملك شاطئ الكلا^(١) وحصل إقبال غلام البريدي في حدود واسط لثما عرف خروج ابن رائق عنها وبلغ ابن رائق ذلك فرّد فاتكاً حاجبه إلى واسط ليحفظها.

ولثما ملك بدر الخرشني الكلا هرب أبو عبد الله البريدي للوقت إلى جزيرة أوال^(٢) وخرج من كان بالبصرة من الجند لدفع [562] بدر وانضاف إليهم عالم عظيم من العامة فاضطرّ بدر إلى الإفراج عن شاطئ الكلا وحصل بالجزيرة التي يازاءه واستتر أبو يوسف البريدي وركب أخوه أبو الحسين يحض الجند والعامة ووافى بحكم إلى ابن رائق وهو في عسكر أبي جعفر يوم ورود بدر لكلا ولثما كان وقت العصر عبر ابن رائق وبجكم دجلة البصرة ودخلا نهر ديبس وتبعهما أحمد بن نصر القشوري فرمى بالحجارة وغرق ربيعة واجتمع بدر وابن رائق وبجكم في الجزيرة فشاهدوا أمراً عظيماً وخطباً جليلاً من العامة وتكاثروا عليهم، فقال بجكم لابن رائق :

« ما الذي عملت بهؤلاء القوم حتى قد أحوجتهم إلى ما خرجوا إليه؟ »
فقال : - « لا والله لا أدري. »

وانصرف بجكم وابن رائق إلى عسكر أبي جعفر ولثما جنّ الليل وجاء المدّ انصرف بدر إليهم.

وبلغ إقبالاً خبر بدر في نفوذه في الماء إلى البصرة من الجامدة ومخالفته إياه الطريق فكثر راجعاً ووافى في اليوم الثاني وقت العصر إلى شاطئ الكلا ونفذ إلى شاطئ الأهلة وحال بين ابن رائق وبجكم وبدر وبين الأبلّة وصارت الحرب في دجلة وطالت المنازلة.

ونفذ أبو عبد الله البريدي من جزيرة أوال إلى فارس واستجار بعليّ ابن

١. قال في مرصّد الإطلاّع الكلا. (بالمد)، محلّة مشهورة وسوق بالبصرة.

٢. أوال : جزيرة بناحية البحرين بها نخل وساتين (مرصّد الإطلاّع).

بويه فأنفذ معه [563] أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه لفتح الأهواز.
 وورد الخبر بذلك على ابن رائق وأصحابه فتقدم ابن رائق إلى بجكم
 بالمبادرة إلى الأهواز لحمايتها فقال بجكم:
 - «لست أحارب النديلم وأدفعهم عن الأهواز إلا بعد أن تحصل لي أمارتها
 حرباً وحراجاً وأنت تعلم أنني ما صبرت لأبي العباس الخصيبي لما^(١) قلدته
 الأهواز حتى صرفته أصبر لعلي بن خلف بن طناب أن يتحكم في بلد
 أحارب عنه؟»

وكان علي بن خلف بالأهواز من قبل الوزير أبي الفتح فضمن ابن رائق
 بجكم الأهواز وكورها بمائة وثلاثين ألف دينار محمولة في السنة على أن
 يوفي رجاله مالهم ويستوفي ما يخصه وعلمانه وأقطعه إقطاعاً بحمسين ألف
 دينار. ولما كان بعد شهر أو دونه من نفوذ بجكم إلى الأهواز انصرف ابن
 رائق أيضاً من عسكر أبي جعفر ومضى إلى الأهواز وأحرق ما بقي من سواده
 لإتفاق سبئ اتفق عليه.

ذكر اتفق سبئ اتفق علي ابن رائق
 حتى انهزم إلى الأهواز وأحرق سواده

كان طاهر الحنلي رافى إلى واسط مستأماً إلى ابن رائق فلم يجده بها
 وقصده إلى عسكر أبي جعفر فتلقاه في طريقه كتاب ابنه وجاريته بحصولهما
 في يد ابن البريدي، لأن أبا عبد الله كان [564] بفارس فقبل ابنه وجمع بينه
 وبين الجارية فمهر بالليل في مائتي رجل. وزعم يابن رائق وبدر الخرشني
 ووازره جميع أصحاب البريدي من عسكر الماء، فأما بدر فإنه انهزم إلى

١. ما في الأصل: لما (بضعيف الميم)

واسط. وأما ابن رائق فإنه مضى إلى الأهواز وأكرمه بهجكم وخدمه وأشير
على بهجكم بالقصر عليه فلم يفعل. وأقام أياماً حتى وافاه من واسط غاتك
غلامه ثم سار إليها وخلف بهجكم بالأهواز.
وأما حديث بهجكم مع ابن رائق الذي وعدنا به فهو ما حكاه ثابت ابن
سنان عن والده سنان.

ذكر حكاية عن بهجكم تدل على مصافة

وبعد غور وكبر همة

قال ثابت: حدثني والدي أن بهجكم قال له بعد أن ملك الحضرة وأزال أمر
ابن رائق في عرض حديث جرى بينهما:

سبيل الملك إذا حزبه أمر من الأمور أن يكون جميع ما يملك من مال
وغيره، أقل في عيه من التراب، وأن تحذف جميعه كما حذفت هذه الحصاة
فيما يقدر^(١) به زوال ما قد أطله. فإن دوله إذا ثبت أمكنه أن يستحلف
أضعاف ما خرج عن يده وإن هو بخل وشئت نفسه وتهيب إخراج ما في
يده ذهب ما يخل به وذهبت معه نفسه.

أذكر وقد قلدي ابن رائق الأهواز ولم يكن ما فعله من ذلك برأى أبي بكر
ابن [565] مقاتل ولا شاوره فيه قليلاً بلغ ابن مقاتل الخبر شق عليه ذلك
جداً وبادر إلى ابن رائق وقال له:

- «أى شيء عملت، قد عزمتم على أن تقلد بهجكم الأهواز؟»

قال ابن رائق:

- «نعم.»

١. وفي مط: تقرر، بدل «يقدر».

قال: «قد أخطأت على نفسك نهاية الخطأ. أنت لا تقوى بينى البريدى وهم كتاب أصحاب دراريع، ولا يمكنك صرفهم ولا انتزاع المال من أيديهم. تقلد رجلاً تركياً صاحب سيف إنما صاحبك قريباً مثل الأهواز ما هو إلا أن تحصل الأهواز فى يده ويرى جلالها وحسنها وكثرة أموالها وما يحصل عنده من الجيش بها حتى تحدته^(١) نفسه بالنفلب عليها. ثم لا يقتصر عليها حتى يطمع فى غيرها وتنازعه نفسه إلى أن يسنازعك أمرك ويزيلك عن موضعك ويصير هو مكانك ليأمن على ما حصل له ولا يكون له منازع عليه. وأنت الساعة على طمع فى أن تنتزع البلد من يد البريدى فإن قلدته بهجكم فاحسم طمعك عنها وأخرجها من قلبك واصرف همك إلى حفظ - غيرها وليته^(٢) - بحفظ - واحفظ مهحك فقد عرّضتها للنلف.»

فتأ رأى ابن رائى وصرقه عما عزم عليه فى أمرى ولعمري لقد صدقه ونصحه وأشار بالرأى الصحيح. [566]

وبلغنى ما جرى بينهما فقامت قيامتى منه ورأيت أنه يفوتنى ما حدثت نفسى به من الملك فقلقت وشاورت محمّد بن ينال الترجمان فلم يكن عنده رأى. فأخذ يسألنى ويقول لى:

«أنت فى نعمة ورحمة ومحلّك من هذا الملك محلّ الأخ.»

قلت له:

«أنت أحمق، امض حتى تهدّ سميرية فى هذه الليلة المقبلة.»

وعملت على قصد ابن مقال وعلمت أنه تاجر عامّى صغير النفس وإن الدرهم يعظم فى نفوس أمثاله. فلما كان الليل ونام الناس حملت معى عشرة آلاف دينار ونزلت إلى السميرية وأخذت معى محمّد بن ينال وحده

١. وفى مط: تخدعه، بدل «تحدته».

٢. وفى مط: ابته، بدل «ليته».

ولم آخذ^(١) غلاماً وصرت إلى بابي فوجدته مغلقاً ودققت فخطبني بوابه من وراء الباب وأعلمني أن الرجل نائم وأن الأبواب بيدي وبينه مغلقة. فقلت له: - «دق الباب وأنبهه، فإني حضرت في مهم».

فصل ودخلت إليه وقد انزعج عن فراشه لحصوري في مثل ذلك الوقت فقال

- «ما الخير؟»

فقلت: «خير وأمر أردت أن ألقيه إليك على خلوة، فانتظرت نوم الناس وخلو الطريق ولم آخذ معي غير الترجمان. ولو لا أنني أردته ليرجم بيدي وبينك لما أحضرته ولا أطلعت على ما أحاط بك به».

قال: فقال:

- «قل ما تحت».

قلت: «قد علمت ما كان عزم عليه الأمير [567] في بابي من تقليدي الأهواز. وبلغني أنه توقف عن ذلك ولسبب أعرف سبب توقفه وهي إبطاله ما عزم عليه بطلان جاهي بمد استهارة وغضب مني. ولا يشك أحد أنه لسوء رأي وأنا صنيعتك وصنيعه وغر سكما وإن لم أحظ في أيامكما غنى أحظى وأنى مقدار يكون لي عند الناس. وهذه عشرة آلاف دينار قد حملتها إلى خزائنك، وأنا أعلم أنه يقبل منك، وأريد أن تشير عليه بإمضاء ما كان عزم عليه».

فلما رأى الدنانير تخريق وقال:

- «دعني وانصرف في حفظ الله».

فترك الدنانير بحضرته وانصرفت وأنا واثق بحصول الأهواز لي. فلما

١. وفي الأصل: لم أجد، وما أثبتناه هو من مط.

كان بعد ثلاثة أيام صار ابن مقاتل إلى ابن رائق فقال له :
 - «أشرت بذلك الرأي على الهاجس وطاهر النظر. فلما تأملت الحال
 وجدت الصواب معك لأنك إن تركت الأهواز في يد ابن البريدي وأخوته
 بعد ما حصل لهم من الأموال ازداد كل يوم قوة وطمعاً وسدوا أبديهم إلى
 غيرها من أعمالك وبلدانك ودب فسادهم إلى عسكرك بكثرة ما يبذل ويعطى
 ولا يبعد بعد ذلك منازعتهم لك على أمرك هذا وإن خرجت إليهم بنفسك
 فهي حرب ولا تدري كيف تكون، فإن كانت عليك لم تشد منها حزاماً^(١)
 أبداً، وإن وخعت [٥٦٨] بغير بجكم استضعف وغلب وكسر ذلك قلوب
 أصحابك ولأن تصدمهم بمثل بجكم وهم لا يطعمون في مقاومته أصلح، فإن
 حصل له البلد استأصل شافتهم. ثم أنت مالك أمرك؛ إن شئت أقررتة وإن
 شئت صرفته قبل أن يتمكن وقبل أن يحتجم أمره ويحدث نفسه بشيء
 تكرهه^(٢)، فاستغفر الله وامض أمره.»

فقبض رأيه وأمضى أمرى وفلذنى ولم أستفل ولاية الأهواز بذلك المال،
 وباع ابن مقاتل روحه وروح صاحبه ونعمته بعشرة آلاف دينار واستخلفت
 أنا مكان البنائير أضعافها وحصل لي ملك ابن رائق.

شرح حال أبي الحسين أحمد بن بويه وأبى عبد الله البريدي

في قصدهم الأهواز لمحاربة بجكم

وذلك في سنة ست وعشرين وثلاثمائة

ودخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة

قد ذكرنا حال أبى عبد الله البريدي وقصده على بن بويه وأنه تقدم إلى

١. وفي مط. حراماً بدن «حزاماً».

٢. وفي مط. ويحدث نفسه من يكرهه، بدل «ويحدث نفسه بشيء تكرهه».

أحياه أحمد بن بويه بالمسير إلى الأهواز معه. وخلف أبو عبد الله البريدي عند علي بن بويه ابنه أبا الحسن محمد^(١) وأبا جعفر الفياض رهينة وسار مع الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه إلى الأهواز.

وورد الخبر على بجمكم بزول أحمد بن بويه أرجان. فخرج بجمكم لحربه فانهم من بين يديه وكان أوكد [569] الأسباب في هزيمته أن المطر اتصل أياماً كثيرة فطلت القسي^(٢) ومنع الأتراك أن يرموهم بالنشاب. فعاد بجمكم وأقام بالأهواز وقطع قنطرة أريق وأفقد محمد بن ينال الترجمان إلى عكر مكرم ووقعت النازلة بينه وبين محمد بن ينال الترجمان ثلاثة عشر يوماً.

ثم عبر أحمد بن بويه بخمسة من الخاصة في سيرة إلى مشرعة يعرف بمشرعة الحناس^(٣) فهزموا من كان رُتب فيها وما زال يعبر بقوم بعد قوم حتى حصل ثلاثمائة رجل في الجانب الغربي. ثم ضربوا بالهوق واشتملوا^(٤) فانهمز الترجمان وأخذ إلى تستر، وبلغ الخبر بجمكم فعبير دجلة الأهواز وعبض على الوجوه بها وفيهم ابن أبي علان وأبو زكريا اسوسي. وحمل الجميع معه والتقى مع الترجمان بالسوس وسار بجميع عسكره إلى واسط.

ولما حصل بالطيب كتب إلى ابن رائق بالخبر وأنه قد حُرب هو ورجاله فلم يبق لهم حال وأن الرجال سيطأولونه وإن كان عنده مائتا ألف دينار ينفقها فيهم وإيهم قراء، فالوجه أن يقيم وإن كانت مستعذرة فالصواب أن يصعد إلى بغداد فإنه لا يأمن أن يقع شعب ولا يدري عن أي شيء يكشف. فهرب ابن رائق هذه الحال ويادر وخرج إلى [570] بغداد بعسكره ودخل

١. في الأصل ومط: محمد.

٢. في مط، أوتار القسي.

٣. الكلمة مهملة في الأصل ومط كدبها.

٤. اشتملوا. تطاير شرارهم من الغضب.

بجكم وأصحابه واسطاً وأقاموا بها واعتقل الأهوازيين وطالبهم بخمسين ألف دينار.

فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد: «أردت أن أسبر ما في نفسه من طلب العراق فراسلته وقلت له:

- «أيها الأمير أنت مطالب بملك ومرشح نفسك لخدمة الخلافة تعتقل قوماً منكوبين قد سلبوا نعمهم وتطالبهم بمال في بلد غربة وتأمر بتمذيبهم حتى جعل في أمتنا طشت فيه جمر على بطن سهل بن نظير الجهني. أولاً تعلم أن هذا إذا شمع به أوحش منك وحاربك وعاداك من لا يعرفك ولا يسمع بخيرك فضلاً عن تحقق فعلك هذا؟ أو ما تذكر إنكارك على الأمير ابن رائق بالأمس إباحته أهل البصرة وعوام بغداد أضعافهم؟ وقد حملت نفسك في أمرنا على مثل ما كان يعمل مرداويج بأهل الجبل. وهذه بغداد ودار الخلافة لا الرى وإصهان ولا تحتل هذه الأخلاق.»

فلما سمع ذلك انحل وبعث فحل^(١) القيود وأزال المطالبة. ثم شفع ابن رائق وابن مقاتل والكوفي في يحيى بن سعيد السوسى، فأطلقه واختصه لعقله ولما تيممه من نفاقه على كل أحد وشفع يحيى بن سعيد في الباقيين وكفل بهم فأطلقهم. ولما عرف علي بن بويه حصول [571] طاهر الجبلى بالبصرة وفي نفسه عليه ما كان عاملاً به بأرجان، كتب إلى أخيه أبي الحسين أن يطالب أبا عبد الله البريدى به ويقبض عليه ففعل ذلك وأنفذ إلى فارس ولما انهزم الترجمان عبر أحمد بن بويه إلى غريء عسكر مكرم وجلس على شاطئ المسرقان ومعه أبو عبد الله البريدى حتى عهد الجسر الأعلى بها وعبر بباقي رجاله من غد وعاد إليه جواسيسه من سوق الأهواز

١. وبعث فحل: في الأصل طموس. وما أئتمناه هو من مط. في مد. وأمر بمل.

وعرفوه أنه لم يبق بها أحد.

ونزل البريدي داراً على شاطئ نهر المرقان ووافاه أهل الأهواز بجمعهم مهتئين وداعين وكان يحتم الربيع، وفيمن حضره يوحنا الطبيب وكان متقدماً في صناعته.

فقال له أبو عبد الله البريدي :

- «أما ترى يا أبا زكريا حالي؟»

فقال له :

- «خلط - يعني في المأكول - لثرمي بالأخلاق.»

فقال له :

- «أكثر بما خلطت يا أبا زكريا، قد أرهجت ما بين فارس والحضرة فإن أقعك ذلك وإلا ملت إلى الجانب الآخر وأرهجت إلى خراسان.»

ولما كان في اليوم الخامس رحل أحمد بن بويه إلى الأهواز وحلف بعسكر مكرم ثلاثة من القواد فأقام أبو عبد الله معه خمسة وثلاثين يوماً ثم هرب منه في الماء إلى لباسان وأقام بها وكاتبه بكتب كثيرة وتصرف [572] في ضروب من القول إقامة لحجة نفسه فيما استعمله ولم يكره المقام عنده لضيق المال فإنه كان سلم إلى أبي علي المارضي ضمانات وخطوطاً فصيحاً^(١) في شهرين بحمسة آلاف ألف درهم وصح منها إلى يوم هربه صدر كثير.

ذكر السبب في هرب البريدي

كان طوالب بإحضار عسكره من البصرة على أن ينفذهم إلى إصبهان لمضامة الأمير أبي علي الحسن بن بويه على حرب وشمكير فوفى بأربعة

١. فصيح كلها في الأصل، وفي مط: يصح.

آلاف رجل وقال للأمير أبي الحسن أحمد بن بويه :

« إن أقاموا بالأهواز وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين الديلم. والرأي أن يخرجوا إلى السوس مع محمد المعروف بالجمال، حاجبي وأسبب بمالهم عليها وعلى جنديسابور حتى يقبضوا وينفذوا على طريق البنيان^(١) إلى إصبهان. »

فأجابه إلى ذلك ثم طالبه أن يحضر رجال الماء إلى حصن مهدي حتى يشاهدتهم فإذا عابنهم سيرهم في الماء إلى واسط وسار أحمد بن بويه بالديلم على طريق السوس إليها فاستوحش البريدي من ذلك استيحاشاً شديداً وظن أنه إنما يريد أن يفرق بينه وبين هسكره وقال :

« هكذا عملت بياقوت فإني أخذت رجاله ثم أهلكته. فلو لم أتعلم إلا من نفسي لكفاني استبصاري والله المستعان. » [573]

وكان الديلم أيضاً يستحقون به ويشتمونهم إذا ركب ويزعجونهم من فراشه وهو محموم وتلقى منهم ما لم يجر عادته بعنقه. وكانت الكرامة متوفرة عليه من الأمير أبي الحسين ومن أبي علي المارضي فأما الباقر فكانوا يهينونه إهانة عظيمة.

ولما أراد الهرب أقدم كتابه في صبيحة الليلة التي خرج فيها وعرف أبا جعفر الجمال علامة ما عزم عليه وأمره أن يسير إلى الباسيان ومنها إلى نهر تيرى ثم إلى الباذأورد والبصرة وتم ذلك على ما نطمه. وحصل جيشه بالبصرة موفورين. واتصلت المراسلات بينه وبين أحمد بن بويه في الإخراج عن قصبة الأهواز حتى يردّها ويقوم بما عقده للأمير علي بن بويه على نفسه من صمان الأهواز والبصرة وهي ثمانيه عشر ألف ألف درهم لسنة

١ البنيان: ما في الأصل مهمل تماماً والمثبت من مط ومذ

خراسانية وإشفاق الأمير أحمد بن بويه من إنكار أخيه علي بن بويه هرب
البريدى استجاب إلى حكمه.

وانتقل إلى عسكر مكرم وأقام بها في ظاهر داراباذ^(١) وكتب إلى البريدى
كتاباً أنه قد أخلى الأهواز. فانتقل البريدى من الباسيان إلى بناتأذر وأنفذ إلى
سوق الأهواز من يخلفه بها وكتب إلى الأمير أن نفسه لا تسكن إلى أن تقيم
في بلد على ثمانية فراسخ منه. لأنه لا يأمن [574] كبسه ليلاً وسامه أن
ينتقل إلى السوس فتبعد الدار بينهما. فترسل في ذلك القاضي أبو القاسم
التنوخى وأبو علي العارض واستقرت الحال على أن يحمل البريدى ثلاثين
ألف دينار إليه لتهضه. فردّ علامى هذين الرسولين مع غلام له بأربعة عشر
ألف دينار وكتب بأنه يوفيه قسمة الثلاثين الألف الدينار بالسوس فاجتمع
دلان وكان كاتب جيش الأمير أحمد بن بويه وأبو جعفر الصيمرى وكان تابعاً
لدلان وأبو الحسن المافزوى وكان يتولى عسكر مكرم للأمير ويجزف
ويأخذ المال من حيث لاح له. فقالوا للأمير أبى الحسين:

- «قد سلك معك البريدى طريقه مع ياقوت وأخذ يبعدك إلى السوس
ويضايقك حتى يفلّ الرجال عنك ثم يأخذ المعابر إلى نفسه - وبين الأهواز
وبين عسكر مكرم وتستر وبين السوس دجلة - ويحتال في تحصيلك إن
استوى له»

فاقشعر الأمير أبو الحسين من ذلك وامتنع أن يخرج من عسكر مكرم
وقال:

- «هى على سمت الطريق إلى فارس ولست أبعد عن الأمير الكبير هذا
البعد حتى يقطع بينى وبينه دجلة أولاً ثم المسرقان.»

١. داراباذ: كذا في الأصل ومط. إلا أن الأخير مهمل في مط. وفي مد: دارابار.

وعرف البريدي ذلك فمنع العارض والتخوى من الرجوع [575] واستحكمت الوحشة.

واتصل ذلك بيجكم فأنفذ قائداً من قواده يُقال له: بالبا، في ألقى رجل من الأكراد والأعراب والعشر والائبات والمولدين إلى السوس وجنديسابور للعبة عليها وكانها يُعرف بالمناضي وأقام البريدي بيناتذر غالباً على أسافل الأهواز وتغلب المجلدية على تستر وبقي الأمير أحمد بن بويه لا يملك من كور الأهواز إلا عسكر مكرم قصبتها دون ما سواها فإن أبا محمد المهلبى - وكان في هذا الوقت وكيل ألى زكريا السوسى - قطع المعابر وعلب على الحميدية والمسكول^(١) وقتل عاملاً كان هناك بيد الأعراب والرجالة الذين أثبتهم فكانت الصورة فيما هم أحمد بن بويه عليظة جداً واضطرب رجاله وفارقوه بأجمعهم وعملوا على الرجوع إلى فارس فعاصده اسفهدوست وموسى فيأده حتى يلافوهم وردوهم وضمنوا لهم أن يرضوهم بعد شهر.

وكتب أحمد ابن بويه إلى أخيه بالصورة فأنفذ قائداً من قواده كان ساربان حماله^(٢) عظيم المحل من أهل البأس والتجدة ثقة عنده يُعرف بسئل فى ثلاثمائة رجل من الديلم ومعه خمسمائة ألف [درهم] ووافى معه كوردفير لأن الأمير أبا الحسين استدعاه لأنه كان وزيره بكرمان [576] فلما حصل عنده كوردفير استسكنه للوقت وخلع عليه وأبو على العارض معتقل بيناتاذر في يد البريدي وأتهمه بمطابقة البريدي على جميع ما عمله أولاً وآخرأ وكان الأمير مبغضاً له وإنما ضمّه إليه أخوه الأمير على بن بويه لأنه كان شاهده وزيراً لما كان الديلمى وكان كبيراً فى نفسه وكان بيجكم مملوكاً له فطلبه منه ما كان فأهداه إليه.

١. فى مط العمدية والشكوك.

٢. حماله كذا فى الأصل ومط ومد (بإهمال الأول).

وتقرر الرأي أن يُنفذ بُلٌّ إلى السوس في خمسمائة رجل ومعه أبو جعفر الصيمري عاملاً عليها وينفذ موسى قيادة إلى بنانادر في ثلاثمائة رجل. فهرب بالب لَمَّا سمع خبر بُلٍّ وهرب البريدى إلى البصرة وسار موسى قيادة إلى حصن مهدى فملكها وكانت من أعمال البصرة وصارت الأسافل وراه ودخل الأمير سوق الأهواز فنزل دار أبي عبد الله البريدى وانتظمت له الأمور وحصل البريدى بالبصرة واستقامت لهم واستقرَّ بحكم بواسطة بنازع الملك ببغداد وجمع ابن رائق أطرافه وأقام بها.

ولَمَّا رأى الوزير أبو الفتح اضطراب الأمور بالحضرة وما تؤذن به أحوالها أطمع ابن رائق في أن يحمل إليه الأموال من مصر والشام ويُمَدَّ بها [577] وعرفه أن ذلك لا يتم له مع بُعد عنها وواقفه على الشفصوص وعقد بينه وبينه صهراً بأن رُوِّج ابنه أبا القاسم بابنة ابن رائق وعقد بين ابن رائق وابن طنج صهراً وخرج مبادراً إلى الشام على طريق القراب.

وقد أبو بكر ابن رائق علي بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياح بكور الأهواز وواقفه^(١) على النفوذ إلى عمله وأن يبتدئ بأبي الحسين بجكم ويلطف له حتى ينفذ معه لمجاربة الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه ودفعه عن الأهواز وأن يواقفه^(٢) على أن يكون عدته خمسة آلاف رجل على أن يكون ماله ومال رجاله - إن أقام بواسطة ولم ينفذ إلى الأهواز - ثمانمائة ألف دينار في السنة يأخذها من مال واسط وإن نفذ إلى الأهواز وفتحها، ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار في السنة يأخذها من مال الأهواز.

ولَمَّا وصل علي بن خلف إلى واسط ولقي بجكم، رأى بجكم أن يستكتبه ورأى علي بن خلف أن يكتب له. فخلع عليه وأقام عنده بواسطة وأخذ جميع

١. كذا في الأصل ومد وواقفه. في مط: واقفه.

٢. في مط. أن يواقفه.

مالها. وسفر أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد في الصلح بين ابن رائق وبنى البريدي فتم ذلك وأخذ ابن رائق خط الرازي بالله للبريديين بالرضا عنهم [578] وقطعت لهم الحنعة على أن يقيموا الدعة لابن رائق بالبصرة ويجهدوا في فتح الأهواز وضمنوا حمل ثلاثين ألف دينار وأطلقت ضياعهم وكتب عن الرازي في هذا المعنى كتاب

وورد الخبر بمسير جيش البريدي إلى واسط. فخرج إليه بحكم وأوقع بناحية الدرمكان^(١) به وهزمه فجلس ابن رائق ببغداد في داره بتهنئة بذلك وأقام بحكم بموضعه مدة ثم بالمدار مدة ثم عاد إلى واسط.

وكانت نية بحكم إذلال البريديين وقطعهم عن ابن رائق ونفسه متعلقة بالحضرة فأغذ ثاني يوم الهريمة علي بن يعقوب كتب الترجمان المستولى للعرض عليه إلى البريدي يعتذر إليه مما جرى ويقول:

«أنت بدأت بمراسلة ابن رائق ونعزّصت لي وهذه كرتك الثانية فإني حملت الديلم إلى الأهواز وأعقبت ذلك بمراسلة ابن رائق وبذلت له مضافته علي وقد عفوت وأنا أعاهدك وأعاهدك علي أن أقلّدك واسطاً إذا سلكت الحضرة.»

وجرى في أثناء ذلك قول في المصاهرة. قال علي بن يعقوب:

«فرايت أبا عبد الله البريدي وقد سجد شكراً لله تعالى لبحكم علي ما ابتدأه به ثم استجاب لكل ما أراده منه ولما سمته إياه.» [579]

وأحضر القاضيين أبا القاسم التنوحي وأبا القاسم ابن عبد الواحد وحلف بحضرتيهما وأشهد علي نفسه في خط كتبه بالوفاء بجميع ما عاهدته معه وبزني بثلاثة آلاف دينار وقال لي:

١. الدرمكان: كناية الأصل وفي مط الدرمكان، وقله «الرومكا»

- «سأحمل إليه والأطفه حتى يعلم أنني أصلح لخدمته.»
 وعدت إلى بجكم وخبرته بما جرى فقال لي:
 - «يا أبا القاسم كلوتته على رأسه.»
 فقلت: «أيتها الأمير ما معنى هذا وكيف سأكتنى عنها؟»
 فقال لي:

- «إني كنت رأيتها فعرفني.»

قلت: «نعم قد رأيتها.»

فقال: «يا أبا القاسم هي على رأس شيطان لا على رأس بشر.»
 فقلت: «أيتها الأمير أنت ما رأيته فكيف قلت هذا؟»

قال: «بلى رأيته يوم وقعتنا بأرجان وقد تعم على كلوتته وعزمت على أن أفوت^(١) إليه سهماً ففطن لما أردته وإنما لمح طرفي من بعيد فزع العمامة والكلوتة وجعلها على رأس غيره وتنحى هو وأقامه مقامه.»
 فقلت: «ذلك المسكين بلا ذنب وأقلت هو لعنه الله فإنه كاذب في جميع ما قاله وحلف عليه ولكن نقبل ذلك منه لحاجتنا إلى قبوله.»
 وانصرف بحكم إلى واسط وأخذ في التدبير على ابن رائق

وفي هذه السنة قطعت يدا أبي عليّ ابن مقله ثم لسانه

ذكر السبب في ذلك [580]

كان ابن رائق لما صار إليه تدبير المملكة قبض ضياع أبي عليّ ابن مقله وابيه، فلما صار إلى الحضرة نقيه أبو عليّ ابن مقله ولقى أبا عبد الله الحسين ابن عليّ السويخي ثم بعده أبا عبد الله الكوفي وأبا بكر ابن مهاتل فاستحيوا

منه وتذلل للجماعة وسأل رد الصيغة المقبوضة عليه هوعدء بذلك ومطل
مطلاً متصلاً. فلما رأى أبو علي المطل متصلاً وللوفاء لا يصح، أخذ في
السعي على ابن رائق من كل جهة. فكتب إلى بجكم يطعمه في الحضرة وفي
موضع ابن رائق وكتب بمثل ذلك إلى وشمكير بالرئى وكتب إلى الرازي بالله
يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأسبابه ويضمن أنه متى فعل ذلك استخرج
له ثلاثة آلاف ألف دينار ويصطحبها وأشار باستدعاء بجكم ونصبه مكان ابن
رائق فإنه أكثر طاعة وكانت مكاتبة للرازي على يد علي بن هارون ابن
المنجم النديم فأطعمه الرازي في ذلك فكتب ابن مقله إلى بجكم يعرفه أن
الرازي قد استجاب إلى أمره وأن الأمر تام ويستحثه على التعجل.

فغداً توثق ابن مقله عند نفسه من الرازي واقفه على أن ينحدر إليه سرّاً
ويقوم عنده إلى أن يتم التدبير على ابن رائق.

فركب من داره في سوق العطش في [581] سميرية وعليه طيلسان وخف
وصار إلى الأزج بباب البستان وركب السميرية ليلة الإثنين ليلة تبقى من
شهر رمضان وإنما تعد تلك الليلة لأن القمر تسعت الشعاع وهو يستتار
للأمور المستورة.

فلما وصل إلى دار السلطان لم يوصله الرازي إليه واعتقله في حجرة
ووجه من غدر باب سجلا إلى ابن رائق وأخبره بما جرى وأنه احتال على
ابن مقله حتى حصله عنده وما زال المراسلات تتردد بين الرازي وبين أبي
بكر ابن رائق.

فلما كان يوم الخميس لأربع عشرة خلت من شوال أظهر الرازي بالله أمر
ابن مقله وأخرجته وحضر فأتك حاجب ابن رائق وجماعة من القواد قُطعت
يده اليمنى ورُدَّ إلى محبسه وانصرف فأتك إلى ابن رائق فأخبره بما شاهد
من قطع يد ابن مقله

قال ثابت : فلما كان في آخر هذا اليوم استدعاني الراضي وأمرني بالدخول إليه وعلاجه. فصررت إليه فوجدته في حجرة مقفلة عليه ففتح الخادم الباب فدخلت فرأيت به حال صعبة فدمعت عينه حين رأيته ووجدت ساعده قد ررم ورماً عظيماً وعلى موضع القطع خرقه غليظة كردوانى كحلية^(١) مشدودة بخيط قنب. فحلفت [582] الشد وسحيت الخرقه فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين الدواب ففقتته عنه وإذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب قد غاص في ذراعه لشدة الورم وابتدأ ساعده يسود. فعرفته أن سبيل الخيط أن يحلّ ويجعل موضع السرجين كافور ويطلّي ذراعه بالصندل وماء الورد^(٢) والكافور قال :

- « فافعل. »

فقال الحادم الذي دخل معه :

- « حتى استأذن مولانا. »

ومضى يستأذن ثم خرج ومعه مخرنة كافور وقال لي :

- « قد أذن مولانا أن نعمل ما ترى وأن ترفق به وتقدم العناية به وتلزمه

إلى أن يهب الله عافيته. »

فحللت الخيط وفرغت المخرنة في موضع القطع وطلبت ساعده فعاش واستراح وسكن الصربان ولم أفارقه حتى اغتدى بشيء يسير من فروج ثم حلف أنه ليس يسوع له شيء آخر وشرب ماءً بارداً فرجعت إليه نفسه وانصرفت.

ثم ترددت إليه أياماً كثيرة إلى أن عوفي. وكنت إذا دخلت إليه يسألني عن خبر ابنه أبي الحسين فأعزفه واستأذنه وسلامته فتطيب نفسه ثم يتروح

١. كحلية: كذا في الأصل ومد. وفي مط. كحيلة.

٢. وفي مط: المارود

ويبكي على يده ويقول :

- « قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتبت بها القرآن [583] دفعتين تُقطع كما تُقطع أيدي اللصوص أتذكر وأنت تقول لي : أنت في آخر نكبة وإنّ الفرج قريب؟ »

فقلت : « بلى والآن ينبغي أن تتوقع الفرج فإنه قد عمل بك ما لم يُعمل بنظير لك وهذا انتهاء الكروه وما بعد الانتهاء إلا الانحطاط. »

فقال : « لا تفعل، فإنّ المعنة قد يتشبت بي كما تشبّت^(١) حُصَي الدَّقِّ بالأعضاء فلا تفارقني حتى تؤدّيني إلى الموت »
ثمّ تمثّل بهذا البيت :

- « إذا ما مات بعضك فأبكي بعضاً فبعضُ الشيء من بعض قريب »

فكان الأمر على ما قال :

ومن عجائبه أنه كان يرسل الرازي من الحبس بعد قطع يده ويظمعه في المال ويشير بأن يمتدّ يده ويقول :

- « إنّ قطع يده ليس ممّا يمنع من استيزاره لأنّه يمكنه أن يحتال ويكتب. »

وكانت تخرج له رقاع بعد قطع يده وقبل التضيق عليه. فيقال : إنه كان يشدّ القلم على ساعده الأيمن ويكتب به.

ولمّا قرب بهجكم من بغداد نُقل من ذلك الموضع إلى موضع أعمى منه. فلم يُوقف له على خبر ومُنعت من الدحول إليه.

١. وفي مطبوع قد تشبّت بي كما تشبّت

ثم قُطع لسانه وبقي مدة طويلة في الحبس. ثم لحقه [584] ذرب ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه حتى بلغني أنه كان يستسقى الماء لنفسه من البئر بيده اليسرى وقمده. ولحقه شقاء شديد إلى أن مات ودُفن في دار السلطان ثم سأل بعد مدة أهله فُتِش وسُلم إليهم.

وفي هذه السنة دخل بجكم العراق أعنى بغداد ولقي الحليفة
وقلده أمرة الأمراء مكان محمد ابن رائق
ذكر الخبر عن ذلك

ابتدأ بجكم بالمسير من واسط إلى الحضرة مراغماً لابن رائق فأزال اسمه
ومحى أعلامه وتراسه وترك الإنتساب إليه وذاك أنه كان يكتب عليها:
- «بجكم الرائق».

وأخذ ابن رائق يستعد للمائه وفتاله وعمل على أن يتحصن في دار
السلطان. ثم رأى أن يبرز إلى ديارى وفتح من النهروان إليه بثقاً ليكثر ماؤه
فلا يُخْمَضُ^(١) وقطع الجسر عليه ليصير خدقاً.

وطالب ابن رائق الراضى أن يكتب إلى بجكم كتاباً يأمره فيه بالرجوع إلى
واسط. فكتب وسُلم إلى ابن رائق فأفذه مع ابن سرخاب إليه أحد خلفاء
الحجاب. فقرأه ولم يلتفت إليه وسار إلى بغداد ووافى بجكم وجيشه إلى نهر
ديالى وعبر بعض أصحابه سباحة. فانهزم ابن رائق وصار إلى عكبرا وشقطع
أصحابه واستتر أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي وأبو بكر بن مقاتل [585]
ودخل بجكم يوم الإثنين لاثني عشرة ليلة خلت من ذي القعدة.

ووصل إلى الراضى بالله فأكرمه وروى عنه وخلع عليه وسار بالخلع إلى

١ فلا يُخْمَضُ: كذا في الأصل ومد. وفي مط: فلا يخلع.

مضربه بديالى فأقام فيه يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء وأنفذ سرية فى طلب ابن رائق وكاتب الجيش الذى معه عن الراضى بالتحلية عنه والوصول إلى حضرة السلطان فانفضّ الجيش عنه ورجع ابن رائق إلى بغداد سراً واستتر بها.

فلما كان يوم الخميس للثمنين من ذى القعدة خلع الراضى على بهجكم خلعة ثانية وانصرف إلى دار مونس بسوق الثلاثاء وهى التى كان ينزلها ابن رائق. فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من ذى القعدة خلع الراضى على بهجكم خلعة ثالثة وعقد له لواء وجعله أمير الأمراء فكان مدة إمارة ابن رائق سنة واحدة وعشرة أشهر وكسر.

ولما كان يوم الجمعة لسبع بقين من ذى القعدة أنفذ الراضى إلى بهجكم خلع منادمه وكناه وأنفذ إليه مع الخلع شراباً وطيباً وتحيات وتعت له الرئاسة.

نسب المجلدة الخامسة من كتاب تحارب الأمم ويتلوها فى المجلدة السادسة حكاية عن بهجكم تدلّ على دهاء ونكر والحمد لله وصلى الله على محمّد النبی وآله الطيبين الطاهرين أجمعين.

فرغ من تصاحيف محمّد بن على أبو طاهر البلخى فى المحرم سنة ست وخمسمائة^(١).

١ والتاريخ فى مد ٦٠٥ بدل ٥٠٦ وهو خطأ. هذا وفى مصورتنا عبارات فراع لكاتبين آخرين انتهى أكثر كلماتها وعدمت معها فلم تنبها وهنا ملاحظة أخرى. وهى أن فى نسخة «سنة» (أحمد زور) ألحقت ثمان وعشرون صفحة من صفحات الجزء السادس من مخطوطة أيا صوفيا، بالجزء الخامس هذا



مرکز تحقیقات کتابت ویراستاری

فهرس العناوین

١	الخدمُ لله واهبِ العلي
١	ودخلت سنة أربع وثمانين ومائتين
	قدوم رسول عمرو بن الليث برأس ابن هرثمة
١	أمر قام بها المعتضد
٢	إخراج كتاب اللعن
٣	لحق بكر بمحمد بن زيد العلوي بطبرستان
٣	وثوب أبي ليس على شقيق الحادق وقتله
٤	ذكر الخبر عن ذلك
٦	ودخلت سنة خمس وثمانين ومائتين
	خروج صالح بن مدرك على الحاج
٦	حمل رأس أبي ليلى إلى بغداد
٦	ورود الخبر بوفاة ابن عيسى
٧	هارون بن خمازوية يوجه رسلاً إلى المعتضد
٧	ودخلت سنة ست وثمانين ومائتين
	توجيه محمد بن أبي الساج ابنه إلى بغداد وهدية
٧	وهول المعتضد إلى آمد

- ٨ ورود كتب هارون بن خماروية إلى المعتضد
- ٨ موافاة هدية من عمرو بن الليث من نيسابور
- ٩ ظهور أبي سعيد الجنابي بالبحرين
على مذهب القرامطة
- ٩ ودخلت سنة سبع وثمانين ومائتين
غلظة أمر القرامطة
- ٩ أسر عمرو بن الليث الصفار
- ١٠ ذكر الحبر عن ذلك
- ١١ ورود الحبر بهروب وصيف
- ١١ خروج العباس بن عمرو الفنوي
- ١٦ ورود الحبر بقتل محمد بن زيد العلوي
- ١٦ ذكر مقتله
- ١٧ ودخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين
ذكر حوادث حدثت فيها
- ١٧ ودخلت سنة تسع وثمانين ومائتين
انتشار القرامطة بسواد الكوفة
- ١٨ سياسة المعتضد في الشيخ
والمرأة المعصومة والرجل الفاضل
- ٢٣ خلافة المكتفي بالله
- ٢٤ هلاك عمرو بن الليث الصفار
- ذكر الحبر عن هلاكه
- ٢٤ مقتل بدر علام المعتضد

- ٢٤ ذكر السبب في ذلك
- ٢٩ ذكر خبر القرامطة ومبدأ أمرهم ومآله
- ٣١ ودخلت سنة تسعين ومائتين
- ٣٢ خبر الحسين بن يحيى بن زكرويه
- ٣٣ المكتفى والتأهب للشخص إلى حرب القرمطي
- ٣٤ ودخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين
- ٣٤ ذكر مسيره وظفره بالقرمطي
- ٣٦ رجوع المكتفى إلى بغداد
- بالقرمطي والمدثر ولطوق وعاقبة أمرهم
- ٣٩ ودخلت سنة اثنتين وتسعين ومائتين
- محمد بن سليمان يخرج لعرب هارون بن حمارويه
- ٤٠ ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين
- ٤٠ ذكر السبب في ذلك
- ٤١ ظهور أح للحسين بن زكرويه صاحب الشامة
- ٤٥ ودخلت سنة أربع وتسعين ومائتين
- زكرويه وقصدة قافنة الحجيج
- ٤٨ ورود خبر القافنة على السلطان
- ٤٩ ودخلت سنة خمس وتسعين ومائتين
- ٥٠ وفاة المكتفى
- ٥١ خلافة المقتدر بالله
- ٥١ ويوبع جعفر بن المعتمد بالله

- ٥٦ وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكنيته أبو الفضل
- (٥٦ ذكر ما جرى في ذلك
- ٥٥ ودخلت سنة ست وتسعين ومائتين
- وفيها كانت فتنة عبد الله بن المعتز
- ذكر الحبر عن ذلك
- ٥٨ وزارة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات
- ٥٨ ذكر الحبر عن اظهر بعيد الله بن المعتز
- ٥٩ موت عبد الله بن المعتز وثبات أمر المعتز
- ٥٩ قتل محمد بن داود
- ٦٠ ذكر ما عمله القناني في أمر
- محمد بن داود
- ٦٣ وفيها قبض على محمد بن عبدون
- وسوسن الحاجب وقتلا
- ذكر السبب في ذلك
- ٦٥ استقرار أمر المعتز
- وتعويضه الأمور إلى أبي الحسن بن الفرات
- ٦٥ ذكر التدبير الصواب في ذلك
- ٦٦ ذكر ما جرى في أمر القاضي أبي عمر
- ٦٦ ذكر خيانة وانفاق سيئ أنفق فيه
- ٦٨ ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين
- ٦٨ ذكر عجة وانفاق سيئ
- ٦٩ ذكر تدبير قاسد وما آل إليه
- ٧١ ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

- ٧١ ذكر ما جرى على سُبُكْرِي من الأسر
- ٧٢ ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين
- القبض على الوزير ابن أفرات
- ٧٣ وزارة أبي على محمد بن عبيد الله
- بن يحيى بن خاقان
- ٧٣ استتار أصحاب ابن أفرات
- ٧٣ ذكر ما دبره ابن أبي البغل وانعكاسه عليه
- ٧٤ الخاقاني يناظر ابن أفرات
- ٧٥ ابن أفرات مشاوراً
- ٧٥ ذكر فساد تدبير الخاقاني لأمر الوزارة
- ٧٨ ودخلت سنة ثلاثمائة [٨٩]
- يرمى المقدر في إعادة ابن أفرات إلى الوزارة
- ٧٩ ودخلت سنة إحدى وثلاثمائة
- وراره أبي الحسن على بن عيسى الوزارة
- ٨٢ مناظرة بين على بن عيسى وابن أفرات
- ٨٥ تزوير توقعات لوزير المصروف
- ٨٦ القبض على الحسين بن منصور الحلاج بأسوس
- ٨٦ حوادث أخرى
- ٨٧ قتل أبي سعيد الجنابي
- ٨٨ على بن عيسى الوزير والقرامطة
- ٨٩ ودخلت سنة اثنين وثلاثمائة
- ٩٠ ودخلت سنة ثلاث وثلاثمائة
- خروج الحسين بن حمدان عن طاعة السلطان

- وما كان من عاقبه
٩٠ ودخلت سنة أربع وثلاثمائة
٩٣ حلام وهسودان يقتل أحمد بن سياه
زُيِّنَتْ على السطوح
٩٣ وحيلة للسلطان
الوزير يوصل على جنازة
٩٤ شار على أنها جنازة ابن القرات
صرف على بن عيسى عن الوزارة
٩٥ وزارة أبي الحسن علي بن محمد
٩٦ ابن القرات الثانية
ذكر ما جرى من ابن أبي الساج عند
٩٩ تداول الوزارة الأيدي الكثيرة
ذكر ما دبره ابن أبي الساج
١٠٠ واحتال به
ونعود إلى الحديث ابن القرات. [١٢٥]
١٠٤ ودخلت سنة خمس وثلاثمائة
١٠٥ ورود رسولين لملك الروم يهديا ولطاف كثيرة
التماساً للهدنة
ودخلت سنة ست وثلاثمائة
١٠٥ القيص على ابن القرات وانتهاء وزارته الثانية
ذكر السبب في ذلك
١٠٩ وراة حامد بن العباس
١١٢ ذكر ما عامل به حامد بن العباس على
١١٣

- ١١٣ بن محمد بن الفرات وأسبابه
١٢٣ وعدنا إلى خبر حامد في ورارته
١٢٤ ودخلت سنة سبع وثلاثمائة
١٢٨ ذكر ما اضطرب لأجله أمر حامد بن
العباس حتى فسخ صمانه
١٣٠ فسخ الصمان عن حامد بن العباس
١٣١ ودخلت سنة ثمان وثلاثمائة
١٣١ ودخلت سنة تسع وثلاثمائة
١٣٢ ذكر خبر الحسين بن منصور الحلّاج
وما آل إليه أمره من القتل والمثلة
١٣٣ الحلّاج وبنت الشمرى
١٣٥ الجدة في طلب أصحاب الحلّاج
١٣٦ وصاياه للدعاة إليه
١٣٦ كلام غريب من غلام حامد في الحلّاج
١٣٧ كيف حلّ دم الحلّاج
١٣٨ كتاب القوم وجواب المقتدر
١٣٩ تنفيذ أمر المقتدر في الحلّاج
١٤٠ ودخلت سنة عشر وثلاثمائة
إطلاق يوسف بن أبي الساج والعدد له على أعمال
من بعض حوادث السنة
١٤١ وفيها قبض على أم موسى القهرمانية وعلى خنتها وأحبها
ذكر السبب في ذلك
١٤٢ ذكر وفاة محمد بن جرير الطبري

- ١٤٢ ودفعت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة
- ١٤٢ ذكر صرف حامد وعلي بن عيسى
- وردة الوزارة إلى ابن الفرات
- ١٤٥ تضرع من ابن الفرات عبد المقتدر
- ١٤٦ خرج المحبوس وزيراً
- ١٤٦ ابن الفرات يتحدث في أيام وزارته الثانية
- ١٤٩ ذكر الخبر عن وزارة أبي الحسن
- ابن الفرات الثالثة
- ١٥٢ ذكر الخبر عن قض الوزير ابن الفرات
- علي حامد بن العباس
- ١٥٧ ذكر ما عومل به حامد وما عمله هو
- ١٦٤ ما جرى في أمر علي بن عيسى
- وتسليمه إلى ابن الفرات
- ١٦٥ ذكر ماحظة ابن الفرات علي بن عيسى
- ١٧١ ويعود إلى تمام خبر علي بن عيسى مع ابن الفرات
- ١٧١ ابن الفرات يشفع لعلي بن عيسى
- ١٧٤ إبعاد علي بن عيسى إلى مكة ثم إلى صنعاء
- ١٧٤ بن الفرات وأسباب علي بن عيسى
- ١٧٧ ذكر ما دبره ابن الفرات في أمر
- مونس حتى أبعده
- ١٧٨ ما دبره ابن الفرات بعد مونس
- في أمر الحاشية
- ١٧٩ ودفعت سنة اثنى عشرة وثلاثمائة

- ١٨١ تفريق المال على طلاب الأدب
- ١٨٢ ذكر السبب في ضعف أمر ابن الفرات
بعد تنأهيه في القوة والإستقامة
- ١٨٥ دخول مونس بغداد
- ١٨٥ ما عامل به المحسن المكيون لما
اضطرب أمره وأمر أبيه
- ١٨٦ ذكر التقبص على أبي الحسن بن الفرات
وهرب إليه المحسن [2:6]
- ١٩٠ تسليم ابن الفرات إلى شمع اللؤوى
- ١٩٠ ذكر توصل أبي القاسم عبد الله بن محمد
بن عبيد الله الخاقاني إلى الوزارة
- ١٩١ ذكر ما جرى عليه أمر ابن الفرات وأسيابه
بعد تقلد أبي القاسم الخاقاني الوزارة
- ١٩٢ كلام لابن الفرات في وزارة الخاقاني
- ١٩٣ ماضرة بن الفرات لاستخراج ماله
- ١٩٥ ذكر تماق سبئ اتفق على المحسن
حتى ظهر به وصوره وقتل
- ١٩٧ الخاقاني يناظر ابن الفرات
- ٢٠٣ ذكر مقتل أبي الحسن ابن الفرات
وابنه المحسن
- ٢٠٦ حكم المنجم في ابن الفرات وابنه
- ٢٠٦ إطلاق الفرمطلي الحاج الأسرى عنده
- ٢٠٧ عدة حوادث

- ٢٠٧ قسوم سليمان وابن مهله
وعلى بن عيسى إلى بغداد
- ٢٠٩ ذكر الأسباب التي أتت على الحاقاني
حتى صرف عن الوزارة
- ٢١٠ ذكر سبب وزارة أبي العباس الحصيني
- ٢١٢ ذكر الخبر عن دخول القرمطي الكوفة
ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [249]
- ٢١٤ ودخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة
- ٢١٥ ذكر تدبير سيئ دبره الحصيني أخرج به
أكثر المعاليك من يده ولم يمكن تلافيه
- ٢١٧ ذكر الخبر عن القبض على الحصيني
وتقليد علي بن عيسى الوزارة
- ٢١٨ ذكر خلافة أبي القاسم الكلوثاني لعلي بن عيسى
وتمشيته للأمور
- ٢١٩ ودخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة
ذكر ما دبره علي بن عيسى في وزارته هذه
وما جرى في أيامه
- ٢٢١ شرح ما جرى بين الوزير أبي الحسن
علي بن عيسى وبين أبي العباس
أحمد بن عبد الله من المناظرة
- ٢٢٧ ذكر ما دبره علي بن عيسى من الأمور
في وزارته هذه
- ٢٢٩ وعندها إلى تمام حديث علي بن عيسى

- ٢٢٩ وما دبره به الممكة
- ٢٣٠ حوادث أخرى
- ٢٣٠ وفيها ظهرت وحشة مونس المطفر
- ذكر السبب في ذلك
- ٢٣٢ ظهور الديلم
- ٢٣٢ عاقبة حسف أسفار بن شيرويه
- ٢٣٤ مقتل مرداويج
- ٢٣٥ وفيها ارتفع ذكر أبي جعفر بن شيرزاد
- وعنى به علي بن عيسى
- ذكر السبب في ذلك
- ٢٣٧ القبض على ابن أبي الساج
- وتقليد الحسن بن هارون
- ٢٣٨ ذكر السبب في ذلك
- ٢٣٨ سعاية
- ٢٤٦ ذكر وقعة ابن أبي الساج مع القرطبي
- وما استعمله من ترك الحزم
- واستهانت بالعدو حتى أسروا
- وما اتفق عليه بعد الأسر حتى قتل
- ٢٥٦ ودخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة
- ٢٥٨ ذكر الحال التي أدت إلى صرف علي بن عيسى
- وتقليد أبي علي ابن مقدة
- ٢٦٠ ذكر القبض على علي بن عيسى
- وتقليد ابن مقدة

- ٢٦٢ وفي هذه السنة وقعت حرب
بين نازوك وهارون بن غريب الخال
ذكر السبب في ذلك
- ٢٦٣ ظهور الوحشه بين مونس والمقتدر
- ٢٦٤ ودخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة
ذكر فتنة ناروك وأبي الهيجاء لتي أدت إلى حلع
المقتدر وذكر قتلها ورجوع المقتدر بالله إلى الخلافة
ذكر الخبر عن حلع المقتدر بالله
وتقليد القاهرة بالله الخلافة
- ٢٦٩ ووزارة علي بن مقله
- ٢٧٠ ذكر حرم استعمال وانتفع به
- ٢٧١ ذكر السبب في رد المقتدر إلى الخلافة
- ٢٧٧ سكون الهيج ورجوع الخلافة إلى المقتدر
- ٢٧٩ ذكر الخبر عن إيقاع القرمطي بالحاج
وتخريب مكة
- ٢٨٠ ودخلت سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة [330]
- ٢٨٠ ذكر السبب في هلاكهم
- ٢٨١ وفيها قبض على الوزير أبي علي ابن مقله
ذكر السبب في القبض عليه
- ٢٨٣ ذكر ما جرى في أمر الوزارة بعد أبي علي
وتقلد سليمان بن الحسن لها
- ٢٨٣ وبها قبض على البريديين وصودروا
ذكر الخبر عن ذلك

- ٢٨٧ مناظرة أبي علي بن مقله
- ٢٨٨ ودخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة
- ٢٨٨ ذكر السبب في استيعاش مونس وخروجه
- ٢٩٠ وفيها قبض على الوزير سليمان بن الحسن
- ذكر السبب في ذلك
- ٢٩١ استحضر الكلوثاني لتقليده الوزارة
- ٢٩٢ مرداويج يملك الجبل بأسره
- ٢٩٢ قصد لشكري الديلمي إصيهان
- ٢٩٣ ذكر اتفاق حسن لأحمد بن كيعلج
- بعد هزيمته ودخول أصحاب بشكري إصيهان
- ٢٩٤ ذكر السبب في تقلد الحسين بن القاسم
- الوزارة وما تم له من الحيلة فيها
- ٢٩٩ وزارة الحسين بن القاسم
- ٣٠١ ذكر السبب في ذلك
- ٣٠٧ وابتدأ أمر الحسين الوزير بالاضطراب [364]
- ذكر السبب في ذلك
- ٣٠٩ وزارة أبي الفتح الفصلي ^{بن علي}
- ٣١٠ مناظرة عن مرداويج
- ٣١٠ المقتدر يهم بتقليد ابن مقبة الوزارة
- ٣١١ موت أبي عمر القاسمي
- ٣١٣ استشارة في الأمر الواضح وعاقبة المستشار
- ٣١٥ ودخلت سنة عشرين وثلاثمائة
- وفيها حذر موسى من الموصل إلى بغداد وقتل المقتدر بالله

ذكر السبب في ذلك

٣١٥

خروج مونس وقصده بغداد

٣١٧

بربري من أصحاب مونس يقتل المعتذر

٣٢١

تبدير المعتذر

٣٢٢

خلافة القاهرة بالله

٣٢٧

أبي منصور محمد بن المعتصد سنة عشرين وثلاثمائة

٣٢٧

تشاعل القاهرة بالبحث عمى استتر

٣٢٩

وزارة ابن مقله

٣٣١

ودخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [١٩٢]

٣٣٢

بين ابن مقله وأبي الخطاب

٣٣٨

ذكر ما جرى في أمر الذين هربوا من قواد المعتذر

٣٤٢

وما آل أمرهم إليه

استيحاء مونس ويبقى وابنه وابن مقله من القاهرة

٣٤٨

ذكر السبب في ذلك

٣٤٨

تبدير ابن مقله وحسنه القاهرة

٣٤٩

ذكر أن مكاسب هذا التدبير

٣٤٩

وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم

٣٥٤

ذكر مقتل مونس ويلقى وعلى ابنه

٣٥٧

القاهرة بأمر بتحريم القيان والخمر

٣٥٨

ذكر السبب في تقليد أبي العباس

٣٥٩

الحصيني الوزارة

- ٣٦١ إحصار للوزارة أو للحبس
- ٣٦٢ وزارة انخسبی
- ٣٦٥ ظهور علی بن بویه
- ٣٦٥ ذکر السبب فی ظهور علی بن بویه
- والإتفاقات التي اتفقت له حتی ملک ما مدي
- ٣٦٧ ذکر سبب تم به لعلی بن بویه ولايمه
- وصرف الباقر بأجمعهم قبل وصولهم إلى أعمالهم
- ٣٧٠ ذکر حيلة مرداویج التي لم تتم له
- ٣٧٢ ودخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة
- ٣٧٢ ذکر اتفاق جید اتفق لعلی بن بویه
- ورديء جداً علی یاقوت
- مع تدبير سني وتسرع من یاقوت غیر صواب
- ٣٧٣ ذکر تدبير دبّر یاقوت فی حال لهزيمة فلم يمد له
- واحترز منها علی بن بویه فظفر
- ٣٧٤ ورود خبر دخول أصحاب مرداویج إصبهان
- ٣٧٤ حرق هراکب القرامطة
- ٣٧٥ وفيها قتل القاهر إسحاق بن إسماعيل
- وأبى السرايا نصر ابن حمدان
- ذكر السبب فی ذلك
- ٣٧٦ وفيها استوحش الحجريّة والساجيّة من القاهر
- فدبروا عليه وتم لهم القبض عليه . [448]
- ذكر السبب فی القبض علی القاهر

خلافة الراضى بالله

٢٨١

٢٨١

أبى العباس محمد بن المقتدر

فى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة

٢٨٦

ذكر ابتداء أمر أبى الحسن

على بن بويه الديلمى

٢٨٩

تفاقات عجيبة مساعدة

لعلى بن بويه بعد دخوله شيراز

رانفتاح وجوه الدخائر والودائع له

٣٩٤

وقتل أبو الحسن عدى بن بويه أبا سعد إسرائيل كاتبه

ذكر السبب فى ذلك

٣٩٧

عود إلى ذكر الأحوال الجارية بمدينة اسلام

٣٩٧

وفى هذه السنة قتل هارون بن غريب الخال.

ذكر السبب فى قتله

٤٠٠

تراجف المسكرين

٤٠١

ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

تنديد الراضى أبىه المعتزى والمفرج

٤٠١

فل مرداويج فى الحنّام بإصيهان

٤٠١

ذكر السبب فى قتل مرداويج

وذكر ليلة الوقود المعروفة بالشّدق

٤٠٧

هروب ركن الدولة

٤٠٧

اتفاق عجيب اتفق له فى هربه

٤٠٧

احتراق الأتراك فرقتين

- ٤٠٨ ما كان من أمر أصحاب مردويج
- ٤٠٩ نوايا مردويج
- ٤١٠ وفيها قبض على المظفر ومحمد أبي ياقوت
بتدبير أبي علي بن مقله
ذكر السبب في ذلك
- ٤١٢ وفيها قوى أمر أبي عبد الله البريدي واستفحل أمره
ذكر أسباب ذلك
- ٤١٣ خروج توقيع من الراضي بالله
- ٤١٥ شغب الجند
- ٤١٦ خروج ابن مقله إلى الموصل
- ٤١٦ ذكر السبب في ذلك
- ٤٢٢ اعتراض أبي طاهر القرمطي للحاج
- ٤٢٢ انقصاص الكواكب
- ٤٢٣ استيمان غلمان مردويج
- ٤٢٤ ومخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة
عدة حوادث
- ٤٢٥ ذكر هذه الحيلة على أبي علي ابن مقله
- ٤٢٨ وزارة عبد الرحمن بن عيسى
- ٤٢٩ ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن الفاسم الكرخي
- ٤٢٩ ذكر مقتل ياقوت
- ٤٣١ ذكر الخدبة التي نفذت على ياقوت
- ٤٤٠ طعيان البريدي بعد مقتل ياقوت
- ٤٤٢ عود أبي ذكر أخبار الحضرة

- ٤٤٢ وتدير الوزراء لها
- ٤٤٢ وزارة سليمان بن يحيى
- ٤٤٣ ذكر استيلاء ابن رائق على الخلافة
وسائر الممالك
- ٤٤٤ إفضاء أمر أحمد بن بويه إلى ملك العراق
- ٤٤٤ ذكر السبب في ذلك
- ٤٤٦ ذكر ما كان من عاقبة هذا الغدر والنكت
- ٤٤٨ ذكر ما اتفق له من الخروج إلى
بلدان العراق حتى ملكها
- ٤٤٩ ودخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة
- ٤٥٢ ذكر حيلة أبي بكر ابن مقاتل على
الحسين بن عليّ النوبختي حتى
عزله عن كتابه ابن رائق
- ٤٥٦ ذكر الخبر عما احتالوا به واتفق أيضاً لهم
- ٤٥٩ انقسام الدولة العبّاسيّة إلى دويلات
- ٤٦٠ وفي هذه السنة انكشفت الرحشة
بين محمد بن رائق وبين البريديّين
ذكر السبب في ذلك
- ٤٦٠ ذكر السبب في ذلك
- ٤٦٧ ذكر اتفاق سيّئ اتفق على ابن رائق
حتى انهزم إلى الأهواز وأحرق سواده
- ٤٦٨ ذكر حكاية عن بجمك تدلّ على حصافة
وبعد غور وكبر همة

- ٤٧١ شرح حال أبی الحسین أحمد بن بویه وأبی عبد الله البریدی
 فی قصدهم الأهواز لمحاربة بجکم
 وذلك فی سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة
 ودخلت سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة
- ٤٧٤ ذکر السبب فی هرب البریدی
- ٤٨٠ وفى هذه السنة قُطعت يد أبی علیّ ابن مقله ثمّ لسانه
 ذکر السبب فی ذلك [580]
- ٤٨٤ وفى هذه السنة دخل بجکم العراق أعنى بغداد ولقى الخليفة
 وقلّده أمرة الأمراء مکان محمّد ابن رائق
 ذکر الخبر عن ذلك



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و تواتر علوم اسلامی

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A. Emāmi, Ph.D.

vol.5

Soroush Press
Tehran 1998



6 26117 24420 0

مجله ۱۶۰۰
شماره ۱۹۵

ISBN 964-435-328-5

ISBN 964-435-331-5 (vol. 5)

